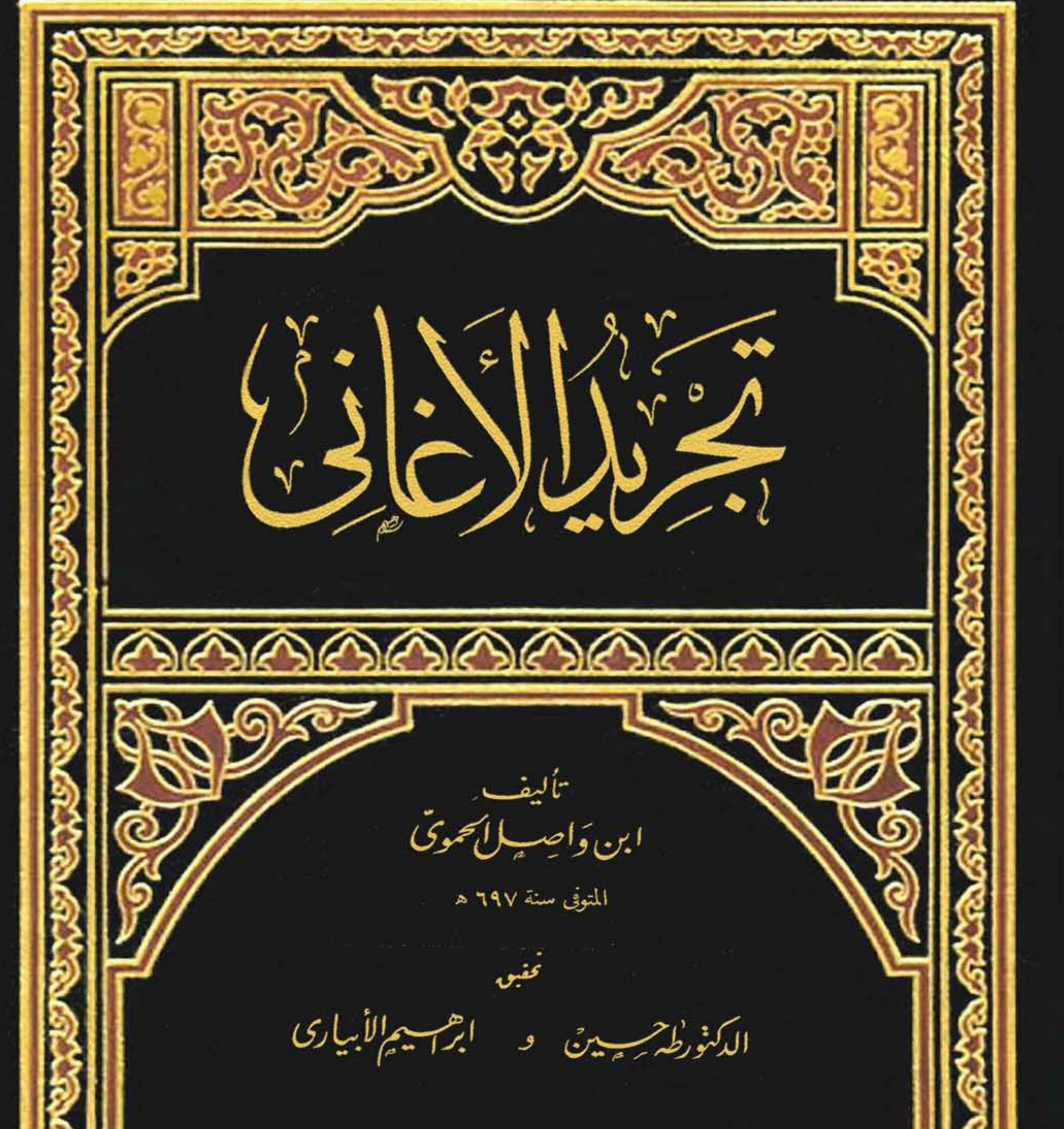


القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)
١٣٧٤ — ١٩٥٥

تجريد الأغاني

تأليف

ابن واصل الحموى

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

القسم الأول　　الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور طه حسين　و　ابراهيم الأبيارى

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

بالقاهرة

١٣٧٦ - ١٩٥٧

أخبار عبد الله بن علقمة

وهو أحد بنى عامر بن عبد مَناة بن كنانة . نسبه

هو وحبيشة

ذُكر أن عبد الله بن عَلقمه هذا خَرج مع أمِّه ، وهو إذ ذاك غلامٌ يَفَعة[1] دون المُحتلِم، لتزور جارةً لها، وكانت لها بنتٌ يقال لها: حُبيشة بنت حُبيش ،أحدِ بنى عامر بن عبد مناة . فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبتْه ووقعت فى نفسه ، فانصرف وترك أمَّه عند جارتها ، فلبثت عندها يومين . ثم أتاها عبدُ الله ليَرْجِعَها إلى منزلها ، فوجد حُبيشة قد زُيِّنت لأَمرٍ كان فى الحىّ ، فازداد بها عَجَباً ، فانصرف بأمه فى غداةٍ تُمطر ، فمشى معها وأنشأ يقول :

وما أدرى بَلَى إنِّى لأَدْرِى أَصَوْبُ القَطْرِ أحسنُ أم حُبَيْشُ
حُبَيْشةُ والذى خلق الهَدايا وما إنْ عندها[2] للصَّبِّ عَيْش

فسمعتْ ذلك أمُّه ، فتغافلت عنه وكَرِهت قولَه. ثم مَشَيا مليًّا ، فإذا هو بظَبْيٍ على رَبْوَةٍ من الأرض ، فقال :

يا أُمَّتا خَبِّرينى غيرَ كاذبةٍ ومايُريد مَسُولُ الحقِّ بالكَذِبِ
أتِلْكَ أحسنُ أم ظَبْىٌ برابيةٍ لابل حُبَيْشةُ فى عينى وفى أَرَبى

فزجرتْه أمه وقالت له : ما أنت وهذا ! أنا مُزوِّجتك أبنة عمك فهى أجملُ من تلك . وأتتْ أمرأة عمِّه فأخبرتْها خبرَه ، وقالت : زَيِّنى أبنتَك له . ففعلت . فأَدْخلتْها عليه . فلما رآها أطرق . فقالت له أمه : أيُّهما الآن أحسن ؟ فقال :

---

(١) يفعة : شاب .

(٢) فى الأغانى : « وما عن بعدها » .

إذا غُيِّبتْ عــنِّى حُبيشةُ مَرةً ... من الدَّهرِ لم أَمْلِكْ عَزاءً ولا صَبْرَا
كأنّ الحشَى حرُّ السَّعير [1] يَحُشُّه ... وَقُودالغَضَى والقلبُ مُضطرمٌ... [2]

وجعل يُراسل حُبَيْشَةَ وتُراسله ، حتى علقتْه كما عَلقها ، وكثُر قولُه من الشعر فيها ، فمن ذلك قولُه :

حُبيشةُ هل جَدِّى وجَــدُّكِ جامعٌ ... بشَمْلِــكُمُ شَمْــلِى وأهلِــكُمُ أَهْلِى
وهــل أنا مُلتفٌّ بثوبكِ مَــرَّةً ... بصَحْراء بين الأَثْلَتَيْن [3] إلى النَّخل
ومُرتشفٌ مِن رِيق ثَغــــرِكِ مَرَّةً ... كرَاحٍ ومِسْكٍ خالطاضَرَبَ [4] النَّحْل

فلما بلغ خبرُهما أهلَها حَجبوها عنه مُدة ، وهو يزيد غراماً بها . فقالوا لهــا : عِديه السَّرْحةَ ، فإذا أتاك فقُولى : نَشدتُك الله إن كنت أحببتنى فما على الأرض شىءٌ أبغض إلىّ منك ! ونحن قريبٌ نَسمع ما تقولين . فوعدتْه ، وجلسوا قريباً يَسمعون ، وجلستْ عند السَّرحة ، وأَقبل عبدُ الله لموعدها ، فلما دنا منها دمعتْ عينُها ، والتفتت إلى حيث أهلُهــا جلوسٌ ، فعرف أنهم قريبٌ ، فرَجع . و بلغه ما أمروها به أن تقولَه ، فأنشأ يقول :

فلو قلتِ ماقالوا لزِدْتُ بكم جوَى ... على أنه لم يَبْقَ سِتْرٌ ولا صَــبْرُ
ولم يكُ حُبّى عن نوال بذلتــه ... فيُسلِيَنى عنه التجنُّبُ [5] والهجر
وماأَنْسَ مِ الأشياء لاأَنْسَ دَمْعَها ... ونَظْرَتَهــا حتى يُغَيِّبنى القَــبْر

سرية خالد بن الوليد إلى بنى عامر

وفَتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على إثْر ذلك مــكة ، و بعَث خالدَ بن الوليد إلى بنى عامر بن عبد مَناة بن كنانة ، قومِ عبد الله بن عَلْقمــة ، وأمره أن

(١) يحشه : يوقده .
(٢) كذا فى الأصل . وفى الكلام نقص ، لعله تقديره : « جمرا » . وفى الأغانى : « والقلب مستعر » . وفى رواية أخرى : « والقلب مصفرا » . ولا يتزن بهما الشعر .
(٣) فى الأغانى : « الأليتين » . وألية : ماء لبنى سليم .
(٤) الضرب : العسل .
(٥) فى الأغانى : « التجهم » .

يدْعوهم إلى الإســلام ، فإن أجابوا و إلّا قاتلهم[1] . فَصَبحهم خالدُ بن الوليـد بالغُمَيْصاء[2]،وقد علِموا به،فظَعنوا وخافُوه . وكانوا قَتلوا أخاه الفاكه بن الوليد، وعَمَّه الفاكه بن المُغيرة ، فى الجاهليّة ، وكانوا من أشد حَيٍّ فى كنانة بأساً ، وكانوا يُسمَّوْن لَعقة الدَّم . وكان مع خالد بنو سُلَيم ، وكانت سُـليم تطلبهم بمالكِ بن خالد بن صَخر بن الشَّريد ، و إخوته : كُرْز ، وعَمْرو ، والحارث ، وكانوا قتـلوهم فى مَوطن واحد . فلما صَبَحهم خالد فى ذلك اليوم ، ورأوا معه بنى سُلَيم ، زادهم ذلك نفورا. فقال لهم خالد : أَسْلموا تسلموا . فقالوا : نحن قومٌ مُسلمون . قال : فأَلْقُوا سِلاحكم وأنزِلوا . فقالوا : لا والله . فقال : جَذِيمة بن الحارث ، أحـد بنى أَقرم : يا قوم ، لا تَضعوا سلاحكم ، فوالله ما بعد وَضْع السلاح إلّا القَتْـل . قالوا : والله ما نُلقى سلاحَنا ولا ننزل ، ما نحن لك ولا لمن معك بآمنـين . قال خالد : فلا أمان لـكم إلّا أنْ تنزلوا . فنزلت فرقةٌ منهم فأَسرهم . وتَفرّق بقيةُ القوم فِرْقتين ، فأَصْعدت فرقةٌ وسَفَلت أُخرى .

خبر ابن علقمة مع حبيشة فى مقتله

قال عبد الله بن أبى حَدْرد الأَسلمىّ : كنتُ يومئذ فى جُند خالد ، فبَعثنا فى إثر ظُعُنٍ[3] مُصْعِدةٍ يسُوق بهنّ فتيةٌ ، فقال : أَدركوا أولئك . قال : فنحن فى إثرهم حتى إذا أدركنـاهم وقد مضَوْا ، وقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلما أنتهينا إليه جعل يقُاتلنا ويَرتجز و يقول :

أَرخين[4] أطراف الذُّيـول وأَرْبعْنْ
مَشْى حَيِيّـاتٍ كأنْ لم يَفزَعْن
إن يُمْنع اليـوم نسـاء يُمْنعن

(١) انظر التنبيه والإشراف للمسعودى (ص ٢٦٨ ليدن) ففيه ما يخالف هذا .
(٢) موضع قرب مكة . (٣) الظعن : النساء فى الهوادج ؛ الواحدة : ظعينة .
(٤) فى الأغانى : « بين » .

فقاتلناه طويلاً فقتلناه ، ومَضينـا حتى لحقْنا الظُّعن . فخرج إلينا غلامٌ كأنه الأول يُقاتلنا ، ويقول :

أُقسم ما إنْ خادرٌ ذو لِبْدَهْ
يُرزم(١) بين أيكةٍ ووَهْـــده
بأصدقَ الغَداةَ مِنِّى(٢) شَدَّه

فقاتلناه حتى قَتلناه . وأدركنا الظُّعن . وإذا فيهن غلامٌ وَضىء ، به صُفرة فى لونه كالمَنْهوك .

قلتُ :

وهذا الغلام هو عبد الله بن عَلقمة الذى جَرى له مع حُبيشة ما تقدّم ذكره .

قال عبد الله بن أبى حَدْرد :

فربطناه بحَبل وقدّمناه لنقتُله . فقال : هل لكم فى خَير ؟ قلنا : وما هو؟ قال: تُدركون بى الظُّعن أسفلَ الوادى ثم تَقتلوننى . قُلنا : نَفعل . فخرجنا حتى نعارض الظعن أسفل الوادى ، فلما كان بحيث يُسمعهن الصوتَ ، نادى بأعلى صوته : اسلمى حُبيش ، عند نفاد العَيش ! فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حُسّانة وقالت : وأنت فاُسلم على كثرة الأعداء ، وشدة البلاء ! فقال : سلامٌ عليك دهراً ، وإن بقيتُ عصراً ! قالت : وأنت سلامٌ عليك عشراً ، وشَفْعاً ووتْراً ، وثلاثة تَترى !

فقال :

إن يَقْتُلونى ياحُبَيْشُ فلم يَدَعْ ... هَواكِ لهم منِّى سِوى غُلَّة الصَّدْرِ
فأنتِ التى أَخليتِ لحمِىَ من دَمِى ... وعَظْمِى وأسْبلتِ الدُّموعَ على نَحْرِى

فقالت له :

(١) يرزم : يصيح . ومنه : الرزيم ، وهو الزئير . والذى فى الأغانى : « يزأر » .
(٢) فى الأغانى : « نجده » مكان « شده » .

ونحن بكينا من فراقك مرةً وأخرى وواسيناكِ في العُسر واليُسْرِ
وأنتَ فلا تبعَد فنِعْم فتَى الهوى جميلُ العَفاف والمودّة في [1] سِتْرِ

فقال لها :

أرَيتكِ إنْ طالبتُكم فوجدتُكم بحَرّة [2] أو أدركتُكم [3] بالخَوانِقِ
ألم يكُ حقًّا أن يُنوَّل عاشقٌ تكلَّفَ إدلاجَ السُّرى [4] والوَدائقِ

فقالت : بلى والله . فقال :

ولا ذنبَ لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أثيبي بوُدٍّ قبل إحدَى [5] الصَّفائقِ
أثيبي بوُدٍّ قبل أن تَشْحط النَّوى ويَنْأى الخليطُ بالحبيب المُفارق

وهذا البيت [6] مع بيت آخر ، وهو قوله : شعره الذى فيه الغنــاء

فلا زِلْن حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنَها إلى بلد ناءٍ قليلِ الأَصادقِ

هو الشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار عبد الله بن علقمة.

قال ابن أبي حَدْرد : فضر بنا عُنقه . فتقحّمت الجاريةُ من خِدرها حتى أهوت نحوه ، فالتقمتْ فاه ، فنزعنا منها رأسَه ، وإنها لتَكْسع [7] بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأفلت من القوم غلامٌ من بني أُقرم يقال له : السَّميدع ، حتى اُقتحم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبره بما صنع خالد ، وشكاه . تتمة خبر مقتله

(١) في الأغاني : « في المودة والستر » .

(٢) في الأغاني في نسخة الشنقيطي مصححة بخطه : « بحلية » وهي رواية شرح المواهب اللدنية (٣ : ٥) . وحلية : واد بتهامة .

(٣) الخوانق : موضع بتهامة .

(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهي شدة الحر .

(٥) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها . والرواية في الأغاني : « البوائق » .

(٦) يريد : « ولا ذنب لي ... » .

(٧) تكسع : تضرب .

إنكار رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد ما فعل

فحدّث صالح بن كيسان أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : هل أنكر عليه أحدٌ ما صَنَع ؟ قال : نعم ، رجل أصفرُ رَبْعةٌ ، ورجل طويل أحمر . فقال : عُمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنا والله يا رسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو ابنى وصِفَتُه ، وأما الآخر فسالم مولى أبى حُذيفة .

وكان خالد قد أمر كُلَّ من أسر أسيراً أن يَضرب عُنقه . فأَطلق عبدُ الله بن عمر ، وسالم مولى أبى حُذيفة ، أسيرين كانا معهما . فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، بعد فراغه من حُنين ، وبَعث معه بإبلٍ ووَرِقٍ ، وأمره أن يَدِيَهم ، فوَداهم . ثم رجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فسأله . فقال علىٌّ رضى الله عنه : قدمتُ عليهم فقلت لهم : هل لكم أن تَقبلوا هذا الجملَ بما أُصِيب منكم من القَتلى والجَرحى وتُحلِّلوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نعم . فقلت لهم : فهل لكم أن تقبلوا الثانى بما دخلكم من الرَّوع والفزع ؟ قالوا : نعم . فقلت لهم : فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا عَلم ومما لم يعلم ؟ قالوا : نعم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : أفقبلوها ؟ قال : نعم . قال : فوالذى أنا عبدُه لذاك أحبُّ إلىّ من حُمْر النَّعم .

* * *

شىء من أخبار متيم الهشامية

ثم ذكر أبو الفرج مُتَيَّم الهشامية ، جارية علىّ بن هشام ، وهى مولّدة صفراء من مولّدات البصرة ، وبها نشأت وتأدبت وغنّت ، وأخذت عن إسحاق الموصلى ، وأبيه قبله . وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء وأدباً . وكانت تقول الشعر المُستحسن من مثلها . وحظيت عند علىّ بن هشام حُظوة شديدة وتقدَّمت جواريه أجمع ، وهى أم ولده كُلّهم .

أخبار جرير

نسبه وكنيته ولقبه

هو جرير بن عطيّة بن الخطَفَى . وأسمه حُذيفة بن بَدْر بن سَلمة بن عَوف بن كُليب بن يَربوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيد مَناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضر بن نزار . ويكنى أبا حَزْرة . ولُقِّب : الخطَفَى ، لقوله :

يَرْفعن للّيل إذا ما (1) أَسْدَفَا

أعناقَ جِنّانٍ وهَاماً رُجَّفا

وعَنَقاً بعد الكَلال (2) خَيْطَفَا

ويُروى : خطفى .

هو والفرزدق والأخطل

وجرير والفرزدق والأخطل هم المُقدَّمون على شُعراء الإسلام الذين لم يُدركوا الجاهلية جميعاً . واُختُلف أيهم المُقدَّم . ولم يبق أحد من شُعراء عَصرهم إلّا تَعرض لهم فافتَضح وسَقط . على أن الأخطل إنما دخل بين جَرير والفرزدق وقد أَسنّ ونَفِدَ أكثرُ عُمره . وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه ، فليس نَجره من نِجَار هذين في شيء .

نسب أمه

وأم جرير : أم قيس بنتُ مُعَيد بن عُمَير بن مَسعود بن حارثة بن عوف بن كُليب ابن يَربوع . وأم عطية أبي جرير : النَّوارُ بنت يَزيد بن عبد العُزّى بن مَسعود ابن حارثة بن عوف بن كُليب .

---

(1) أسدف : أظلم .

(2) العنق : السير المنبسط . والخيطف : سير بسرعة انجذاب .

رأى أبى عمرو الشيبانى فيه وفى الفرزدق والأخطل

وكان أبو عمرو يُشبِّه جريراً بالأعشى ، والفَرزدق بزُهير ، والأخطل بالنابغة .

رأى ابن دأب فيه وفى الفرزدق

وقال ابنُ سلاّم : قال ابن دأب :

الفرزدق أشعر عامةً ، وجرير أشعر خاصّة .

رأى أبى عبيدة فى تقديمه

وقال أبو عُبيدة :

يحتجّ مَن قدَّم جريراً بأن جريراً كان أكثر هؤلاء الثلاثة فنونَ شعر ، وأسهلَهم ألفاظاً ، وأقلَّهم تكلُّفاً ، وأرقَّهم نسباً ؛ وكان دِيِّناً عَفيفاً .

بين ابن سلام وأعرابى فى جرير والفرزدق

وذكر محمد بن سلاّم قال :

رأيتُ إعرابيًّا من بنى أسد — ثم أحد بنى سلامة — أعجبنى ظَرفه وروايتُه ، فقلت له : أيهما عندك أشعر ؟ — يعنى جريراً والفرزدق — فقال : بيُوت الشِّعر أربعة : فخر ، ومَديح ، وهجاء ، ونَسيب ؛ وفى كُلها غَلب جرير ، قال فى الفخر :

إذا غَضبتْ عليك بنو تَميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهمُ غِضابَا

والمديح :

ألستُم خَيرَ مَن ركب المطايا وأندَى العالَمين بُطونَ رَاحِ

والهجاء :

فغُضَّ الطَّرف إنك من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبا

والنسيب :

إن العيُون التى فى طَرفها[1] مَرضٌ قَتلْننا ثم لم يُحْيين قَتْلانا

بين جرير وابنه فى أشعر الناس

وحكى عِكرمة بن جَرير قال :

قلت لأبى : يا أبت ، من أشعر الناس ؟ قال : ألجاهليةَ تُريد أم الإسلام ؟ قال : قلت : خَبِّرنى عن الجاهليّة . قال : شاعر الجاهليّة زُهير . قلتُ : فالإسلام ؟ قال :

(١) فى رواية : « حور » مكان « مرض » .

نَبعة الشعراء الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صِفة المُلوك ويُصيب نعت الخمر . قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دَعْني فإني نَحرتُ الشِّعر نَحْرًا .

هو والفرزدق وقد وقف عليه بمربد البصرة

وذُكر أنه وقف الفَرزدق على جرير بمِرْبد البَصرة ، وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الرَّاعى النُّميرى ، فلما بلغ إلى قوله :

فغُضَّ الطَّرف إنّك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاَبَا

أقبل الفرزدقُ على راويته وقال : غَضَّه والله فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلح بعدها ! فلما بلغ إلى قوله :

* بها بَرَصٌ بجانب (١) إسْكَتَيْها *

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغَطَّى عَنْفَقَته . (٢) فقال جرير :

* كعَنفقة الفرزدق حين شابا *

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول : اللهم أَخْزه ! والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكنى طمعتُ فى ألّا يأبه(٣) ، فغطيتُ وجهى ، فما أغنانى ذلك شيئاً .

وفوده على يزيد ابن معاوية

وحكى جرير قال :

وفدتُ على يزيد بن مُعاوية بن أبى سفيان ، وأنا شاب ، فاُستؤذن لى عليه فى جُملة الشعراء ، فخرج الحاجبُ إلىّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنه لا يَصل إلينا شاعر لانَعرفه ولا نسمع بشىء من شعره ، وما سمعنا لك بشىء فنأذنَ لك على بصيرة . فقلت له : تقول لأمير المؤمنين : أنا القائل :

---

(١) الإسكتان : جانبا الفرج .

(٢) العنفقة : شعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

(٣) فى الأغانى : « طمعت ألا يأبه » .

وإنى لَعفُّ الفَقرِ مُشْتَرَكُ الغِنَى سريعٌ إذا لم أَرضَ دارىَ انتقاليا
جَرىءُ الجَنان لا أُهاب من الرَّدى إذا ماجعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانيا
وليس لسَيْفِى فى العِظام بقيّـــةٌ وللسَّيْفُ أشوى وَقعةً مِن لسانيا

فدخل الحاجبُ إليه فأنشده الأبيـات ، ثم خرج إلىّ وأذن لى . فدخلتُ وأنشدتُه وأخذتُ الجائزة مع الشعراء ، وإنها لأول جائزة أخذتُها من خليفة . وقال لى : لقد فارق أبى الدُّنيا وما يَظُن أبياتك التى توسّلت بها إلىّ إلاّ لى .

رأى حماد فيه وفى الفرزدق

وحكى حمّاد الراوية قال :

أتيتُ الفرزدق فأنشدنى ، ثم قال لى : هل أتيت الـكلب جريرا ؟ قلت : نعم . فقال : أنا أشعر أم هو ؟ فقلت : أنت فى بعض الأمر وهو فى بعض . فقال: لم تُناصحنى . فقلتُ : هو أشعر إذا أُرخِى من خِناقه ، وأنت أشـعر منه إذا رَجوت أو خِفت . فقال : وهل الشعر إلا فى الخوف والرجاء !

هو وسكينة بنت الحسين

وذُكر أنّ جريراً جاء إلى باب سُكينة بنت الحُسين بن علىّ ، عليهم السلام ، يستأذن ، فلم تأذن له ، وخرجتْ جاريةٌ لها فقالت: تقول لك سيّدتى: أنت القائل:

طرقَتْكَ صائدةُ القُلوب وليس ذا وقتَ(١) الزيارةِ فارجِعِى بسَلامِ

قال : نعم . قالت : هلّا أخذت بيدها فرحّبْت بها وأدنيت مجلسَها وقلتَ لها ما يُقال لمثلها ! أنت عَفيف وفيك ضَعف . خُذ هذه الألفى الدِّرهم فالحق بأهلك .

فضلته سكينة على الفرزدق

وذُكر أن الفرزدق خَرج حاجًّا ، فلما قَضى حجَّه عدل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنت الحُسين فسلّم ، فقالت له : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! أشعر منك الذى يقول :

بنَفسى مَنْ تجنُّبه عَـــزيزٌ علىّ ومَن زِيارتُه لِمَـــامُ
ومَن أُمْسِى وأُصْبِـح لا أَراه ويَطْرُقنى إذا هَجَـع النِّيام

---

(١) فى رواية : « حين » .

فقال : والله لو أذنتِ لى لأسمعتُك أحسَن منه . قالت : أَقيموه ، فأُخرج . ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها . فقالت : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحيــاء لعادنى أُســتعبارُ ولزُرْت قــبركِ والحبيب يُزارُ

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كُتم الحــديثُ وعَفّت الأسرار

فقال : والله لئن أذنت لى لأسمعتك أَحسن منه . فأمرت به فأخرج . ثم عاد إليها فى اليوم الثالث ، وعندها مولّدات كأنهن التماثيل ، فنظر الفرزدقُ إلى واحدة منهن فأُعجب بها و بُهت ينظرُ إليها . فقالت له سـكينة : يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت ! صاحبُك أشعر منك ، حيث يقول :

إنّ العُيون التى فى طَرفهـا حَورٌ قَتلْننــــا ثم لم يُحيــين قَتْلانَا

يَصْرعن ذا اللُّب حتى لاحَراكَ به وهُنّ أَضعفُ خَلْقِ الله أرْكانا

أَتْبعتُهم مُقْلةً إنســـانُها غَرِقٌ هل ما تَرَى تاركٌ للعين إنسانا

فقال : والله لو تركْتِنى لأسمعتُكِ أحسن منه . فأمرت بإخراجه . فالتفتَ إليها وقال : يا بنة رسول الله ، إنّ لى عليك حقًّا عظيماً ، ضربتُ إليك آباطَ الإبل من مكة إرادة التَّسليم عليك ، فكان جزائى من ذلك تكذيبى وطَرْدى وتَفضيل جرير علىّ ، ومَنْعك إياى أن أُنشدك شيئاً من شعرى ، و بى ما قد عِيل صبرى منه ، وهذه المَنايا تَغدو وتَروح ، ولعلّى لا أُفارق المدينةَ حتى أموت ، فإذا مِتُّ فمُرى بى أن أُدرج فى كَفنى وأُدفن فى حِرِ هذه الجارية — يعنى التى أعجبته — فضحكت سُكينة وأمرت له بالجارية . فخرج بها آخـــذاً برَيْطتها[1] . وأمرت الجوارىَ فدَفَعْن فى أَقْفيتهما . ونادَته : يا فرزدق ، احتفظْ بها وأحسن صحبتها فإنى آثرتُك بها على نفسى .

(١) الريطة : الملاءة .

شعره الذى فيه الغنــاء

وهذه الأبياتُ النُّونية هى التى فيها الغناء، وأُفتتح بها أبو الفرج أخبار جرير.
ومن هذه القصيدة :

بان الخليطُ ولو طُووعتُ ما[1] بانا ... وقطَّعوا من حِبال الوصل[2] أَقْرانَا
حَىِّ المنــازلَ إذ لا نَبتغى[3] بَدلاً ... بالدَّار داراً وبالجيرانِ جِيرانا
قد كنت فى أثَرِ[4] الأظعان ذا طَرَبٍ ... مُروَّعاً من حِذار البَـــين محزْانا

خبر وفوده على عمر بن عبد العزيز

وذُكر أنه لمّا ولى الخلافةَ عمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنــه، جاءه الشُّعراء فجعلوا لا يَصلون إليه. فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود، وعليه عِمامةٌ قد أَرخى طرَفيها، فدخل، فصاح به جرير :

يأيُّها القارئُ[5] المُرْخِى عِمامَته ... هــذا زمانُك إنِّى قد مضَى زَمنِى
أبلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَــه ... أَنِّى لدَى الباب كالمَصْفود فى قَرَن

فدخل على عُمر فاستأذن له، فأَدخله عليه، وقد كان هيأ له شعراً، فلما دَخل عليه غيَّره وقال :

إنَّا لنَرجو إذا ما الغيثُ أَخلفنــا ... مِن الخليفةِ ما نَرجــو من المَطرِ
نال الخــلافةَ إذ كانت له قَدَراً ... كما أَتَى ربَّه مــوسى على قَدَر
أأذكُر الجهْدَ والبَلْوَى التى نزلتْ ... أم أَكتفى[6] بالذى بُلِّغتَ من خَبرِى
ما زِلتُ بعدكَ فى دارٍ[7] تَعرَّقُنى ... قد طال بعدكَ إصْعَادِى ومُنْحدرى
لا يَنفع الحــاضرُ المَجهودُ بادِيَنا ... ولا يَجـــود لنا بادٍ على حَضَر

(١) فى رواية : « بان الأخلاء ما ودعت من ».
(٢) فى رواية : « أركانا » مكان : « أقرانا ».
(٣) فى رواية : أصبحت « لا أبتغى من بعدهم ».
(٤) فى رواية : « وصرت مذ ودع ». (٥) فى الديوان : « يأيها الرجل ».
(٦) فى رواية : « أم تكتفى ».
(٧) تعرقنى، أى تسلبنى ما عندى وتستصفيه.

كم بالمواسمِ من شَعْثَاء أَرْمَـلةٍ ومن يَتيمٍ ضَعيفِ الصوتِ والبَصر
يدعوكَ دعوةَ مَلْهوف كأنّ به خَبْلاً من الجنّ أو مَسَّاً من النُّشَر(١)
ممّن يَعُدُّك تَـكْفِي فَقْدَ والدِه كالفَرْخ فى العُشّ لم يَنْهَض ولم يَطِر

فبكى عُمر رضى الله عنه وقال: يا بن الخَطَفى، أمن أبناء المُهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناء الأنصار فيَجبَ لك ما يجب لهم، أم من فُقَراء المُسلمين فنأمرَ صاحب صدقات قَومك فَيصِلَك بمثل ما يَصلُ به قومَك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، و إنى لمن أكثر قومِى مالاً، وأحسنهم حالا، ولكنى أسألك ما عَوّدنيه الخلفاء: أربعة آلاف درهم وما يَتبعها من كُسوة وحُملان. فقال له عُمر: كُل امرىء يَلْقى فعلَه، وما أرى لك فى مال الله من حق، ولكن انتظر يخرج عطائى، فأَنظرُ ما يكفى عيالى سنةً منه فأَدّخره لهم، ثم إن فَضل فَضْلٌ صَرفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يُوفَّر أميرُ المؤمنين ويُحْمَد، وأخرجُ راضياً. قال: فذلك أحبُّ إلىّ. فخَرَج. فلما ولّى، قال عمر: إنّ شَرّ هذا لَيُتَّقى! رُدُّوه إلىّ. فردُّوه. فقال: إن عندى أربعين ديناراً وخِلْعتين، إذا غُسلت إحداهما لبسْتُ الأُخرى، وأنا مُقاسِمك ذلك؛ على أن الله عَزّ وجل يعلم أن عُمرَ أحوجُ إلى ذلك منك. فقال: قد وفّرك الله يا أمير المؤمنين، وأنا والله راضٍ. فقال: أمّا وقد حلفتَ فإنّ ما وفّرته علىّ ولم تُضيِّق به مَعيشتنا آثَرُ فى نفسى من المَدح، فامض مُصاحَباً. فخرج. فقال له أصحابُه، وفيهم الفرزدقُ: ما صنَع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرة؟ قال: خرجتُ من عند رجل يُقرِّب الفُقَراء ويُباعد الشعراء، وأنا على ذلك عنه راضٍ. ثم وَضع رِجْله فى غَرْز ناقته وأتى قومَه. فقالوا له: ما صنَع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزرَة؟ فقال:

---

(١) النشر: جمع نشرة، وهى الرقية.

تركتُ لكم بالشأم حَبْلَ جماعةٍ أمينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ[1] العَقْدِ باقيا
وجدتُ رُقَى الشَّيطانِ لا تَسْتَفِزُّه وقد كان شَيطانى من الجِنّ راقِيا

رؤيا أمه وهى حامل به

وحدّث أبو عبيدة قال :

رأتْ أمُّ جرير ، وهى حامل ، كأنها ولدت حَبلاً من شَعَر أسود ، فلما سقط منها جَعل يَنْزُو فيقع فى عُنُق هذا فيَخْنُقه ، ويقع فى عُنق هذا فيخنُقه ، حتى فعل ذلك برجالٍ كثير . فانتبهتْ فزعةً ، فأَولت الرُّؤْيا ، فقيل لها : تَلدين غُلاماً شاعراً ذا شرّ وشدّةٍ شكيمة وبلاء على الناس . فلما ولدتْه سمَّتْه جريراً ، باسم الحبل الذى رأتْ أنه خَرج منها .

والجرير : الحبل .

بينه وبين رجل سأله من أشعر النـاس

وحكى بلالُ بن جرير أن رجلاً قال لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال : قُم حتى أعرِّفك الجوابَ . فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّة ، وقد أخذ عَنْزا له فاعتقلها ، وجَعل يَمُصّ ضَرْعها ، فصاح به : اُخرج يا أبتِ . فخرج شيخٌ دَميمٌ رثّ الهيئة ، وقد سال لبنُ العَنْز على لحيته . فقال : أترى هذا ؟ قال : نعم . قال : أو تعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا أبى . أفتدرى لمَ كان يَشرب من ضَرع العَنز ؟ قال : لا . قال : مخافةَ أن يُسمع صوتُ الحلب فيُطلب منه لَبن . ثم قال : أشعرُ الناس مَن فاخر بمثل هذا الأبِ ثمانين شاعراً وقارَعهم به فغلبهم جميعاً .

عيره الفرزدق ميلاده لسبع

وقيل :

إن جريراً وُلد لسبعة أشهر ، فكان الفرزدق يُعيِّره ذلك ، وفيه يقول :

* وأنت ابنُ صُغْرى لم تَتِمّ شُهورُها *

هو وأخواه

وكان له أخـوان : عمرو ، وأبو الورد . فأمّا أبو الورد فكان يحسُد جريراً ، فذهبت لجرير إبلٌ فَشَمِت به أبو الورد ، فقال له جرير :

(١) مستحصد : مستحكم .

أبا الوَرد أبقى الله منها بقيةً كفتْ كُلَّ لَوَّام خَذُولٍ وحاسِدِ

وأما عمرو فكان أكبر من جرير، وكان يُقارضه الشعر، فقال له جرير:

وعَمرو قد كرهتُ عتابَ عمرٍو وقد كثُر المَعاتِبُ والذُّنوبُ

وقد صَدَّعتُ صَخرةَ مَن رَماكم وقد يُرْمَى بيَ الحجر الصَّلِيب

وقد قَطع الحديدَ فلا تُمارُوا فِرِنْدٌ لا يُفَلُّ ولا يَذُوب

هجاؤه بنى الهجيم

وذُكر أن الفرزدق أتى مجلس بنى الهُجَيم فأنشدهم، و بلغ ذلك جريراً فأتاهم الغدَ ليُنشدهم، كما أنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا، أتّق الله، فإن هذا المسجد إنما بُنِى لذكر الله والصلاة! فقال جرير: أقررتُم للفرزدق ومَنعتمُونى! وخَرج مُغضباً وهو يقول:

إنّ الهُجيم قبيلةٌ ملعونةٌ حُصُّ اللِّحَى(١) متشابِهُو الألْوانِ

هم يتركون بَنِيهمُ و بناتِهم صُعْرَ الأُنوف لريح كُلِّ دُخان

لو يَسمعون بأكلة أو شربةٍ بعُمانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَان

وخفة اللحى فى بنى الهُجيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بنى الهُجيم حُصٌّ اللحى؟ فقال: إنّ الفحل واحد.

هو و الأخطل فى حضرة عبد الملك

وذُكر أنه وقف جرير على باب عبد الملك بن مَروان، والأخطل داخلٌ عنده، وقد كانا تَهاجيا ولم يَرَ أحد منهما صاحبَه، فلما أستأذنوا عليه لجرير، أُذن له. فدخل فسلَّم ولم يجلس، فعرفه الأخطلُ، فطَمح طَرْفُ جرير إلى الأخطل، وقد رآه ينظُر إليه نظراً شديداً،(٢) فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذى منعتُ نومَك، وتهضّمت قومَك. فقال له جرير: ذاكَ أشقَى لك كائناً من كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك بن

---

(١) حص اللحى: قليل شعرها.

(٢) فى الأصل: «شزرا».

مروان فقال : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلنى الله فداك ! فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ ، يا أبا حَزْرة . فردّ إليه بصرَه ، ثم قال : فلا حيّاكَ الله يا بن النّصرانية ! أمّا مَنْعك نَوْمى ، فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك ! وأما تهضُّمك قومى ، فكيف تهضَّمهم وأنت ممن ضُربت عليهم الذِّلّةُ ، وباء بغضب من الله ، وأدّى الجزية عن يدٍ وهو صاغر . وكيف تهضَّم ـ لا أم لك ـ قوماً فيهم النبوّة والخلافة ، وأنت لهم عبدٌ مأمورٌ محكومٌ عليه لاحاكم ! ثم أقبل على عبد الملك فقال : أئذن لى يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانية . فقال : ليس يجوز ذلك فى مجلسى .

وفوده مع ابن الحجاج على عبد الملك

وحُكى أن الحجاج بن يوسف أوفد ابنَه محمد بن الحجاج إلى عبد الملك بن مروان ، وأوفد معه جريراً وأوصاه به ، وأمره بمسألة عبد الملك فى الاستماع منه ومعاونته عليه . فلمّا وردا استأذن له محمد على عبد الملك . فلم يأذن له . وكان لا يستمع من شُعراء مُضر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زُبيريّة الهوى . فلما استأذن له محمد على عبد الملك فلم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله فى أمره ويقول له : إنه لم يكن ممّن مالأ ابنَ الزُّبير ولا نَصره بيده ولا لسانه . وقال له محمد: يا أمير المؤمنين، إن العرب تتحدّث أنّ عبدك وسيفَك الحجاج شفَع فى شاعر قد لاذ به وجعله وسيلتَه ، ثم رددتَه . فأذن له . فدَخل عليه . فاستأذن فى الإنشاد . فقال له : وما عساك أن تقول فينا بعد قَولك فى الحجّاج ؟ ألست القائل :

مَن سَدّ مُطّلَعَ النِّفاق عليكمُ ... أم من يَصُول كصولة الحجّاج

إن الله لم ينصرنى بالحجاج ، وإنما نصر دينه وخليفته ! أوَلستَ القائل :

أَم مَن يَغار على النِّساء حَفيظةً ... إذ لا يَثقْن بصَوْلة(١) الأزواج

يا عاضّ كذا وكذا من أمه ! والله لهممتُ أن أطير بك طَيْرةً بطيئاً سقُوطها،

(١) فى الأغانى : « بغيرة » .

أُخرُج عنّى! فخرَج بشرٍّ . فلما كان بعد ثلاثٍ شفَع إليه محمد بن الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أديتُ رسالة عبدِك الحجّاج وشفاعتَه فى جرير ، فلما أذنتَ له خاطبتَه بما أطار لُبّه وغَضَّ منه وأشمت به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لكان خيراً له ، فإن رأيتَ أن تَهَب كُلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج ولِى فافعل . فأَذِن له . فاستأذنه فى الإنشاد . فقال : لا تُنشدنى إلا فى الحجّاج ، فإنما أنت للحجاج خاصّة . فسأله أن يُنشده مديحَه فيه . فأَبى وأقسم ألاّ يُنشده إلا من قوله فى الحجّاج . فأنشده ، وخرَج بغير جائزة . فلما أَزِف الرحيلُ ، قال جرير لمحمد : إن دخلتُ على أمير المؤمنين ولم يَسمع منّى ولم آخُذ له جائزةً سقطتُ آخرَ الدّهر ، ولستُ بارحاً بابَه أو يأذنَ لى فى إنشاده . فأمسك عبد الملك عن الإذن له. فقال جرير لمحمد : أرحل أنت وأُقيم أنا . فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير ، واستأذنه وسأله أن يسمع منه ، وقَبّل يده ورجلَه . فأَذن له . فدخل فاستأذن فى الإنشاد . فأمسك عبدُ الملك عن الإذن . فقال له محمد : أَنشِد وَيْحك ! فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ألستُم خيرَ مَن رَكب المَطايا ... وأَندى العالَمِين بطُونَ رَاحِ

فتبسّم عبد الملك وقال : كذلك نحن ، وما زلنا كذلك ؛ ثم اعتمد على ابن الزُّبير فقال :

دعوتَ المُلْحدين أبا خُبَيْبٍ ... جِماحاً هل شُفِيت من الجِمَاحِ
وقد وجدوا الخليفةَ هِبرزِياً ... أَلفَّ العِيصِ[(1)] ليس من النَّواحى
وما شجراتُ عِيصك فى قُريش ... بعشّاتِ الفرُوع[(2)] ولا ضَواحى

ثم أنشده إياها . ثم ذكر زوجته فيها فقال :

(١) الهبرزى : الخالص . وألف : ملتف . والعيص : الأصل ، والشجرة أيضاً . يريد أنه من وسط العز لا من أطرافه .

(٢) عشات : جمع عشة ، وهى الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحى : جمع ضاحية ، وهى البادية العيدان لا ورق لها .

تعزَّت أم حَزْرة ثم قالت رأيتُ الموردين ذوى لِقَاحِ
تُعَلِّل وهى ساغبةٌ بَنيها بأنفاسٍ[(١)] من الشَّبِم القراح
ثِقى بالله ليس له شَريكٌ ومِن عند الخليفةِ بالنَّجاح

فقال له عبد الملك : هل تُرويها مائةُ لِقْحة ؟ قال : إن لم يُروها ذلك فلا أرواها الله ! فهل إليها — جعلنى الله فداك — من سبيل ؟ فأمر له بمائة لِقحة وثمانية من الرِّعاء . وكان بين يديه جاماتٌ من ذَهب . فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، تأمر لى بواحدةٍ منهن تكون مِحْلَباً ؟ فضحك ودَحا[(٢)] إليه واحدة منهن بالقَضيب وقال : خُذْها لا نَفعك الله بها . فأَخذها وقال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، لينفعنِّى الله بكُل ما مَنَحتنيه . وخَرج من عنده .

من مدحه يزيد ابن عبد الملك

وذَكر ذلك جرير فى شعره ، فقال يمدح يزيد بن عبد الملك :

أعطَوْا هُنَيدةَ[(٣)] يَحْدُوها ثمانيةٌ ما فى عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

خبر تفضيل سراقة البارق الفرزدق عليه

وذُكر أن محمد بن عُمير بن عطارد بن حاجب بنُ زرارة بذل أربعة آلاف درهم وفرساً لمن فضّل من الشُّعراء الفرزدق على جرير ، فلم يُقدم عليه أحد منهم إلا سُراقة البارقىّ ، فإنه قال يُفضِّل الفرزدق :

أَبلغ تميماً غَثَّها وسَمينَها والحُكم يَقْصد مرةً ويَجُورُ
أنّ الفرزدق بَرّزت أعراقُه سَبقاً وخُلِّف فى الغُبار جرير
ذَهب الفرزدقُ بالقصائد[(٤)] والعُلَى وابنِ المَراغةِ مُخَلَّفٌ مَحْسور
هذا قضاء البارقىّ وإننى بالمَيْلِ فى مِيزانهم لبَصِير

---

(١) الأنفاس : جمع نفس ، وهو جرعة الماء .

(٢) فى ديوانه المخطوط : « وندس » . والندس : الطعن الخفيف .

(٣) هنيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

(٤) فى رواية : « بالفضائل » .

شعره فى هجاء البارق

وقيل :

أتى رسولُ بِشر بن مروان بكتابٍ فيه هذه الأبيات إلى جرير ، وقال : قد أمرنى الأميرُ أن أُوصلَه إليك ولا أبرح حتى تُجيب عن الشعر فى يومك ، إن لقيتُك نهارا ، أو ليلَتك إن لقيتُك ليلاً . وأخرج له كتاب بشر ، وقد نسخ له القصيدة ، وأمره أن يُجيب عنها . فأخذها جرير ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً ، فلا يمكنه . فهتف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت ، فقال له : أزعمت أنك تقول الشعر ! ما هو إلّا أن غِبْتُ عنك ليلة حتى لم تُحسن أن تقول شيئاً ، فهلاّ قلت :

يا بِشْرُ حَقٌّ لوجهك التّبْشيرُ   هَلاّ غضبتَ (١) لنا وأنت أميرُ

فقال جرير : حسبك ! كُفِيتُك ! وسمع قائلاً يقول لآخر : قد أنار الصُّبح . فقال جرير :

يا صاحبىّ هل الصباح مُنير   أم هل للَوْمِ عواذلى (٢) تَقْصيرُ

ومن هذه القصيدة :

بِشرٌ أبو مروان إن عاسرتَه   عَسِرٌ وعند يساره مَيْسورُ
إن الكريمة ينصر الكَرَمَ ابنُها   وابنُ اللّئيمة للئام نَصُور
قد كان حقّك أن تقول لبارقٍ   يا آل بارقَ فِيمَ سُبَّ جَرير
يُعْطَى النِّساء مُهورَهنّ كَرامةً   ونِساء بارقَ ما لهنّ مُهور

فأخذها الرسولُ ومضى بها إلى بشر ، فقُرِئت بالعراق، وأُفْحِم سُراقة فلم يَنْطق بعدها بشىء من مُناقضته .

رثاؤه ابنه سوادة

وذُكر أن جريراً تُوفى ولدُه بالشام ، واسمه سَوادة ، فقال يرثيه :

(١) فى رواية : « قضيت » .
(٢) فى رواية : « تقتير » مكان « تقصير » .

قالوا نصـــيبَك من أَجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقــد فارقتُ أشبالِي
فارقْتنى حين كفَّ الدهرُ من بَصَرى ... وحين صِرْتُ كعظم الرِّمة البالى
أمسى[1] ســوادةُ يجْلُو مُقْلَتَىْ لَحِمٍ ... بازٍ يُصرصر فوق المَربأ العـالى
إنّ الثَّوِيّ[2] بذى الزَّيتون فاحتَسبى ... قـد أَسرع اليومَ فى عَقْلى وفى حالى
إلاّ تكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن باكيـةٌ ... فرُبَّ باكيــةٍ بالغَوْر[3] مِعْوال
كأُم بَوٍّ عَجُولٍ عنــد مَعْهده ... حَنَّت إلى جَلَدٍ منه وأَوْصــال
حتى إذا عَرفتْ أن لا حياةَ به ... رَدّتْ هَماهِمَ[4] حَرَّى الجوفِ مِثْكال

هجاؤه الفرزدق

وقيل :

كان بين الفرزدَق وجرير أهاجٍ ومُناقضات كثيرة، فما قاله جرير فى الفرزدق، وقد أعان عليه البُعيثُ :

تمنّى رجالٌ من تميم لِىَ الرَّدَى ... وماذاد عن أحسابهم ذائدٌ مِثْلِى
كأنهم لا يَعلمون مــواطِنى ... وقد عَلِموا أنِّى أنا السابقُ المُبْلِى
فلو شاء قومى كان حِلْمِىَ فيهمُ ... وكان على جُهّال أعدائهم جَهْلى
وقد زَعمـوا أنّ الفرزدق حيَّةٌ ... وما قتَل الحيّاتِ من أحدٍ قَبْلى

هجاؤه الأخطل

وهجا الأخطلُ التَّغْلبىّ جريراً بقوله فيه يُفضّل عليه الفرزدق :

اُخسأْ إليكَ كُليبُ إنّ مُجاشعاً ... وأبا الفَوارس نَهْشَلاً أَخَـوانِ
وإذا ورَدْتَ المـاء كان لدارمٍ ... جُمّاتُه وسُهولةُ[5] الأَعطـان
وإذا قَذَفْتَ أباكَ فى مِيزانهـمْ ... رَجَحوا وشال أبوكَ فى المـيزان

فأجابه جرير بقوله يُعيّره فيه بقَتل كُليب وائل بناقة :

(١) فى رواية : « أودى » . (٢) الثوى : المقيم .
(٣) فى رواية : « بالرمل » . (٤) الهماهم : جمع همهمة .
(٥) الجمات : جمع جمة، وهى مجتمع الماء . والأعطان : جمع عطن، وهو مناخ الإبل حول وردها .

يا ذا العَبَاءة إنّ بِشْراً قد قَضَى ألاّ تجُوز حكومةُ النَّشْوانِ

فدعُوا الحكومةَ لستُمُ من أهلها إنّ الحكُومة فى بَنى شَيْبان

قتلوا كُلَيْبكمُ بلِقْحة جارِهم ياخُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بهِجَان

رثاؤه الفرزدق

وذُكر أنه نُعى الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله ، وجرير عنده ، فقال :

مات الفرزدقُ بعد ما جدَّعتهُ ليت الفرزدقَ كان عاش قليلاَ

فقال له المُهاجر : بئس لعَمْرُ الله ما قلتَ فى ابن عمك ! أتهجو ميِّتاً ! أمَا والله لو رثيتَه لكنت أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتُمها علىّ فإنها سوءة . ثم قال من وقته :

فلا وضعتْ بعد الفرزدق حاملٌ ولا ذاتُ بَعْلٍ من نِفَاسٍ تعلَّتِ

هو الوافدُ المَيمونُ والراتقُ الثَّأَى[1] إذا النعلُ يوماً بالعَشيرة زَلَّت

ثم بكى وقال : أمَا والله إنّى لأعلم أنى قليلُ البقاء ، ولقد كان نجمُنا واحداً ، وكان كُل واحد منّا مشغولاً بصاحبه ، وقلما مات ضدٌّ إلا تبعه صاحبُه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة .

(١) الثأى : الفساد .

أخبار جميل

نسبه

هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظَبيان بن قيس بن جَزء بن رَبيعة ابن حَرَام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كَثير بن عُذْرة بن سعد — وهو هُذَيم ، سُمى بذلك إضافةً لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له : هُذيم ، وكان يحضُنه فغَلب عليه — ابن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة . واختلف فى قُضاعة ، فقيل : هو ابن معدّ بن عدنان . وقيل : هو ابن مالك بن مُرة بن زيد بن مالك بن حِمْير بن سبأ بن يشجُب بن يَعْرب بن قحطان . وهو الأصح .

شعره فى نسبه إلى معد

وقد ذكر جميل نَسبه إلى معدّ فقال :

أنا جميلٌ فى السَّنامِ من مَعَدّْ ... فى الأُسرة الحَصْداء[1] والعِيص الأَشَدّْ

راجز ينسبه إلى حمير

وقال راجز من قُضاعة ينسُبهم إلى حمير :

قضاعةُ الأَثْرَوْن خيرُ مَعْشرِ ... قُضاعةُ بنُ مالك بن حِمْيرِ

النَّسب المَعروف غيرُ المُنكر

منزلته فى الشعر

وجميل شاعر فصيح مقدَّم ، جامع للشعر والرواية . وكان راوية هُدبة بن خَشْرم ، وكان هُدبة شاعراً راويةً للحُطيئة ، وكان الحُطيئة شاعراً راويةً لزُهير وابنه كعب .

أحب بثينة

وكان جميل يَهوى بُثينة بنت حَبأ بن ثعلبة بن الهَوذ بن عمرو بن الأحبّ بن حُنّ بن ربيعة . تَلتقى هى وجميل فى « حُن بن ربيعة » فى النَّسب .

لكثير فيه

وذُكر أن كُثيِّراً الخُزاعى كان راويةَ جميل ، وكان يقدِّمه على نفسه ويَتَّخذه إماماً ، وإذا سُئل عنه قال : وهل علَّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلا منه !

---

(١) الحصداء : القوية .

هو وكثير

وكان لـكُثيِّر حظٌ فى النَّسيب وافر ، وجميل مُقدَّم عليه وعلى أصحاب النَّسيب فى النَّسيب . وكان جميلٌ صادق الصَّبابة والعِشْق ، ولم يكن كُثيِّر بعاشقٍ ، ولكنّه كان يتقوَّل .

أول حبه بثينة

وذُكر أن أول ماعلق جميلٌ بُثينة أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له: بَغيض . فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً ، وأهلُه (١) بذَنب الوادى . فأقبلت بُثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماء ، فمرّتا على فِصَال له بُروكٍ فنفرتهن (٢) ، وهى إذ ذاك جُويريةٌ صغيرة ، فسبّها جميل ، فافترَتْ عليه ، فملُح إليه سِبابُها ، فقال :

وأولُ ما قاد المـودةَ بيننا ... بوادِى بَغيضٍ يا بُثَين سِبابُ

وقلت لها قولاً فجاءت بمثـله ... لـكُل كلامٍ يا بُثَيْنَ جَواب

وذُكر أنّ جميل بن مَعمر خَرج فى يوم عيـد والنساء إذ ذاك يَتزيَّنَّ ويَبْدو بعضهُن لبعض، ويَبْدون للرِّجال فى كُل عيد . وإن جميلاً وقف على بُثينة وأُختها أم الجسير فى نساء من بنى الأحبّ . فرأى منهنّ منظراً فأعجبه ، وعَشق بُثينة ، وقَعد معهن . ثم راح ، وقد كان معه فِتْيان من بنى الأحب ، فعـلم أن القوم قد عَرفوا فى نَظره حُبّ بُثينة ، ووجدوا عليه . فراح وهو يقول :

عَجِل الفِراقُ ولَيْته لم يَعْجـل ... وجَرَتْ بوادرُ دَمْعِـك المُتهـلِّلِ

طَرَباً وشاقك ما لقِيتَ ولم تَخَفْ ... بَيْنَ الحبيبِ غداةَ بُرقةِ مِجْول

وعرفتَ أنك حين رُحْتَ ولم يكن ... بعدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِل

لن تَستطيع إلى بُثينة رَجْعةً ... بعد التفرُّق دون عامٍ مُقْبل

وقيل : لما أُخبرت بثينةُ أن جميلاً قد نَسب بها، حلفت بالله لايأتيها على خلاء إلّا خرجتْ إليه ولا تَتوارى منه . فـكان يأتيها عند غَفلات الرِّجال فيتحدث

(١) فى الأغانى : « وأهل بثينة » .

(٢) فى الأغانى : « فعرمتهن » أى أصابتهن بشر .

إليها ومع أخواتها ، حتى نُمى إلى رجالها أنه يتحدّث إليها إذا خلا منهم . وكانوا غُيُراً ، فرَصدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عشرَ رجلاً ، وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثينةَ وأُم الُجسير ، وهما يُحدِّثانه وهو يُنشدهما :

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... هُوِيَّ القَطَا يَجْتَزْنَ بطنَ دَفِينِ[1]
لقد ظنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً ... سُلَيْمى ولا أُمَّ الُجسيرِ لحينِ
فليت رجالاً فيكِ قد نَذَرُوا دَمِى ... وهَمُّوا بقَتْلى يا بُثَينَ لَقُونى
إذا ما رأونى طالعاً من ثَنِيَّةٍ ... يقولون مَن هذا وقد عرَفونى
يقولون لى أهلاً وسهلاً ومرحباً ... ولو ظَفِروا بى ساعةً قتلونى
وكيف ولا تُوفى دماؤُهمُ دَمِى ... ولا مالُهم ذو كَثْرةٍ فَيَدُونى
لِىَ الله من لا يَنفع الودُّ عنده ... ومَن حَبْله إنْ مُدّ غيرُ مَتين
ومَنْ هو ذو لونَيْن ليس بدائم ... على العَهد خَوّان لكُلّ أَمين

المهاجاة بينه وبين ابن قطبة

فكان هذا أول سبب الُمهاجاة بين جَميل وبين عُبيد الله بن قُطْبة ، ابن عَمّ بُثينة لَحّاً . ومرّ به الذين أُرصدوا ليأخذوه فى مَضيق ، ولما مرّ بهم وثبوا ، فرماهم بناقته ، فتعلّق أحدُهم بشَليلها[2] ، فنَهضت وانقطع الشَّليل ، فقال جميل فى ذلك :

إذا رَصدوها مَرصداً جاهرتْهُمُ[3] ... براكبها حتى تُخَلَّى سبيلُها
تَئِج أجيجَ الرِّيح لما تحسّرتْ ... مَناكبُها وابتُزّ عنها شَليلها

هو ونبيه و بثينة

وذُكر أن جميلاً خَطب بُثينة ، وكان نُبيه ابن عَمّها قد سَبق إلى خُطبتها ، فوعده أبوها ولم يَعقد له نكاحا ، لأنها كرهتْه ، وكان قبيحاً ذميماً ، فى إحدى عينيه

(١) دفين : موضع . ولم تورد نسخ الأغانى غير الأبيات الثلاثة الأولى .
(٢) الشليل : الكساء الذى تحت الرحل . وفى الخبر إطالة ليست فى نسخ الأغانى .
(٣) رواية الأغانى : « إذا جمع الإثنان جمعا رميتهم * بأركانها » .

نُكتة بَياض قبيحة ، فخرج جميلٌ وأُبنا عمّه : مَسعدة ، ورَوق ، وخرج معهما نُبيه إلى الصَّيد ، فمر بهم رجلٌ من خُزاعة كان شديداً يتعاطى الصِّراع ، فقال له نُبيه : هل لك فى مُصارعتى؟ قال : ذلك إليك . فاتّخذا[1] . فصرعه الخزاعى وجلس على صدره . فضحك جميلٌ وصاحباه من ذلك . فقام نُبيه إلى الخُزاعى فقال له : عاوِدْنى . فقال : لا أفعل . فتعلّق به . فقال له جميل : ماذا تُريد من الرجل ؟ طالبته بالصراع فصرعك ، والمعاودةُ إليه إن أرادها ، وإلا فلا سبيل لك عليه . قال : أفتصارعنى يا جميل ؟ قال : وما تريد بذلك ! قال : أُحبه وأشتهيه . قال : فوالله مالك فيه خيرٌ ، فإن أحببته على ذلك فهلُمّ . فاتّخذا . فصرعه جميل . ثم سأله المُعاودة فصَرعه ثانية . ثم سأله المُعاودة ثالثة فصَرعه . وضرط نُبيه من تحته ، ثم قام فانصرف إلى الحى مُغضباً . وأقام القومُ على صيدهم . فسأله فتيان العَشيرة عن سبب رُجوعه ، فقال : دعانى جميل إلى الصراع فكرهتُ ذلك ، ثم ألحّ علىّ فصارعته فصَرعته ، فوثب علىّ أُبنا عمّه فنحّيانى عنه وألقياه على صدرى ، فرجعتُ مغضبا . فقالوا له : ما كان يَنبغى لك أن تُصارع أُبن عمك وهو نازل حَيّك ، وإذ قد جرى هذا فلا ينبغى لك أن تُفيض فى ذكره ولا تُعيده . فقالت بُثينةُ : كذب والله نُبيه ! لو صَرع جميلاً لا غُم وجهه ، ولكنّ جميلاً صرعه فغَضب ، فانصرف . وتضاحكت به هى ونساء الحىّ . وعاد جميل وصاحباه فتحدّثوا بالحديث على جهته . وألح نُبيه منذ يومئذ فى تزوج بُثينة ، وبَذل لهم مالاً عظيما ، وكان كثير المال ، فتزوّجها ودخل بها على كُره منها . ففى ذلك يقول جميل :

أعاذل قد أكثرتِ جهلاً من الجهل ... على غير شىء من مَلامِى ومن عَذلِى
كأنك لا تَدْرين ما حال ذى الهَوى ... ولم تَعرفى فى الناس ذا صَبْوة قَبلِى
فلو تركت عَقْلى معى ما طلبتُها ... ولكن طِلابيها لِمَا فات من عَقلى
بُثينة قالت يا جَميل وسَوّدت ... مَجال القَذى منها بُثينة بالكحل

(١) الاتخاذ فى القتال : أن يأخذ بعضهم بعضا ، افتعال من الأخذ ، وأصله : الائتخاذ ، بهمزتين إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة و إبدال التاء .

أتصرم حَبلى يا جميـلُ وقادنى ... إليك الهوى قَوْد الجَنيبة(١) بالحبل
فيا ربِّ ما وقَّيتَ شيئاً فَوَقِّها ... حُتوفَ الرَّدى يارب واجمع بها شملى
ويارب إن تَهلِك بثينةُ لا أَعِشْ ... فُواقا(٢) ولا أفرح بمـال ولا أهل
فلستُ على بَذل الصفاء هويتَها ... ولـكن سَبَتْنى بالدَّلال مع البُخل
وقيل التمسْ بالنأى للحُب سلْوةً ... ولم أُلف طُول النأى عن حبها يُسلى
فأنت حديثُ النَّفس إن كنتُ خالياً ... وجُلُّ حديثى أنت فى الجِدِّ والهزل
لها مُقلتا أدماء تَقْرو(٣) خَميلةً ... وجيدٌ كجيد الشادن الرَّشأ الطِّفل
مُهَفْهفة الأعلى كأن إزارهـا ... يُلاث على قُور دَميثٍ(٤) من الرَّمل
لقد أنكحوا حرْبِى نُبيهاً ظعينةً ... أسيلةَ(٥) مَجرى الدَّمع ذاتَ شوىً عَبْل
فلا تَقْتُلينى يا بُثين فلم أُصب ... من الأمر ما فيه يحلُّ لكم قتلى
فأَصبحتُ منها فى الهوى ذا علاقةٍ ... كعارٍ غريبٍ مُوثَق لُزَّ فى كَبْل
فيا ربِّ لا تَجعل بُثينةَ شقْوةً ... علىَّ ولا تَجعل بهجرانها قَتْلى

حيلته لرؤية بثينة بعد زواجها

وذُكر أن بُثينة لما تزوّجت نُبيها أسِف جميل وجَزِع جزعاً شديدا ، فقطع زيارةَ بُثينة وهجرها . فطالت المدةُ فى هجره إياها ، ثم قال لَمسعدة ورَوق ، ابنى عمه ، وكانا له صفيَّيْن : قد طال هجرى بثينة وتجلُّدى على بعدها، وإن ذلك لقاضٍ علىَّ ، أو دافعى إلى أن أرى منها ما يُسخن عَينى . فقالا له : فأبق على نفسك إن كنت لا تُطيق السُّلو عنها ، واصبر على بعض ماتكره ، وأَلِمْ بها إلمامةً فلعلك تَستريح إليها . فأجمع على ذلك ومَضى معهما ، فلقى جاريةً لها حَبشيَّة فلم يُكلِّمها ولا أعلمها أنه قَصد بُثينة ، ولـكنه جلس مع ابنى عمّه مستظلاً بشجرة ، ومَطاياهم

(١) الجنيبة : الدابة تقاد . (٢) الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت . ولم يذكر فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى إلا القليل من هذه الأبيات . (٣) تقرو ، أى تألف .
(٤) القور : الآكام . والدميث : اللين السهل .
(٥) فى الأغانى : « لطيفة طى الكشح ذات شوى خدل » .

معقولة كأنهم يُريدون أن يُريحوا . فبادرتْهم الأمةُ إلى بُثينة فأعلمتها . فجاءت هي وأم الُحسين ، وليلى ، وأُم منظور ، فلما رأينه سلَّمن عليه وعلى صاحبيه . وجلس إليهن . فقالت له أم منظور : أين كنت بعدنا وأين كانت غيبتك؟ لقد طال شوقُنا إليك . فقال : اغتربتُ عنكن فى أهلى وافترقنا ، فرأيت التباعدعمَّا حدث أجمل. فبكت بثينةُ وقالت : لكنّا والله ما تباعدنا منك ولا زادتْنا الليالى إلا شوقاً إليك وتجديداً لمودتك . وتحدّثا بقية يومهما وليلتهما وتشاكيا حتى أصبحا . وقال جميل فى ذلك :

ألا طال كِتمانى بُثينةَ حاجةً ... من الحاج ما تَدْرى بُثينةُ ماهيَا
أخاف إذا أنبأتُها أن تُضيعَها ... فتتركَها ثِقلاً علىّ كما هِيا
أغرّكِ أنى لابخيلٌ عليكمُ ... ولا مُفْحِشٌ فيما لديك التقاضيا
ذكرتُك بالدَّيرين يوماً فأشرفت ... بَناتُ الهوَى حتى بلغنَ التّراقيا

وذكر أبو الفرج فى هذا الشعر أبياتاً كان نسبها من قبل إلى المجنون ، منها

* وخبَّرتُمانى أنّ تيماء منزل *

وذُكر أنه وعد جميلٌ بُثينةَ بُرْقَةَ ذى ضال ، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا، ثم قال لها : هل لك أن ترقدى ؟ قالت : ما شئتَ ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحنا . فوسّدها جانبه ، ثم اضطجعا فنامت . وانسل واستوى على راحلته فذهب. وأصبحت فى مضجعها .فلم يرُعِ الحىّ إلّا بها راقدةٌ عند مُناخ راحلة جميل. ولما انتبهت بُثينةُ علمت ما أراده جميل بها . فهجرتْه وآلت ألاّ تظهر له . فقال جميل : هوى بثينة ببرقة ذى ضال

فمن يَكُ فى حُبِّى بُثينةَ يَمْتَرى ... فبُرْقة ذى ضالٍ علىّ شَهيدُ

وقال أيضاً :

ألاَ هَل إلى إلمامةٍ أن أُلِمَّها ... بُثينةُ يوماً فى الحياةِ سَبيلُ
فإنْ هى قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها ... عَناءٌ على العُذْرىّ منكِ طَويل

على حين يسلو الناسُ عن طَلَبَ الصِّبا ويَنْسى أُتبِّاعَ الوصلِ كُل[١] خليل

شكاه أهل بثينة فلامه أهله وشعره فى ذلك

وقيل :

شكى زوجُ بُثينة إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها ، فوجَّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وتوعَّدوه . وأتاهم فلامه أهلُه وعنَّفوه وقالوا : إنّا[٢] نَستحلف إليهم ونتبرّأ منك ومن جَريرتك . فأقام مُدَّة لا يُلِم بها . ثم لَقِىَ أبنى عمِّه رَوْقاً ومَسعودا ، فشكا إليهما ما به ، وأنشدهما قولَه :

زُورَا بُثينةَ والحبيبُ مَزُورُ إنّ الزِّيارةَ للحَبيب[٣] يَسيرُ
إنِّى عشيةَ رُحتُ وهى حَزينةٌ تَشْكو إلىَّ صَبابةً لصَبُور
وتقول بِتْ عندى فديتُك ليلةً أشْكو إليكَ فإن ذاكَ يَسير
غرّاء مِبْسامٌ كأنّ حَديثَها دُرٌّ تَحدَّرَ نَظْمُه مَنْثُور
مَحْطوطةُ[٤] المَتْنين مُضْمَرة الحَشى رَيَّا الرَّوادف خَلْقُها مَمْكور
لا حُسْنُها حُسنٌ ولا كدَلالها دَلٌّ ولا كوَقارها تَوْقير
إن اللِّسان بذكرها لَمُوَكَّل والقَلب صادٍ والنَّواظر[٥] صُور
ولئن جَزَيْتِ الوُدَّ منِّى مثلَه إنِّى بذلك يا بُثَيْن جَدير

فقال له رَوق : إنك لعاجزٌ ضعيف فى أستكانتك لهذه المرأة وترَكك الأستبدالَ بها ، مع كثرة النساء ووجود مَن هو أجمل منها ، وإنك منها بين فُجور أرفعك عنه ، أو ذُلّ لا أُحبّه لك ، أو كمَدٍ يؤدِّيك إلى التَّلف ، أو مُخاطرة بنفسك لقومها إنْ تعرَّضت لها بعد إعذارهم إليك ؛ وإن صرفتَ نَفسك عنها ، وغَلبت هَواكَ فيها ، وتجرَّعت مَرارة الحَزْم حتى تألفها وتَصْبِر نفسك عليها[٦] ، طائعةً أو

(١) فى الأغانى : « منه » مكان : « كل » . (٢) فى الأغانى : « استخلص إليهم » .
(٣) فى الأغانى : « للمحب » . (٤) محطوطة : مملودة .
(٥) صور : مائلات . والرواية فى الأغانى : « والخواطر صور » .
(٦) فى الأصل : « بنفسك عنها » .

كارهة ، ألفتَ ذلكَ وسلوت . فبكى جميل وقال : يا أخى ، لو ملكتُ أختيارى لكان ما قُلتَ صواباً ، ولكنّى لا أملك الأختيار ، ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نَفعا ، ولقد جئتك لأمرٍ أسألك ألاّ تُكدِّر ما رجوته عندك فيه بلَوْم ، وأن تَحْمِل على نفسك فى مُساعدتى . فقال له : فإن كنتَ لا بدّ مُهْلِكاً نفسَك فأعمل على زيارتها ليلاً ، فإنها تخرج مع بنات عمِّها إلى ملعب لهنّ ، فأجىء معك حينئذ سرًّا ، ولى أخ من رَهط بُثينة من بنى الأحبّ ، نأوى عنده نهاراً ، وأسأله مساعدتك على هذا ، فتقيم عنده أياما نهارك ، وتجتمع معها بالليل إلى أن تقضى أربك . فشكره . ومضى روق إلى الرجل الذى من رهط بُثينة فأخبره الخبرَ ، واستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَنى بإحدى العظائم ، ويحك ! إنّ فى هذا مُعاداتى الحىّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز فى أمره من أن يَظْهر . فوعده بذلك . ومَضى إلى جميل فأخبره بالقصّة . فأتيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده ، وأرسل إلى بُثينةَ بوليدة له بخاتَم جَميل ، فدَفعته إليها . فلما رأتْه عرفتْه ، وتبعتْها ، فجاءته فتحدّثا ليلتَهما ، وأقام بموضعه ثلاثة أيام ، ثم ودّعها وقال لها : عن غير قِلًى والله ولا مَلَل كان وَداعى إياكِ ، ولكنّى قد تذمَّمتُ من هذا الرجل وتعريضه نفسَه لقومه ، وقد أقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك ، ثم أنصرف ، وقال فى رَوق أبن عمه ومَلامه إياه :

لقد لامنى فيها أخٌ ذو قَرابةٍ حبيبٌ إليه فى مَلامته رُشْدِى
وقال أَفِقْ حتى مَتى أنت هائمٌ ببَثْنةَ فيها قد تُعيد وقد تُبْدِى
فقلت له فيما قَضى الله ما ترى علىّ وهل فيما قَضى الله من رَدِّ
فإن يَكُ رُشْداً حُبُّها أو غَوايةً فقد جئتُه ما كان منّى على عَمْد
لقد لَجّ ميثاقٌ من الله بيننا وليس لمن لم يُوفِ لله من عَهْد

فلا وأبيك[١] الخيرِ ما خُنتُ عهدَها ولا لىَ عِلْمٌ بالذى فعلتْ بعدى
وما زادهـا الواشُون إلاّ كرامةً علىّ ولا زالتْ مودّتُها عندى
أفى الناسِ أمثالى أحبُّوا[٢] فحُبُّهم كحُبِّىَ أم أحببتُ من بينهم وَحْدى
وهل هكذا يَلْقى المُحبُّون مثل ما لَقِيتُ بهـا أم لم يَجِد أحدٌ وجْدى
إذا ما دنتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأت جَزِعتُ لنأى الدّار منها وللبُعْد[٣]
أبى القلبُ إلاّ حُبَّ بَثْنة لم يُرِد سواها وحُبُّ القَلب بَثْنةَ لا يُجدى
سَلِى الرَّكْب هل عُجْنا لمغناكِ مَرّةً صُدورَ المَطايا وهى مُوقرةٌ تَخْدِى
وهل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها مِن أجلكِ حتى أخضلَّ من دَمعها بُرْدى
وإنِّى لأَسْتَجْرِى لكِ الطيرَ جاهداً لتَجرى بيُمْنٍ من لقائك أو سَعد
فهل تَجْزِيَنِّى أُمُّ عمرو بوُدِّها فإنّ الذى أُخْفِى بها فوقَ ما أُبدِى
وكلُّ مُحبٍّ لم يَزد فوق جَهده وقد زِدْتُها فى الحبّ منّى على الجَهْد

جاء بثينة متنكراً فى زى راع

وذُكر أن جميلاً جاء إلى بُثينة، وقد أخذ لباسَ راعٍ لبعض الحىّ، فوجد عندها ضِيفاناً لها، فانتبذ ناحية. فسألته: من أنت؟ فقال: مسكين مُكاتَبٌ[٤]. فجلس وحدَه، فعشَّت ضِيفانها وعشته وحدَه. ثم جلست هى وجاريةٌ على صِلائهما. واضطجع القومُ مُنتحين. فقال جميل:

هل البائس المَقرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ من النار أو مُعْطًى لِحافاً فلابسُ

فقالت لجاريتها: صوت جميل والله! اذهبى فانظُرى. فرجعت إليها فقالت: هو والله جميل! فشهقت شهقةً سمعها القومُ، فأقبلوا يَهرعون إليها، وقالوا: مالكِ؟ فطرحتْ بُرداً لها من حِبَرة فى النار، وقالت: احترق بُردى. فرجع القومُ.

(١) فى الأغانى: «وأبيها». (٢) فى الأغانى: «أحبوا فحالهم».
(٣) لم يرد هذا البيت ولا الأبيات التى بعده فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى.
(٤) المكاتب: العبد يكاتبه سيده على مال يدفعه منجماً، فإن أداه أصبح حراً.

وأرسلت جاريتها إلى جميل ، فأتتها به . فحبسته عندها ثلاث ليالٍ ، ثم سلّم عليها وخرج .

واعدته بثينة ومنعها أهلها فقال شعراً

وذُكر أن بُثينة واعدت جَميلاً للالتقاء فى بعض المَواضع، فأَتى لوعدها . وجاء أعرابىّ يَستضيف القوم فأنزلوه وقَرَوْه . فقال لهم : إنى قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثة نفرٍ متفرِّقين متوارين فى الشَّجر ، وأنا خائف عليكم أن يَسلّوا بعض إبلكم . فعرفوا أنه جميل وصاحباه ، فحرسوا بثينة ومَنعوها من الوفاء بوعده . فلما أسفر له الصُّبح انصرف كئيباً سيء الظن بها ، ورجع إلى أهله . فجعل نساء الحىّ يُقَرِّعنه بذلك ويقُلن له : إنما حَصلت منها على الباطل والكذب والغَدر ، وغيرها أولى بوصلك منها ، كما أن غيرك يَحْظَى بها . فقال:

أبُثينَ إنك قد مَلكتِ فأَسْجِحى وخُذِى بحظِّك من كَريمٍ واصلِ
فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها بالجدِّ تَخلطُه بقول الهازل
فأجبتُها بالقول بعد تستُّرٍ حُبِّى بُثينةَ عن وصالِك شاغلى
لو كان فى قلبى كقَدر قُلامةٍ فضلاً وصلتك أو أتتكِ رسائلى
ويقُلْن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ منها فهل لكَ فى اجتناب الباطل
ولباطلٌ ممّن أُحبُّ حديثَه أشهَى إلىّ من البغيض الباذل
لِيَزِلْن عنكِ هواى ثم يَصلْننى[(١)] فإذا هويتُ فما هَوايَ بزائل
صادتْ فؤادى يا بُثينُ حِبالُكم يوم الحَجُون وأخطأتْك حَبائلى
مَنَّيتِنى فلويتِ ما مَنَّيتِنى وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجل
وتثاقلتْ لما رأت كَلَفى بها أَحْبِبْ إلىّ بذاك مِن مُتثاقل
وأطعتِ فىّ عواذلاً فهجرتِنى وعَصيتُ فيكِ وقد جَهدْنَ عواذلى
حاولْنَنى لأَبُتَّ حَبلَ وِصالكم منِّى ولستُ وإن جَهدْن بفاعل

(١) لم يرد هذا البيت وما بعده فيما بين أيدينا من نسخ الأغانى .

فرددتُهن وقد سَعيْن بهجركم ... لمّا سعَيْن له بأفْوقَ (١) ناصِل
فعَضَضْن من غيظٍ علىّ أناملاً ... فوددْتُ لو يَعْضَضن صُمّ جَنادل
ويقُلن إنّكِ يا بُثَين بخيلةٌ ... نَفْسى فداؤكِ من ضَنينٍ باخل

وله فى تأخرها عنه

وقال جميل ، فى وَعد بثينة إياه بالتّلاقى وتأخّرها عنه ، قصيدةً أولها :

يا صاحِ عن بعض المَلامة أقْصِرِ ... إنّ المُنَى لِلقاء أمّ المِسْوَرِ
وكأنّ طارقَها على عَلَل الكَرَى ... والنّجمُ وَهْناً قد دنا لتَغَوُّر
يستَافُ (٢) ريحَ مُدامةٍ مَعْلولةٍ ... بذَكِىّ مِسكٍ أو سَحِيق العَنْبر

ومنها :

إنّى لأحفظُ سرّكم ويسرُّنى ... لو تَعلمين (٣) بصالحٍ أن تَذكُرى
ويكون يومٌ لا أرى لكِ مُرْسَلاً ... أو نَلتقى فيه علىّ كأشْهُر
يا ليتنى ألقَى المنيّةَ بَغتةً ... إن كان يومُ لقائكم لم يُقْدَر
أو أستطيع تجلُّداً عن ذكركم ... فيُفيقَ بعضُ صَبابتى (٤) وتفكُّرى

ومنها :

لو قد تُجِنُّ كما أُجِنُّ مِنَ الهَوى ... لعَذَرْتَ أو لظَلمتَ إن لم تَعْذِر
والله ما للقلب من عِلْمٍ بها ... غيرُ الظُّنون وغيرُ قَول المُخبر
لا تَحسبى أنّى هجرتُكِ طائعاً ... حَدَثٌ لعمرُكِ رائعٌ أن تُهْجَرى
يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإنْ أمُتْ ... يَتْبَعِ صَدَاىَ صداكِ بين الأَقْبُر
إنّى إليكِ بما وعدتِ لناظرٌ ... نظرَ الفقيرِ إلى الغنىِّ المُكْثِر
يَعِدُ الديونَ وليس يُنجزُ موعداً ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِر

(١) الأفوق : السهم الذى به ميل فى فوقه ، وهو حيث يقع الوتر . والناصل : الذى لا نصل له .
(٢) يستاف : يشم . (٣) فى الأغانى : « إذ تذكرين » .
(٤) فى تزيين الأسواق (ص ٤٦) : « فأفيق بعد » .

ما أنتِ والوعدَ الذى تَعِدِينَني إلاَّ كبَرقِ سحابةٍ لم تُمْطر
قلبى نَصحتُ له فرَدّ نَصِيحتى فمَتى أُسُمْه هَجْر بَثْنة(١) يُنْكر

وقال أيضاً فى ذلك قصيدةً منها : وله فيها

ألا ليت رَيعان الشباب جَديدُ ودهـــراً تولّى يا بُثَين يَعُودُ
فنَغْنَى كما كُنّا جميعاً وأنتُمُ قريبٌ وإذ ما تَبذُلين زَهِيد
ألا ليت شِعرى هل أبيتنّ ليلةً بوادِى القُرَى إنى إذاً لسَعيد
وهل أَلْقيَنْ فرْداً بُثينةَ مرّةً تَجُود لنا من وُدِّهـــا ونَجُود
عَلقتُ الهوَى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم يَنمِى حُبُّهـا ويَزيد
وأفنيتُ عُمرى بانتظارىَ وَعْدَها وأبليت فيها(٢) الدهرَ وهو جَديد
فلا أنا مَردودٌ بمـا جئتُ طالبا ولا حُبُّها فيما يَبِيـدُ يَبِيـد

ومنها أبيات تقدّم ذكرها ، وبعضُ ما ذكرناه تقدّم أيضاً ، وإنما ذكرته لاتصاله بما لم أذكره .

وذُكر أن جميلاً لقى بُثينةَ بعد تَهاجُر بينهما طالتْ مُدته ، فتعاتبا طويلاً ، فقالت له : ويحك يا جميل ! أتزعم أنك تَهوانى وأنت الذى تقول : بينه وبينها

رَمى اللهُ فى عَينَىْ بُثينةَ بالقَذَى وفى الغُرّ من أنيابها بالقَوادح

فأطرق طويلاً يبكى ، ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تَقُودنى بُثينةُ لا يَخْفى علىّ كلامُها

فقالت : ما حَملك على هذه المُنى ؟ أوليس فى سَعة العافية ما كفانا جميعاً !

وذُكر أنه سعت أَمةٌ لبُثينةَ بها إلى أخيها وأبيها وأخبرتهما أن جميلاً عندها هما وأبواها

(١) فى الأغانى : « فتى هجرتيه فنه تكثرى » .
(٢) فى الأصل : « وأبلت بذاك » .

الليلةَ . فأتياها مُشتملَين على سَيفين ، فرأيا جميلاً جالساً حَجْرة [١] منها تُحدثه ويشكو إليها بَثَّه ، ثم قال لها : يا بُثينة ، أرأيت وُدِّى إياك وشَغفى بك ! ألا تَجزينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المُتحابِّين . فقالت : يا جميل ، أهذا تَبغى ؟ والله لقد كنتَ عندى بعيداً منه ، ولئن عاودت تَعريضاً بريبةٍ لا رأيتُ وجهك أبداً ! فضحك ثم قال : والله ما قلتُ هذا إلا لأعلم ما عندكِ فيه ، ولو أجبتِني إليه لعلمتُ أنك تُحبين غيرى ، ولو رأيت منك مُساعدةً عليه لضربتُك بسيفى هذا ما اُستمسك قائمُه فى يدى ، وإن أطاعتْنى نفسى لهجرتُك هِجرةَ الأبد ، أَوَ مَا سمعت قولى :

وإنِّى لأرضى من بُثينة بالذى ... لو اُستيقن [٢] الواشى لقرَّت بَلابلُه
بلاَ وبأنْ لا أستطيعَ وبالمُنَى ... وبالأملِ المرجوِّ قد خاب آملُه
وبالنَّظرةِ العَجْلَى وبالحَوْلِ ينقضى ... أواخرُه لا نَلتقى وأوائله

فقال أبوها لأخيها : قُم بنا ، فما يَنبغى لنا بعد اليوم أن نَمنع هذا الرَّجل من لقائها . فاُنصرفا وتركاهما .

أعجب يوم له مع بثينة

وذُكر أنه اُجتمع جميلٌ مع جماعة من رَهطه ذاتَ يوم يتحدّثون ، فقال له بعضهم : بالله حدِّثنا عن أَعجب يومٍ لك مع بُثينة . قال : نعم ، مُنعتُ من لقائى مدةً وتعرّضتُ لها جَهدى ، فلم أصل إليها ، فبينا أنا ذاتَ ليلة جالسٌ فى خَمَر [٣] من شجرات بالقُرب من حَيِّها ، وقد أقمتُ فيها ثلاثاً أنتظرها ، فإذا بشخص قد أقبل إلىّ فجلستُ ، واُنتضيتُ سَيفى ، فلم ألبث أن غَشينى الشخص . فإذا هى بُثينة قد أكبَّتْ علىّ فاُلتزمتْنى ، فأدهشنى ذلك وبَقيتُ مُتحيِّراً لا أستطيع أن أُحير جواباً

(١) حجرة : ناحية .

(٢) فى الأغانى : « لو أبصره » .

(٣) الخمر : ما سترك من شجر .

إليها ولا أُراجعها كلمةً ، حتى برَق الصُّبح وما استطعت أن أُكلمها . قالوا : فهل قلتَ فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قولَه :

أهاجك أم لا بالتَّناضُبِ(١) مَرْبعُ ... ورسْمٌ بأجراع الغَدِيرَيْن َبلْقَعُ
ديارٌ لليلَى(٢) إذ نَحُلُّ بها معاً ... وإذ نحن منها فى المَودَّة نَطْمع
فيا ربِّ حبِّبْنى إليها وأعطنى الـ ... مودة منها أنتَ تُعْطى وتَمْنع
وإلا فصبِّرْنى وإن كنتُ كارهاً ... فإنِّى بها ياذا المَعارج مُولَع
فإن تكُ قدْ شَطَّت نَواهاوقد نأت ... فإن النَّوى مما تُشِتُّ وتَجمع
جَزعتُ غداةَ(٣) البَيْن لما تَحمَّلوا ... وما كان مثلى إثْرَ مَن بان يَجزع
وفى مِثْل ما جرَّبت منذُ عَلِقتَها ... قنعتَ به يا قلبُ لو كنت تَقْنع
تمتعت منها يومَ بانوا بنَظرةٍ ... وهل عاشقٌ من نَظرة يتمتع
فإن يَكُ طُول الحب ياقلب نافعِى ... فقد طالما أحْبَبْت والصبرُ أنفع
ويا قلبُ لا تجزع عليها فإنها ... وإن كنتَ تَهواهاإلى البُخْل ترجع
وفى الصَّبر عن بَعْض المَطامع راحةٌ ... إذا لم يكُن فى الشىء ترجوه مَطْمع
إذا ماأتى من نحو أرضك راكبٌ ... تعرَّضتُ واستَخْبَرتُ والقلبُ مُوجع
وأُبْدِا إذا استخبرتُ عنكم بغيركم ... ليَخْفى حديثى والُمخادع يَخْدع
ولست كمَن يُفشى على الخِدْن سِرَّه ... وعندى له فى الصَّدر سرٌّ ومَوْضع
وأنسَى إذا لاقيتُهـا بخلائها ... من القول ماقد كنتُ بالأمس أجمع
فما فى حيـاتى بعد موتكِ راحةٌ ... ولا فى وصالٍ بعد فَقدك مَطمع

عائشة وكثير فى شأنه

وذُكر أن عائشة بنت طلحة أرسلت إلى كُثيِّر ، فأتاها ، فلما أتاها أدخلتْه إليها وقالت له : يا بن أبى جُمعـة ، ما الذى يَدْعوك إلى أن تقول فى عزَّة من الشعر ما قُلتَ ، وليست من الُحسن على ما تَصف ، ولو شئتَ صرفتَ ذلك عنهـا إلى

(١) التناضب : موضع . وفى الديوان : « بالمداخل » . وهذه القصيدة لم ترد فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . (٢) فى الديوان : « لسلمى » . (٣) فى الديوان : « حذار » .

غيرها ممن هى أولى به منها ، أنا أو مثلى ، فإننى أشرف وأجمل وأوصل من عَزّة . وإنما أرادت أن تختبره بذلك . فقال :

إذا ما أرادت خَلّةٌ أن تُزيلنا أَبَيْنا وقُلنا الحاجبيّةُ أَوّلُ

لها مَنْهلٌ لا يُستطاع دِرَاكه وشائعةٌ فى الحُب لا تتحوّل

فقالت عائشة: أخطأت اُستُك الحفرة يا أبا صخر! لقد سمّيتنى خَلّة، وما أنا لك بخَلّة ! وعرضتَ علىّ وصلَك وما أُريده ، ولو أردتَه لكرهتُه أنا ! وإنما أردتُ أن أبلو ما عندك قولاً وفعلا ، فما أفلحتَ ولا أنجحت !هلاّ قلت كما قال سيّدك جميل:

ويقُلْن إنك قد رَضيتَ بباطلٍ منها فهل لك فى اجتناب[1] الباطلِ

ولباطلٌ ممّن أُحبُّ حديثَه أشهى إلىّ من البَغيض الباذل

ليلة له مع بثينة

وذُكر أن جميلاً رَصد بُثينةَ ذات ليلة فى نُجعة لهم ، حتى إذا صادف منها خلوة تنكّر ودنا منها ، وذلك فى ليلة ظلماء ذات غَيم ورَعد وريح ، فحَذفها بحصاةٍ ، فأصابت بعضَ أترابها ، ففزعتْ وقالت : والله ما حَذفنى فى هذا الوقت بحَصاة إلا الجنُّ ! فقالت لها بثينة ، وقد فطنت : إن جميلاً فعل ذلك ، فانصرفى ياأُخية إلى منزلك حتى ننام، فانصرفت. وبقيت مع بُثينة أُم الجُسير ، وأم منظور . فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِباء معها وتحدّثا طويلا ، ثم اُضطجع واُضطجعت إلى جنبه ، فذهب النومُ بهما حتى أصبحا . وجاءها غلامُ زوجها بصَبُوح من اللبن بَعث به إليها ، فرآها نائمةً مع جميل ، فَمضى لوجهه حتى يُخبر سيّده ، ورأتْه ليلى والصَّبوحُ معه ، وقد عَرفت خَبر جميل وبُثينة ، فاُستوقفتْه كأنها تسأله عن حاله ، وبعثت بجاريةٍ لها وقالت: حَذّرى جميلاً وبُثينة . فجاءت الجاريةُ فنبّهتْهما . فلما تبيّنت بُثينة الصبحَ قد أضاء والناسَ مُنتشرين، اُرتاعت وقالت : ياجميل ، نفسَك! نفسَك! قد جاء غلام نُبيه بصَبوحى من اللبن فرآنا نائمين ! فقال لها جميل، وهو غير مُكترث لما خوّفته منه:

(١) فى الديوان : « فى اعتزال » .

لَعُمرِكِ ما خَوَّفتِني من مَخافةٍ بُثَين ولا حذَّرتني موضعَ الحَذَرْ
وأُقسم لا تُلقَى لِيَ اليومَ غِرَّةٌ وفى الكَفِّ مِنِّى صارمٌ قاطعٌ ذَكَر

فأقسمتْ عليه أن يُلقى نَفْسه تحت النَّضد، وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً من الفضيحة لا خوفاً عليك. ففعل ذلك ونامتَ كما كانت. واُضطجعت أم الُحسين إلى جانبها. وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر. فتركت العبدَ يمضى إلى سيِّده. فَمضى والصَّبوح معه، فقال: إنِّى رأيتُ بثينة مُضطجعة مع جَميل. فجاء زوجُها إلى أبيها وأخيها فأخذ بأيْديهما وعرَّفهما الخبر. وجاءوا بأجمعهم إلى بُثينة وهى نائمة، فكشفوا عنها الثَّوب، فإذا أُمّ الُحسين إلى جَنبها نائمة. فَخجل زوجُها وسبَّ عَبده. وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قَبحكم الله! أفى كُلِّ يوم تَفضحان فتاتَكما ويَلقاكما هذا الأعورُ بكُل قبيح! قَبحه الله وإياكما! وجَعلا يُسبَّان زَوجها ويقولان له كُل قبيح. وأقام جميلٌ عند بُثينة حتى أَجَنَّه الليل، ثم ودَّعها واُنصرف. وحَذِرتْهم بُثينةُ فتحامت جميلاً مُدة. فقال فى ذلك:

أأن هَتفتْ وَرْقاء ظَلْتَ سَفاهةً تُبَكِّى على جُمْلٍ لوَرْقاءَ تَهْتِفُ
فلو كان لى بالصَّرم يا صاحِ طاقةٌ صَرمتُ ولكنِّى عن الصَّرم أَضعف
وما ذَكَرتْكِ النَّفس يا بَثْنُ مَرةً مِن الدَّهر إلا كادتِ النفسُ تَتلف
وإلاّ اعترتْنى زَفرةٌ واُستكانةٌ وجاد لها سَجْلٌ من الدَّمع يَذْرِف
وما اُستطرفتْ نَفْسى حديثاً لخُلّة أُسَرُّ به إلّا حديثُكِ أَظرف

وأول هذه القصيدة:

أمِن منزلٍ قَفرٍ تعفَّت رُسومَه شَمالٌ تُغادِيه وَنكْباء[1] حَرْجَفُ
فأصبح قَفْراً بعد ما كان آهلاً وجُمْلُ المُنَى تَشْتُو به وتَصِيِّف

(١) النكباء: الريح انحرفت عن مهب الريح القوم ووقعت بين مهب ريحين. والحرجف: الباردة.

ظَلِلْتُ ومُستَنٌّ(١) من الدَّمع هامِلٌ … من البين لما عُجْتُ بالدَّار يَنْزِف
أمُنْصِفَتِى جُمْلٌ فتعـــدِلَ بيننا … إذا حكمتْ والحاكمُ العـدْلُ يُنْصِف
تعلَّقتُهـــا والجسمُ منِّى مُصحَّحٌ … فما زال يَنْمى حُبُّ جُمْل وأَضْعُف
إلى اليوم حتى سَلَّ جِسمى وشَفَّنى … وأنكرتُ من نفسى الذى كنتُ أعرف
فتــاةٌ من المُرّان(٢) ما فوقَ حَقْوِها … وما تحتـــه منها نقًا يتقصَّف
ولستُ بناسٍ أهلَها حين أقبـــلوا … وجالوا علينا بالسُّيوف وطوَّفوا
وقالوا جميلٌ بات باللَّيل عنــــدها … وقد جرَّدوا أسيافَهم ثم وقَّفوا
وفى البيت لَيْثُ الغابِ لولا مخافةٌ … على نفس جُمْلٍ والإلٰه(٣) لأُرْعِفوا
هممتُ وقد كانتْ مِراراً تَطلَّعت … إلى حَربهم نفسى وفى الكفِّ مُرهَف
وما سَرّنى غـــيرُ الذى كان منهمُ … ومنِّى وقـــد جاءوا إلىَّ وأَوْجَفوا
وكم مُرْتَجٍ أمراً أُتيح له الرَّدى … ومن خائفٍ لم يَنْتَقِصْه التَّخوُّف

بيت له نصفه أعرابى ونصفه مخنث

وحكى الهيثم بن عدىّ قال :

قال لى صالح بن حسَّان : هل تَعرف بيتاً نصفُه أعرابىّ فى شَملة وآخرُه مُخنث يتفكَّك من مُخَنَّثى العَقيق ؟ فقلت : لا أدرى . فقال : قد أجَّلتُك فيه حولاً . فقلت : لو أجَّلتنى حَوْلَين ما علمتُ . فقال : قولُ جميل :

ألا أيُّهـــا النُّوَّام ويحكُم هبُّوا … أسائلكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ

* ألا أيّهـــا النُّوام ويحكم هُبـــوا *

هذا أعرابى فى شَملة . ثم قال :

* أسائلكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ *

---

(١) مستن : منصب .
(٢) المران : الرماح .
(٣) أرعفوا : أعجلوا .

كأنه والله من مُخَنثى العَقيق .

و بعد هذا البيت :

ألا رُبَّ رَكْبٍ قد دفعتُ[١] وَجيفَهم إليكِ ولولا أنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

علقت حجنة فجفاها

وذُكر أن بُثَيْنة علقت حُجْنة الهِلالىّ ، فجفاها جميلٌ وقال فى ذلك :

بَيْنا حِبالُ ذاتُ عَقْدٍ لبثْنَةٍ أُتيح لهـا بعضُ الغُواة فحلَّهـا

فعُدْنا كأنا لم يكن بيننا هَوًى وصار الذى حَلَّ الحبالَ هَوًى لها

وقالوا نراها يا جميـلُ تبدَّلتْ وغيَّرها الواشى فقلتُ لعلَّهـا

[٢] وذُكر أن حُجنة الهلالى كان ابنَ سُرِّيَّة[٣] . فلمّا عَلِقتْه بثينةُ قال لها: لاأرضى أو تُعلمى جميلاً أن قد اُستبدلتِ به . فجاءها جميل ، فقالت :

ألم تَر أن المـاء غُيِّر[٤] حاضراً وأن شِعاب القلب بعدك حُلَّتِ

فقال جميل :

فإن تكُ حُلَّت فالشِّعاب كثيرةٌ وقد نَهِلتْ منها قَلوصِى وعَلَّت

فقالت بُثينة لحجنـة : عَرَّضتنى لجميل فجعلنى حديثاً و يُسَمِّع بى ! لا أُطيعك فيه بشىء بعد هـذا أبداً . وقالت لجميل : إنه اُستزلّنى ، فأُنشدك الله أنْ تكشف ما تحت ثوبى وتذكره ، فإنها كانت هفوة ، وأثرك تعفوه الرِّياح أحبّ إلىّ منه .

وقال جميل :

يا بَثْنُ إن واصلتِ حُجنـة فاُصرِمى حبالِى و إن صارمتِـه فصِلينِى

ولا تَجعلينى أُسوةَ العبـد واُجعلى مع العَبـد عبداً مثلَه وذَرِينى

رأيت بعينىَّ اليقين فما الذى يُعمِّى على عَينىَّ بعـد يَقين

(١) الوجيف : سرعة السير . (٢) هذا خبر لم يرد فى أصول الأغانى .

(٣) السرية : الجارية المتخذة للملك والجماع .

(٤) فى الديوان : « بعدكم » مكان « حاضرا » .

وأظن هذا من قصيدة ، منها :

لحا اللهُ من لا يَنفع الوُدُّ عنده ... ومَن حَبْلُه إن مُدّ غير متين
ومَن هو ذو لَونين ليس بدائم ... على العَهد خَوّانٍ لكُل أمين

كثير والنهدى فى شأنه

وحكى أبو مالك النَّهدى قال :

جلس إلينا كُثيِّر ذاتَ ليلة ، فتذاكرنا جميلاً فقال : لَقِينى مرةً فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبى الحبيبة — أعنى بُثينة — فقال لى : و إلى أين تَمضى ؟ فقلتُ : إلى الحبيبة — أعنى عزة — فقال : لا بُدَّ من أن ترجع عَوْدَكَ على بدئك فتستجدّ لى موعداً من بُثينة . فقلت : عهدى بها الساعةَ وأنا أستحى أن أرجع . فقال : لا بُدَّ من ذلك . فقلت له : فمتى عهدُك ببُثينة ؟ قال : فى أول الصَّيد[1] ، وقد وقعت سحابةٌ بأسفل وادى الدَّوم ، فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تغسل ثياباً ، فلما أبصرتْنى أنكرتْنى ، فضربتْ بيديها إلى ثوب فى الماء فالتحفتْ به . وعرفتْنى الجاريةُ ، فأعادت الثوب فى الماء ، وتحدَّثنا حتى غابت الشمس . فسألتُها الموعد ، فقالت : أهلى سائرون . وما لقيتُها بعد ذلك ولا وجدتُ أحداً آمنه فأُرسلَه إليها . فقال كثيّر : فهل لك أن آتىَ الحىّ فأقول أبياتاً من الشعر أذكر فيها هذه العلامةَ ، إن لم أَقدر على الخَلوة بها ؟ قال : ذلك الصوابُ . فخرج كُثيِّر حتى أَناخ بهم . فقال له أبوها : ما رَدَّكَ يا بن أخى ؟ قال : قلت أبياتاً عرضتْ فأحببتُ أن أَعرِضها عليك . قال: هاتِها . قال كُثيِّر . فأنشدتُه ، و بُثينة تسمع :

فقلتُ لها يا عَزُّ أُرْسِلُ صاحبى ... إليكِ رَسُولاً والمُوكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تَجعلى بينى و بينك موعداً ... وأن تأمُرينى بالذى فيه أَفعل
وآخرُ عَهدى منكِ يومَ لَقيتِنِي ... بأسفل وادى الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَل

(١) فى الأصل : « الصيف » .

فضربت بُثينةُ جانب خِدرها وقالت : اُخسأ ! اُخسأ ! فقال لها أبوها : مَهْيَمْ[1] يا بُثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نوَّم الناسُ من وراء الرَّابية . ثم قالت للجارية : اُبغينا من الدَّومات حَطَباً لنذبح لكُثيِّر شاةً ونشويها له . فقال كُثيِّر : أنا أعجل من ذلك . وراح إلى جَميل فأخبره . فقال له جَميل : المَوعد الدَّومات .

وقالت بُثينة لأُم الحُسين وليلى ، ونُجيّا ، بنات خالتها ، وكانت قد أَنِست بهن واُطمأنت إليهن : إنى قد رأيتُ فى لحن[2] كُثيِّر أن جميلاً معه . وخرج كُثيِّر وجميل حتى أتيا الدَّومات . وجاءت بُثينة ومَن معها ، فما بَرحوا حتى بَرق الصُّبح . فكان كُثيِّر يقول : ما رأيت مجلساً قطُّ أحسن من ذلك المَجلس ، ولا مثل عِلْم أحدهما بِضَمير صاحبه ، وما أدرى أيهما كان أفهم .

تهاجرا زمناً ثم اصطلحا

وذُكر أنه وقع بين جَميل و بُثينة هَجْر فى غَيرة كان غارها عليها من فتًى كان يتحدَّث إليها من بنى عمّها ، وكان جميل يتحدّث إلى غيرها ، فيشُق ذلك على بُثينة وعلى جميل ، وجعل كل واحد منهما يكره أن يُبدى لصاحبه شأنه . فدخل يوماً ، وقد غلبه الأمر ، إلى البيت الذى كان يجتمع فيه مع بُثينة ، فلما رأته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له . فجزِع لذلك جميل ، وجعل كُل واحدٍ منهما يطالع صاحبه . وقد بلغ الأمر من جميل كُل مبلغ ، فأنشأ يقول :

لقد خِفْتُ أن يَغتالنى الموتُ عَنْوَةً ... وفى القَلْب[3] حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا
وإنِّى لتَثْنينى الحفيظةُ كلما ... لقيتُك يوماً أن أَبُثَّكِ[4] حاليا
ألم تَعلمى يا عَذْبَةَ الرِّيق أننى ... أَظَلُّ إذا لم أُسْقَ ريقكِ صادِيا

(١) مهيم : ما أمرك ؟ وما شأنك ؟ وما الذى أرى بك ؟ يمانية .

(٢) فى الأغانى : « فى نحو نشيد » .

(٣) فى الأغانى : « وفى النفس » .

(٤) فى الأغانى : « مابيا » مكان « حاليا » .

فرقّت له بُثينةُ وقالت لمولاة لهـا كانت معها : ما أحسنَ الصِّـدق بأهله ! ثم اصطلحا . فقالت له بُثينة : أنشدنى قولك :

تَظلُّ وراء السِّـتر تَرْنو بلَحْظها إذا مَرّ من أترابها مَنْ يَرُوقهـا

فأنشدها إياه . فبكتْ وقالت : كلّا يا جميل ، ومَنْ ترى يَرُوقنى غيرك ؟

موته وحزن بثينة عليه

وحكى بعضهم قال :

خرجتُ من تَيماء فى أغباش السَّحر ، فرأيتُ عجوزاً على أتان ، فتكلّمتْ، فإذا أعرابيـةٌ فصيحة . فقلتُ : من أنت ؟ قالت : عُذْرية . فأجريتُ ذِكْر جميـل و بُثينة . فقالت : والله إنّا لَعلى ماء لنا بالَجناب ، وقد تنكّبنا الجادَّةَ لجُيوشٍ كانت تأتينا من قِبل الشأم تُريد الحجاز ، وقد خَرج رجالُنا لسَفرٍ وخلّفوا معنا أحداثاً ، فانحدروا ذاتَ عشية إلى صِرْم[1] قريبٍ منّا يتحدّثون إلى جَوارٍ منهم ، فلم يَبْق غيرى وغيرُ بُثينة ، إذ انحدر علينا مُنحدر من هَضْبة تِلْقاءنا ، فسلّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فردَدْتُ السلام عليه ، فإذا جميل . فقلتُ : أجميل ؟ فقال : إى والله ، فإذا به لم يتماسك جُوعاً . فقمتُ إلى قَعْب[2] لنا فيه أَقِط[3] مطحون ، و إلى عُـكَّة[4] فيها سَمْن ورُبٌّ[5] ، فعصرتُها على الأَقِط ثم أدنيتُها منه وقلت : أصِبْ من هذا . فأصاب منه . وقمتُ إلى سقاء فيه لَبن فصببتُ عليه ماء بارداً . فشَرب منـه وتراجعتْ نفسُه . فقلتُ له : لقـد تعبتَ ولقيت شرًّا ، فما أمرك ؟ فقال : أنا والله فى هـذه الهَضبة التى تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أَرِيم ، أنتظر أن أرى فُرْجة ، فلما رأيتُ مُنْحدَر فِتْيانـكم أتيتُـكم لأُودّعكم ، وأنا عائد إلى مِصر .

(١) الصرم : الجماعة من الناس .
(٢) القعب : القدح الضخم الغليظ .
(٣) الأقط : اللبن المجفف اليابس .
(٤) العكة : زق صغير للسمن .
(٥) الرب : ما يطبخ من التمر .

قالت : فتحدَّثنا ساعةً ثم ودَّعنا وشَخص . فلم تَطُل غيبتُه أن جاءنا نَعيُـه .

فزَعموا أنه حين حضرتْه الوفاةُ قال :

صَدَع(١) النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ وثَوَى بِمِصْرَ ثَواء غـيرِ قُفُولِ
ولقد أجُرُّ الذَّيل فى وادى القُرى نَشْوانَ بين مَزارِع ونَخيـل
قُومى بُثينـــةُ فاُندُبِى بعَويل وابْكِى خليلَكِ دون كُلِّ خَليـل
(٢) بَـكر النعىُّ بفارسٍ ذى بَهجة حُـــلْو الشمائل للرجال قَتُول
بَـكر النعىُّ ولستُ أبغى فاُعلمى غَيرَ المُهـــذَّب يا بُثين جَميـل

وحكى الأصمعى قال :

حدثنى رجلٌ شهد جميلاً لـما حضرتْه الوفاةُ بمصر ، أنَّه دعاه فقال : هل لك أن أُعطيك كُلَّ ما أُخلِّفـه على أن تفعل شيئاً أَعهده إليك ؟ قال : فقلتُ : اللهم نعم . قال : إذا أنا مِتُّ فخُذ حُلَّتى هذه التى فى عَيبتى فاعْزِلْها جانباً ، وكُل شىء سواها هو لك ، واُرحل إلى رَهط بنى الأحبّ من عُذْرَة ــ وهم حى بُثينة ــ فإذا صرتَ إليهم فاُرتحل ناقتى هذه واُركبها ، ثم اُلبس حُلَّتى هذه واُشقُقها ، ثم اُعْلُ على شَرف وصِح بهذه الأبيات ، وخَلاكَ ذَمٌّ . وأنشدَنى :

صَـــدعَ النَّعىُّ وما كَنَى بجَميـلِ وثوى بِمِصْر ثَواء غــــيرِ قُفُولِ

وذكر الأبيات المُتقدّمة .

قال : فلمـا قَضَى وواريتُه أتيتُ رَهط بُثينة ففعلتُ ما أمرنى به جميـــل ، فما استتممتُ الأبيات حتى برزتْ لى اُمرأةٌ يتبعها نسوة ، وقد فرعتْهن طولاً أمامهن ، كأنها بدرٌ قد بَرق فى دُجُنَّة ، وهى تتعثَّر فى مِرْطها(٣) ، حتى أتتنى .

---

(١) صدع : جهر وصرح . (٢) هذا البيت والذى بعده لم يردا فى أصول الأغانى . وروايتها فى الديوان تختلف عنها هنا فى كثير . (٣) المرط : كساء من الصوف .

فقالت : يا هذا ، والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتنى ، ولئن كنت كاذباً لقد فَضحتَنى . قلت : والله ما أنا إلّا صادق . وأخرجتُ عَيْبته . فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها ، وصكّت وَجْهها . فاجتمع نساء الحىّ يَبْكين وهى تندُبه ، حتى صَعِقتْ ، فمكثتْ مغشيًّا عليها ساعةً ، ثم أفاقت وقامت وهى تقول :

و إن سُلُوِّى عن جميل لساعةً   من الدّهر ما آنت[1] ولا حان حِينُها
سواءٌ علينا ياجميل بن مَعْمَرٍ   إذا مُتَّ بأساء الحياةِ ولينُها

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار جميل ، هو :

رَحَل الخليطُ جِمالَهم بسَوادِ   وحَدَا على إِثْر البَخيلةِ حادِى
ما إن شَعرتُ ولا علمتُ ببينهم   حتى سمعتُ به الغُرابَ يُنادى

(١) فى الأغانى : « ما حانت » .

أخبار يزيد بن الطثرية

نسبه

اختلف فيه فقيل : يزيد بن الصِّمَّة ، أحد بنى سَلَمة الخير بن قُشَير .

وقيل : إنه من ولد الأعور بن قشير .

وقيل : هو يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة ابن صَعصعة .

و إنما قيل لجدّه سلمة الخير ، لأنه كان لقُشير ابنٌ آخر يقال له : سلمة الشر .

وقيل : هو يزيد بن المُنتشر بن سَلَمة .

نسب أمه

والطَّثْرِيّة أُمه ، وهى امرأةٌ من طَثْر . وهم حَىٌّ من اليمن ، عِدادهم فى جَرْم .

وقيل : إن طَثْراً من عَنز بن وائل بن قاسط .

وقيل : إن الطَّثرية ، أُم يزيد ، كانت مُولعة بإخراج زُبد اللَّبن ، فسُمِّيت الطَّثرية . وطَثْرة اللَّبن : زُبدته .

كنيته و لقبه

ويكنى يزيد هذا : أبا المَكْشوح . وكان يلقَّب: مُوَدِّقًا ، لحسن وجهه وحُسن شَعره وحلاوة حديثه . فكانوا يقولون : إنه إذا جَلس بين النِّساء أَوْدَقَهُنّ (١) .

وكان يتحدّث إلى النساء كثيراً . وذُكر أنه كان عنِّينا .

هو ومياد مع نساء الحيين

وحُكى أن الناس أمحلوا سنةً ، فأقبل جَمعٌ من بنى جَرْم سَاقتْهم السنةُ والجَدبُ من بلادهم إلى بلاد بنى قُشير، وكان بينهم و بين بنى قُشير حَرب عظيمة، فلم يَجدوا بُدًّا من أن رَمَوْا بأنفسهم إليهم ، لمَا لحقهم من الجَدب والمجاعة ورقَّة الأحوال ، وأشرفوا عليه من الهَلكة . ووقع الرَّبيع فى بلاد بنى قُشير ، فانتجعها

---

(١) أودقهن : أى فتنهن بجماله وحلاوة حديثه .

الناسُ وطَلبوها . فلما لقيت بنو جَرم قُشيراً نصبت قُشيرٌ لهم الحرب . فقالت لهم بنو جرم : إنما جئنا مُستجيرين غيرَ مُحـار بين . فقالوا : ممّا ذا ؟ فقالوا : من السنة والجدب والهلـكة التى لا باقية لها . فأجارتهم قُشير وسالمتهم وأرْعتهم طرَفاً من بلادها . وكان فى جَرم فتًى يقال له : ميّاد ، وكان غَزِلاً حسن الوجه تامَّ القامة آخذاً بقُلوب النساء . وكان الغزَل فى جَرْم جائزاً حَسنا ، وهو فى قُشير مـكروه . فلما نازلتْ جَرم قُشيراً وجاورتْها أصبح ميّادٌ الجرمى فغدا إلى القُشيريّات يطلبُ منهن الغَزل والصِّبَا والحديث ، واُستبرازَ الفَتيات عند غِيْبـة الرِّجال واُشتغالِهم بالسَّقى والرِّعْية، وما أَشبه ذلك . فدفعنَه عنهن وأَسمعنه ما يكره . وراحت رجالهن عليهن وهن مُغضبات . فقالت عجائز منهن : والله ما ندرى : أأرعيتُم جَرْماً المَراعى أم أرعيتُموهم فتَياتـكم ! فاُشتدّ ذلك عليهم وقالوا : ماذا كُنّه (١) ؟ قُلن : رجلٌ منذ اليوم ظَلّ مُحْجِراً لنـا ما يطلُع منّا رأسُ واحدة ، يدور بين بيـوتنا . فقال بعضُهم : بيِّتوا جَرْماً فاُصْطلموها (٢) . وقال بعضُهم : قبيح ! قومٌ قد سَقَيتموهم مناهلَـكم(٣)، وأرعيتموهم مراعيَكم ، وخَلطتموهم بأنفسكم ، وأجرتموهم من القَحط والسنة ، تفتْاتُون عليهم هذا الافتيات ! لا تفعلوا ، وأَصْبحُوا (٤) وتقدَّموا إلى هؤلاء القوم فى هذا الرَّجل ، فإنه سَفيه من سُفهائهم، فَليأخذوا على يديه ، فإن يفعلوا فأتِمُّوا لهم إحسانـكم ، و إن يَمتنعوا و يُقرُّوا ما كان منه ، فذاك يَحلّ (٥) لـكم البَسْطُ عليهم وتخرجُوا من ذمّتهم . فأجمعوا على ذلك . فلما أَصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرم فقالوا : ما هذه الرِّعية التى جاورتمونا بها ! إن كانت هذه الرِّعية (٦) لـكم سجية فليس لـكم عندنا إرعاء ولا إسـقاء ، فبرِّزوا عنّا أنفسكم وأْذَنوا بحرب . و إن كان افتتاناً فغيِّروا (٧) على مَن فعـله . فقام نفرٌ من جرم

(١) فى أصول الأغانى : «ما أدرا كنه» . (٢) اصطلموها : استأصلوها . (٣) فى الأغانى : «مياهكم».
(٤) فى الأغانى : « ولكن تصبحوا » . (٥) فى الأغانى : « منه يحل » .
(٦) فى الأغانى : « البدعة » . (٧) أى ازجروه وأنكروا عليه .

فقالوا : وما هذا الذى نالكم ؟ قالوا : رجل منكم أمس ظلّ مجرِّراً أذيالَه بين بُيوتنا ، ما كان أمره ؟ فقهقهت جَرم من جفاء القُشيريين وعَجْرفيّتها ، وقالوا : إنكم لتُحسُّون من نسائكم ببلاء ، وإلا فا بعثوا إلى بُيوتنا رجلاً ورجلا . فقالوا : والله مانُحس من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهن إلا العفة والكرم ، ولكن فيكم الذى قلتم ! قالوا : فإنّا نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بنى قُشير إذا غَدت الرجال وأُخلف النِّساء ، وتَبعثون رجلاً إلى بُيوتنا ، نتحالف أنه لا يتقدّم رجلٌ منّا إلى زوجةٍ ولا إلى أُخت ولا ابنة ولا يُعلمها بشيء مما دار بيننا ، فيظلّ كلاهما فى بُيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عشاءَ الماء ، وتُخلَى لهما البيوت ، ولا تبرز عليهما امرأة ولا تُصادق منهما واحداً إلا بمَوْثق يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها . فقالوا : اللهم نعم . فظلّوا يومَهم ذلك وباتُوا ليلتهم ، حتى إذا كان من الغد تواعدوا الماء ، وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيت منهم أحد دون الليل . وغدا ميّاد الجَرمىّ إلى القُشيريات ، وغدا يزيد بن الطَّثْرية إلى الجرميات ، فظل عندهن بأكرم مَظَلّ ، لا يصير إلى واحدة منهن إلا افتتنت به وبايعتْه على المودة والإخاء ، وقَبض منها رهناً ، وسألتْه ألاّ يدخل من بُيوت جَرم إلاّ بيتَها . فيقول لها : وأىّ شىء تَخافين وقد أخذتِ منّى المواثيق والعُهود ، وليس لأحد بعدكِ فى قلبى نصيب . حتى صُلِّيت العصر وانصرف بأشياء كثيرة ، من ذُبول وبَراقع وفَتَخ[1] وغيرها . وانصرف مكحولاً مدهوناً شبعان ريّانُ مرجَّل الجُمَّة[2] . وظل ميّاد الجَرمىّ يدور بين القُشيريات مَرْجوماً مَقْصيًّا لا يتقرّب إلى بيت إلا استقبلتْه الولائد بالعَمَد والجَندل . فتهالك لهن وظَن أنه تلاعبٌ منهن معه ، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجَندل .

---

(١) ذبول : جمع ذبل ، وهو جلد السلحفاة . وقيل : عظام بعض دواب البحر ، تتخذ منه النساء الأسورة والأمشاط . والفتخ : جمع فتخة ، وهى الحلقة من فضة لا فص لها ، وإلا فهى الخاتم .

(٢) الجمة : الشعر تجاوز المنكبين .

ورأى البَأس منهن وجَهَده العطش . ثم انصرف حتى جاء إلى سَمُرةٍ[١] قريباً من نصف النهار، فتوسّد يَده ونام نوَيمةً تحتها حتى أفرجت عنه الظهيرةُ، وفاءت الأظلال، وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب، وبَرد عطشُه قليلاً، ثم ورد الماء حتى قَرُب من القوم قبل يزيد بن الطَّثرية . فوجد أَمةً تَذُود غنماً فى العَطن،[٢] فأخذ بُرْقعها فقال : هذا بُرقع واحدة من نسائكم، فطرحه بين يدى القوم . وجاءت الأَمة تعدوا فتعلّقت ببُرقعها، فردّه عليها، وخَجل ميّاد خجلاً شديداً . وجاء يزيد بن الطَّثْرية مُمسياً، وقد كاد القوم أن ينصرفوا، فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وذَبْلاوفتَخا . وقد حَلف القومُ ألاّ يعرف رجلٌ شيئاً إلا رَفَعه. فلما نَثر ما معه اُسودّت وجُوه جَرم وأمسكوا بأيديهم إمساكةً . فقالت قُشير : أنتم تعرفون ما كان أمسِ بيننا من العُهود والمواثيق وتحريم[٣] الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حَرام فَلْيُمسك يده . فبسط كُل واحدٍ منهم يده إلى ماعَرف وأخذه، وتفرّقوا على حَرب، وقالوا : هذه مكيدة يا قُشير ! فقال فى ذلك يزيد بن الطثرية :

فإنْ شئتَ يا ميّاد دُرْنا[٤] ودُرْتُمُ ... ولم نَنْفس الدُّنيا على من يُصيبُها
أيذهب ميّاد بألباب نِسْوتى ... ونسوةُ ميّاد صِحاحٌ قُلوبها

حبه وحشية ومعونة ابن عم له

وقيل :

وبُلى يزيد بن الطّثرية يومئذ بعشق جارية من جَرم، يقال لها: وحشية، وكانت من أحسن النساء . ونافرتْهم جرم فلم يَجد إليها سبيلا . فصار من العشق لها إلى أن أشرف على الموت واشتدّ به الجهد، فجاء إلى ابن عم له، فقال له : يابن العم،

(١) السمرة : من شجر العضاه .
(٢) العطن : المناخ حول الورد .
(٣) فى الأغانى : « وتحرج » .
(٤) فى الأغانى : « زرنا وزرتم » .

قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة من سبيل ، وأن التعزّي أجمل ، فما أربُك فى أن تَقتل نفسَك وتأثم بربِّك ؟ فقال : ما هى يا بن العم بنَفسى ، ومالى فيها أمر ولا نهى ، وما همِّى إلا نفس الجَرمية ، فإن كنت تُحب حياتى فأرنيها . فقال : كيف الحِيلة ؟ قال : تحملنى إليها . فحمله إليها ، وهو لا يطمع فى الجَرْمية، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له : نَذهب بك إلى وَحْشية ، أَبلّ قليلاً وراجع وطَمع . فإذا يئس منها اُشتدّ به الوجع . فخرج به اُبن عمِّه يتخلّل به اليمنَ ، حتى إذا دخل إلى قبيلة اُنتسب إلى أخرى ، ويُخبر أنه طالب حاجة . وأبلّ حتى صلَح بعض الصَّلاح ، وطَمع فيه اُبنُ عمِّه ، وصارا بعد زمان إلى حى وحشية ، فلقيا الرُّعيان ، فكَمَنا فى الجبل ، فجعل اُبنُ عمّه ، وهو خَليفة بن بورك[1] يتعرّض لرُعيان الشاه فيسألهم عن راعى وحشيّة ، حتى لَقى غُلامَها وغَنمها ، فسأله عنها ، فقال : هى بشرّ ، لا حَفِظ الله بنى قُشير ولا يوماً رأيناهم فيه ! فما زالت عليلةً منذ رأيناهم . وكان بها طَرَفٌ ممّا بيزيد ابن الطَّثْرية . فقال : ويحك ! فهاهنا إنسان يُداويها ولا تَقُل لأحدٍ غيرها . فقال : نعم، إن شاء الله . فأعلمها ما قال له الرجُل حين صار إليها . فقالت : ويلك ! فجىء به . وخَرج الراعى من الغَد فلقيه فأعلمه . وظَلّ عنده يَرعى غَنمها ، وتأخّر عن الشاء حتى تقدّمته الشاء وجَنح الليل ، واُنحدر يزيد فى غَنمه حتى أَراحها . ومَشى فيها يزيدُ حتى قَرُب من البيت على أربع ، وتَجلَّل شملةً سوداء بلون شاةٍ من الغَنم، وصار إلى وحشيّة، فسُرّت به سُروراً شديداً ، وأَدخلته ستراً لها ، وجمعت عليه من الغد من تَثق به من صواحباتها وأَترابها . وقد كان عهد إلى اُبن عمه أن يُقيم فى الجبل ثلاث ليالٍ ، فإن لم يرَه فَلْينصرف . فأقام يزيدُ عندها ثلاث ليالٍ ، ورَجع إلى أصَحِّ ما كان عليه ، ثم انصرف فصار إلى صاحبه ، فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نَفسه ما سَرّه . فقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بوزل » .

لوَ أنّك شاهدتَ الصِّبا يا بن بَوْرَكٍ ... بفَرْع الغَضى إذ راجعتْنى غَياطلُه[1]
لشاهدتَ لهواً بعد شَحْطٍ من النّوى ... على سَخَطِ الأعداء حُلْوًا شمائلُه
و يوماً كإبهام القَطاةِ مزيَّناً ... لِعَينى ضُحاه غالباً لى[2] أصائله

ومنها :

بِنَفسىَ مَن لو مَرّ بَرْدُ بَنانه ... على كَبِدى كانت شِفاءً أناملُه
ومَن هابنى فى كُل شىء وهِبْتُه ... فلا هو يُعطينى ولا أنا سائلِه

وذُكر أن أبا محيصة[3] الأعرابّى أُنشد هذين البيتين فطَرِب بهما وقال : هذا والله من مغنج الكلام !

ومنها :

وكنتُ كأنّى حين كان كلامُها ... وَداعاً وخَلّى مَوْثِقَ العهدِ حاملُه
رهينٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُه ... عن الساقِ حتى جَرَّد السيفَ قاتله
فقال دَعُوا لى[4] سَجْدتَيْن وأُرْعدت ... حِذَارَ الرَّدَى أحشاؤه ومَفَاصله

شعره فى امرأة ذات سبعة

وذُكر أنّ يزيد بن الطَّثْرية كان يتحدّث إلى امرأة و يُعْجَب بها ، فبَيْنا هو عندها إذا حدَث لها شابٌّ قد طلع عليه ، ثم جاء آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تمُّوا سبعةً وهو الثامن ، فقال :

أَرى سبعةً يَسْعَوْن للوَصْل كُلُّهم ... له عند ليلَى دِينةٌ يَسْتَدينُهَا
فألقيتُ سَهْمى وَسْطَهم حين أوْخَشوا[5] ... فما صار لى من ذاك إلا ثَمينهَا

---

(١) الغياطل : جمع غيطلة ، وهى الظلمة المتراكة .
(٢) فى الأغانى : « لى باطله » . (٣) فى الأغانى : « أبا محضة » .
(٤) فى الأغانى : « دعونى » .
(٥) أوخشوا : صاروا إلى الوخاشة ، وهى الرذالة .

وكنتُ عَزُوفَ النَّفس أَشْنأُ أن أرى ... على الشِّرْكِ مِن وَرْهاء[1] طَوْعٍ قَرِينُها
فيوماً تراهـا للعُهود وفيّـةً ... ويوماً على دين ابْن خاقانَ دِينُهـا
يداً بيـدٍ مَن جاء بالعَـين منهمُ ... ومَنْ لم يَجِىء بالعَين حِيزتْ رُهونها

وقال فيها، وقد صارَمها:

ألاَ بأبى مَن قد برَى الجِسمَ حُبُّه ... ومَن هُـو مَوموقٌ إلىّ حبيبُ
ومَن هو لا يَزداد إلاّ تَشَـوُّقاً ... وليس يُرَى إلاّ عليـه رَقِيب
وإنّى وإنْ أَحْمَوْا[2] علىَّ كلامَها ... وحالت أعادٍ دونها وحُروب
لمُثْنٍ على ليـلَى ثنـاءً[3] تزينه ... قوافٍ بأفـواه الرِّجال تَطيب
أليلَى أُحذرى نَقْضَ القُوى لا يَزلْ لنا ... على النَّأى والهِجران منكِ نَصيب
وكُونى على الواشِـين لَدّاء شَغْبةً ... كما أنا للـواشِى ألَدُّ شَغُوب
فإنْ خِفْتِ ألا تُحكِمِى مِرَّة القُوى ... فرُدِّى فؤادى والمَرَدُّ[4] قَريب

شعره وقد حلق الوالى لمته تأديباً له

وذُكر أن يزيد بن الطَّثْرية لما أكثر التَّشبيب فى وَحشية الجَرمية، اُستعدتْ عليه جَرمٌ صاحبَ اليمامة. فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثور أخى يزيد وأمره بأدبه، وجعل عُقوبته حَلْقَ لِمَّته، فحلقها. فقال يزيدُ من أبيات:

أقول لثَوْرٍ وهـو يَحلِق لِمَّتى ... بحَجْناء مَرْدودٍ عليهـا نِصابُهـا
ترفَّق بهـا يا ثَور ليس ثوابُهـا ... بهذا ولـكنْ غيرُ هـذا ثوابها
ألاَ ربما ياثَور قد غَلَّ[5] وَسْطها ... أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابها

(١) الورهاء: الحمقاء. وطوع قرينها، أى إن قرينها يطيعها، ولا تخضع هى لقرين، لأنها تستبدل بكل قرين من شاءت متى شاءت، فقرينها يطيعها وهى لا تطيع قريناً.
(٢) أحموا: حرموا ومنعوا.
(٣) فى الأغانى: «يزيدها» مكان: «تزينه».
(٤) فى الأغانى: «والمزار» مكان: «والمرد».
(٥) غل شعره بالطيب: أدخله فى أصوله. والرواية فى الكامل (ص ٣٣٤): «ياثور فرق بينها».

فأَصبح رأسى كالصُّخَيرة أَشْرفت عليها عُقابٌ ثم طارت عُقابها

طخيم الأسدى فى مثله

ثم ذكر أبو الفرج فى نظير ذلك أن طُخَيماً الأَسدىّ شَرب بالحِيرة ، فأَخذه العبّاس بن مَعبد المُرِّى ، وكان على شُرْطة يوسف بن عمر ، فحلَق رأسَه ، فقال :

وبالحِيرةِ البَيْضاءِ شَخْص[1] مُسلَّطٌ إذا حَلف الأيمانَ باللهِ برّتِ

لقد حلَقوا منها غُدَافاً كأَنها عناقيدُ كَرْمٍ أَيْنعت[2] فاَسْبطرّت

يَظَلّ العَذارى حين تُحْلَق لِمّتى على عَجَل يَلْقُطْنها حيث[3] جُزّت

خبر مقتله

ذِكْر مقتل يزيد بن الطّثرية .

قيل : أغارت بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقَيل ، ومعهم رجلٌ من بنى قُشير جارٌ لهم ، فقُتل القُشَيْرىّ ورجلٌ من بنى عُقَيل ، واُطّرَدتْ[4] إبلٌ من العُقَيليِّين . فأَتى الصّريخُ عُقيلاً ، فلحِقوا القومَ فقاتلوهم ، فقَتلوا من بنى حَنيفة رجلاً وعَقروا أفراساً ثلاثةً من خَيل حنيفة ، فاُنصرفوا ولَبثوا سنة .

ثم إنّ عُقيلاً اُنحدرت مُنتجعةً من بلادها ، بلاد بنى تَميم ، وعلمت بهم حَنيفة فغَزتْهم ، وحَذر العُقيليّون وأَتتهم النُّذُر من نُمير ، فانكشفوا ، فلم يَقدروا عليهم . وبلغ ذلك من بنى عُقَيل وتلهّفوا على بنى حَنيفة ، فجمعوا جمعاً ليغزوا حنيفة ، ثم تشاوروا، فقال بعضُهم: لا تَغْزوا قوماً فى مَنازلهم ودُورهم فيَمتنعوا منكم ، ويتحصّنوا دونكم ، ولا نأمن أن يَفضحوكم . فأَقاموا بالعَقيق .

وجاءت حَنيفةُ غازيةً كعباً لا تتعدّاها، حتى وقعت بالفَلَج . فتطاير الناسُ . ورأسُ حنيفة يومئذٍ المُنْدلِف . وجاء صَريخُ كَعب إلى أبى لَطيفة بن مُسلم العُقَيلى،

(١) فى الأغانى : « شيخ » .
(٢) اسبطرت : طالت وامتدت .
(٣) فى الأغانى : « حين » .
(٤) اطردت : انساقت .

وهو بالعَقيق أميرٌ عليها ، فضاق بالرسول ذَرْعاً وأَتاه هولٌ شديد . فأَرسل فى عُقَيل يستمدُّها . فأَتته ربيعةُ بن عُقَيل ، وقُشير بن كعب ، والحَريش بن كعب ، وأفناء خَفاجةَ ، وجاش إليه (١) الناسُ . فقال : إنِّى أرسلت طليعةً فانتظروها حتى تجىء ونعلَمَ ما تُشير به . ثم أَصبح صُبْحَ ثالثةٍ وهو على فرسه يَهْتف : أعزَّ الله نَصركم وأمتعنا بكم ، انصرفوا راشدين فلم يكن بأس . فانصرف الناسُ . فسار فى بنى عمِّه ورهطه دِنْيةً .

وإنما فعل ذلك لتكون له السُّمعة والذِّكر ، فكان فيمن سار معه القُحَيف ابن حُمَيِّر ، ويزيد بن الطَّثْرِيَّة ، الشاعران . فساروا حتى واجهوا القومَ فواقعوهم ، فقتلوا المُنْدَلِف ، رمَوْه فى عَينه ، وسَبَوْا وأسروا ومثّلوا بهم ، وقطعوا أيدى اثنين منهم ، ثم أرسلوهما إلى اليمامة وصَنعوا ما أرادوا . ولم يُقْتَل ممن كان مع أبى لَطيفة غيرُ يزيدَ بن الطَّثْرِيَّة ، نَشِب ثوبُه فى جِذْل من عُشَرَة (٢) فانقلب ، وخَبطه القومُ بأسيافهم فقُتل .

شعر أخته فى رثائه

فقالت أُخته زينبُ بنت الطَّثْرِيَّة ترثيه . وقيل : بل قائلها وَحشية الجَرمية صاحبته :

أَرى الأَثلَ من بَطن العَقيق مُجاورِى ... مُقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فتًى لا تَرى قَدَّ القَميص بخَصْره ... ولكنما تُوهى القميصَ كواهلُه
إذا نَزَل الأَضيافُ كان عَذَوَّراً ... على الحىّ حتى تستقر (٣) مَراجلُه
يَسرُّك مَظْلوماً ويُرضيك (٤) ظالماً ... وكُلُّ الذى حَمَّلتَه فهو حامله
إذا جَدَّ عند الجِدّ أرضاكَ جِدُّه ... وذو باطلٍ إن شئتَ أَلهاكَ باطلُه

(١) جاش إليه الناس : ساروا إليه ليلا .
(٢) الجذل : أصل الشجرة . والعشرة : من شجر العضاه ، وهى من كبار الشجر .
(٣) العذور : البرم . والمراجل : القدور . وفى الأغانى : « تستقل » مكان : « تستقر » واستقلال المراجل : انتصابها على الأثافى .
(٤) أى يحميك ويمنعك .

إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهو عامِدٌ ... لأفضلِ ما أَمُّوا له فهو فاعله
ترى جازريه يُرْعَدان ونارُه ... عليها عَدَاميلُ الهَشيمِ (١) وصامِله
مضَى وورِثْناه دَرِيسَ (٢) مُفاضةٍ ... وأبيضَ هِنديًّا طويلاً حمائله
فتًى كان يحمى المُحْجَرين بسَيفه ... ويبلغ أقصى حَجْرةِ (٣) الحىّ نائله
فتًى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوماً دماً فهو آكله
سَيَبْكيه مولاه إذا ما ترفّعت ... عن الساق عند الرَّوع يوماً (٤) ذَلاذِله

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ يزيد بن الطثرية ، هو قولُه :

أمسى الشبابُ مودَّعاً محمودَا ... والشيبُ مُؤتَنِفَ المحلِّ جديدَا
وتغيَّر البيضُ الأوانسُ بعد ما ... حَمَّلتُهنَّ مواثقاً وعُهودا

ما يغنى فيه من شعره

ومما يُغَنَّى فيه من شعره قولُه :

بنفسىَ من لا أُخبر الناسَ باْسمه ... وإن حَملت حِقْداً علىّ عشائرُهْ
بنفسى ومالى مَن حَملت (٥) له الرَّدَى ... ومَن ذِكْره منّى قريبٌ أُسامِره
ومن لو جرتْ شَحناه بينى وبينه ... وحاوَرَنى لم أَدْرِ كيف أُحاوره

(١) عداميل : جمع عدمول ، وهو الشىء القديم . والصامل ، اليابس .
(٢) الدريس : الخلق من الدروع وغيرها . والمفاضة : الدرع الواسعة . يريد أنه أنفق ماله فيما أكسبه حمدا ، ولم يترك إلا هذه الدرع وذلك السيف .
(٣) المحجر : الملجأ المضطر . والحجرة : الناحية .
(٤) الذلاذل : أهداب الثياب .
(٥) فى الأغانى : « بأهلى ... جلبت له الأذى » .

أخبار جميلة

هى مولاةُ بنى سُلَيم ، ثم مولاة بطنٍ منهم يقال لهم : بنو بَهْز . ولاؤها

وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخزرج . وكانت تنزل فيهم ، فغلب عليها ولاء زوجها ، فقيل : إنها مولاة الأنصار .

منزلتها فى الغناء

وهى أصل من أُصول الغناء . أخذ الغناء عنها مَعبد ، وأُبن عائشة ، وحَبابة ، وسلاّمة، وعَقيلة العَقيقيّة ، والشّماسيّتان : خُليدة ، و رُبَيحة .

حديث أبى عباد عن مجلس لابن جعفر عندها

وحكى أبو عبّاد قال :

أتيتُ جميلةَ يوماً ، وكان لى موعدٌ ، وظننتُ أنِّى سبقتُ الناسَ إليها ، فإذا منزلُها غاصٌّ ، فسألتُها أن تُعلِّمنى شيئاً . فقالت : إن غيرَك قد سَبقك ولا يَجْمل تقديمُك على مَن سواك . فقلت: جُعلتُ فداكِ ! متى تفرُغين ممّن سَبقنى ؟ قالت: هو ذاك ، الحقُّ يَسعك و يَسعهم .

فبينا نحن كذلك، إذ أقبل عبدُالله بن جَعفر بن أبى طالب ، و إنه لأوّل يوم رأيتُه وآخرُه ، وكنتُ صغيراً كيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفَرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقّته وقبّلت رجلَيْه و يديه . وجَلس فى صدر المجلس على كرْسِيّ لها ، وتحوّق(1) أصحابُه به، وأشارت إلى من عندها بالأنصراف، فتفرّق الناسُ،وغمزتنى ألاّ أبرح ، فأقمتُ . وقالت : يا سيدى وسيد آبائى ومواليَّ ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقُل أقدامك إلى أَمَتك ! قال : يا جميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسك ألاّ تُغنِّى أحداً إلا فى منزلك ، وأحببتُ الأَسماعَ .

---

(1) تحوق أصحابه به : أحاطوا و استداروا .

فقالت : جُعلت فداك ! فأنا أصيرُ إلى منزلك وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك . و بلغنى أنّك تغنين بيتين لأمرىء القَيس تُجيدين الغناء فيهما ، وكان الله جلّ وعزّ قد أنقذ بهما جماعةً من المُسلمين من الموت .

قالت : يا سيدى ، نعم . وأندفعتْ فغنّت بعُودها . فما سمعتُ منها قبل ذلك اليوم ولا بَعده إلى أن ماتت مثلَ ذلك الضَّرب ، ولا مِثل ذلك الغناء . فسبَّح عبدُ الله بن جعفر رحمه الله والقومُ معه . وهما :

ولمّا رأتْ أنّ الشَّريعة همُّها ... وأنّ البَياضَ مِن فَرائصها [1] دامِى
تَيمَّمتِ العَينَ التى عند ضارجٍ ... يَفِىء عليها الفَىء عَرْمَضُها [2] طامِى

فلما فرغتْ قالت جميلة : أىْ سيدى ، أزيدك ؟ قال : حسبى . فقال : بعض القوم الذين كانوا معه : بأبى جُعلت فداك ! كيف أنقذ الله تبارك وتعالى بهذين البيتين جماعةً من المُسلمين ؟ قال : نعم . أقبل قومٌ من أهل اليمن يُريدون النبىَّ صلَّى الله عليه وسلّم ، فضلوا الطريقَ و وقعوا على غيرها ، ومكثوا ثلاثاً لا يَقدرون على الماء ، وجَعل الرجلُ منهم يَستذرى [3] بفَىْء السَّمُر والطَّلْح يائساً من الحياة ، إذ أقبل راكبٌ على بعير له ، فأنشد بعضُ القوم هذين البيتين . فقال الراكب : من يقول هذا ؟ قالوا : أمرؤ القيس . قال : والله ما كذب ، هذا ضارجٌ عندكم . فأشارلهم إليه . فحبَوْا على الرُّكب فإذا ماء عِدٌّ ، [4] و إذا عليه العَرْمَض ، والظلُّ يَفِىء عليه . فشربوا منه رِيَّهم وحَملوا ما اكتفَوْا به حتى بَلغوا الماء . فأتوا النبىَّ

(١) الشريعة : مورد الماء . والهم : الطلب . والفرائص : جمع فريصة ، وهى اللحم بين الكتف والصدر .

(٢) ضارج : موضع فى بلاد بنى عبس . والعرمض : الطحلب . وطامى : مرتفع . يريد أن الحمر لما أرادت الماء خافت على أنفسها من الرماة وان تدمى فرائصها من سهامهم فعدلت إلى ضارج .

(٣) يستذرى : يستظل .

(٤) عد : دائم لا انقطاع له .

صلّى الله عليه وسلّم فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عز وجل ببيتين من شعر أمرىء القيس ، وأنشدوه الشعر . فقال صلّى الله عليه وسلم : ذلك رجلٌ مَذكور فى الدُّنيا شريف فيها، مَنْسىٌّ فى الآخرة خاملٌ فيها ، يجىء يومَ القيامة معه لواء الشُّعراء إلى النار .

فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونَهض عبد الله بن جَعفر ونَهض القوم معه . فما رأيت مجلساً كان أحسنَ منه .

ما اختاره ابن واصل وما اطرحه من أخبار جميلة

قلت :

لم أختر من أخبار جَميلة غير ما أوردتُه ، وما عدا ذلك فإنى أطَّرحته لغَثاثته وعدم فائدته .

أخبار عنترة العبسى

نسبه

هو عَنترة بن شدّاد . وقيل : عَنترة بن عَمرو بن شدّاد . وقيل : عَنترة بن شدّاد بن عمرو بن مُعاوية بن قُرَاد بن مَخزوم بن رَبيعة . وقيل : مَخزوم بن عوف ابن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيث بن غَطَفان بن سَعد ابن قيس بن عَيْلان بن مُضَر .

و يقال له : عنترة الفَلْحاء ؛ وذلك لتشقُّق شَفَتيه .

أمه وإخوته

وأُمه حبشيّة ، يقال لها : زَبِيبة . وكان لها ولدٌ عَبِيدٌ من غير شدّاد ، فكانوا إخوتَه لأُمه .

نفى أبيه له ثم رده إليه

وكان أبوه نَفاه مَرَّةً ثم اعترف به فألحقه بنَسبه . وكانت العربُ تَفعل ذلك، تَستعبد بنى الإماء ، فإن أنجب اعترفت به و إلاّ بَقِى عبداً .

امرأة أبيه وتحريشها أباه وشعره فى ذلك

وذُكر أن عنترة قبل أن يَدَّعيه أبوه حَرَّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت : إنه يُراودنى عن نَفْسى. فغَضب من ذلك شدّاد وضَربه ضرباً شديداً مُبرِّحا ، وضَربه بالسيف ، فوقعتْ عليه امرأة أبيه وكفَّته عنه . فلما رأت ما به من الجراح بكتْ . وكان اسمها سُمَيَّة — وقيل سُهَيّة — فقال عنترةُ فى ذلك :

أمِن سُمَيّة دَمْعُ العَين مَذْروفُ ... لو أن ذا منكِ قَبل اليوم مَعْروفُ

كأنّها يومَ صَدَّت ما تُكلّمنى ... ظَبْىٌ بعُسْفانَ ساجِى الطَّرْف[1] مَطْروف

تَجَلَّلتْنىَ إذ أهْوَى العَصا قِبَلى ... كأنها صَنَمٌ يُعْتاد[2] مَعْكوف

(١) عسفان: منهلة بين الجحفة ومكة . والساجى: الساكن . والمطروف : الذى أصابت عينه طرفة ؛ وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه .

(٢) تجللتنى : ألقت نفسها على . ويعتاد : يؤتى مرة بعد مرة . ومعكوف : يعكف عليه .

العَبدُ عَبدكمُ والمالُ مالكمُ ... فهل عذابُك عنّى اليومَ مَصْروف
تَنْسى بلائى إذا ما غارةٌ لَحِقتْ ... تَخرُج منها الطُّوالاتُ (١) السَّراعيف
يَخرُجن منها وقد بُلَّت رَحائلُها ... بالماء تَركُضها الشُّمُّ (٢) الغَطاريف
قد أَطعَنُ الطَّعنةَ النَّجْلاء عن عُرُضٍ ... تَصْفِرُ كفُّ أخيها وهو (٣) مَنزوف

سبب استلحاق أبيه إياه

وذُكر أنّ سبب اُستلحاق أبيه إيّاه أن عبساً أغارت على طَيِّىء فأَصابوا نَعماً. فلما أَرادوا القِسْمة قالوا لعنترة : لا نَقْسِم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنك عَبْد . فلما طال الخطْبُ بينهم كَرَّت عليهم طيِّىء . فاُعتزلهم عنترة وقال : دُونكم القومَ ، فإنكم عَدَدُهم . واُستنقذت طيِّىء الإبلَ . فقال له أَبوه : كُرَّ يا عنترة . فقال: أَوَ يُحسن العبدُ الكَرَّ ! فقال له أَبوه : العبدُ غيرُك . فاُعترف به . فكَرَّ واُستنقذ النَّعَم ، وجعل يقول :

أَنا الهَجينُ عَنْتَرَهْ ... كلُّ اُمرىء يَحْمى حِرَهْ
أَسوَدَه وأَحمرَه ... والشَّعراتِ المُشْعَره
الوارداتِ مِشْفَرَه

أحد أغربة العرب

وعنترةُ أحد أَغربةِ العَرب ، وهم ثلاثة : عَنترة ، وأُمه زَبيبة ؛ والسُّلَيك بن عُمَير السَّعْدى ، وأُمه السُّلَكة ؛ وخُفَاف بن عُمَير الشَّريدىّ ، وأُمه نُدْبة .

شعره فى الرد على قيس بن زهير وهو الذى فيه الغناء

وذُكر أن بنى عَبس أَغارت على بنى تَميم ، وعليهم قَيس بن زُهير بن جَذِيمة العَبسىّ ، فاُنهزمت عَبس ، وطلبتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترةُ ، ولحقتْهم كَبْكبةٌ من الخيل ، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِر . وكان قيس بن زُهير سيِّدَهم ، فساءه ما صَنَع عنترةُ يومئذ وحسده ، فقال حين رجع: والله ما حَمى الناسَ إلا اُبنُ

(١) الطوالات : الخيل . والسراعيف : السراع ؛ واحدتها : سرعوف .
(٢) الرحائل : السروج . والشم : التى بأنوفها ارتفاع . والغطاريف : السادة الكرام .
(٣) النجلاء : الواسعة . وعن عرض : عن شق وحرف .

السَّوداء ! وكان قيس أكولاً . فبلغ عنترةَ ما قال . فقال يُعرِّض به قصيدته ، التى منها الشعرُ الذى فيه الغناء وأُفتتح به الفرج أخبار عَنترة ، وهى :

يا دار عَبْلةَ من مَشارِقِ مَأْسَلِ (١) ... دَرَس الشُّؤونُ وعهدُها لم يَنْجلِ
فاُستبدلتْ عُفْرَ الظِّباء كأنما ... أبعارُها فى الصَّيف حَبُّ الفُلفُل
تَمشى النَّعامُ بها خلاءً حولَه ... مَشْىَ النَّصارى حولَ بيت الهَيْكل
احذَرْ محلَّ السَّوْء لا تَحْلُل به ... وإذا نَبابكَ منزلٌ فتحوَّل

ومنهــا :

بَكرتْ تُخوِّفنى الحُتُوفَ كأنَّنى ... أصبحتُ عن غَرض الحُتوف (٢) بمَعْزِل
فأجبتُها أنَّ المَنيّة (٣) مَنهلٌ ... لا بُدَّ أن أُسقَى بكأس المَنْهل
فاُقْنَىْ حياءكِ (٤) لا أَبالك واعلمى ... أنّى امرؤٌ سأموت إن لم أُقْتَل
إنَّ المَنيّة لو تُمَثَّلُ مُثِّلت ... مِثْلى إذا نَزلوا بضَنْكِ المَنْزل
إنّى امرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِى وأَحمى سائرى بالمُنْصُل (٥)
وإذا الكَتيبة أَحجمتْ وتلاحَظتْ (٦) ... أُلفيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَل
والخيلُ تَعلم والفوارسُ أنَّنى ... فرَّقتُ جمعهمُ بضَربةِ فَيْصَل (٧)
إذ لا أُبادر فى المَضيق فوارسى ... أو لا أُوَكِّلُ بالرَّعيل (٨) الأَوَّل
إنْ يُلْحقوا أَكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَموا ... أَشْدُدْ وإن يُلْفَوْا بضَنْكٍ أَنْزل

(١) مأسل : رملة ؛ وقيل : جبل .
(٢) الحتوف : المكاره والمتالف . وعن عرض : ما يعرض منها .
(٣) المنهل : المورد .
(٤) اقنى حياءك : احفظيه ولا تضيعيه .
(٥) المنصل : السيف .
(٦) تلاحظت : نظر بعضهم إلى بعض .
(٧) الفيصل : الذى يفصل بين الناس .
(٨) إذ لا أبادر فى المضيق فوارسى ، أى لا أكون أول منهزم ولكنى أكون حاميتهم . والرعيل : القطعة .

حين النزولُ يكون غايةَ مِثلنا ... ويَفِرّ كل مُضَلَّلٍ (١) مُسْتَوْهِلِ

والخيلُ ساهمةُ الوُجوه كأنما ... تُسْقَى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ

ولقد أَبيتُ على الطَّوى وأَظلُّه ... حتى أنالَ به كَرِيمَ المأْكلِ

للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أنشد بيتاً له

ورُوى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أُنشد قولَ عَنترة العبسيّ :

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأَظلّه ... حتى أنال به كريمَ المأْكل

فقال صلّى الله عليه وسلّم : ما وُصف لى أعرابىٌّ قطُّ فأحببتُ أن أراه إلا عَنترة .

قوله عن شجاعته

وذكر أنه قيل لعنترة العَبسى : أنت أشجعُ العرب وأشدُّها ؟ قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا فى الناس ؟ قال : كُنتُ أُقدم إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً، وأُحجم إذا رأيتُ الإحجام حَزما ؛ ولا أَدخل موضعاً لا أرى لى مخرجاً منه . وكنت أعتمد الضَّعيفَ الجبان فأضربه الضربةَ الهائلة يَطير لها قلبُ الشجاع فأُثَنِّى عليه فأقتله .

خبر مقتله

وقد اُختلف فى كيفية مَقتل عنترة : فمما ذُكر أنه غَزا طَيِّئاً مع قومه بنى عَبس فانهزمت عَبس ، فخرّ عن فَرسه ولم يَقْدر من الكِبَرأن يَعُود فيركب ، فدخل دَغْلاً وأبصره رَبيئةُ (٢) طيّء ، فنزل إليه وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه، فقتله .

(١) المستوهل : الضعيف الفزع .

(٢) الربيئة : الطليعة .

أخبار أبى دلف العجلى

نسبه

وهو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بنى عِجْل بن لُجَيم بن صَعب بن علىّ ابن بكر بن وائل.

مكانته

ومحلُّه من الشَّجاعة وعُلو المَنزلة عند الخلفاء، وعِظَم الغَناء فى المَشاهد، وحُسن الأدب، وجَودة الشِّعر، محلٌّ ليس لأحدٍ من نُظرائه.

قال أبو الفرَج: وذِكْر ذلك أجمع ممّا لا مَعنًى له لطُوله، وفى الغُرر[1] من أخباره مَقنع.

من جيد شعره

وله أشعار جيّدة وصَنعة كثيرة حَسنة. فمن جيّد شعره:

بنَفسى ياجِنَانُ وأنتِ منِّى ... مكانَ الرُّوح من جَسَدَ الجَبانِ
ولو أنّى أقُول مكانَ نفسى ... لخِفْتُ عليك بادرةَ الزَّمان
لإقْدامى إذا ما الخيلُ حامتْ ... وهابَ كُماتُها حَرَّ الطِّعان

وله فى الشيب

ومن جيِّد شعره قولُه فى الشَّيب:

فى كُلِّ يومٍ أَرى بيضاءَ قد طلعتْ ... كأنّما أُلقيت[2] فى ناظر البَصَرِ
لئن قَصصتُكِ بالمِقْراض عن نَظَرى ... لما قَصصتُكِ عن هَمِّى وعن فِكَرى

أراد الإفشين قتله فأرسل المعتصم ابن أبى فأنقذه

وذُكر أنّ أبا دُلف العِجْلىّ كان فى جُملة مَن كان مع الإفشين[3] خَيْذر

(١) فيما بين أيدينا من أصول الأغانى: «وفى هذا القدر».

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «أنبتت».

(٣) بالكسر كما ضبطه الزبيدى فى شرح القاموس. وشعر أبى تمام يزكيه:

لم يقر هذا السيف هذا الصبر فى ... هيجاء إلا عز هذا الدين
قد كان عذرة مغرب فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الإفشين

غير أن عبارة رسالة الغفران (ص ١٦٦) تدل على أنه بفتح الشين وإسكان الياء.

ابن كاووس لما خَرج فى الجيُوش المُعتصميّة لمُحاربة بابك الخُرَّمىّ، حين قَتله وفتح بلاده . ثم إن الإفشين تنكَّر لأبى دُلَف فوجّـه يوماً بمن جاءه به ليقتلَه . و بلغ المعتصمَ الخبرُ فبعث إليه بالقاضى أحمد بن أبى دُوَاد وقال له : أدركه، فما أُراك تلحقه، واُحتل فى خَلاصه منه كيف شئْت .

قال أحمـد : فمضيتُ راكضاً حتى وافيتُه ، فإذا أبو دُلف واقفٌ بين يديه ، قد أخذ بيده غُلامان له تركيّان . فرميتُ بنَفسى على السِّماط — وكنتُ إذا جئْته دعا لى بمُصلّى — فقال لى : سبحان الله ! ما حَملك على هذا ؟ فقلتُ : أنتَ أجلستنى هذا المجْلس . ثم كَلمتهُ فى القاسم وسـألتهُ فيه وخَضعت له . فجعل لا يَزداد إلا غلْظة . فلما رأيتُ ذلك قلتُ : هـذا قد عَرف منِّى الرِّفق به ، ولَيس يَنفع ألاّ أخذُه بالرَّهبة والصِّدق. فقمتُ وقلت: كم تُراك قدَرتَ فى نفْسك ! تقتُل من أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتُخالف أمرَه فى قائد بعد قائد ! قد حملت إليـك هذه الرسـالةَ عن أمير المؤمنـين فهاتِ الجواب . قال : فذلَّ حتى لَصِق بالأرض و بان لى الاُضطراب فيه . فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبى دُلَف فأخذتُ بيـده وقلتُ له : قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعل يا أبا عبـد الله . فقلت : قد فعلت . وأخرجتُ القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المُعتصم .

فلما بصُر بى ذكر لى خَبرى مع الإفشين حَدْسا وفِطْنة ، فما أخطأ فيه حَرْفاً .

ثم سألنى عما ذكره لى وهل هو كما قال . فأخبرتُه أنه لم يُخْطىء حَرفاً .

قلت :

تعقيب ابن واصل على أخبار الإفشين

إن الإفشين كان قد تمـكّن عنـد المُعتصم تمكُّنا كثيراً ، لأنه كان خَرج على المُعتصم بابكُ الخُرَّمى فى الخُرَّمية — وهم طائفة من الباطنية — واستولى على حُصون كثيرة ومَعاقل عظيمة ، واُستفحل أمره ، فجهّز المُعتصم إليه الجيُوش العظيمة ، وقدم عليها الإفشين، فحارب بابك حتى ظَفر به ، وتمـكّن الإفشين بسبب ذلك .

وكان المُعتصم قد صلب بابك الْخُرَّمى بسُر من رأى ، لمّا أتاه به الإفشين ، ثم غضب المُعتصم بعد ذلك على الإفشين وحَبسه ، ثم قَتله وصَلبه على خَشبة إلى جانب خَشبة بابك .

إنكار ابن أبى دواد الغناء عليه

وذُكِر أن القاضى أحمد بن أبى دُوَاد كان يُنكر أمر الغِناء إنكاراً شديداً . فأخبره المُعتصم أنّ صديقه أبا دُلف يُغنِّى ، فقال : ما أُراه مع عقله يفعل ذلك . فستَر المُعتصم أحمد بن أبى دُوَاد فى موضع وأَحضر أبا دُلف وأمره أن يُغنِّىَ . ففعل ذلك وأَطال . ثم أخرج ابن أبى دُوَاد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ فى وجهه. فلما رآه أحمد قال : سَوْءةً لهذا من فِعل ! بعد هذه السن وهذا المحَلّ تَضع نفسك كما أرى ! فخجل أبو دُلف من ذلك وقال : إنهم أكرهونى عليه . فقال : هَبْهم أكرهوك على الغِناء ، أفأكرهوك على الإحسان فيه والإصابة .

شعر على بن جبلة فى ملحه

وأبو دلف هو الذى قال فيه علىُّ بن جَبلة ، المعروف بالعَكَوَّك :

إنّما الدُّنيا أبو دُلفٍ بين مَغزاه ومُحْتَضَرِهْ
فإذا وَلّى أبو دُلفٍ ولَّت الدُّنيا على أثره

وأَحقد هذان البيتان المأمونَ حتى سَلّ لسان علىّ بن جَبلة من قَفاه . وسيأتى ذكر ذلك فى أخبار علىّ بن جَبلة .

هو وأبو البخترى

وحُكى أن أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال :

كُنا عند أبى العبّاس المُبرّد يوماً ، وعنده فتًى من ولد أبى البَخْترىّ القاضى أمردَ حَسن الوجه ، وفتًى من ولد أبى دُلف العِجْلىّ شَبيه به فى الجَمال ، فقال المُبرِّد لابن أبى البَختِرىّ : أعرف لجدِّك قصةً ظَريفة فى الكَرم حَسنة لم يُسْبق إليها . فقال : وما هى ؟ قال : دُعى رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع ، فسقَوْه نبيذاً غير الذى كانوا يَشربون منه ، فقال فيهم :

نَبيذان فى مجلسٍ واحدٍ لإيثار مُثْرٍ على مُقْتِرِ
فلو كان فِعْلك ذا فى الطَّعامِ لَزِمْتَ قياسَك فى المُسْكِرِ
ولو كنتَ تطلُب شأو الكِرام صنعتَ صَنيع أبى البَخْتَرِى
تَتَّبع إخوانَه فى البلاد فأغنى المُقِلَّ عن المُكثر

و بلغت الأبياتُ أبا البَخترىّ فبعث إليه بثلاثمائة دينار .

قال ابن عمار : فقلتُ: قد فعل جَدُّ هذا الفتى ما هو أحسنُ من هذا . فقالوا : وما فعل ؟ قلتُ : بلغه أن رجلاً افتقر فقالت له امرأته : افترضْ فى الجند . فقال :

إليكِ عنِّى فقد كَلَّفتنى شَططاً حَمْلَ السِّلاح وقولَ[1] الدَّارعين قِفِ
تَمشِى المَنايا إلى قومٍ فأكرهُها فكيف أسْعى إليها عارِىَ الكَتِف
حَسبتِ أنّ نَفادَ المال غَيَّرنى وأنّ رُوحِىَ فى جَنْبَىْ أبى دُلَف

فأحضره أبو دلف وقال له : كم أمّلت امرأتك أن يكون رزقك ؟ قال : مائة دينار . قال: وكم أمّلت أن تَعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : ذلك لك علىّ على ما أمّلتْ امرأتُك فى مالنا دون مال السلطان . وأمر بإعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجه ابن أبى دُلف تهلّل ، وانكسر ابن البَخْترىّ .

عتابه لابن جبلة على انقطاعه عنه ورده عليه

وحَكى علىّ بن جبلة العَكوّك قال :

زُرت أبا دُلف بالجبل ، فكان يُظهر من برِّى وإكرامى والتَّحفِّى بى أمراً مُفرطا ، حتى تأخرتُ عنه حيناً حياءً . فبعث إلىّ مَعقل بن عيسى فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعتَ عنِّى ، وأحسبُك قد استقللتَ برِّى وإكرامى ، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأزيدك فيه حتى تَرضى . فقلت : والله ما قَطعنى إلا إفراطُه فى البرِّ ، وكتبت إليه :

هجرتُك لم أهْجُرْك من كُفر نِعْمةٍ وهل يُرْتَجى نيلُ الزيادة بالكُفرِ
ولكنّنى لمّا أتيتُك زائراً وأفرطتَ فى برِّى عجزتُ عن الشُّكر

(١) فى الأغانى : « وقيل » .

فَمِـلْآنَ لا آتيك إلا مُسَلِّماً أَزورك فى الشّهرين يوماً أو(١) الشَّهر
فإن زِدْتنى بِرًّا تزايدتُ جَفْـوةً ولم تَلْقنى طُولَ الحياة إلى الحَشْر

فلمـــا قرأها مَعقل اُستحسنها وقال : أحسنتَ والله ! أما إن الأمير لتُعجبه هذه المَعانى .

فلما أوصلها إلى أبى دُلف قال : قاتَله الله ! ما أَشعره وأدقّ معانيَه ! وأَعجبتْه . وأجابنى لوقته ، وكان حَسن البديهة حاضرَ الجواب :

ألا رُبّ ضَيفٍ طارقٍ قد بَسطتهُ وآنستُه قبـل الضّيافة بالبِشْرِ
أتانى يُرجِّينى فما حال دونه ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلى سِتْرى
وجــدتُ له فضــلاً علىّ بقَصْده إلىّ و بِرًّا زاد فيــه على بِرِّى
فـزوّدتُه مالاً يقِـلُّ بقـاؤه وزوّدنى مَدحاً يدُوم على الدّهر

قال: و بعث الأبيات إلىّ مع وصيف، و بعث إلىّ ألف دينار . فقلت حينذاك :

إنما الدنيا أبى دلف . . . الأبيات

اعتراف ابن جبلة بالتقصير فى حقه

وحكى إبرهيم بن خلف قال :

بينا أبو دُلف يَسير مع مَعقل ، ونحن إذ ذاك بالعِراق ، إذ مرّ بقَصر، فأشرفت منه جاريتان . فقالت إحداهما للأُخرى : هذا أبو دُلف الذى يقُول فيه الشاعر :

إنما الدنيا أبو دلف . . .

فقالت الأُخرى : أو هذا هو ؟ قد واللهِ كنتُ أُحبّ أن أَراه منـذ سمعتُ ما قِيل فيه . فاُلتفت أبو دُلف إلى مَعْقل وقال : ما أَنصفْنا علىَّ بن جَبـلة ولا وفّيناه حقّه .

(١) فى الأصل : « وفى » مكان « أو » .

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

طبقته فى الشعر

قد مَضى نسبُ جدِّه حسّان ، وهو شاعر من شُعراء الدَّولة الأمويّة، متوسِّط فى طَبقته ، ليس معدوداً من الفُحول .

هو وخلفاء بنى أمية

وفد إلى الخلفاء من بنى أُميّة فمدَحهم ووَصلوه ، ولم تكن له نَباهة أبيه وجدِّه .

هو وهشام وابن عبد الأعلى

وذُكِر أنّ سعيد بن عبد الرحمن وَفد على هشام بن عبد الملك ، وكان جميلَ الوجه . واختلف إلى عبد الصَّمد بن عبد الأعلى ، مؤدِّب الوليد بن يزيد ، وكان لُوطيًّا زِنْديقاً ، فأراده على نفسه . فدخل سَعيدٌ على هشام مُغضَباً وهو يقول :

إنه والله لولا أنت لم   يَنْجُ منِّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

فقال هشام . ولم ذا ؟ فقال :

إنه قد رام منِّى خُلةً   لم يَرُمْها قَبله منِّى أَحَدْ

فقال : وما هى ؟ فقال :

رام جهلاً بى وجهلاً بأبى   يُدخل الأَفْعى إلى غِيل الأَسَدْ

فضحك هشامٌ وقال : لو فعلتَ به شيئًا لم أُنكر عليك .

لم يقض له ابن حزم حاجة وقضاها غيره فهجاه

وذُكِرَ أنّ سعيد بن عبد الرحمن سأل أبا بكر محمد بن عَمرو بن حَزم حاجةً له . فكلّم فيها سليمان بن عبد الملك ، فلم يَقْضها له . ففزَع فيها إلى غيره ، فقَضاها . فقال :

سُئلتَ فلم تَفْعل وأدركتُ حاجتى   تَولَّى سواكم حَمْدَها واصطناعَهَا

أَبَى لك كَسْبَ الحمد رأىٌ مُقصِّرٌ ونفسٌ أضاق اللهُ بالخير باعَها
إذا ما أرادتْه على الخير مرةً عَصاها وإن هَمّت بشرٍّ أطاعها

أوصى ابن الرقاع رجلا من الأنصار بشعره

وحُكى أن رجلاً من الأنصار قال لعدىّ بن الرِّقاع : اكتُبنى شيئاً من شعرك . قال : ومِن أىّ العرب أنت ؟ قال : رجلٌ من الأنصار . قال : مَن منكم القائل :

إنّ الحَمامَ إلى الحجاز يَهيج لى طَرَباً ترَنُّمه إذا يترَنّمُ
والبرقُ حين أشيمُه مُتيامِناً وجنائبُ الأَرواح حين تَنسَّم

فقال له : سعيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال له : عليكم بصاحبكم فاُكتُب شعره ، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

من شعره

وهذا الشعرُ من قصيدة ، منها :

بَرِحَ الخفاء فلستَ[1] مابك تكتُمُ والشَّوقُ يُظهِر ما تُسِرّ فيُعْلَمُ
وحملتَ سُقْماً من علائق حُبِّها والحبُّ يَعْلَقه الصحيحُ فيَسْقَمُ
علويّةٌ أَمست ودون مَزارها مِضمارُ مصرَ وعابدٌ[2] والقُلْزُم
خَوْدٌ تُطيف بها نواعمُ كالدُّمَى مما اصطفى ذو النِّيقة[3] المُتوسِّم
حُلِّين مَرْجانَ البحُور وجوهراً كالجمر فيه على النُّحور يُنظَّم

ومنها :

لو لَجّ ذو قَسَمٍ على أن لم يكن فى الناس مُشْبُهها لَبَرَّ المُقسِم
من أجلها ترْكى القَرارَ وخَفْضَه وتَجشُّمى ما لم أكن أتجشَّم

(١) فى بعض أصول الأغانى : «فأى» مكان «فلست» .
(٢) عابد : جبل بمصر . والقلزم : بلد قرب جبل الطور ، إليها يضاف بحر القلزم .
(٣) النيقة : التخير .

ولقد كتمتُ غـداةَ بانتْ حاجةً ... فى الصَّدر لم يعـلم[1] بها مُتكلِّمِ
رَقراقةٌ فى عُنفوان شَبابهـــا ... فيهـا عن الخُلُق الدَّنىِّ تَـكرُّمِ
ضَنَّت على مُغْرًى بطُول سُؤالها ... صَبٍّ كما يَسَلُ الغـنىَّ المُعْـدِمِ

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبـــار سعيد بن عبد الرحمن ابن حسان ، هو قولُه :

عَتَق الفؤادُ من الصِّبَا ... ومن السَّفاهة والعَـلَاقِ
وحططتُ رحـلى عن قَلُو ... صِ الغىِّ فى قُلُصٍ عِتَاق
ورفعتُ فضـلَ إزارىَ الـ ... مَجرور عن قَدمى وساقى
وكَففتُ غَرْبَ النَّفْس حـتَّى ما تتوق إلى مَتـاق

(١) فى الأصل : « لم يك لى » مكان « لم يعلم » .

أخبار الأخطل (*)

نسبه

هو غِياث بن غَوْث بن الصَّلْت بن طَارقة بن (1) سَيْحان بن عَمرو بن الفَدَوْكس بن عمرو بن مالك بن جُشَم بن بكر بن حَبيب بن عَمرو بن غُنْم بن تَغلب . ويكنى : أبا مالك .

وقيل : هو غِياث بن غَوث بن سَلمة بن طارقة .

ويقال لسلمة : سَلَمَةُ اللحّام .

جده أحد فرسان العرب

ويقال : إن النُّعمان بن المُنذر بَعث بأَربعة أرماح لفُرسان العرب . فأَخذ أبو بَرَاء عامرُ بن مالك رُمحاً ، وسَلَمة بن طارقة اللحّام — جد الأخطل — رُمحاً ، وأَنس بن مُدركة (2) رُمحاً ، وعَمرو بن مَعد يكرب رُمحاً .

سبب تلقيبه بالأخطل

والأخطل لقبٌ غَلب على غِياث بن غَوث . قيل : إنه هجا رجلاً من قومه ، فقال : يا غلام ، إنك لأَخطل . فغَلبت عليه . والأخطل : السَّفيه .

محله فى الشعر

وكان الأخطل نَصرانيًا من أهل الجَزيرة : ومحلُّه فى الشِّعر أكبرُ من أن يَحتاجَ إلى وَصف .

هو وجرير والفرزدق

وهو وجَرير والفَرزدق طبقةٌ واحدة . جعلها ابنُ سلّام أولَ طَبقات الإسلام . ولم يَقع إجماعٌ على أحدهم أنه أفضلُهم . ولكُل واحدٍ منهم طبقةٌ تُفَضِّله على الجماعة .

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار الأخطل حديثاً قصيراً عن « البردان » المغنى . مر عنه ابن واصل.

(1) فى بعض أصول الأغانى : « ويقال : ابن » .

(2) فى بعض أصول الأغانى : « مدرك » .

طريقته فى الشعر

وذكر الأصمعىّ أن الأخطل كان يقــول تِسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُظهرهــا[١].

بين نوح بن جرير وأبيه فى شأنه

وحَــكى نُوح بن جَرير قال :

بينا أنا آكُل مع أبى يوماً ، وفى فيه لُقمة وفى يده أُخرى ، إذ قلتُ : يا أَبى، أنت أشعرُ أم الأخطل ؟ فَجرِض بالتى فى فيه ورَمى بالتى فى يده ، وقال : يا بُنَىّ ، لقد سرَرْتَنى وسُؤتنى ، فأمّا سُرورك إيّاى فَلِتَعَهُّدك لمثل هذا وسُؤالك عنه ؛ وأما ما سُؤتَنى به فَلِذكرك رجلاً قد مات ! يا بُنَىّ ، أدركتُ الأخطل وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُــه وله ناب آخر لأَكلنى به . وأعاننى عليه خَصلتان : كِبرُ سِنٍّ ، وخُبْث دِين .

لحماد وقد سئل عنه

وسُئل حمّاد الراوية عن الأخطل فقال : ما تَسألوننى عن رجل قد حَبَّب إلىّ شعرُه النَّصرانيةَ .

لأبى عمرو فيه

وقال أبو عُبيدة : قال أبو عمرو :

لو أدرك الأخطلُ يوماً من أيام الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحداً .

ويقال : إن الأخطل أدركه جريرٌ وقد تحطّم . وكان الأخطل أسنَّ من جرير .

لأبى عبيدة فيــه

وكان أبو عُبيدة يقول :

أشعرُ[٢] أهل الإسلام : الأخطل ، ثم جرير ، ثم الفرزدق .

وكان أبو عمرو يُشبِّه الأخطل بالنابغة ، لصحّة شِعره .

هو وعبدالملك ابن مروان

وذُكِر أن الأخطل قال يوماً لعبــد الملك بن مَروان : أمير المؤمنين ، زَعم ابنُ المراغة أنه يبلُغ مِدْحتك فى ثلاثة أيام ، وقد أقمت فى مِدْحتك :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فيطيرها » . (٢) فى الأغانى : « شعراء » .

* خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا *

سنة ، فما بلغتُ كُلَّ ما أردتُ . فقال له عبد الملك : فأَسْمعناها يا أخطل . فأَنشده إياها .

قال الراوى : فرأيتُ عبد الملك يتطاول لها . ثم قال : ويحك يا أخطل ! تُريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعرُ العرب ؟ قال : أَكتفى بقول أمير المؤمنين . فأَمر له بجَفْنة كانت بين يَدَيْه فمُلئت دَراهم ، وأُلقيت عليه خِلْعة[1] . وخَرج به مولًى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ! هذا أشعرُ العرب !

وقيل : لما أنشد الأخطلُ عبد المَلك هذه القصيدةَ و بلغ إلى قوله :

شُمسُ العَــداوة حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

قال عبد الملك : هذه المُزمِّرة ! والله لو وَقعت على زُبَر الحديد لأَذابتها ! ثم أمر له بخِلَع . فخلعت عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إن لــكُل قوم شاعراً ، و إنّ الأخطل شاعر بنى أُمية .

أعجب عبد الملك ببيت لـكثير فأنشده خيراً منه

وقيل : أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثيّر :

فما تركوها عَنوةً عن مَوَدَّة ولــكنْ بحدِّ المَشرفيِّ اُستقالَهَا

فأُعجِب بها . فقال الأخطل : ما قلتُ لك والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه .

قال : وما قلت ؟ قال : قلتُ :

أَهَلُّوا من الشَّهر الحرام فأَصبحــوا موالِيَ مُلْكٍ لا طَرِيفٍ ولا غَصْبِ

جعلتُه لك حقًّا وجَعلك ذاك أنّك أخذتَه غَصْباً . قال : صدقتَ .

تفضيله نفسه على جرير و الفرزدق

وحكى شيخٌ من قُريش قال :

رأيتُ الأخطلَ خارجاً من عند عبد الملك بن مروان ، فلما اُعتزل[2] دنوتُ

(١) فى الأغانى : « وألقى عليه خلعاً » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « انحدر » .

منه فقلت : يا أبا مالك ، مَنْ أشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكلْبان المُتعاقران من بنى تَميم — يعنى جريراً والفرزدق — فقلت له : فأين أنت منهما ؟ فقال : أنا واللاتِ أشعرُ منهما . فحلف باللات هُزُؤا واستخفافاً بدينه .

نصيحة رجل من شيبان له أن يهجو جريراً

وذُكر أنّ رجلاً من بنى شَيبان جاء إلى الأخطل فقال : يا أبا مالك : إنّا وإن كُنا بحيث تعلم من افتراق العَشيرة واتصال الحرب والعداوة ، تجمعنا ربيعةُ ؛ وإن لك عندى نُصحاً . قال : هاته ، فما كذبتَ . قلتُ : إنك هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنىٌّ عن ذلك ، والإسلامُ [1] يبسُط لسانه بما يَقبض لسانَك عنه . ويَسُب ربيعةَ سبًّا لا تَقدر على سبّ مُضَر بمثله ، والمُلك فيهم والنُّبوة قبله . فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارّته ومُهارّته . فقال : صدقت فى نُصحك وعرفتُ مرادك ، وصلتْكَ رحِم ! فوالصَّليب والقُربان لأتخلَّصن إلى بنى كُليب خاصةً دون مُضَر بما يَلْبَسهم خِزْيُه ويَشملهم عارُه . ثم اعلم أن العالِمَ بالشعر لا يُبالى — وحقِّ الصليب — إذا مر به البيتُ السائر الجيِّد أمُسلمٌ قاله أم نَصرانىّ .

هو وعبد الملك فى الإسلام

وحُكِى أنّ الأخطل قَدم على عبد الملك بن مروان ، فنزل على سَرجون [2] كاتبه . فقال عبدُ الملك : على مَنْ نزلتَ ؟ فأخبره . فقال : قاتَلك الله ! ما أعلمك بصالح المنازل ! فما تريد أن يُنزلك ؟ [3] قال : دَرْمَكٌ [4] من دَرْمَككم ، ولَحم وخَمر من بَيْت رأس [5] . فضحك عبد الملك وقال له : ويلك ! وعلى أىّ شىء

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولا سيما أنه » مكان « والإسلام » .

(٢) كذا فى الأصل ، وهى رواية الطبرى أيضاً . والذى فى العقد الفريد (٢ : ٣١٧) : « سرحون » بالحاء المهملة .

(٣) أى ما يبرك به .

(٤) الدرمك : دقيق الحوارى .

(٥) بيت رأس : اسم لقريتين معروفتين بالكروم والخمر .

أُقتتلنا إلا على هذا ! ثم قال : ألا تُسلم فنَفرِضَ لك فى الفَيء ونُعطيك عشرة آلاف دِرهم ؟ قال : وكيف بالخمر ؟ قال : وما تَصنع بها ، فإن أولها لمُرّ وإن آخرها لسُكر ! قال : أمّا إذ قلت ذاك ، فإن فيما بين هاتين المنزلتين لمنزلةً ما مُلكك فيها إلا كعُلقة من ماء الفُرات بالإصبع . فضحك ثم قال : ألا تزور الحجّاج فإنه كتب يَستزيرك ؟ قال : أطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ، ولا قُربه على قُربك ، إنى إذاً لكما قال الشاعر :

كمُبتاعٍ بمَرْكبه [(1)] حماراً تخيَّره عن [(2)] الفَرَس الكريمِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمره بمديح الحجّاج ، فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حبالَك زينبٌ ورَعُومُ وبدا المُجَمْجَمُ منهما المَكتومُ

ووجّه القصيدة مع أبنه إليه ، وليست من جيّد شعره .

شعره يخوف عبد الملك من زفر بن الحارث

وكان زُفر بن الحارث الكِلابىّ عاصياً لعبد الملك بن مروان بقِرْقِيسِيا . [(3)] فاستنزله منها عبدُ الملك وأمّنه . فقال الأخطلُ يُخوِّف عبدَ الملك منه :

بنى أُميةَ إنّى ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتنّ فيكم آمناً زُفَرُ
مُفترشاً كافتراشِ الكَلْب [(4)] كَلْكلَه لوقعةٍ كائنٍ فيها لكم [(5)] جَزَر

هو وعبد الملك وذو الكلاع فى أمر زفر

وذُكر أن عبدالملك لما استنزل زُفر من قِرْقِيسيا وأمّنه أقعده معه على سريره . فدخل عليه ابنُ ذى الكَلاَع ، فلما نَظر إليه مع عبد الملك بكى . فقال له : مايُبكيك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أبكى وسيفُ هذا يقطرُ دماً من دماء قَومى فى طاعتهم لك وخلافِه عليك ، ثم هو معك على السَّرير وأنا على الأرض !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ليركبه » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « من » .
(٣) قرقيسيا : بلد على الفرات .
(٤) فى رواية : « الليث » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « فيها له » .

فقال : إنّى لم أُجْلسه معى أن يكون أكرمَ علىَّ منك ، ولكنّ لسانَه لسانى وحديثه يُعجبنى . فبلغت الأخطلَ وهو يشربُ ، فقال : أما والله لأقومن فى ذلك مقاماً لم يقُم فيه ابنُ ذى الكَلاَع . ثم خَرج حتى دخل على عبد الملك ، فلما ملأ عينَه منه قال :

وكأسٍ مثلِ عينِ الدِّيك صِرفٍ تُنسِّى الشاربين لها العُقولاَ
إذا شَرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يَطُولا
مَشى قُرشيّةً لا شك فيها وأَرخى من مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما أخرج هذا منك إلا خُطّة فى رأسك . قال : أجل والله يا أمير المؤمنين ، حين تجلس هذا عدوّ الله معك على سريرك ، وهو القائل بالأمس :

وقد يَنْبُت المَرعى على دِمنَ الثَّرى وتَبقى حَزازاتُ النُّفوس كما هِيَا

فقبض عبدُ الملك رجلَه وضَرب بها صدر زُفر فقَلبه عن السرير ، وقال : لا أذهب الله حَزازات تلك الصُّدور ! فقال: أنشُدكَ الله يا أمير المؤمنين والعَهدَ الذى أعطيتَنى ! فكان زُفر يقول : ما أيقنتُ بالموت قطّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

قوله فى فضله الشعراء

وذُكر أن الأخطل قال :

فضلتُ الشعراء فى المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحقوننى فيه . فأما النَّسيب فقولى :

ألا يا اُسلمى يا هِنْدُ هندَ بنى بَدْر وإن كان حيَّانا عِدًى آخرَ الدَّهرِ
من الخَفِرات البيض أمَّا وشاحُها فيَجرى وأما القُلْبُ[1] منها فلا يَجرى

(١) القلب : السوار .

تموت وتحيا بالضَّجيع وتَلْتوى بمُطَّرِدِ المَتْنَيْن مُنْبَترِ الخَصْر

وقولى فى المديح :

نفسى فداء أميرِ المؤمنين إذا أبدَى النَّواجذ يوماً عارمٌ [1] ذَكَرُ
الخائضُ الغَمرةِ المَيمونُ طائرُه خليفةُ الله يُسْتَسقى به المَطَر

وقولى فى الهجاء :

وكنتَ إذا لقيتَ عَبيدَ تَيْمٍ وتَيماً قلتَ أيُّهم العَبيدُ
لئيمُ العالَمِين يَسُودُ تيماً وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق بن حَنظلة الشَّيبانى ، راوى هذا الخبر :

وصَدق لعَمرى ، إنّه فَضلهم .

شعره فى مطلقة تزوجها

وذُكر أنّ أعرابيّاً طلّق زوجته فتزوّجها الأخطل . وكان الأخطلُ قبل ذلك قد طَلَّق امرأته . فبينا هى معه إذ ذَكرت زوجها الأول ، فتنفّست ، فقال الأخطل :

كلانا على هَمٍّ يبيتُ كأنما بجَنْبيه من مَسِّ الفِراش قُروحُ
على زَوجها الماضى تَنوح وإنّنى على زَوْجتى الأُخرى كذاك أَنُوح

شعره فى امرأة من قومه هجته

وذُكر أن الأخطل هجتْه جاريةٌ من قومه ، فقال لأبيها : يا أبا الدَّلْماء ، إن ابنتك تعرّضت لى فاكفنيها [2] . فقال له : هى امرأة مالكة لأمرها . فقال الأخطل :

ألا أَبْلغ أبا الدَّلْماء عنّى بأنّ سِنانَ شاعرِكم قَصيرُ
فإنْ يَطْعُنْ فليس بذى غَناء وإن يُطْعَن فمَطعنه يَسير

(١) العارم : الشديد .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فاكففها » .

متى ما أَلْقه ومعى سِلاحى يخرّ على القفا وله (١) نخِير

فمشى أبوها فى رجال قومه إلى الأخطل ، فكلّموه . فقال : ما مضى قد مضى ولا أزيد .

الهجاء بينه وبين جرير فى حضرة عبد الملك وقصة أبى سواج

وذكر أنّ الأخطلَ دخلَ على عبد الملك بن مروان وعنده جريرٌ ، فقال : يا أخطل ، هذا — يعنى جريراً — يَسُبك ! وجريرٌ جالس . فأقبل عليه جرير وقال : أين تركت خنازير أُمّك ؟ قال : راعيةً مع أعيار أبيك (٢) ، وإن أتيتنا قَرَيناك منها . فأقبل جرير على عبد الملك فقال : يا أمير المُؤمنين ، إن رائحة الخمر لتفوح منه . فقال : صَدق يا أمير المؤمنين ، وما أعتذر من ذلك . ثم قال :

تَعيبُ الخمرَ وهى شرابُ كِسْرى ويشرب قومُك العَجبَ العَجيبا

مَنِىُّ العَبْد عبدِ أبى سُوَاجٍ أحقُّ من المُدامة أن تَعيبا

والبيت الثانى للأخطل إنما يُفهم بذكر حكاية عجيبة أوردها أبو الفرج ، وهى : أن أبا سُوَاج عبّاد بن خَلف الضَّبّى جاور بنى يَرْبوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها : بَذْوة ، وكانت لصُرَد بن جَمْرَة اليَربوعىّ فرسٌ يقال لها : القَضيب ، فتراهنا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوة ، فظَلَمه صُرد بن جَمْرَة حقَّه ومَنعه سَبَقَه ، وجعل صُرد يفجُر بامرأة أبى سُواج . ثم إن أبا سُواج ذَهب إلى البحرين يَمتار ، فلما أقبل راجعاً ، وكان رجلاً مُعجَباً بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو :

* ياليت شعرى هل بَغَت من بَعْدى *

فسمع قائلاً يقول من خَلفه :

* نعم بمكوىٍّ قَفَاه جَعْدى *

فعاد إلى قوله : فأجابه بمثل ذلك . وقَدم إلى منزله فأقام مُدة . فتغاضب صُرد

(١) وهى رواية الديوان . والذى فى الأغانى المطبوع : * يخر على قفاه فلا يحير * .
(٢) فى الأغانى : « أمك » .

ابن جَمرَة على امرأة أبى سُواج وقال لها : لا أرضى أو تَقُدِّى لى من أست أبى سُواج سَيراً . فأخبرت زوجها بذلك . فقام إلى نَعجة له فذبحها وقدّ من باطن أَلْيتها سيراً فدفعه إليها . فجعله صُرد بن جَمرَة فى نعله ، وقال لقومه : إذا أقبلتُ وفيكم أبى سُواج فسَلُونى : من أين أقبلتَ ؟ ففعلوا . فقال : مِن ذى بِلِيّان[1] ، وأريد ذا بِلِيّان . وفى نعْلى شرا كان من أست إنسان . فقام أبو سُوَاج فطرح ثوبه وقال : أنشُدكم الله ! هل ترون بأساً ؟ ثم أمر أبو سُواج غُلامين له راعيين أن يأخُذا أمةً له فيتراوحاها ، ودفع إليهما عُسًّا وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ فى غير العُسّ لأقتلنّكما . فباتا يتراوحانها و يصُبّان ما جاء منهما فى العُسّ . وأمرها أن يحلُبا عليه . فحلَبا حتى ملآه . ثم قال لامرأته : والله لتسقينّه صُرداً أو لأقتلنّك . واُختبأ وقال : ابعثى إليه حتى يأتيَك . فأتاها كعادته ، كما كان يأتيها . فرحّبت به وأستبطأته . ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيّاه . فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يتَمطَّق[2] من اللبن الذى شَرب ، وقال : إنى أرى لبنكم خاثراً ، أحسب إبلكم رعت السّعدان . قالت: إن هذا من طول مُكثه فى الإناء، أقسمتُ عليك إلّا شربته. فلما وقع فى بطنه وجد الموت . فخرج إلى أهله ولا يعلم أصحابه بشىء من أمره . فلما جَنّ على أبى سُواج الليل أمر أهلَه وغلمانه فانصرفوا إلى قومه، وخلّف الفرس وكلبه فى الدار ، فجعل الكلبُ ينبح والفرس يَصهل ، وذلك ليظن القومُ أنه لم يَرحل . فساروا ليلتهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبه وفرسه وعُسه . فلما أصبح ركب فرسه وأخذ العُس ، فأتى مجلس بنى يَربوع فقال : جزاكم الله من جِيران خيراً ، لقد أحسنتُم الجوار وفعلتم ما كنتم أهلَه . فقالوا : يا أبا سُواج ، ما بدا لك فى الانصراف عنّا ؟ فقال : إن صُرد بن جَمرَة لم يكن فيما بينى و بينه مُحْسناً ، وقد قلتُ فى ذلك :

---

(١) ذو بليان : موضع .

(٢) يتمطق : يتذوق .

إنَّ المَنِيّ إذا سَرى ... فى العَبد أصبح[1] مُسمغدًا
أتُنـــال سَـــلْمى باطلاً ... وخُلِقتُ يوم خُلقتُ جَلْدَا
صُردَ بن جَمْرَة هل لقيـ ... ـتَ رثيئةً لبناً[2] وعَصْدَا

ألا واُعلموا أن هذا القَدَح قد أحبل منكم رجلاً ، وهو صُردبن جَمْرَة . ثم رمى بالعُسّ على صخرة فانكسر . وركض فرسَــه وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم . ولحق بقومه . فقال فى ذلك عُمر بن لجأ التَّيمى :

تُمسِّح يَربوعٌ سِــبالاً لئيمةً ... بها من مَنِيٍّ العَبد رَطْبٌ و يابسُ

و إيّاه يعنى الأخطل بقوله يُعير جريراً :

تَعيب الخمر وهى شرابُ كسرى ... و يَشرب قومُك العجبَ[3] العَجيبَا
مَنِيُّ العبد عبــــدِ أبى سُواج ... أحقُّ من المُدامة أن تَعيبا

حبس القس له ثم إطلاقه إياه

وحكى إسحاق بن عبد الملك النَّوفلى قال :

قدمتُ الشام وأنا شابٌّ أطوفُ كنائسها ، فدخلتُ كنيسةَ دِمَشق ، فإذا الأخطلُ بها محبوس ، فجعلتُ أنظر . فسأل عنّى ، فأُخبر بنَسبى . فقال : يا فتى ، إنك رجلٌ شريف ، و إنّى أسألُك حاجةً . فقلتُ : حاجتُك مقضيَّة . قال : إن القَسّ حَبسنى هاهنا . فتُكلِّمه ليُخلِّى عنِّى . فأتيتُ القَسّ فانتسبتُ له . فرحَّب بى وعظَّم . وقلت : إن لى إليك حاجةً . قال : وما حاجتــك ؟ قلت : الأخطل . قال : أُعيذك بالله من هذا ! مثلُك لا يتكلّم فى فاسق يأخذ أعراض النــاس و يهجوهم ! فلم أزل أطلُب إليــه حتى مَضى متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورَفع عصاه وقال : يا عدو الله ، أتعود تشتُم النــاس وتهجوهم وتقذِف المُحصنات ! وهو

(١) المسمغد : المرتوى من اللبن .
(٢) الرثيئة : اللبن الحامض . والعصد : تحريك العصيدة .
(٣) فى الأصل : « العجابا » .

يقول : لستُ بعائد ولا أفعل ، ويَستخذى له . فقلت له : يا أبا مالك ، الناس يهابونك ، والخليفةُ يُكرمك ، وقدرُك فى الناس قدرُك ، وأنت تخضع لهذا هذا الخُضوع وتَستخذى له ! فجعل يقول : إنه الدِّين .

هو وامرأته وأسقف مر بهما

وذُكر أن امرأة الأخطل كانت حاملاً ، فمر الأُسْقُف يوماً ، فقال لها : الْحَقيه فتمسحى به . فعدَتْ فلم تَلْحق إلّا ذَنَب حماره ، فتمسّحت به ورجعتْ فأخبرتْه . فقال لها : هو وذَنَب حماره سواء .

هو وهشام فى الإسلام

وقيل : سمع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ يقول :

وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائر لم تجدْ ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ

فقال : هنيئاً لك يا أبا مالك هذا الإسلام ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما زلتُ مُسلماً فى دينى .

هو وثقيل

وذُكر أن الأخطل بينما هو جالسٌ يتحدّث مع امرأة من قومه ، و بين يديه باطيةٌ من شراب ، والمرأة تتحدّث وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلَس. فثقُل على الأخطل وكَرِه أن يقول : قُم ، استحياءً منه . وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُباب فوقع فى الباطية فى شرابه . فقال له الرجل : يا أبا مالك ، الذباب فى شرابك . فقال :

وليس القَذى بالعُود يسقُط فى الإنا ولا بذُباب خَطْبُه أيسر الأَمرِ
ولكنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُربه رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندرى

فقام الرجلُ وانصرف .

مدحه عكرمة بن ربعى

وذُكر أن الأخطل قدم الكوفةَ فأتى حَوْشب بن رُوَيْم الشَّيبانى ، فقال : إنى تحمّلتُ حَمالتين لأحقِن بهما دماء قومى . فَنهره . فأتى سيّارَ بن الفريعة(١) ، فسأله ، فاعْتذر . فأتى عِكْرمة الفَيّاض ، وكان كاتباً لبِشْر بن مَروان والى العراقيْن

(١) فى بعض أصول الأغانى : « البزيعة » .

لأخيه عبد الملك ، فسأله وأخبره بما رَدَّ عليه الرجلان . فقال : أمّا إنّى لا أنهرك ولا أعتذر إليك ، ولكنّى أُعطيك إحداهما عيناً والأُخرى عَرَضاً .

أول مدحه عكرمة بن ربعى

وحدَث أمر بالكوفة فاجتمع له الناسُ فى المسجد ، فقيل للأخطل : إذا أردت أن تُكافىء عِكرمة يوماً فاليوم . فلَبس جُبَّة خزّ ورَكب فرساً وتقلّد صَليباً من ذهب ، وأتى باب المسجد فنَزل عن فرسه . فلما رآه حَوْشب وسيّار نَكّسا رأسيهما . فقال له عِكْرمة الفيّاض : إلينا يا أبا مالك . فابتدأ يُنشده قصيدته التى أولها فيها الغناء ، وافتتح بها أبو الفرج أخبار الأخطل ، وهى :

لمن الدِّيارُ بحائلٍ[1] فَوُعالِ ... دَرَسَتْ وغيَّرها سِنونُ خَوالِى
دَرَج البوارحُ فوقها فتنكَّرت ... بعد الأَنيسِ معارفُ الأَطلال
دِمَنٌ تُزَعزِعها الرياحُ وتارةً ... تعفو بمُرْتجز السَّحاب ثِقال
فكأنما هىَ من تقادُم عهدها ... وَرَقٌ نُشِرْنَ من الكتاب بَوالى

حتى انتهى إلى قوله :

إنّ ابن رِبْعِىٍّ كَفانى سَيْبُه ... ضِغْنَ العُداة ونَبْوة[2] البُخّال
أغليتَ حين تواكلتْنى وائلٌ ... إنّ المكارمَ عند ذاك غَوالى
ولقد مَننتَ على ربيعةَ كُلِّها ... وكفيتَ كُلَّ مُواكِلٍ خَذَّال
كابن الفريعة[3] أو كآخرَ مثلِه ... أَوْلى لك[4] ابنَ مُسيمةِ الأجمال
إنَّ اللَّئيم إذا سألتَ بَهَرْتَه ... وترى الكريمَ يَراح كالمُختال
وإذا عدلتَ به رجالاً لم تجدْ ... فيضَ الفُرات كراشحِ الأَوشال

فجعل عِكْرمه يَبتهج ويقول : هذا والله أحبُّ إلىّ من حُمْر النَّعم !

---

(١) حائل : موضع باليمامة . ووعال : جبل بسماوة كلب بين الكوفة والشام .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ضغن العدو وغدرة المحتال » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « البزيعة » . وفى الديوان (ص ١٥٩) : « مثل ابن بزعة » .
(٤) أولى لك : ويل لك .

ثم ذكر أبو الفرج :

أخبار سائب خاثر

ولاؤه

وهو مولى بنى لَيث . وأصله من فَىء كِسْرى . وأشترى عبدُ الله بن جَعفر ابن أبى طالب ولاءه من مواليه .

وقيل : بل أشتراه فأَعتقه .

وقيل : بل كان على ولائه لبنى لَيْث ، وإنما أنقطع إلى أبن جعفر ولزمه وعُرف به .

نشأته

وكان يَبيع الطعام بالمدينة . واسم أبيه الذى أعتقه بنو ليث « يسار[1] » .

أوليته فى الغناء

قيل : وهو أوّل من عَمِل العُود بالمدينة وغنَّى به .

وأَخذ عنه ابنُ سُريج ، وجميلة ، ومَعبد ، وعَزَّة الميلاء ، وغيرهم .

مقتله

وقُتل يومَ الحرّة ، وهو اليوم الذى قَتل فيه عسكرُ يزيدَ بن معاوية أهلَ مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلم وأستباحوها فيه . وقد تقدّم ذكر ذلك فى أول الكتاب .

من غناه

وكان سائب خاثر قد آلى على نفسه ألّا يُغنى أحداً سوى عبد الله بن جعفر ، إلّا أن يكون خليفة أو ولىّ عهد أو أبن خليفة ، فكان على ذلك إلى أن قُتل .

وفوده على معاوية مع ابن جعفر

وذُكر أن عبد الله بن جعفر وَفد على معاوية بن أبى سُفيان ، ومعه سائب خاثر ، فوقّع له فى حوائجه . ثم عَرض عليه عبدُ الله حاجةً لسائب خاثر ، وسأله أن يصلَه . فسأله عنه مُعاوية . فقال : إنه رجلٌ من أهل المدينة لَيْثىّ يَروى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بشا » .

الشعر . قال : أوكُل من يروى الشعر أرادَنا أن نَصلَه ! قال : إنه يُحسِّنه . قال : وإن حَسَّنه ! قال: أفأُدخله عليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم . فألْبسه مُمصَّرتين[1] : إزاراً ورداء . فلما دخل قام على الباب فغنّى :

لمنِ الديارُ رُسومُها قَفْرُ لعبتْ بهـا الأرواح والقَطْرُ
وخَلا لها من بعد ساكِنها حِجَجٌ مضَيْن ثمانٍ أو عَشْر
والزَّعفرانُ على ترائبهـا شَرِقٌ به اللَّبـاتُ والنَّحْر

فالتفت معاوية إلى عبدالله بن جعفر وقال : أشهدُ لقد حسَّنه ! وقضى حوائجه وأحسن إليه .

حديث مقتله يوم الحرة

وذُكر أنه لما كان يوم الحَرَّة خَرج مع أهل الشام ، وكان يخشى على نفسه منهم ، وجَعل يحدِّثهم ويقول : أنا مُغنٍّ ومن حالى ومن قِصتى كَيْت وكَيْت، وقد خدمتُ أمير المُؤمنين يزيد وأباه قبله . فقالوا : فغَنِّ لنا . ففعل . فقام إليه أحدُهم فقال : أحسنت والله ! ثم ضَربه بالسيف فقتَله .

ليزيد فى مقتله

وبلغ يزيدَ بن معاوية خبرُه ، ومرّ به اسمه فى أسماء من قُتل يومئذ ، فلم يعرفه ، فقال : من سائب خاثر هـذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغنِّى . فعرفه فقال : ويله ! مالنا وله ! ألم نُحسن إليه ونَصلْه ونَخلطْه بأنفسنا ! فما الذى حمله على عَداوتنا ! لا جَرم أن بَغْيَه صَرعه !

وقيل : إنه قال : إنّا لله ! أو بلغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقته ! ما أُرى أنه بقى بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قبحَكم الله يأهل الشام ! تجدهم صادفوه فى حديقة أو حائط مُستتراً منهم فقتلوه .

---

(١) الممصر من الثياب : الذى فيه صفرة خفيفة .

ذكر جرادتى عبد الله بن جدعان

وشىء من أخبار ابن جدعان

أصلهما

كان لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعب بن سَعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كَعب ابن لُؤىّ أَمَتان تُسمَّيان الجرادتَيْن، تتغنّيان فى الجاهليّة ، سمّاهما بجرادتَىْ عادٍ .

شىء عن ابن جدعان

وكان عبدُ الله بن جُدْعان سيِّداً مُمدَّحاً فى قُريش ، وهو ابن عَمّ أبى قُحافة ، أبى أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه . وأدركه النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم وحَضر مَأْدُبته قبل النبوة .

قدوم أمية على ابن جدعان وأخذه الجرادتين

وذُكر أن أُمية بن أبى الصّلت الثَّقفىّ قَدِم على عبد الله بن جُدْعان ، فلما دَخل عليه ، قال له عبد الله : أَمرٌمّا أتى بك ؟ فقال أُمية : كلابُ غُرَماءَ قد نبَحَتنى ونَهشتْنى . فقال له عبدُ الله : قَدِمْتَ علىّ وأنا عليلٌ من حُقوق لَحقتْنى ولَزمتْنى ، فأَنْظِرنى قليلاً يَجُمّ(١) ما فى يدى ، وقد ضَمنتُ قضاءَ دَينك ، ولا أسألُ عن مَبلغه . فأقام أُميةُ أياماً ثم أتاه ، فقال :

أأذكُر حاجتى أم قد كَفانى ... حياؤُك إنّ شِيمَتَك الحَياءُ

وعِلْمُك بالأُمور وأنت قَرْمٌ ... لك الحَسبُ المُهذَّب والسَّناءُ

كريمٌ لا يُغيِّره صَباحٌ ... عن الخُلق السَّنِىّ ولا مَساءُ

يُبارى الرِّيحَ مَكْرُمةً(٢) ومَجداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحره الشِّتاءُ

إذا أَثنى عليك المرءُ يوماً ... كَفاه من تَعرُّضه الثَّناءُ

إذا خَلّفْتَ عبدَ الله فاعلم ... بأنّ القَوم ليس لهم(٣) جَداءُ

---

(١) يجم : يجتمع ويكثر .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وجودا » .
(٣) الجداء : الغناء . وفى بعض أصول الأغانى : « جزاء » .

فأَرضُـك كُلُّ مَـكرُمة بناهـا ... بنو تَيْمٍ وأنت لهم [1] سَمـاء
فأَبْرَز فضـلَه حقًّا عليهـم ... كما برزت لناظِرهـا السماء
وهل تَخْفى السماء على بَصـيرٍ ... وهل بالشمس طالعةً خَفـاء

فلما أَنشده أُميةُ هذا الشعرَ كانت عنده الجَرادتان ، فقال لأُمية : خُذ أَيّتَهما شئتَ . فأَخذ إحـداهما وانصرف . فمرّ بمجلسٍ من مَجالس قُريش فلامُوه على أَخذها وقالوا له : لقد لَقيتَه عليـلاً ، فلو ردَدْتَها عليه ، فإنّ الشيـخَ يحتاج إلى خِدمتها ، كان ذلك أقربَ لك عنده وأَكثرَ مِن كُل حقّ ضَمِنـه لك . فوقع الـكلامُ مِن أُمية موقعاً وندم . فرَجع إليه ليردّها عليه . فلما أتاه بها ، قال ابنُ جدعان : لعلك إنما رَدَدْتَها لأنّ قُريشاً لامُوك على أَخـذها . ووَصف لأُميـة ما قال القومُ له . فقال أُمية : والله ما أخطأتَ يا أبا زُهير ! فقال عبدُ الله : فما الذى قلتَ فى ذلك ؟ فقال أُمية :

عَطـاؤُك زَينٌ لامرىءٍ إنْ حَبَوتَه ... ببَـذْلٍ وما كُلُّ العَطـاءِ يَزِينُ
وليس بشَينٍ لامرىءٍ بَذْلُ وجهــه ... إليكَ كما بعضُ السؤال يَشِـين

فقال عبدُ الله لأُمية : خُذ الأُخرى . فأَخذهما جميعاً وخرج . فلمـا صار إلى القوم بهما أنشأ يقول :

وما لِى لا أُحيِّيـه وعنـدى ... مواهبُ يَطَّلِعْن من [2] النِّجادِ
لأَبْيَضَ من بَنى [3] عمرو بن تَيم ... وهُم كالمَشْرفيّات [4] الحِـداد

(١) فى الأصل : « بهم » .
(٢) النجاد : جمع نجد ، وهو ما أشرف وارتفع واستوى من الأرض . يصف مكانه بالشرف والسمو .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بنى تيم بن كعب » .
(٤) المشرفيات : جمع : مشرفى ، وهو السيف ، نسبة إلى : مشرف ، واحد المشارف — قرى من أرض اليمن — لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن ، فلا يقال : مهالبى ، ولا جعافرى ، ولا عباقرى .

لـكل قَبيـلةٍ هادٍ (١) ورأسٌ وأنت الرأسُ يَقْدُم كُلَّ هادِى
عِمَاد (٢) الخيْف قد علمْتَ مَعدٌّ وإنّ البَيْتَ يُرفـع بالعِمَاد
له داعٍ بمـكّة (٣) مُشْمَعِلٌّ وآخـرُ فوق دارته يُنـادى
إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى (٤) مِلَاءٍ لُبابَ البُرِّ يُلْبَكُ (٥) بالشِّهاد

حديث صنع ابن جدعان الفالوذ بمكة

ذُكر أنّ عبد الله بن جُدعان وَفد على كِسْرى فأَكل عنده الفالُوذ ، فسأل عنه، فقيل له : هذا الفالوذ . فقال : وما الفالوذُ ؟ فقالوا : لباب البُرّ يُلْبك مع عَسل النَّحل . فقال : اُبغُونى غُلاماً يَصْنعه . فأَتَوْه بغُلام يَصنعه . فابْتاعه ، ثم قَدم به مكة معه ، فصَنع له الفَالوذ بمكّة . فوَضع الموائد من الأَبْطح إلى باب المَسجد ، ثم نادى مناديه : ألا مَن أراد الفَالُوذ فَلْيَحْضر . فَحَضر الناسُ . وكان فيمن حَضر أُميةُ بن أبى الصَّلت . فهذا مَعنى قول أمية :

له داع بمكة مُشْمعل ... ... البيتين

من شعر أمية فى ابن جدعان

وقال فيه أيضاً :

ذُكرُ ابن جُدْعانٍ بخَيـ ـرٍ كلّما ذُكِر الـكرامُ
مَن لا يَخُون ولا يَعُـ ـقُّ ولا تُبخِّـلُه (٦) اللِّئام
يَهبُ النَّجيبةَ والنَّجيـ ـب له الرِّحالةُ (٧) والزِّمام

(١) الهادى : كل متقدم .
(٢) الخيف : ما ارتفع عن مسيل الماء وانحدر عن غلظ الجبل . وفى بعض أصول الأغانى : « له بالخيف » .
(٣) مشمعل : مبادر .
(٤) ردح : جفان عظام ؛ الواحدة : رداح . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع .
(٥) الشهاد : العسل ؛ جمع : شهد .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « تغيره » .
(٧) النجيبة والنجيب : الكريمة والكريم من الإبل ، والخيل . والرحالة : السرج . والزمام : المقود . والرواية فى غير التجريد : « نجب النجيبة » .

حديث آخر عن أخذ أمية الجرادتين

وقيل :

إن أُميّة بن أبى الصَّلت رآه عبدُ الله بن جُدْعان ينظر إلى الجرادتين وهو عنده فوهبه إياهما .

سؤال عائشة النبى صلى الله عليه وسلم عن شأن ابن جدعان

وروت عائشةَ رضى الله عنها قالت :

قلتُ : يا رسول الله ، إن ابن جُدْعان كان فى الجاهليّة يصل الرَّحمَ ويُطعم المسكين ، فهل ذلك نافعُه ؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم : لا ، إنه لم يقُل يوماً : رَبِّ اغفرلى خَطيئتى يوم الدين .

استشهد ابن عيينة بشعر لأمية فى تفسير حديث

وحَكى الُحسين بن الحسن المَرْوزىّ قال :

سألتُ سُفيان بن عُيَينة فقلتُ : أبا محمد ، ما تَفسير قولِ النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم : « كان مِن دُعاء[1] الأنبياء قَبلى بعرَفة :[2] لا إله إلا الله وحدَه لاشريكَ له ، له المُلك وله الحمد وهو على كُل شىء قدير » . وإنما هو ذِكْر وليس فيه من الدُّعاء شىء ؟ فقال لى : أعرفتَ حديثَ مالك بن الحارث : يقول الله جلّ ثناؤه : إذا شَغل عَبدى ثناؤه علىّ عن مسألتى أعطيتُه أفضلَ ما أُعطى السائلَ ؟ قلت : نَعم ، أنتَ حدّثْتَنيه عن مَنصور عن مالك بن الحارث . فقال: هذا تفسيرُ ذلك . ثم قال : أمَا علمتَ ما قال أُميّة بن أبى الصّلت حين خَرج إلى ابن جُدْعان يطلُب نائلَه وفَضْلَه ؟ قلت : لا أدرى . قال : قال :

إذا أثنى عليك المرءُ يوماً كَفاه من تَعرُّضه[3] الثناءُ

ثم قال سُفيان بن عُيينة : فهذا عبدٌ مَخلوق يُنْسَب إلى الُجود ، فقيل له : يكفينا من مَسألتك أن نُثنىَ عليك ونسكتَ حتى تأتىَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق سبحانه !

(١) فى بعض أصول الأغانى : « كان من أكثر دعاء » .
(٢) زيادة انفرد بها التجريد .
(٣) فى التجريد : « تعرضك » .

شعر أمية فى احتضار ابن جدعان

ذُكِر أن أمية بن أبى الصّلت دَخل على عبد الله بن جُدْعان وهو يجود بِنَفسه . فقال له أُمية : كيف تجدك يا أبا زُهير ؟ فقال : إنِّى لَمُدابر ـ أى ذاهب ـ فقال أُمية :

عَلِم ابنُ جُدْعانَ بن عمـرو أنّه عنّا [١] مُدَابِرْ
ومسافرٌ سَـفراً بعيـداً لا يَؤُوب به المُسافِر
فقُـدورُه بِفِنـائه للضَّيْف مُتْرَعَةٌ زَوَاخِر
تَبْدو الكُسورُ مِن انْضِراج الغَلْى فيها [٢] والكَراكِر
فكأنّهن بما حَمِيـنَ وماشَجِين [٣] به ضَرائر
بَذَّ المَعَاشِرَ كُلَّهـا بالفَضْل قد عَلِم المَعاشِر
وعَـلا عُلُوَّ الشَّمس حتَّى ما يُفاخِرُه مُفاخِـر
دانت له أفنـاء [٤] فِهْـرٍ من بنى كَعبٍ وعامر
أَنت الجوادُ ابن الجـوا د بكم يُنافِر مَن يُنافر

لابن جدعان فى تركه الخمر

وحَكى ابن أبى الزِّناد قال :

ما مات أحدٌ من كُبراء قُريش فى الجاهليّة حتى ترك الخمرَ استحياءً ممّا فيها من الدَّنَس ، ولقد عابها ابنُ جُدعان قبل موته فقال فيها :

شَرِبتُ الخمرَ حـتّى قال قَومى أَلستَ عن السَّفَاه بِمُسْتَفيقِ
وحـتى ما أُوسَّـدُ فى مَبيتٍ أَنام به سوى التُّرْب السَّحِيق

(١) فى رواية : « يوماً ».
(٢) الكسور : أنصاف العظام بما عليها من اللحم . والانضراج : الانفراج . ويريد بانضراج الغلى : تفاريق الماء إذا غلا فبان ما فيه . والكراكر : أصوات الماء فى غليه .
(٣) حميت القدر : فارت وغلت . وشجين : غصصن امتلاءً ، والضرائر : المختلفات . جعل اضطراب القدر بما فيها من هذا . وفى بعض أصول الأغانى : « وما شحن بها » مكان « وما شجين به » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « أبناء » .

وحتى أَغْلَقَ الحانوتُ[١] رَهْنى ... وآنستُ الهوانَ من الصَّديق

وكان سببُ تركه الخمر أنّ أُمية بن أبى الصَّلت شَرِب معه ، فأصبحت عينُ أُمية مُخضرّة يُخاف عليها الذّهاب ، فقال له : ما بال عينك ؟ فسكت . فألحّ عليه . فقال : أنت صاحبُها ، أصبتَها البارحة . فقال له : أَوَ بلغ منّى الشرابُ ما أبلغُ معه من جليسى هذا ! لا جرَم ، لأَدِينَّها لك دِيَةَ عَيْنين .[٢] فأعطاه عشرة آلاف درهم . وقال : الخمر علىّ حَرام أنْ أذُوقها أبداً . وتركها من يومئذ .

---

(١) أغلق الرهن : استحقه . والحانوت : الخمار . وهو أيضاً : دكانه .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لأدينها لك ديتين » .

أخبار سلّامة القسّ

شيء عنها وعمن أخذت الغناء

هي مُولَّدة من مُولَّدات المَدينة ، بها نشأت . وأَخذت الغِناء عن مَعبد ، وأُبن عائشة ، وجَميلةَ ، ومالك بن أَبي السَّمح . ومَهرت في الغِناء .

سبب تلقيبها

و إنمـا سُمِّيت سلاَّمةَ القَسّ لأن رجلاً ، يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّـار الجُشَمِيّ من قُرّاء أهل المدينة ، كان يُلقَّب بالقَسّ لعبادته ، شُغف بها وشُهر حتى غَلب عليها [1] .

اشتراها يزيد وعاشت بعد موته

وأُشتراها يزيدُ بن عبد الملك في خِلافة سليمان بن عبد الملك أخيه . وعاشت بعده . وكانت تَندُبه لما مات بهذا الصوت :

قد لَعمْرى بِتُّ لَيْلِي　　　كأخِي الدَّاء الوَجِيـع

وقد تقدّم هذا البيتُ وما بعده من الأبيات في أخبار الأحوص .

إحدى من اتهم بهن الوليد

وكانت سلاّمة إحدى من اُتهم بهنّ الوليدُ بن يزيد مِن جواري أبيه حين قال له قَتَلتُه : نَنقِم عليك أنّك تَطأ جَوارِي أبيك . وقد تقدّم ذِكْر ذلك في خبر مَقتل الوليد بن يزيد .

هي وحبابة

وذُكر أنّ حَبابة وسلاّمة القس كانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين سلاّمة أحسنهما غناء ، وحَبابة أحسنهما وجهاً . وكانت سلاّمة تقول الشِّعر . وكانت حَبابة تَتعاطاه ولا تُحسنه . وكانت سلاّمة لسُهيل بن عبد الرحمن، ولها يقول ابنُ قيس الرُّقيات :

لقد فَتنتْ ريًّا وسَـــلاّمةُ القَسَّا　　　فلم تَتْركا للقسِّ رُوحاً [2] ولا نَفْسا

فتـــاتانِ أمّا منهمـــا فشبيهةُ الـ　　　هلالِ وأُخرى منهمـــا تُشبه الشَّمسا

---

(١) في بعض أصول الأغاني : « فغلب عليها لقبه » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « عقلا » مكان « روحاً » .

حديث افتتان القس بهـا وشعره فيها

وكان مَنزل القَسّ بمكّة ، وكان من أَعْبَد أهلها ، يُشَبَّه بعَطاء بن أبي رَباح ، وأنه سَمِع غِناء سَلاّمة على غير تعمُّد لذلك ، فبلغ غناؤها منه كُلَّ مَبلغ . فرآه مولاها ، فقال له : هل لك أن تَدْخُل ؟ فأَبى . فقال مولاها : أنا أُقعدها بحيث تَسمع غناءها ولا تراها ولا تراك . فأبى . فلم يزل به حتى دَخل ، فأسمعه غناءها، فأعجبه . فقال له : هل لك أن أُخرجها إليك ؟ فأبى . فلم يَزل به حتى أخرجها ، فأقعدها بين يديه ، فغنّت . فشُغف بها وشُغفت به . وعَرف كُلَّ ذلك أهلُ مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبُّك ! فقال لها : وأنا والله الذى لا إله إلا هو أُحِبّك! فقالت : وأنا والله أشتهى أن أُعانقك وأُقبّلك ! قال: وأنا والله أشتهى مِثْل ذلك! قالت : فأشتهى أن أُضاجعك وأَضع فمى على فَمِك ، وصَدرى على صدرك ! قال : وأنا والله كذلك ! قالت : فما يمنعك من ذلك ، فوالله إنّ المكان لخال ؟ قال : يمنعنى قولُ الله عز وجلّ : (الأَخِلاَّء يَوْمئذٍ بعضُهم لبعضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقين) وأكره أن تتحول مودّتى إياك عداوةً يوم القيامة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك ، ولم يَعُد إليها بعد ذلك ، وقال :

إنّ التى طَرَقتْك بين ركائبٍ ... تَمْشى بِمِزْهَرِها وأنت حَرامُ
لِتَصِيدَ قَلْبَك أو جزاءَ مودَّةٍ ... إنّ الرّفيق له عليك ذِمام
باتت تُعلّلنا وتَحسب أننـا ... فى ذاك أيقاظٌ ونحن نِيام
حتى إذا سَطع الضِّياءُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننـا أَحلام
قد كنتُ أَعذُل فى السَّفاهة أهلَها ... فاعجبْ لما تأتى به الأيام
فاليومَ أَعذِرهم وأَعلم أنما ... سُبُل الضَّلالة والهُدى أقسام

شراء يزيد لها وغناؤها له

ولما قَدِم يزيدُ بن عبد الملك بن مروان مكةَ ، وأراد شِراء سَلاّمة وعُرِضتْ عليه ، أمرها أن تُغنّيه ، فكان أولَ صوتٍ غنَّته هذا الشِّعر . فاستحسنه يزيدُ واشتراها . وكان أولَ صوتٍ غنّته به لما اشتراها قولُ القَسِّ فيها :

أَلَا قُل لهذا القلب هل أنت مُبصِرُ ... وهل أنت عن سَلاَّمة اليوم مُقْصِرُ
ألا ليت أنِّى حيث صارتْ بها النَّوى ... جَليسٌ لسَلْمَى كلما عَجَّ مِزْهر

فقال لها يزيد : يا حَبيبتى ، لمن هذا الشعرُ ؟ فقصَّت عليه القصَّةَ . فرقّ له وقال : أحسن وأحسنتِ !

ماتت حبابة قبلها

وقيل : كانت عند يزيدَ : حَبابةُ وسلاَّمة ، فتوفِّيت حَبابة فى حياته و بقيت سلاّمة بعده .

شىء عن حبابة

قلت : وحَبابة هى التى حَزِن عليها الحزْن الشديد وتركها عنده أياماً حتى أنْتنت، وعاتبه أخوه مَسْلمة على ذلك ، فأَخرجها وخَرج فى جنازتها ماشياً ، وتمثَّل عند دفنها :

فإن تَسْلُ عنك النفسُ أو تَترك الصبا ... فباليأس تَسْلو عنك لا بالتجلدِ
وكُلُّ خليلٍ لامَنى فهو قائلٌ ... من أجلِك هذا هامةُ اليومِ أو غَد[1]

(١) البيتان لكثير . والهامة – زعموا – : روح القتيل الذى لم يدرك بثأره ترقد عند قبره تقول : اسقونى ، اسقونى . فإذا أدرك بثأره طارت . ويقال : هذا هامة اليوم أو غدا ، أى يموت اليوم أو غدا .

أخبار العباس بن الأحنف

نسبه

هو العبّاس بن الأحنف بن الأسود بن طَلحة بن جَدّان بن كَلَدة ، من بَنى عَدِىّ بن حَنِيفة .

وقيل : هو العبّاس بن الأحنف بن الأَسود بن قُدامة من هفّان بن الحارث بن الذُّهل بن الدُّول بن حَنيفة .

وكان حاجبُ بن قُدامة ، عمُّه ، من رجال الدولة العباسيّة .

شعره وطبقته

وكان شاعراً غَزِلاً ظريفاً مَطبوعا ، من شُعراء الدولة العباسية . وله مَذهب حَسن . ولدِيباجة شِعره رَوْنق ، ولمعانيه عُذوبة ولُطف . ولم يكن يَتجاوز الغَزل إلى مَدْح أو هجاء ، ولا يتصرّف فى شىء من هذه المَعانى .

رأى المبرد فيه

وقدّمه أبو العبّاس المُبرِّد فى كتاب « الرَّوضة » على نُظرائه ، وأطنب فى وصفه . وكان من الظرفاء ولم يكن من الُخلعاء . وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً . وكان ظاهرَ النِّعمة ، مُلوكىّ المَذهب ، شديد التَّترُّف ، (١) وذلك بيِّن فى شعره .

أصله ومنشؤه

وقيل : كان من عَرب خراسان ، ومَنشؤه ببغداد .

رأى الحرمازى فيه

وذُكر أنه أَنشد أبو علىّ الحِرْمازىّ قولَ العبّاس بن الأَحنف :

لا جَزى اللهُ دَمْع عَينىَ خَيراً … وجَزى اللهُ كُلّ خيرٍ لسانى
نَمّ دَمْعى فليس يكتُم شيئاً … ووجدتُ (٢) اللِّسان ذا كِتْمان
كنتُ مثلَ الكِتاب أخفاه طَىّ … فاُستدلُّوا عليه بالعُنْوان

(١) التترف : التنعم .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ورأيت » .

ثم قال الحِرمازىّ : هذا والله طِرازٌ يَطلب الشعراء مثلَه .

لعنه العلاف فرد عليه

وكان أبو الهُذَيل العلاّف ، شيخ المُعتزله ، يَلعنه كثيراً لمُجانبته القولَ بالقَدَر فى قوله :

إذا أردتُ سُلُوًّا كان ناصركم قلبى وما أنا مِن قلبى بمُنتصرِ
فأكثِرُوا أو أقِلُّوا من إساءتكم فكُلُّ ذلك محمولٌ على القَدَر

فبلغ ذلك العبّاس بن الأحنف ، فقال :

يامن يُكذّب أخبارَ الرّسول لقد أخطأتَ فى كُلِّ ما تأتى وما تَذَرُ
كذَّبْتَ بالقَدر الجارى عليك فقد أتاك منِّى بما لا تَشتهى القَدر

رأى الأصمعى والصولى فيه

وقيل للأصمعى : ما أحسنُ ما تحفظ من أشعار المُحْدَثين ؟ فقال : قولُ العبّاس بن الأحنف :

لو كنتِ عاتبةً لسَكّن[1] لَوْعتى أَملى رِضاكِ وزُرتُ غيرَ مُراقَبِ
لكنْ مَلِلْتِ فلم تكُن لىَ حِيلةٌ صَدُّ المَلول خلافُ صَدِّ العاتب

وحُكى أنّ الأصمعىّ أنشد للعبّاس بن الأحنف :

أتأذنون لصَبٍّ فى زِيارتكم فعندكم شَهواتُ السَّمعِ والبَصرِ
لايُضمِرُ السُّوءَ إن طال الجُلوسُ به عَفُّ الضَّميرِ ولكن فاسقُ النَّظَر

فقال الأصمعى : ما زال هذا الفتى يُدخل يده فى جِرابه ولا يُخرج شيئاً ، حتى أَدخلها فأَخرج هذا . ومَن أدمن طَلَبَ شىء ظَفِر ببعْضه . فقال إبرهيم بن العبّاس الصُّولى ، لمّا سمع هذا : ما أدرى ما قال الأصمعىُّ ، ولكنّى أُنشدك[2] للعبّاس بن الأحنف ما لا تَدفع أنت ولا غيرُك فضلَه ، ثم أَنشدنى للعبّاس :

واللهِ لو أنّ القُلوبَ كقَلْبِها ما رَقَّ للوَلد الضَّعيفِ الوالدُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « روعتى » مكان « لوعتى » .
(٢) الخطاب لابن مهرويه ، وبينه وبين الصولى يدور الحديث .

وقـــوله :

لـكنْ صَددتِ[1] فلم تـكن لى حيلةٌ صَدُّ المَـلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

وقـــوله :

حتى إذا اُقتحم الفَتى لُجج الهوَى جاءت أُمورٌ لا تُطاق كِبــارُ

ثم قال : هذا والله مالا يَقدر أحدٌ على أن يقولَ مثلَه أبداً !

رأى سعيد بن حميد فيــه

وذُكر أن سَعيد بن حُميد[2] كان يقول :

ما أعرف أحسنَ من شِعر العبّاس بن الأحنف فى إخفـاء أمره ، حيث يقول فى ذلك :

أُريدُكِ بالسَّـلام فأتّقيهـم فأَعْمِدُ بالسلام إلى سِـواكِ
وأُكثر فيهم ضَحِـكى ليَخْـفَى فسِنِّى ضاحكٌ والقلبُ با كى

رأى إسحاق الموصلى فيه

وكان إسحاق بن إبرهيم المَوصليّ يقول :

لقد ظَرُف ابنُ الأحنف فى قوله ، يَصف طُول عهده بالنَّوم ، حيث يقول :

قِفَا خَبِّرانى أيُّهـــا الرّجلان عن النَّوم إن الهجر عنـه نَهـانى
وكيف يكون النومُ أو كيف طَعْمُه صِفَا النومَ لى إن كُنتما تَصفان
وإنى لَمُشـتاقٌ إلى النَّوم فاعلما ولا عَهْد لى بالنَّوم منــذُ زمان

رأى سلمة بن عاصم فيــه

وذُكر أنّ سَلَمة بن عاصم رُئى، ومعه شعرُ العبّاس بن الأحنف ، فقيل له : مثلُك — أعزّك الله — يَحمل هذا ! فقال : ألا أَحمل شِعْر مَن يقول :

أسأتُ إذْ[3] أحسنتُ ظَنّى بكم والحَزمُ سُـوء الظنِّ بالنـاسِ

(١) فيما سبق : « مللت » .
(٢) هذه رواية التجريد . والذى فيما بين أيدينا من أصول الأغانى : « جنيد » و « حنيذ » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « أن » .

يَقلقنى شوقى[(١)] فآتيكُم والقلبُ مملوءٌ من الياس

كان الضحاك يعجب ببيتين له

وكان الحسين بن الضحّاك يُعجبه قولُ العبّاس بن الأحنف :

أُلحبُّ أملكُ للفؤاد بقهره مِن أنْ يُرى للسرِّ[(٢)] فيه نَصيبُ

وإذا بدا سِرُّ اللَّبيب فإنه لم يَبْدُ إلاّ والفَتى مَغلوب

بيت له كان يحسده عليه أبو العتاهية

وذُكر أنّ أبا العتاهية كان يقول :

ما حَسدتُ أحداً على شِعرٍ إلاّ العبّاسَ بن الأحنف ، فإنّى والله قد حسدتُه على قوله :

إذا أُمتنع القريبُ فلم تَنَلْه على قُرْبٍ فذاك هو البَعِيدُ

فإنّى كنتُ أولى به منه ، وهو بشعرى أشبه منه بشعره .

إشادة الواثق بشعره

وحَكى محمد بن عَمرو الرُّومى قال :

كُنّا عند الواثق ، فقال : إنّى أُريد أن أَصنع لحناً فى شعرٍ ، معناه : أنَ الإنسان ، كائناً ما كان ، لا يَقدر أن يحترسَ من عدوّه ؛ فهل تَعرفون فى هذا شيئاً ؟ فأَنشدنا ضُروباً من الأشعار . فقال : ما جئتُم بشىء مثلَ قول أبى الفَضل العبّاس بن الأحنف حيثُ يقول :

قَلبى إلى ما ضَرَّنى داعِى يُكثِر أَحزانى وأَوجاعِى

كيف احتراسِى من عدوِّى إذا كان عدوِّى بين أَضْلاعِى

أَسلمنى للحُبِّ أشياعى لمّا سعى بى عندها السّاعى

لقلّما أَبقَى على ما أرى لابُدّ[(٣)] أنْ يَنعانِىَ النّاعى

وحَكى أبو محمد الحَسن بن مَخْلد قال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الشوق » .

(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « للستر » .

(٣) رواية غير التجريد : « لقلما أبقى على كل ذا * يوشك » .

أَنشدنى إبراهيمُ بن العبّاس الصُّولى للعبّاس بن الأحنف :

إنْ قال لم يَفْعل و إنْ سِيلَ لم … يَبْذُل و إن عُوتب لم يُعْتِبِ

صَبٌّ بعِصْيانى ولو قال لى … لا تَشْربِ الباردَ لم أَشْرب

إليكَ أَشكو رَبِّ ماحلَّ بِى … مِن ظُلْم هذا المُذْنب المُغضَب

ثم قال إبرهيم ؟ هذا والله الكلامُ الحَسن المَعنى ، السَّهل المَورد ، القَريب المُتناول ، المَليح اللَّفظ ، العَذْب المُستَمَع !

شعر له عمل فى وزنه على بن يحيى المنجم

ومِن رَقيق شعر العبّاس المَحفوظ فى الغِناء قولُه :

نام مَن أَهدى لِىَ الأَرَقَا … مُستريحاً سامَني [1] قَلَقَا

كان لى قلبٌ أَعيشُ به … فاصطلَى بالنَّار فاحْترَقا

أنا لم أُرْزق [2] مودَّتها … إنما للعبد ما رُزِقا

وهذا الشعرُ عَمِل على وَزنه علىُّ بن يحيى [3] المُنجِّم قولَه :

بأَبِى والله مَن طَرقا … كابْتسامِ البَرْق إذْ خفَقا

زادنى شَوقاً [4] برُؤْيته … ومَلا قلبى به حُرَقا

مَن لقلبٍ هائمٍ دَنِفٍ … كلّما سكّنته [5] قَلِقا

زَارنى طيفُ الحبيبِ فما … زاد أن أَغْرى بِىَ الأَرقا

وما حَمله على مُوازنة شِعر العبّاس بن الأحنف إلّا استحسانُه له .

رأى ابن المعتز فيه

وذُكر أنّ عبدَ الله بن المعتز كان يقول :

لو قِيل : ما أحسنُ شىء تعرفه ؟ لقلت : شعرُ العبّاس بن الأحنف :

قد سَحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا … وفرَّق الناسُ فينا قولَهم فِرَقَا

(١) فى غير التجريد : « زادنى » . (٢) فى الأغانى : « مودتكم » .
(٣) فى الأصل : « يحيى بن على » .
(٤) فى غير التجريد : « وبزورته » مكان « برؤيته » .
(٥) فى غير التجريد : « سليته » .

فكاذبٌ قد رَمى بالظنّ (١) غيرَكمُ وصادقٌ ليس يَدْرى أنّه صدَقا

غضب الفضل على جارية له فذكره الموصلى بشعر ابن الأحنف

وحَكى إسحاقُ بن إبرهيم الموصلى قال :

غَضِب الفضلُ بن الرّبيع على جارية له ، وكانت أحبَّ الناس إليه ، وتأخرتْ عن استرضائه، فغَمَّه ذلك؛ فوجّه إلى أبى يُعلمه ويَشكو إليه. فكتب إليه أبى : لك العِزُّ والشرف ، ولأعدائك الذُّل والرَّغم (٢) ؛ استعملْ قولَ ابن الأحنف :

تحمَّلْ عَظِيمَ الذّنب ممّن تُحبُّه وإن كنتَ مظلوماً فقُل أنا ظالمُ

فإنّك إلّا تَغْفِر الذنبَ فى الهَوى يُفارقْك مَن تهوى وأنفُك راغِم

فقال : صدقتَ . فبعث إليها فترضّاها .

دفاع مصعب الزبيرى عن شعره

وقيل لمُصعب الزُّبيرى : إنّ الناس يستبردون شِعْرَ العبّاس . فقال : ويحك ؟ أتقول هذا ! لقد ظلموه ، أليس هو الذى يقول :

قالت ظَلُومُ سميّةُ الظُّلمِ ما لى رأيتُك ناحلَ الجِسْمِ

يا مَن رَمى قلبى فأقصده أنت العليمُ بموقع السَّهم

من رقيق شعره

ومن رقيق شعر العبّاس قولُه:

سَلبتْنى من السُّرور ثِياباَ وكَستْنى من الهُموم ثِيابَا

كلما أَغلقتْ من الوصل باباً فتحتْ لى إلى المَنيّة بابا

عذّبينى بكُل شىء سوى الصدِّ فما ذقتُ كالصُّدود عَذابا

إعجاب الرياشى ببيتين له

وذُكر أنّ الرِّياشى قال :

لو لم يقُل العبّاس بن الأحنف مِن الشعر إلا هذين البَيتين لكَفياه :

أَحْرَمُ منكم بما أقول وقد نالَ به العاشقُون من عَشِقُوا

صِرْتُ كأنّى ذُبالةٌ نُصِبتْ تُضىء للنّاس وهى تَحْتَرق

(١) فى غير التجريد : « بالحب » .

(٢) الرغم ، بالضم وبالفتح : الذلة .

أنشد الرشيد في حنينه إلى بغداد فرده وجازاه

وذُكِر أنّ الرَّشيد لمّا خرج إلى خُراسان ، كان العبّاس بن الأحنف فى صُحبته . فطال مُقامه بهـا . ثم خَرج إلى أَرمينيـة ، والعبّاس بن الأحنف معه ، فاُشتاق [١] العبّاس إلى بغداد ، فلما رَكب عارضه فى طريقه وأَنشده :

قالوا خُراسانُ أقصى [٢] ما يُراد بنا ... ثم القُفُول فقد جِئْنـا خُراسـانَا
ما أَقدَر الله أن يُدْنى على شَحَطٍ ... سُكّانَ دِجْلَةَ من سُكّان [٣] جَيْحانا
متى يكون الّذى أَرجو [٤] وآمُله ... أمّا الذى كنتُ أَخشاه فقد كانا
عينُ الزَّمان أصـابتْنا فلا نَظَرتْ ... وعذّبتْ بصُنوف الهجر أَلْوانا

فقال له الرشيدُ : قد اُشتقتَ يا عبّاس ! قد أذنتُ لك خاصّةً . وأَمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم ، واُنصرف .

شعره الذى فيه الغنـاء

والشِّعر الذى فيه الغِناء ، واُفتتح به أبو الفرَج أَخبارالعبّاس بن الأحنف، قولُه:

وإنّى ليُرْضِينى قليلُ نَوالـكم ... وإن كنتُ لا أَرضى لـكم بقَليلِ
بحُرْمة ما قد كان بَينى وبَينـكم ... من الوُدِّ [٥] إلا عُدْتُمُ بجَميل

---

(١) فى غير التجريد : « والعباس معه ماشياً إلى بغداد » .
(٢) فى التجريد : « أدنى » .
(٣) جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامى . (ياقوت) .
(٤) فى غير التجريد : « متى الذى كنت أرجوه » .
(٥) رواية غير التجريد : « من الوصل » .

أُخبار كثيِّر عزة

نسبه

هو أبو صَخر كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأَسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلد ابن سَعيد بن سُبَيع [1] بن جِعْثمة [2] بن سَعد بن مُلَيح بن عمرو، وهو خُزاعة ابن رَبيعة، [وهو يحيى] بن حارثة بن عمرو، وهو مُزَيْقيا بن عامر، وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن أمرىء القَيس البِطْريق بن ثَعْلبة البُهلول بن مازن بن الأَزْد — زَاد الرَّاكب [3] — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زَيد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

وأمه جُمُعة بنت أبي جُمُعة [4] بن خالد بن عُبيد بن مُبشِّر بن رِياح بن سيالة ابن عامر بن جِعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة.

ولذلك كان يقال لكُثيِّر: ابن أبي جُمُعة.

طبقته فى الشعر

وهو من فُحول الشعراء. وجَعله ابنُ سَلّام فى الطبقة الأُولى منهم، وقَرن به جريراً والفرزدق والأخطل والرَّاعى.

مذهبه وشيء عنه

وكان غالياً فى التشيُّع يَذهب مَذهب الكَيسانيِّة [5]، ويقول بالرَّجعة والتَّناسُخ. وكان مُحمَّقاً مشهوراً بذلك.

وكان آل مَروان يَعلمون مذهبه ولا يُغيِّرهم ذلك عليه، لجلالته فى أعيُنهم ولُطف محلِّه عندهم. وكان من أَتيَه الناس وأَذْهبهم بنفسه على كل أحد.

رأى ابراهيم بن سعد فى شعره

وذَكر بعض أهل الحديث قال:

---

(١) فى شرح السيرة لأبى ذر الخشنى (١ : ٨٠) : « يتيع » بالمثناة التحتية والثاء المثلثة.

(٢) فى التجريد : « خثعمة » تحريف.

(٣) يريد أنه إذا سافر وخرج معه الناس لم يتخذوا زاداً معهم، لأنه يكفيهم ويغنيهم. ومكان هذه العبارة فى غير التجريد : « وهو درء، وقيل : دراء، ممدوداً ».

(٤) فى الأغانى : « بنت الأشيم ».

(٥) الكيسانية : أصحاب كيسان، مولى على بن أبي طالب.

كُنّا نأتى إبرهيمَ بن سَعْد ، وهو خَبِيث [1] النَّفس ، فنسأله عن شِعر كُثَيِّر ، فيطيب نفساً ويُحدِّثنا .

وقال إبرهيمُ بن سعد :

إنى لأروى لـكُثَيِّر ثلاثين قصيدةً ، لو رُقى بها مجنون لأفاق .

كان قصيراً

وقيل :

إنه كان قصيراً لا يبلغُ ضُروع الإبل . وكان إذا دَخل على عبـد العزيز بن مروان يُقال له : تقاصَرْ لا يُصِب رأسَك السقفُ .

عاب جرير خلقته فرد عليه

وقال له جرير : أى رجل أنت لولا دمامتك ! فقال كثيِّر :

إنْ أَكُ قَصْـداً فى الرِّجال فإنّنى إذا حلّ أمرٌ ساحتى لطَوِيلُ

نسبه وشعره فى ذلك

وقيل :

كان كُثيِّر يعتقد أنّ محمـدَ بن الحنفيّة بجبال رَضْوى ، وأنه لا بُدّ أن يَظْهر ويَملك الأرضَ ، وأنه قائل الأبيات المَنسوبة إلى السيد الحِمْيرى ، التى منها :

وسِبْطٌ [2] لا يَذُوق الموتَ حتى يَقُود الخيـلَ يَقْدُمها اللِّواء

ويَرى الرَّجعةَ .

هو وعبد الله ابن حسن وقد عاده فى مرضه

وذُكر أنه دَخل عليه عبـدُ الله بن الحَسن بن الحسن بن علىّ ــ عليهم السلام ــ يَعُوده فى مرضه الذى مات فيه، فقال له كُثيِّر : أَبشر ، فكأنّك بى بعد أربعين ليلةً قد طلعتُ عليك على فَرس عَتيق . فقال له عبد الله بن حسن : مالك عليـك لعنة الله ! فوالله لئن متَّ لا أشهدُك ، ووالله لا أعـودك ولا أُكلِّمك أبداً .

هو وأبو هاشم

وذُكر أن كُثيِّر جرى بينه و بين رجل كلام ، و بلغ ذلك أبا هاشم ، فلما

(١) أى به غثيان .

(٢) هذه رواية التجريد والديوان (٢ : ٦٨) . وفى غيرهما :

* وسبط لا تراه العين حتى *

أُجتمع به كُثيِّر : قال له أبو هاشم : كنتَ الساعة مع فلان فقلت كذا وكذا ، وقال لك : كذا وكذا . فقال له كُثيِّر : أشهد أنك رسولُ الله .

غلوه فى تمجيد بنى حسن

وكان ينظُر إلى بنى حَسن بن حَسن وهم صِغار فيقول : بأبى أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار !

وذُكر أنه كان إذا أَخذ عطاءه وَهب لهم الدَّراهم ، فيقول له أخوهم لأُمهم محمد بن عبد الله بن عَمرو بن عُثمان بن عفّان : يا عمّ ، هَبْ لى . فيقول : لا ، لستَ من الشجرة .

من حمقه مع عمة له

وذُكر من أنواع حُمقه وجُنونه أنه كان يدخُل على عَمَّة له بَرزة ،(١) فتُكرمه وتَطرح له وسادةً يَجلس عليها. فقال لها يوماً : ما تَعرفيننى ولا تُكرميننى حقَّ كَرامتى ! فقالت : بلى والله ، إنِّى لأَعرفك . قال : فمن أنا ؟ قالت : أبنُ فلان وابن فلانة . وجعلتْ تَمدح أباه وأُمّه . فقال : قد علمتُ أنّك لا تَعرفيننى . فقالت : ومَن أنت ؟ فقال : أنا يُونس بن مَتَّى النبىّ .

قال له قوم إنه الدجال فصدق

وحَكى طلحةُ بن عُبيد الله قال :

ما رأيتُ قطُّ أحمَق من كُثيِّر ! دخلتُ عليه فى نَفر من قُريش ، وكُنّا كثيراً ما نهزأ به ، وكان يتشيّع تَشيُّعاً قَبيحاً ، فقلت له : كيف تجدك يا أبا صَخر ؟ فقال : أَجدنى ذاهباً . فقلتُ : كَلا . فقال : هل سمعتُم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلتُ : نعم ، يتحدّثون أنك الدَّجال . قال : أما لئن قلتَ ذاك إنِّى لأجد فى عَينى هذه ضَعفاً منذُ أيام .

أراد عبد الملك الخروج لحرب مصعب فنعتته عاتكة فذكر شعراً لكثير فخرج

وحُكى أن عبد الملك بن مَروان ، لمّا أراد الخروج إلى قتال مُصعب بن الزُّبير ، لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية ، وهى أم أبنه يزيد ، وقالت : ياأمير المؤمنين ، لا تَخْرج السنةَ لحرب مُصعب ، فإنّ آل الزُّبير قومٌ قد ذكروا خُروجك ،

(١) البرزة : التى لا تحتجب لسنها ، وتجلس إلى الناس تحدثهم ، مع عقل وعفة .

وأبعث إليهم الجيُوش، وبكت وبكى جواريها معها . فجلس وقال: قاتل الله ابن أبي جُمُعة — يعنى كُثيِّرا — فأين قولُه :

إذا ما أراد الغزْو لم تَـثْنِ هَمَّهُ　　حصَانٌ عليها نظْمُ[1] دُرٍّ يَزِينُها
نَهتْه فلمـا لم تَرَ النَّهْىَ عاقَهُ　　بكت فبكى مما شَجاها[2] قطِينُها

لـكأنَّه يرانى يا عاتكة ، ثم خرج .

هو وعبد الملك فى حرب مصعب

وذكر أنّه لما خَرج لحرب مُصعب نَظر إلى كُثيِّر، وهو فى ناحية العسكر يسير مُطرِقاً[3]، فدعا به وقال له : إنى لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بثَّك، فإن أخبرتُك عنه تَصْدُقنى ؟ قال : قُل : وحقِّ أبى تُراب — يعنى علياً عليه السلام — إنك تصدُقني . قال : والله لأصدُقنّك . قال: لا ، أو تحلفَ به . فحلف به . قال: تقول : رجلان من قُريش يَلْقى أحدُهما صاحبَه فيحار به ، والقاتلُ والمقتول منهما فى النار ، فما مَعْنى مسيرى مع أحدهما إلى الآخر ، لا آمن سهماً عائراً لعلّه أنْ يُصيبنى فيقتُلنى فأكونَ معهما . فقال : والله ما أخطأتَ ما فى نفسى . قال : فارجعْ من قريب . وأمر له بجائزة .

سبب نسبته إلى عزة

وأكثر نَسيب كُثيِّر فى عَزّة بنت حُميل بن وقّاص الضَّمرية ، وإليها يُنسب كثير ، فيقال له : كُثيِّر عزة .

أول عشقه لعزة

وذُكِر أن أول عِشقه لعزَّة أنّ كُثيِّراً مرّ بنِسْوة من بنى ضَمرة ، ومعه جَلَبُ غَنَمٍ ، فأرسلن إليه عزّة وهى صغيرةٌ ، فقالت : يقُلْن لك النِّسوة : بِعْنا كَبشاً من هذه الغَنَم وأنْسِئنا بثمَنه إلى أن ترجع . فأعطاها كبشاً . وأعجبتْه . فلما رَجع جاءتْه امرأةٌ منهن بدَراهمه . فقال : أين الصبيةُ التى أخذتْ منِّى الـكَبْش ؟ قالت :

---

(١) وفى رواية : «عقد در» .
(٢) القطين : الخدم والأتباع والحشم .
(٣) فى الأصل : «متطرفاً» ، أى مبتعداً .

وما تَصنع بها ! هذه دراهمُك . فقال : لا آخُذ دراهمى إلاّ ممّن دفعتُ الكبش إليها . وخرج وهو يقول :

قَضى كُلُّ ذى دَيْنٍ فوفَّى غَرِيمَه وَعزَّةُ مَمطولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

وكان هذا أولَ لقائها له .

وقال فيها أيضاً :

نظرتُ إليها نظرةً وهى[1] عاتقٌ على حين أن شَبَّتْ وبانُ نُهودُها
من الخَفِرات البِيض ودَّ جَليسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها
نظرتُ إليها نظرةً ما يسُرنى بها حُمْر أَنْعامِ البلاد وسُودُها
وكنت إذا ما جئتُ سُعْدَى[2] أزورها أَرى الأرضَ تُطْوى لِى ويَدْنو بَعِيدُها

وذُكِر أنه لما أبى أنْ يأخذ الدراهمَ إلّا أن يراها ، أبرزَتْها النسوةُ وهى كارهة لذلك . ثم أحبّته عزةُ بعد ذلك أشدَّ من مَحبّته لها .

عزة وعبد الملك وقد كبرت

وذُكِر أن عَزة دخلت على عبد الملك بن مَروان ، وقد عَجَزت ، فقال لها : أنت عزّة ؟ قالت : أنا عَزّةُ بنت حُمَيل . قال : أنت الذى يقول لك كُثيِّر :

لعزّةَ نارٌ ما تَبُوخ[3] كأنّها إذا ما رَمَقْناها على[4] البُعد كوكبُ
تَعجّبَ أصحابى لها[5] ولضوئها وللمُصْطَلِيها آخرَ الليل أعجبُ

فما الذى أعجبه منك ؟ فقالت : كَلّا يا أميرَ المؤمنين، فلقد كنتُ فى وقته ذلك كالنار المُوقدة فى الليلة القَرّة[6] .

---

(١) العاتق : الجارية أول ما تدرك .
(٢) فى الديوان : « وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها » .
(٣) تبوخ : تسكن .
(٤) فى الديوان : « من » .
(٥) فى الديوان : « لها حين أوقدت » .
(٦) العبارة فى بعض أصول الأغانى : « فوالله لقد كنت فى عهده أحسن من النار فى الليلة القرة » .

وقيل: بل قالت له: أعجبه منى ما أعجبَ الناسَ منك حتى صيّروك خليفة.

— وكان لعبد الملك سنٌّ سوداء يُخفيها — فضحك حتى بدتْ. فقالت له: هذا الذى أردتُ أن أُبديه. فقال لها. تروين قولَ كُثيِّر فيك:

وقد زعمتْ أنِّى تغيرتُ بعدها ... ومَن ذا الذى يا عزُّ لا يتغيَّرُ

تَغيَّر جِسْمى والخليقةُ[1] كالذى ... عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بسرِّك مُخْبَر

فقالت: لا، ولكنِّى أروى له:

كأنِّى أنادى صخرةً حين أعرضتْ ... من الصُّمِّ لو تَمْشى بها[2] العُصْمُ زَلَّتِ

صَفُوحاً[3] فما تلقاك إلّا بَخيلةً ... فمَنْ مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتِ

فأمر بها فأُدخلت على زوجته عاتكةَ بنت يزيد بن معاوية. فقالت لها: أرأيتِ قولَ كُثيِّر:

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعزّة ممطولٌ مُعنًّى غريمُها

ما هذا الدَّين الذى ذكره؟ قالت: قُبلةٌ وعدتُه إياها. قالت: أَنجِزيها له وعلىّ إثمُها.

عزة وغلام لكثير مطلته حقه

وذُكِر أن كُثيِّراً كان له غُلام تاجر، فباع لعزّة بعضَ متاعه، ومَطلتْه مُدةً وهو لا يَعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاى:

قَضى كلُّ ذى دَينٍ فوفَّى غريمَه ... وعَزّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُها

فانصرفت خَجِلةً. فقالت له امرأة. أتعرف عَزّة؟ قال: لا والله. قالت: فهذه عَزّة. قال. فلا جرَم والله، لا آخذ منها شيئاً أبداً. ورَجع إلى مولاه فأخبره بذلك. فأَعتقه ووَهب له المالَ الذى كان فى يده.

(١) كذا فى الأصل والديوان. وفى أصول الأغانى: «كالتى» مكان «كالذى».

(٢) العصم من الظباء: التى فى أذرعتها بياض وسائر جسدها أسود أو أحمر؛ الواحدة: عصماء.

(٣) صفوحاً: صادة معرضة.

هو وعبد الملك فى أعجب خبر له مع عزة

وذُكر أن عبد الملك بن مروان سأل كُثيِّراً عن أعجب خبرٍ له مع عَزّة. فقال: حَججتُ سنة من السِّنين، وحَجّ زوجُ عزّة بها، ولم يعلم أحدُنا بصاحبه. فلمّا كان ببعض الطريق أمرها زوجُها بابتياع سَمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته. فجعلت تدُور الخيامَ خَيمةً خيمةً، حتى دخلتْ إلىّ — وهى لا تَعلم أنها خيمتى — وكنت أبرى سهماً لى، فلما رأيتُها جعلتُ أبرى وأنظرُ إليها وأنا لا أعلم، حتى بريتُ ذِراعى مرّاتٍ وأنا لا أشعُر به، والدمُ يجرى. فلما تبيّنتْ ذلك دخلتْ إلىّ وأمسكتْ بيدى وجعلتْ تَمسح الدمَ بثَوبها. وكان عندى نِحْيٌ[1] من سَمن، فحلفتُ لتأخذنّه. فأخذتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدمَ سألها عن خبره، فكاتمتْه، حتى حَلف عليها لتصدُقنّه، فصدقتْه. فضَربها وحلف لتشتمنِّي فى وجهى. فوقفتْ علىّ وهو معها، فقالت لى: يابن الزانية، وهى تَبكى، ثم انصرفا. فذلك حيث أقول:

خَليلىّ هـذا رَبْع عَزّة فاعقِلاَ ... قَلُوصَيْكما ثم ابكِيَا حيثُ حَلَّتِ
وما كنتُ أدرى قبل عزّة ماالبُكا ... ولا مُوجعاتِ القَلب حتى تولَّت
فليت قَلُوصى عند عزّة قُيِّدت ... بحبلٍ ضَعيفٍ بانَ منها فضلَّت
فأصبح فى القوم المُقيمين رحلُها ... وكان لها باغٍ سواىَ[2] فولَّت
فقلتُ لها يا عزّ كُلُّ مصيبةٍ ... إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذلَّت
أسيئى بنا أو أَحْسنِى لا مَلُومةٌ ... لَدينا ولا مَقْلِيّةٌ إنْ[3] تَقلَّت
هَنيئاً مَريئاً غيرَ داء مُخامرٍ ... لِعزّةَ من أعراضنا ما استحلَّت
تَمنَّيتُها حتى إذا ما رأيتُها ... رأيتُ المَنايا شُرَّعاً قد أظلَّت

(١) نحى: زق.
(٢) هذه رواية التجريد. وفى غيره: «فبلت». وبلت المطية على وجهها، إذا ذهبت فى الأرض ضالة.
(٣) تقلت: تبغضت.

و بعده البيتان المُتقدمان[1] ، و بعدهما :

أصاب الرَّدَى من بات يَنوِى لكِ الرَّدى وجُنَّ اللواتى قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ

لقاؤه عزة ليلة

وحَكى أبو عمرو الجُهنى قال :

سارت علينا عزةُ فى جماعة من قومها ، فَنزلت حِيالنا . فجاءنى كُثيِّر ذاتَ يوم ، فقال لى : أُريد أن أكونَ عندك اليومَ حتى أُمسى وأذهب إلى عزة . فصرتُ به إلى مَنزلى . فأقام عندى حتى كان العِشاء ، ثم أَرسلنى إليها وأعطانى خاتَمه ، وقال : إذا سلَّمتَ فستخرج إليك جاريةٌ ، فادفع إليها خاتَمى وأعلمها بمكانى . فجئتُ بيتَها فسلَّمتُ ، فخرجت الجاريةُ ، فأعطيتُها الخاتَم ، فقالت : أين الموعدُ؟ فقلتُ : صَخرات أبى عُبيد اللَّيلةَ . فرجعتُ إليه فأعلمتُه . فلما أَمسى قال لى : انهض . فنهضتُ معه . وجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل ، فجلستْ فتحدَّثا فأَطالا . فذهبتُ لأقوم ، فقال لى : إلى أين تذهب ؟ فقلت : أُخلِّيكما ساعةً فلعلَّكما أن تتحدَّثا ببعض ما تكتُمان . فقال : اُجلس ، فوالله ما كان بيننا شىءٌ قطُّ . فجلست وهما يتحدَّثان ، و إن بينهما لثُمامةً[2] عظيمةً ، وهى من ورائها جالسةٌ ، حتى أَسحرنا . ثم قامتْ فانصرفتْ ، وقمتُ أنا وهو ، فظلَّ عندى حتى أُمسى وانطلق .

لم يكن صادق الهوى

وذَكر بعضُهم أنَّ كُثيِّرًا لم يكن صادقَ المحَبة ، بخلاف جَميل بُثَينة . ومما يدُل على ذلك أنَّ كثيِّراً رأى عَزَّة يوماً وهى تمشى وتَميس فى مِشْيتها مُتنقِّبة ، فلم يعرفها كُثيِّر ، فاتبعها كُثيِّر وقال : ياسيدتى ، قِفِى حتى أُكلِّمك فإنِّى لم أرمثلَك قط ، فمَن أنت ؟ قالت : ويحك ! هل تركتْ عَزَّةُ فيك بقيّةً لأحد ؟ فقال : بأبى أنتِ ! لو أنَّ عزةَ أَمةٌ لى لوهبتها لك . قالت : فهل لك فى المُخالَّة ؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ قالت : أَنَّى وكيف بما قلتَ فى عزّة ؟ قال: أَقْلبه كُلَّه وأُحوِّله

(١) يريد قوله (ص ١٠١٣) : «كأنى أنادى» .

(٢) الثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت ضعيف قصير لا يطول .

إليك . فسفَرت عن وجهها وقالت : أغدراً يا فاسق ! إنك لهكذا ! فأَبلس [١] ولم يَنْطق ، وذهبتْ . فلما مَضت أنشأ يقول :

ألَا ليتنى قبـل الذى قلتُ شِيب لى ... من السّمّ جَدْحاتٌ بماء [٢] الذَّرارِح
فمتُّ ولم تعـلم علىَّ [٣] جناية ... وكم طـالبٍ للرِّبح ليس برَابح
أبوءُ بذنبى إننى قد ظلمتهـا ... وإنى بباقِى سرِّها غـيرُ بائح

حديث لقائه عزة فى طريقه إلى مصر

وحكى سائبٌ راويةُ كُثيِّر قال :

خرجتُ مع كُثيِّر نُريد مِصْرَ ، فمررنا بالماء الذى فيه عزّة، فإذا هى فى خِباء ، فسلَّمنا جميعاً ، فقالت : وعليك السلامُ يا سـائب ، ثم أقبلتْ على كُثيِّر فقالت: ويحك ! ألا تتَّقى الله ! أرأيت قولَك :

بآية ما أتيتُكِ أمَّ عمـرو ... فقمتِ بحاجتى والبيتُ خالى

أخلوتُ معك قطُّ فى بيتٍ أو غـير بيت ؟ قال : لم أقُله ، ولـكنِّى قلتُ :

فأُقسِم لو أتيتُ البحـرَ يوماً ... لِأَشربَ ما سقتْنى من [٤] بِلالِ
وأُقسِم أنَّ حُبَّـك أمَّ عمـرو ... لداءٌ عنـد [٥] مُنقَطع السُّعَال

فقالت : أمّا هذا فنعَم . قال : فأَتينا عبدَ العزيز بن مروانَ ثم عُدنا . فقال كُثيِّر : عليكِ السلام يا عزّة . فقالت : عليك السلام يا جَملُ . فقال كُثيِّر :

حيَّتك عزَّةُ بعد البَيْنِ فانصرفتْ ... فحَىِّ ويحكَ مَن حيَّاك ياجملُ
لو كنت حيَّيتَها ما زِلْتَ ذامِقَةٍ ... عندى وما مسّك الإدلاجُ والعمل

(١) أبلس : سكت وتحير .
(٢) الجدحات : أقدار من السويق يخلط بالماء ويلت . والذراريح – وحذفت ياؤه – : جمع : ذروح ، وهى دويبة أعظم من الذباب شيئاً ، مجزعة مبرقشة بحمرة وسواد وصفرة ، لها جناحان تطير بهما ، وهى سم قاتل .
(٣) وفى رواية : « خيانة » مكان «جناية » .
(٤) البلال : كل ما يبل به الحلق من المـاء ونحوه .
(٥) منقطع السـعال ، أى الصدر . والرواية فى الديوان نقلا عن الشعر والشعراء : « لدى جنبى ومنقطع السعال » .

ليتَ التحيّة كانت لى فأشْكُرَها   مكانَ «يا جملُ» حُيِّيتَ يا رجل

أغرت به عزة بثينة لتتبين حاله

وذُكر أنّ عزة قالت لبُثينة صاحبة جَميل : تَصدَّىْ لكُثيِّر وأَطمعيه فى نفسك حتى نَسمع ما يُجيبك به . فأقبلتْ إليه ، وعزةُ تمشى وراءها مُتخفِّية ، وعَرَضت عليه الوصلَ ، فقاربها ، وقال فى ذلك :

رمَتْنى على عَمْدٍ بُثَيْنةُ بعد ما   تولّى شَبابِى وأرجحنّ (١) شبابُها

بعَيْنين نَجلاوَيْن لو رَقرقتهما   لِنَوْءِ الثُّريّا لأستهلّ سحابُها

فكشفت عزةُ وجهها ، فبادرها الكلامَ وقال:

ولكنّما تَرْمين نفساً مريضةً   لعزّة منها صَفْوُها ولُبابُها

فضحكت ثم قالت : أولى لك بها ! نجوتَ . وانصرفتا يتضاحكان .

حديث عشقه لأم الحويرث

وذُكر أن عزّة تُوفيت وكُثيِّر حَىّ ، وأنه بعد موتها تعشّق أمرأة من خُزاعة، يقال لها: أم الُحويرث ، فنَسب بها ، وكَرهت أن يُسمِّع بها ويَفضحها كما فعل بعزّة ، فقالت له : إنك رجلٌ فقير ، فأبتغِ مالاً يُعفِّى عليك ، (٢) ثم تعالَ وأخطُبنى كما يخطُب الكِرام . فقال : فأحلفى لى وَوثّقى أنك لا تتزوّجين حتى أقْدَم . فحلفتْ ووثّقت له . فمدح عبدَ الرحمن بن الأبرش (٣) الأزدىّ . وخرج إليه ، فلقيتْه ظِباءٌ سَوانح، ولقى غُراباً يَفحص التراب برأسه (٤) ، فتطيّر من ذلك حتى دَخل على حىٍّ من لِهْب (٥) : فقال : أيكم يَزْجُر ؟ قالوا: كُلّنا ، فمن تُريد ؟ قال : أعلمُكم بذاك . قالوا : ذلك الشيخُ المُنحنى الصُّلْب . فأتاه فقصّ عليه القصّة . فكره ذلك له ، وقال : قد ماتت أو تزوّجت رجلاً من بنى عَمِّها . فقال :

تيمّمتُ لِهْباً أَبتغى العِلْمَ عندهم   وقد رُدَّ عِلمُ العائفين إلى لِهْبِ

---

(١) أى اهتز نضارة .

(٢) يعفى عليك ، أى يمحو آثار فاقتك ويغيرها إلى غنى .

(٣) فى غير التجريد : « عبد الرحمن بن إبريق الأزدى » .

(٤) فى الأغانى : « بوجهه » .   (٥) لهب : قبيلة من اليمن ، معروفة بالزجر .

تيمّمتُ شيخاً منهــمُ ذا (١) بَجَالةٍ ... بَصيراً بزَجْرِ الطــيرِ مُنحنِيَ الصُّلب
فقلتُ له ماذا تَرى فى سَــوانحٍ ... وصوتِ غُرابٍ يَفحص الرأسَ (٢) بالتُّرب
فقال جَرى الطيرُ (٣) السَّنيح ببَيْنِهـا ... وقال غرابٌ جَـدَّ مُنْهَمِرُ السَّـكْب
فإلّا تكُن ماتت فقـد حال دونهـا ... سِـواكَ خليلٌ باطنٌ من بنى كَعب

فأتى الرجلَ الأزدىَّ فمدحه ، فأصاب خيراً . ثم قدم عليها فوجدها قد تزوّجت رجلاً من بنِي عمِّها ، فأخذ كُثيِّرًا الهُـلاَسُ (٤) ، فـكُشِح (٥) جَنباه بالنار . فلما أندمل و برئ من عِلَّته وضَع يدَه عل ظَهره ، فإذا هو برَقْمَتين . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أَخذكَ الهُلاَس وزَعم الأطباء أنه لا عِلاج له إلا الـكَشْح بالنار، فكُشِحتَ بالنار . فقال :

عَفا اللهُ عَن أم الحُويرث ذَنْبها ... علامَ تُعنِّينِي وتَـكْمِي (٦) دوائيَا
فلو آذنُونى قبل أن يرقُوا بها ... لَقُلت لهم أُمُّ الحُويرث دائيـا

وفاته وعكرمة الفقيـه

وذُكر أن كُثيِّر عزة ، وعِكْرمة الفقيه ، صاحب أبن عبـاس ، تُوفِّيا فى يوم واحد ، وذلك فى سنة خمس ومائة ، فأُخرجت جِنازتاهما .

قال الراوى :

فما علمتُه تخلّفت اُمرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما . وقيل : مات اليومَ أعلمُ الناس ، وأشعرُ الناس . وغَلب النساء على جنازة كُثيِّر يبـكينه و يندُبْن عزّة فى نَدْبهن له . فقال أبو جعفر محمد بن علىّ الباقر ــ عليهما السلام ــ : أفرجوا لى عن جِنازة كُثيِّر لأرفعها .

(١) البجالة : النبل و العظم . بجل بجالة وبجولا . لا توصف بذلك المرأة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى والديوان (١ : ٢١٥): « الوجه » .
(٣) فى الديوان : « الظبى » . (٤) الهلاس : الهزال عن داء، أو هو السل .
(٥) الكشح : الكى .
(٦) تكمى : تستر .

قال الراوى : فجعلنا ندفع عنها النساء ، وجعل محمد بن علىّ يضربهن بكُمّه ويقول : تَنَحَّين يا صُويحبات يُوسف . فأُ نتدبتْ له أمرأة منهنّ وقالت : يابن رسول الله ، لقد صَدقتَ ، إننا لصُويحباته ، وقد كُنّا خيراً منكم له . فقال محمد بن علىّ لبعض مواليه : أحتفظ بها حتى تجيئنى بها إذا أنصرفنا . فلما أنصرف أُتى بتلك المرأة كأنها شَرارةُ النار . فقال لها محمد بن علىّ : إيهٍ ، أنت القائلة : إنكن ليُوسف خيرٌ منّا ؟ قالت : نعم ! تؤْمننى غضبك يا بن رسـول الله ؟ قال : أنت آمنة من غَضبى ، فأَبِينى . قالت : يابن رســول الله ، نحن دعوناه إلى اللذّات من المَطعم والمَشرب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معـاشرَ الرجال ألقيتُموه فى الُجب ، وبِعْتموه بأَبخس الأَثمان ، وحَبسْتموه فى السجن ، فأَيُّنا كان عليه أحْنَى وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله دَرُّكِ ! لن تُغالَب أمرأةٌ إلاّ غلبت. ثم قال لها : ألكِ بَعْل ؟ فقالت : لى من الرِّجال مَن أنا بعلُه . فقال لها محمد : ما أَصدقَكِ ! مثلُكِ من تَملك زوجَها ولا يَملكها . فلمـا أنصرفتْ ، قال رجل من القوم : هذه زينبُ بنت مُعَيْقيب (١) الأَنصارية .

الشعر الذى فيه الغنـاء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار كُثيِّر ، هو :

توهَّمت بالَخيف رَبعاً مُحيـلاَ ... لِعزّة تَعرِفُ منه الطُّلولاَ (٢)
تَبدَّل بالحىِّ صوتَ الصَّدَى ... ونوحَ الحَمامة تَدعو هَدِيلا (٣)

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « معيقب » .

(٢) قال أبو الفرج : « الخيف الذى عناه كثير ليس بخيف منى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضمرة . والطلول : جمع : طلل ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار » .

(٣) الصدى : طائر — زعموا — يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح : اسقونى ، حتى يدرك بثأره . والهديل : صوت الحمام .

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ابن الحسين بن مصعب

شىء من صفته

ويُكنى أبا أحمد . وهو أمير جَليل ، عَظيم القَدر والمحَلّ هو وأهل بيته . وكان أديباً مُتصرِّفاً فى فُنون الأدب ، راوية للشعر، قائلاً له، عالماً بأيام الناس وأخبارهم، عالماً بالمُوسيقى والهَندسة ، وغير ذلك مما يجلّ عن الوَصف و يكثُر .

قدره فى الغناء

وله فى الغِناء صَنعة عجيبة مُتقنة. وكان الخليفةُ المُعتضد بالله ربما أراد أن يَصنع فى بعض الأشعار غِناء ، و بحَضرته أكابرُ المُغنِّين ، فيَعْدل عنهم إليه ، فيُحسن أحسن صَنعة ، و يترفَّع عن إظهاره نَفسه بذلك ، فيومىء إلى أنه من صَنعة جاريته شاجِى .

مولاته شاجى وشعره فى رثائها

وكانت إحدى المُحسِنات المُتقنات ، وكان المُعتضد إذا استحسن شيئاً بعث به إلى شاجى فتغنِّى فيه .

وكانت صَنعتها فى عَصره تُسمَّى : غناء الدّار . وتُوفيت شاجى فى حَياة مولاها عُبيد الله بن عَبد الله بن طاهر ، فقال يَرثيها :

يَميناً يَقيناً لو بُليتُ بفَقْدها ... وبى نَبْضُ عِرْقٍ بالحياة أو النُّكْسِ
لأَوشكتُ قَتْل النَّفس قبل فِراقها ... ولكنّها ماتتْ وقد ذَهبت نَفْسى

من شعره

وضاقت أحوالُ عُبيد الله فى آخر عُمره ، وكان جواداً . ومن جيّد شعره قولُه :

فأَنْفِق إذا أَيسرتَ غيرَ[1] مُقصِّر ... وأَنفِق إذا خَيَّلت أنك[1] مُعْسِرُ
فلا الُجود يُفْنِى المالَ والجَدُّ[2] مُقبل ... ولا البُخل يُبقى المالَ والجَدُّ مُدْبِر

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « مقتر * وأنفق على ما خيلت حين تعسر » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « والمال » .

هو والزبير بن بكار حين أرسل المعتز يوليه القضاء

وذُكر أن كتاب المعتز بالله وَرد إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وهو نائب الخليفة ببغداد ، يأمرُه بإحضار الزُّبير بن بكّار ليولِّيه القضاء ، فأَخبر عُبيد الله ابن عبد الله الزُّبيرَ بوُرود كتاب الخليفة إلى أخيه بذلك . فقال الزُّبير : قد بلغتُ هذه السِّنَّ وأَتولَّى القضاء ! أَوَ بعد ما رويتُ أنّ من تولَّى القضاء فقد ذُبح بغير سِكِّين ! فقال له : فتَلْحق بأمير المُؤمنين بسُرَّ مَن رأى . فقال : أَفعل . فأَمر له بمال ونَفقة[1] ، وبظَهر يحمله ويحمل ثَقَله[2] ، ثم قال : إن رأيتَ يا أبا عبدالله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ! قال : نعم ، انصرفتُ من عُمرة المُحرَّم ، فبينا أنا بأثاية[3] العَرْج، إذا أنا بجماعة مُجتمعة ، فأقبلتُ إليهم، فإذا رجل كان يَقْنص الظِّباء، وقد وقع ظَبى فى حِبالته فذَبحه ، فانتفض فى يده ، فضَرب بقَرنه صدرَه ، فنَشِب القرنُ فيه فمات . فأَقبلتْ فتاةٌ كأنها المَهاة ، فلما رأت زوجَها ميتاً شَهِقت ثم قالت :

يا حُسْنُ لو بَطَلٌ لكنَّه أجلُ   على الأُثاية ما أَوْدَى به البَطلُ
يا حُسْنُ جَمَّع أحشائى[4] وقَلْقلها   وذاك يا حُسنُ لولا غيرُه جَلَل
أضحتْ فَتاةُ بنى نَهْدٍ عَلانيةً   وبَعْلُها فوق أَيدى القوم يُحْتمل

ثم شَهقت فماتت . فما رأينا أعجب من الثلاثة : الظبى مَذْبوح، والرجلُ ميّت ، والفتاة ميِّتة حَرَّى .

فأمر له عبيدُ الله بمال آخر ، ثم أقبل على أخيه محمد بعد خُروج الزُّبير وقال : أمّا الذى أخذناه من الفائدة فى خَبر حُسْنٍ وقولها :

* أضحت فتاة بنى نهد علانية *

— تريد : ظاهرة — أكثرُ عندى مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ينفقه » .   (٢) الثقل : المتاع .
(٣) أثاية : موضع فى طريق الجحفة بين الرويثة والعرج . (ياقوت) .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأقلقها » مكان « وقلقها » .

أخبار مُسافر بن أبي عمرو

نسبه مُسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . ويكنى أبا أمية .

أمه وأمه آمنة بنت أبان بن كُليب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة ، وهى أم أبى مُعَيط أبان بن أبى عمرو . فأبو مُعَيط والد عُقبة ، ومُسافر ، أخوان لأب وأمّ . وهما أخَوا عُمومتهما أبى العاص و إخوته[1] ، من بَنى أُمية الذين أُمهم آمنة ، لأنّ أبا عمرو بن أُميّة تزوّج آمنة هذه بعد أُميّة .

أحد أزواد الركب وكان مُسافر سيّداً جواداً ، وهو أحد أزْواد الرّكب[2] . و إنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدعون غريباً ولا مُحتاجاً ولا مارًّا فى طريق مُجتازاً بهم إلّا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يَظعَن .

هو وهند بنت عتبة ولمُسافر شعر حَسن ليس بالكثير . وكان يَهوى هِنْدَ بنت عُتبة بن رَبيعة بن عبد شمس ، وخَطبها بعد فراقها زَوجَها الفاكهَ بن المُغيرة ، فلم يَرض أبوها ثَرْوتَه . فوفد إلى النُّعمان بن المُنذر يَسْتعينه على أمره .

وذُكر أن هِند بنت عُتبة كانت مُزوَّجة للفاكه بن المُغيرة ، وكان من فِتْيان قُريش ، وكان له بيتٌ للضِّيافة ، بارز من البُيوت ، يَغشاه الناسُ من غير إذن . فخلا البيتُ ذاتَ يوم ، فاضطجع هو وهِنْد فيه ، ثم نَهض لبعض حاجاته ، وأقبل رجلٌ ممّن كان يَغشى البيت فولَجه ، فلما رآها رَجع هارباً ، وأبصره الفاكهُ ، فأقبل إليها فضَربها برجله ، وقال لها : مَن هذا الذى خَرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ

(١) فى الأغانى : « وأخويه » .

(٢) أزواد الركب : ثلاثة نفر من قريش : مسافر هذا ، وزمعة بن الأسود ، وأبو أمية ابن المغيرة .

أحداً ولا أنتبهتُ حتى أنبهتَنى. فقال لها : ارجعى إلى أبيك . وتكلّم الناسُ فيها . فقال لها أبوها عُتبة بن ربيعة : إنّ الناس قد أكثرُوا فيكِ ، فأنبئينى نبأك ، فإن يكن الرجلُ عليك صادقاً دسستُ عليه مَن يقتلُه فتنقطع عنكِ المقالةُ ، وإن يكُ كاذباً حاكمتُه إلى كُهّان اليمن . فقالت : لا والله ما هو علىّ بصادق . فقال له : يا فاكه ، إنّك قد رميتَ ابنتى بأمرٍ عظيم ، فحاكِمنى إلى بعض كُهّان اليمَن . فخرج الفاكهُ فى جَماعة من بنى مَخْزوم ، وخرج عُتبة فى جماعة من عبد مَناف ، ومعهم هِنْد ونِسْوةٌ . فلما شارفُوا البلاَد وقالوا : غداً نَرِد على الرجل ، تنكّرت حالُ هند . فقال لها عُتبة : إنّى أرى ما بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندك . فقالت : لا والله يا أبتاه ، ما ذاك لمكروه عِندى ، ولكنى أعرف أنكم تأتُون بَشَراً يُخطىء ويُصيب، ولا آمنه أن يَسِمَنى مِيسَماً يكون علىّ سُبّةً . فقال لها : إنى سوف أختبره لك . فَصَفر بفرسه حتى أدْلَى[1] ، ثم أدخل فى إحْليله حبّة بُرّ وأوكأ عليها بسَير . فلما أصبحوا قَدِموا على الرّجل ، فأكرمهم ونَحر لهم . فلما تغدَّوا قال عُتبة : قد جئناك فى أمر ، وقد خبأتُ لك خَبِيئةً أختبرك بها ، فانظُر ماهو ؟ فقال : ثَمرة فى كَمَرة. فقال : إنى أُريد أبْيَنَ من هذا . فقال : حَبّة بُرٍ فى إحليل مُهر . قال : صدقتَ. انظُر فى حالِ هؤلاء النِّسوة . فجعل يَدْنو من إحداهن ويقول لها : انْهضى . حتى دنا من هِنْد فقال: انْهَضى غيرَ رَسْحاء[2] ولا زَانية ، ولَتَلِدِنّ مَلِكا يقال له مُعاوية . فنَهض إليها الفاكه فأخذ بيدها . فنَبزت يدَها من يده وقالت : إليكَ ، فوالله لأحرصنّ على أن يكونَ ذلك من غيرك . ثم خَطبها مُسافر بن أبى عمرو بن أمية ، وكان أحبَّها ، فلم يُزوِّجه أبوها به لفَقره . فقَدِم الحيرَة ليحصُل له ما يَستعينُ به على تزْويجها . وخَطب أبو

(١) أدلى : أخرج جرذانه ليبول أو يضرب .

(٢) الرسحاء : الخفيفة العجيزة .

سفيان بن حَرب بن أُمية هِنداً من أبيها . فزوّجه إياها . ثم لقى أبو سفيان أبن عمه مُسافراً . فسأله مُسافر عن حال قُريش والناس . فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجتُ هِنْد بنت عُتبة . فدَخله من ذلك ما أعتلّ معه، حتى أستسقى بطنُه[١] .

فقال مُسافر فى ذلك :

ألا إنّ هِنداً أصبحت منك مَحْرَمَا وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا
وأصبحتَ كالمَساوب[٢] جَفْنَ سِلاحه يُقلِّب بالكَفّين قَوساً وأَسْهُما

فدُعى له بالأطبّاء . فقالوا : لا دواء له غير الكَىّ . فأجاب إليه . فأحمى الذى يعالجه مَكاويه وقال : أُدعوا له أقواماً يُمسكونه . فقال له مُسافر : لستُ أحتاج إلى ذلك . فلما رأى الطبيبُ صَبْره ضَرَط . فقال مُسافر :

* قد يَضْرط العَيْر والمِكْواة فى النار *

فذهبت مثلا . فلم يزدَدْ إلا ثِقَلاً .

فخرج يُريد مكة ، فلما أنتهى إلى مَوضع يقال له هُبَالة مات ، فدُفن بها . ونُعى إلى قُريش ، فقال أبو طالب بن عبد المطلب يَرثيه : موته ورثاء أبى طالب له

ليتَ شِعْرى مُسافِرَ بنَ أبى عمرٍو وليتٌ يقولها المَحزون
رَجع الرَّكبُ سالمين جميعاً وخليلى فى مَرْمَسٍ[٣] مَدْفون
بُورِكَ الميّتُ الغريبُ كما بُو رِكَ غَضٌّ[٤] الرَّيحان والزَّيتون
مَيت صِدْق[٥] على هُبالة قد حا لتْ فَيافٍ من دونه وحُزون
مِدْرَهٌ يدفع الخُصومَ بأيدٍ وبوجهٍ يَزينه العِرْنين

(١) أى اجتمع فيه ماء . وهو داء الاستسقاء .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالمقمور » .
(٣) المرمس : القبر .
(٤) فى معجم البلدان فى رسم هبالة والأغانى : « نضر » .
(٥) فى الأغانى : « بيت » .

ذكر خبر عمارة بن الوليد

ابن المغيرة المخزومي

ما كان بين قريش وأبي طالب بشأن النبي صلى الله عليه وسلم وشأنه

قلتُ : وهو أحدُ فتيان قُريش . وكان حسنَ الصُّورة . وكانت قُريش قد طلبوا من أبي طالب تَسليم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم لمّا أظهر نُبوَّته ودعا قُريشاً إلى التوحيد وتَرْك ما كان يعبد آباؤهم. فامتنع عمُّه أبو طالب من ذلك وذَبَّ عنه وقام بنُصرته . فمَشَوْا إلى أبي طالب بعُمَارة بن الوليد ، وقالوا : خُذ هذا بدلَ محمد وادفع إلينا محمداً . فقال : يا عَجباً منكم ! أدفع إليكم أبني تقتُلونه وآخُذ منكم أبنكم أمُونه ! فأصرَّ على نُصرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومَنَعه منهم .

هو وعمرو بن العاص في الحبشة

و بعد ذلك خَرج عُمارة بن الوليد ، وعَمرو بن العاص بن وائل السَّهميّ ، وكانا كلاهما تاجرَيْن ، إلى أرض الحَبشة ، ومَلِكُها النَّجاشيّ ، وكانت أرضُ الحَبشة لقُريش متجراً ووجهاً . وكلاهما يومئذ مُشْرِكٌ شاعرٌ فاتك . وكان عُمارة بن الوليد مُعْجَباً بالنِّساء وصاحبَ مُحادثة . فرَكِبا في السَّفينة ليالِيَ ، فأصابا من خَمرٍ معهما . فلما أنتشَى عُمارة قال لامرأة عمرو بن العاص : قَبِّليني . فقال لها عمرو : قَبِّلي أبنَ عمِّك . فقبَّلته . وحَذِر عمرو على زَوجته ، فرَصدها ورَصده ، فجعل إذا شَربا أقلَّ عمرو من الشَّراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكَر فيغلبَه عُمارة على زَوجته . وجعل عُمارة يُريدها على نفسها ، فامتنعت منه . ثم إنّ عَمرو بن العاص جَلس في ناحية السَّفينة يبُول ، فدفعه عُمارة بن الوليد في البَحر ، فلمَّا وَقع سَبح حتى أخذ بالقَلْس [1] ، فارتفع فظهر على السَّفينة . فقال له عُمارة : أمَا واللهِ يا عَمرو

(١) القلس : حبل غليظ من حبال السفينة .

لو علمتُ أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ . فلمّا قال عُمارة ذلك لعمرو أضطغنها ، وعَرف أنه أراد قَتْله . ومَضَيا على وجهَيْهما حتى قدِما أرضَ الحبشة ونزلاها . وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص : أنِ أخْلَعني وتبرّأ منّى ومن جريرتى إلى بني المُغيرة وجميع بنى مَخزوم . وخَشِى على أبيه أن يُتَتَبَّع بجَريرته وهو يترصّد لعُمارة ما يترصّد (١) . فلمّا وَرد الكتابُ على العاص بن وائل مَشى فى رجالٍ من قومه ، منهم : نَبيه، ومُنبّه ، أبنا الحجّاج ، إلى بنى المُغيرة وغيرهم من بَنى مَخزوم، وقال : إنّ هذَين الرجلَين قد خَرجا حيث علمتُم ، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شرّ ، وهما غير مأمونَيْن على أنفسهما ، ولا ندرى ما يكون ، وأنا أبرأُ إليكم من عَمرو ومن جَريرته ، وقد خلعتُه . فقالت بنو المُغيرة و بنو مَخزوم : أنت تخافُ عَمراً على عُمارة ! قد خَلعنا عُمارة وتبرأنا إليك من جَريرته ، فخلِّ بين الرَّجلين . فقال السَّهميّون: قد قَبِلْنا، فأبعثُوا مُنادياً يُنادى بمكة : إنا قد خَلعناهما . وتبرّأ كُلُّ قومٍ من صاحبهم ومما يجُر عليهم . فبعثوا منادياً نادَى بمكة بذاك . فقال الأسودُ بن المُطَّلب : طُلّ (٢) والله دمُ عُمارة بن الوليد آخرَ الدّهر! فلما أطمأنّا بأرض الحبشة ، لم يلبث عُمارة أن دَبّ لأمرأة النّجاشىّ ، فأدخلته ، فأختلف إليها . فجعل إذا رَجع من مَدخله يُخبر عمرو بن العاص بما كان من أَمره . فجعل عمرو يقول : ما أُصدِّق أنك قَدرت على هذا الشأن ! إنّ المرأةَ أرفعُ من ذلك . فلمّا أكثر على عَمرو مما كان يُخبره ، صدَّقه ، (٣) ولكنّه أحبّ التثبُّت . وكان عُمارة يغيب عنه حتى يأتيَه فى السَّحر ، وكانا فى منزل واحد . وجعل عُمارة يدعوه إلى أن يَشرب معه، فيأبى عَمرو ويقول : هو يَشغلك عن مَدخلك . وكان عمرو يريد أن يأتيه بشىء

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وهو يرصد لعمارة ما يرصد » .
(٢) طل : أهدر . وفى بعض أصول الأغانى : « بطل » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « وقد كان صدقه » .

لا يَستطيع دَفْعَه ، إن هو رَفعه إلى النجاشى . فقال فى بعض ما يذكُر له من أمرها: إن كنتَ صادقاً فقل لها فَلْتَدْهنك من دُهن النَّجاشى الذى لا يَدَّهنُ به غيرُه ، فإنِّي أعرفه ، وأْتِنى به لأُصدِّقَك . ففعل عُمارة ، فجــاء بقَارورة من دُهنه . فلمّا شَمَّها عمرو عَرفها وقال : أشهد أنك صادق ، ولقد أصبتَ شيئاً ما أصابه أحدٌ من العرب ، من أمرأة المَلِك ، ما سمعنا بهذا ! [1] وسكت عنه ، حتى إذا أطمأن دخل إلى النَّجاشى فقال : أيها الملك، أنّ أبن عمى سَفيه ، وقد خشيتُ أن يَعُرَّنى عندك أمرُه ، وقد أردتُ أن أُعلمَك شأنه ، ولم أَفعل حتى أستثبتُ أنّه قد دخل على بعض نِسائك فأَكثر ، وهذا من دُهنك قد أُعْطِيَه ودَهننى منــه . فلما شَمَّ النَّجاشىُّ الدُّهن قال له : صدقتَ ، هذا دُهْنى الذى لا يكون إلا عند نِسائى . ثم دعا بعُمارة ودعا بالسَّواحر فجرّدوه من ثيابه ، ثم أمرهنّ فنفخْن فى إحليله ، ثم خلّى سبيلَه . فخرج هارباً هائماً على وجهه مع الوَحش ، ومتى رأى الإنس هَرب منهم ، وطَلع له شَعرغَطّى جميع بَدنه . ولم يزل كذلك مُدةَ أيّام النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، وأيامَ أبى بكر رضى الله عنه ، وصدراً من خلافة عُمر رضى الله عنه . فخرج إليه أبنُ عمّه عبد الله بن أبى رَبيعة ــ وكان أسمه قبل أن يُسلم « بَحيراً » ، فسمّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبدَ الله ــ فرَصده على ماءٍ بأرض الحبشة ، وكان يَرِده مع الوحش، إذا ورَدْنه . فلما وَجد ريح الإنس هَرب ، حتى إذا أجهده العطشُ وَرد فشَرِب حتى تَملَّأ [2] . وخَرجوا فى طلبــه . قال عبدُ الله بن أبى رَبيعــة ، فسعَيْتُ إليه فالتزمتُه ، فجعل يقول لى : يا بَحير ، أرْسِــلنى فإنى أَموت إن أمسكتمونى . قال عبدُ الله : فضَبَطْتُه ، فمات فى يدى مكانَه ، فواريتُه ثم أنصرفتُ .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: « لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد مثله قط من العرب ونلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا » .

(٢) تملأ : امتلأ .

شعر لعمرو فى ذلك

وقال عمرو بن العاص ، يذكر عُمارة بن الوليد وما صنع :

تَعلّم عُمارَ أنّ من شَرِّ شيمةٍ ... لمثلك أنْ يُدْعَى ابنُ عمٍّ له ابنَمَا
فإن كنتَ ذا بُرْدَيْن أحوَى مرَجَّلاً ... فلستَ براعٍ لابن عمِّك مَحْرَما
إذا المرء لم يترك طعاماً يُحبُّه ... ولم ينْهَ قلباً غاوياً حيثُ يَمَّما
قضَى وَطراً منه يَسيراً وأصبحت ... إذا ذُكرتْ أمثالُها تملأُ الفَما
فليس الفَتى[1] ولو أتمّت عروقُه ... بذى كَرمٍ إلّا بأن يتكرّما
فَمِلْآنَ[2] فانْزِعْ عن مَطاعِمَ جَمَّةٍ ... وعالجْ أمورَ المَجد لا تتندَّما

(١) أتم الشيء : اكتمل وبلغ الغاية . والعروق : الأصول والأحساب ؛ الواحد : عرق .
(٢) فلآن : أى فمن الآن ، فحذف ووصل .

أخبار امرئ القيس الكندى (*)

ذكر ابن الكلبىّ أنه امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو المَقْصور ابن حُجر آكل المُرار بن عَمرو بن مُعاوية بن الحارث بن يَعرُب بن ثور — وثَور هو كِندة — بن مُرتِّع بن عُفَير بن الحارث بن مُرَّة بن عدىّ بن أُدَد بن زيد ابن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحطان. نسبه

وقيل غير ذلك .

وأُمه فاطمةُ بنت رَبيعة بن الحارث بن زُهير، أُخت مُهلهل وكُليب، ابنى رَبيعة التغلبيَّيْن. وقيل: إنها مَذْحجيّة. وقيل: إنها كندية. أمه

ويكنى امرؤ القَيس أبا وَهْب. ويقال له: المَلِك الضِّلِّيل، وذو القُروح. كنيته ولقبه

وإنما سُمى «ثَور»: كندة، لأنه كَند أباه، أى عَقَّه. شيء عن تسمية أجداده

وإنما سُمى «مُرتِّع»: مُرَتِّعاً، لأنه كان يَجعل لمن أتاه من قومه مَرْتعاً لماشيته.

وإنما سُمِّى «حُجر»: آكلَ المُرار، لأنه لما أتاه الخبرُ بأمر الملك الحارث بن جَبلة كان رأسه فى حِجْر امرأته وهى تَفْليه، فجعل يأكل المُرار — وهو نَبت شديد المرارة — غيظاً وحَنقا.

وقيل: سُمِّى بذلك، لأنّ هنداً زوجة الحارث قالت له: كأَنك بحُجر قد أَدركك فى الخَيل، وهو كأنّه بعيرٌ يأكل المُرار.

(*) ساق قبل هذا أبو الفرج «الأرمال الثلاثة المختارة». ومثلها مما تخفف منه صاحب التجريد.

وإنما سُمِّىَ عمرو: «المقصور» لأنه قُصِر على مُلك أبيه، أى أُقعِد فيه كَرْهاً.

منزل امرئ القيس

وكان أمرؤ القيس يَنزل المُشَقَّر باليمامة. وقيل: بل كان ينزل فى حِصْن بالبحرين.

الحارث بن عمرو ومزدك

وكان جَدُّه الحارثُ بن عَمرو مَلِكاً شديدَ المُلك بعيدَ الصَّوت، وكان مَلكَ الفُرس فَيروزُ بن يزْدَجرد بن بَهرام حور، ثم هلك وولى بعده أبنه قُباذ بن فَيروز، أبو كسرى أنو شِرْوان. وظَهر فى أيّامه رجلٌ يقال له: مَزْدك. فدَعا إلى الزَّندقة، وأن تكونَ الأموالُ والنِّساء مُشتَركا فيها بين الناس، وألاّ يَمنع واحدٌ من الناس أخاه ما يريد من ذلك، وأباح المُحرَّمات. فدخل قُباذ ملك الفرس فى دينه، فعَظُمت البليّة بذلك. وذُكر أن أم أنو شِروان كانت يوماً بين يدى زوجها الملك قُباذ، فدخل عليه مَزْدك، فلما رأى أُمَّ أنو شروان أعجبتْه، فقال لقباذ المَلك زَوْجها: أدْفعها إلىّ لأطأها. فقال: دونَكها. فوَثب إليه أنو شروان أبْنُها، فلم يَزل يسأل مَزْدك ويتضرع إليه أن يَهب له أُمَّه، حتى قَبَّل رجلَه، فتركها له. وبقيتْ تلك فى نفس أنو شروان. فلما هلك قُباذ وقام بالمُلك أنو شروان لم تكُن له همّة إلاّ قَتْل مَزْدك ومن أتبعه من الزّنادقة.

أنو شروان ومزدك

وكان المُنذر بن ماء السماء عاملاً على الحِيرة ونواحيها. وكان قُباذ لمّا دخل فى الزَّندقة دعاه إليها فأَبَى، فدعا إلى ذلك الحارثَ بن عمرو، جدَّ أمرىء القيس، فأَجابه إلى الدُّخول فى الزَّندقة. فشدَّد له قُباذ مُلْكه، وأَطْرد (١) المُنذر عن مَمْلكته.

فلما مات قُباذ وجلس أبنُه أنو شروان فى مجلس مُلكه، وكان أسْمه خُسْرو، دَخل عليه مَزدك، ثم دخل عليه المُنذر بن ماء السماء، ووُجوه أهل مملكته.

(١) أى أمر بطرده.

فقال أنو شروان : إنى كنتُ تمنَّيت أثنتين ، أرجو أن يكون الله جلّ وعزّ قد جَمعهما لى . فقال مَزدك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملك فأستعملَ هذا الرجلَ الشريف — يعنى المنذر — وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك : أَوَ تستطيع أن تَقْتُل الناس جميعاً ؟ فقال: و إنّك لها هنا يا بن الزّانية ! والله ما ذهب نَتْن ريح جَوْربك من أنفى من يوم قبّلت رجلَك إلى يومى هذا ! ثم أمر بقَتْله . فقُتِل وصُلب . وأمر بقَتل الزّنادقة . فقَتل منهم ما بين جازر [١] والنّهْروان إلى المَدائن فى ضَحوة واحدةٍ مائةَ ألفِ إنسان وصَلبهم . وسُمِّى يومئذٍ أنو شروان .

أنوشروان والحارث ابن عمرو وشعر امرىء القيس فى ذلك

وطلب أنو شروان يومئذٍ الحارثَ بن عمرو ، جدَّ امرىء القيس . فبلغه ذلك وهو بالأنبار، فخرج هارباً فى هَجائنه وماله وولده، وتبعه المُنذر بن ماء السماء فى الخيل من تَغْلِب و إياد وبَهْراء . وأَخذت بنو تَغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بنى آكل المُرار ، فقَدِموا بهم على المُنذر ، فضُربت رقابُهم . فذلك قولُ عمرو بن كُلْثوم:

فآبُوا بالنِّهاب و بالسَّبايَا   وأُبْنا بالمُلوكِ مُصـفَّدينَا

وفى ذلك يقول امرؤ القيس :

ملوكٌ من بنى حُجْـرِ بن عمرو   يُساقُون العشيَّـةَ يُقْتَلونَا
فلو فى يوم معــركةٍ أُصيبوا   ولكنْ فى دِيار [٢] بَنى مَرِينا
فلم تُغْسل جمــاجمُهم بِغسْلٍ   ولـكنْ فى الدِّماء [٣] مُرَمَّلينـا
تَظَلُّ الطَّـيرُ عاكفـةً عليهم   وتَنـتزِع الحواجبَ والعُيونا

موت الحارث ابن عمر

ومَضى الحارثُ فأقام بأرض كَلْب. فكلب تزعُم أنهم قتلوه ، وعُلماء كِنْدة تَزعُم أنه خَرج إلى الصَّـيد فألَظَّ [٤] بتَيْس من الظباء فأعجزه ، وآلَى أَليَّـةً

(١) جازر : قرية من نواحى النهروان .
(٢) بنو مرينا : من أهل الحيرة .
(٣) الغسل : ما يغسل به . ومرملين : ملطخين .
(٤) ألظ به : ألح عليه ليصطاده .

ألّا يأكُل أوّلَ أكلةٍ[1] إلّا من كَبده . فطلبته الخيلُ ثلاثاً ، فأُتِى به بعد ثالثة وقد هلك جُوعاً ، فشُوِى له بَطنُه ، فتناول فِلْذةً من كبده ، فأكلها حارّةً فمات .

ملك حجر

وذُكر أنّ الحارث لمّا هَلك مَلك وَلدُه حُجْر بن الحارث على بَنى أَسد وغَطَفان ، وشُرَحْبيل على بكر بن وائل ، وأخوهما مَعد يكرب على تَغْلب والنَّمِر ابن قاسط وغيرهم .

حجر و بنو أسد

وكان لحُجْر بن الحارث ، أبى أمرىء القَيْس ، إتاوةٌ على بنى أَسد يَحملونها إليه فى كُل سنة لمَؤُونته[2] . فعَمِر[3] بذلك دَهراً ، ثم بعث إليهم جابيَــه الذى كان يَجْبيهم ، فمَنعوه ذلك وضَربوه ، وحُجر يومئذ بتهامةَ ، وضَربوا رُسُلَه وضَرّجوهم بدِمائهم . و بلغ ذلك حُجْراً ، فسار إليهم بجُندٍ من ربيعة وجُندٍ من جُنــد أبيه من قَيس وكِنانة ، فأتاهم فأَخذ سَراتَهم ، وجعل يقتُلهم بالعَصا ، وأباح الأموال ، وسيّرهم[4] إلى تِهامةَ ، وآلى ألّا يُســاكنوه أبداً فى بَلدٍ ، وحَبس منهم عمرو ابنَ مَسعود بن كَلدة[5] ، وعَبيدَ بن الأَبرص . فسارت بنو أَسد ثلاثاً . ثم إنّ عَبيد بن الأَبرص أنشده :

يا عينُ فأَبْــكِى ما بَنِى ... أَســدٍ فهم أهلُ النَّــدامهْ
أهلَ القِبــاب الحُمْر والنَّــ ... ــعم المُؤثَّل[6] والمُــدَامه
وذَوِى الجِيــاد الجُرْدِ والْـ ... أَسَلِ المُثقَّفة المُقــــامه
فى كُلّ وادٍ بين يَثْــ ... ــربَ والقُصور إلى اليَمامه

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « ألا يأكل أولا إلا من كبده » .
(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره « مؤقتة » . والمؤونة : هى ما يتكلف من القوت .
(٣) عمر : عاش . وفى بعض أصول الأغانى : « فغبر » أى لبث وبقى .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وصيرهم » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « بن كندة » .
(٦) المؤثل : المزكى . وفى بعض أصول الأغانى : « المؤبل » هو المقتنى .

تَطَرِيبُ عانٍ أو صِيا ح مُحرَّقٍ أو صوتُ هامه
إمَّا تركتَ تركتَ عَفْـ ـواً أو قتلتَ فلا مَلامه
أنت المليـكُ عليهمُ وهمُ العبيـدُ إلى القيامه

مقتل حجر

فرقّ لهم حُجر حين سمع قولَه ، فبعث فى إثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مَسيرة يومٍ من تِهامة تكهّن كاهنُهم ، وهو عوفُ بن رَبيعة بن عامر[١] الأسدىّ ، فقال : مَن الملك الصَّلْهب[٢] ، الغلّاب غير المُغلَّب ، هـذا دَمُه يَنْثَعِب[٣] ، وهو غداً أولُ من يُسْلَب ؟ فقالوا : ومَن هو هو يا ربَّنـا ؟ فقال : لولا أن تَجيش[٤] نفسٌ جائشـة لأخبرتكم أنه حُجر ضاحية[٥] . فركبوا كُلَّ صَعْب وذَلول حتى انتهَوْا إلى عَسكر حُجر ، فهجَموا على قُبَّته ، وكان حُجَّابه من بنى الحارث بن سَعد ، وكان حُجر قد أعتق أباهم من القتل ، فلمـا نَظروا إلى بنى أسد يُريدون قتلَه ، جَثَموا عليـه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عِلْباء بن الحارث الـكاهلىّ ، وكان حُجر قد قتل أباه ، فطَعنه من خَلَلهم فأصاب نَساه[٦] فقتله . فلمّا قتلوه قالت بنو أسد : يا معشر كِنانة وقيس ، أنتم إخوانُنا و بنو عَمِّنا ، والرجلُ بعيدُ النَّسب منّا ومنكم ، وقد رأيتم سِيرتَه وما كان يَصْنع بكم هو وقومُه . فانتهبُوهم ، فشدُّوا على هَجائنـه فمزّقوهـا ، ولفُّوه فى رَيْطة بَيْضاء وطرحوه على ظهر الطَّريق . فلمـا رأتْه قيسٌ وكنانة انتهبوا سلاحَه[٧] ، ووثب عمرو بن مسعود فضمّ عيالَه وقال : أنا لهم جارٌ .

وقد رَوى أبو الفرج فى كيفيّة قتله وسببه رواياتٍ غيرَ هذه ، لـكنّنى اقتصرتُ على إحدى الرِّوايات طلباً للاختصار .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « سوادة » .
(٢) الصلهب : الطويل . وفى بعض أصول الأغانى : « الأصهب » .
(٣) ينثعب : يجرى .
(٤) تجيش : ترتاع . وفى بعض أصول الأغانى : « تجيش نفس جاشية » .
(٥) ضاحية : علانية . (٦) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين .
(٧) فى الأغانى : « أسلابه » .

كتاب حجر إلى أولاده وما كان من امرئ القيس

وذُكر أنّ حُجر بن الحارث لمّا طُعن كتب كتاباً ودفعه إلى رجل وقال: أنطلق إلى أبنى نافع، وكان أكبر بَنيه، فإن بكى وجزع فالْهُ عنه. وأستقرِهم واحداً واحداً حتى تأتىَ إلى أمرىء القيس، وكان أصغرهم، فأيّهم لم يجزع فادفع إليه خَيْلى وسِلاحى وقُدورى ووصِيّتى. وقد كان بيّن فى وصيّته مَن قتله وكيف كان خَبره.

وقَضى حُجر نَحْبه، فأنطلق الرجلُ بوصيّته إلى نافعٍ أبنه. فأخذ الترابَ فوضعه على رأسه. ثم أستقراهم واحداً واحداً، فكلّهم فعل مِثْل ذلك، حتى أتى أمرأ القَيس، فوجده مع نَديم له يَشرب الخَمر ويلاعبه بالنَّرد، فقال: قُتِل حُجْر. فلم يَلتفت إلى قوله. فأمسك نديمُه. فقال له أمرؤ القيس: أضرب. فضَرب، حتى إذا فرغ قال له: ما كُنت لأُفسِد عليك دَسْتَك. ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه. فأخبره. فقال: الخمرُ علىّ والنِّساء حَرام حتى أَقتُل من بنى أَسد مائة. وفى ذلك يقول:

أرقتُ ولم يأْرَقْ لذلك[1] نافعُ وهاج لى الشوْقَ الهُمومُ الرّوادِعُ

وذُكر أن حُجْراً كان طَرد أبنه أمرأ القَيس وآلَى ألّا يُقيم معه، أنفةً من قوله الشِّعر. وكانت المُلوك تأنَف من ذلك. فكان يسير فى أحياء العَرب من طيئ وكَلْب وبَكْر، فإذا صادف غَدِيراً أو رَوضة أو موضع صَيْد أقام، فذَبح لمن معه فى كُل يوم، وخَرج إلى الصيد فتصيّد، ثم عاد وأكل وأكلوا معه، وشَرب الخمر وسقاهم وغنّته قِيانُه، ولا يزال كذلك حتى يَنفَد ماء الغدِير ثم ينتقل إلى غيره. فأتاه خبرُ أبيه ومَقتله، وهو بدَمُّون من أرض اليمن، فلما أخبره المُخبر بقَتله، قال:

تَطاولَ الليلُ على دَمُّونْ دَمُّونُ إنّا مَعشرٌ يمانونْ
وإننا لأَهلها مُحِبُّونْ

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: «لما بى».

ثم قال : ضَيَّعنى صغيراً ، وحَمَّلنى دمَه كبيراً ، لا صَحْو اليوْم ولا سُكْر غداً . اليومَ خَمْرٌ وغداً أمر . فذهبت مثلاً . ثم قال :

خَلِيليّ لا فى اليوم ِ مَصْحًى لشاربٍ ولا فى غدٍ إذ كان ما كان يُشْرَبُ

ثم شَرِب سبعاً ، فلما صحَا آلَى أَلِيَّةً ألّا يأكل لحماً ، ولا يَشرب خمراً ، ولا يَدَّهن بدُهن ، ولا يَغْسِلَ رأسه من جَنابة حتى يُدرك بثأره . فلما جَنَّه الليلُ رأى بَرْقاً ، فقال :

أَرِقتُ لبرقٍ بليلٍ أَهَلْ يُضىء سَناه بأعلَى الجَبَلْ
أَتانى حديثٌ فكذَّبتُه بأمرٍ تَزَعزعُ منه[1] القُلَل
بقَتْل بنى أسدٍ ربَّهم ألا كُل شىء سواه[2] جَلَل
فأين رَبيعةُ عن ربِّها وأين تَميمٌ وأين الخَوَل
ألا يَحضُرون لدَى بابه كما يَحضُرون إذا[3] ما اُستَهَلْ

وذُكر أنه لما قُتل حُجر بن الحارث اُنحازت اُبنته هِنْد وقَطِينُه[4] إلى عُوَيْر اُبن شَجْنة . فقال له قومُه : كُلْ مالَهم فإنهم مأكولُون . فأبَى . فلما كان الليلُ حَمل هنداً بنت حُجر وقَطِينَها ، وأَخذ بخِطام جَملها وسار بهم[5] فى ليلة طَخْياء مُدْلَهِمّة . فلما أضاء البرقُ أبدَى عن ساقيْه ، وكانتا حَمْشَتَيْن[6] . فقالت هند بنت حُجر : ما رأيتُ كالليَّلة ساقَىْ وافٍ . فسمعها فقال : يا هند ، هما ساقا غادرٍ شرٍّ . فرمَى بها الفِجاجَ[7] حتى أطلعها نَجران ، وقال لها : إنِّى لستُ أُغنى عنك شيئاً

(١) القلل : رءوس الجبال ؛ الواحدة : قلة .
(٢) جلل ، هنا بمعنى هين .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إذا ما أكل » مكان « إذا ما استهل » .
(٤) القطين : الآباء والأتباع والحشم .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « وأشأم بهم » .
(٦) أى دقيقتين .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « النجاد » .

وراءَ هـــذا الموضع ، وهؤلاء قومُك ، وقد برئتْ خَفــارتى . فمدَحه أمرؤ القيس فى قصيدة ، منها :

عُوَيرٌ ومَن مثلُ العُويرِ ورَهْطِهِ أبرَّ بأيمــانٍ[1] وأوفَى لجِــيرانِ

همُ أبْلغُوا الحىَّ المُضَيَّعَ أهــلَه وساروا بهم بين الفُرات ونَجران

انتصاره لأبيه

قيل :

وأرتحل أمرؤ القيس حتى نزل ببنى بكْر وتغلب ، فسألهم النَّصر على بنى أَسد قَتَلةِ أبيــه ، فأَجابوه . فبَعث العُيونَ على بنى أسد ، ونَـذِروا بالعُيون فلجئوا إلى بنى كِنانة ، وكان الذى أُنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كانـ الليلُ قال لهم عِلْباء : يا مَعشر بنى أَسد ، تعلمون والله أنّ عُيون أمرىء القيس قد أتوْكم ورَجعوا بخبركم ، فأرحلوا بليل ولا تعلم بكم بنو كِنانة . ففعلوا . فأَقبل أمرؤ القيس بمن معه من بكْر وتَغلب حتى أنتهى إلى بنى كِنانة ، وهو يَحسبهم بنى أسد . فوضع السلاحَ فيهم ، وقال : يالَثارات الملِك ! يالِثارات الهُمام ! فخرجت عليــه عَجوزٌ من كِنانة فقالت : أَبيتَ اللَّعنَ ، لَسْنا لك بثأر ، إنما نحن بنو كنانة ، فاطلب بثأرك ، فإن القوم قد أرتحلوا بالأَمس . فقال أمرؤ القيس :

ألا يالَهْف هِنْــدٍ إثْر قوم همُ كانوا الشِّفاء فلم يُصابُوا

وقاهم جَـــدُّهم ببنى أَبيهم وبالأَشْقَيْنَ[2] ما كان العِقاب

فأتبع أمرؤ القيس آثار بنى أَسد ، فلما أَصبح رأى آثارهم مُنطلقين ، فأتبــع آثارهم فأَدركهم ظُهراً ، وقد تقطَّعت خيلُه وأشتدّ به و بأَصحابه العطش ، و بنو أسد جاثِمُون[3] على الماء ، فقاتلهم حتى كثُرت الجَرحى والقَتْلى ، وحَجز الليــلُ بينهم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بميثاق » .
(٢) الجد : الحظ . والأشقين : جمع : أشقى . يريد بنى كنانة ، الذين وقع بهم العقاب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « جامون » أى مجتمعون مستريحون .

وهَربت بنو أسد . فلما أصبحت بَكْرٌ وتَغْلب أبَوْا أن يتّبعوهم وقالوا لأمرىء القيس : قد أصبتَ ثأرك . فقال : لا والله ، ما فعلتُ ولا أصبتُ من بنى كاهل ولا مِن غيرهم ولا[1] بنى أسد أحداً . قالوا : بلى والله، ولكنّك رجلٌ مَشْئوم . وكرهوا قتالَهم بنى أسد وانصرفوا عنه . ومَضى أمرؤ القَيس هارباً على وجهه ، حتى لَحق بحِمْير ، فنزل بقَيْل يُدْعى : مَرْثَد الخَيْر بن ذى جَدَن الحِمْيرى ، وكانت بينهما قَرابة ، فاستنصره واستمدّه على بنى أسد . فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْير . ومات مَرْثد قبل رَحيل أمرىء القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجلٌ يقال له : قَرْمَل ابن الحَميم . وكانت أمّه أَمَةً سَوداء ، فردّد أمرأ القَيس وطَوّل عليه حتى همّ بالانصراف ، فقال :

وإذ نحن نَدْعو مَرْثَد الخير ربَّنا ... وإذ نحنُ لا نُدْعَى عبيداً لقَرْمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ . واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم إلى بني أسد، ومَرّ بتَبَالَةَ ،[2] وبها صنمٌ للعرب تُعظِّمه، يقال له : ذو الخَلَصة ، فاستقسم عنده بقِداحه — وهى ثلاثة : الآمر، والناهى ، والمتربِّص — فأجالها ، فخرج الناهى . ثم أجالها ، فخرج الناهى . فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصّنم وقال له: مَصِصتَ بَظْر أمك ! لو أبوك قُتل ما عوّقْتنى ! [3] ثم خرج فظفِر ببنى أسد . فيقال : إنه ما استُقْسِم عند ذى الخَلَصة أحدٌ بقِدْح بعد ذلك ، حتى جاء الإسلام ، وهَدمه جريرُ بن عبد الله البَجَلىّ .

طلبه المنذر فهرب حتى انتهى إلى السموأل

قيل :

وألحّ المَنذرُ بن ماء السماء فى طَلَب أمرىء القيس ، ووجّه بالجيوش فى طلبه ،

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : من » مكان « ولا » .

(٢) تبالة : على مسيرة سبع ليال من مكة . (ياقوت) .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ماعقتنى » .

من إياد وبَهْراء وتَنُوخ، وأمدّه كِسْرى أنو شَرْوان بجيش من الأساورة، فسرّحهم فى طلبه. وتفرّقت عن أمرىء القيس حِمْيرُ ومن كان معه، فمضى فى عُصبة من بنى آكل المُرار حتى نَزَل بالحارث بن شِهاب اليَرْبوعىّ، ومع أمرىء القيس أدراع خمس [1] — وهى الفَضْفاضـــة، والضَّافية، والمُحصَّنة، والحريق، [2] وأم الذيول — كُنّ لبنى آكل المُرار يتوارثونها ملكاً عن ملك. فما لَبِث عند الحارث ابن شِهاب إلا قليلاً حتى بَعث إليه المُنــذر بن ماء السماء مائةً من أصحابه يتوعّده الحربَ إن هو لم يُسلم إليه بنى آكل المُرار [3]. فأعلمهم الحارثُ بذلك [3]. ونجا أمرؤ القيس، ومعه يزيدُ بن مُعاوية بن الحارث، وبنته هِنْد بنت أمرىء القَيس، والسلاحُ. فخرج على وجهه حتى وَقع فى أرض طيئ. وقيل: نزل قبلَهم على سَعد بن الضِّباب الإيادىّ سيِّد قومه، فأجاره. وكانت أمّ سَعد تحت حُجر المَلك، أبى أمرىء القَيس، فطلَّقها، وكانت حاملاً بسَعد وهو لا يَعلم، فتزوّجها الضِّباب، فولدت سعداً على فراشه، فلَحِق به. فقال أمرؤ القيس بن حُجر يذكر ذلك:

يُفاكِهنا سَـــعدٌ ويُنْعِم بالَنا ... ويَغْدُو علينا بالجِفَان وبالجُـزُرْ
ونَعرف فيه من أبيه شمـــائلاً ... ومِن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُر
سماحةَ ذا وحِـلْمَ [4] ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحـا وإذا سَكِر

ثم تحوّل أمرؤ القيس عَنهم فنَزل بأرض طيئ على رجل من بنى جَدِيلة، يقال له: المُعلَّى بن تَيْم. ففى ذلك يقول:

كأنى إذ نزلتُ على المُعـــلَّى ... نزلتُ على البَواذخ من [5] شَمَامِ

---

(١) هذه رواية التجريد. وفى غيره: «خمسة». والدرع، التى هى لبوس الحديد، تذكر وتؤنث.

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «والحربق». وفى بعض آخر: «والخريق».

(٣) – (٣) مكان هذه العبارة فى الأغانى: «فأسلمهم».

(٤) فى بعض أصول الأغانى: «وبر».

(٥) شمام: جبل لباهلة.

فما مَلِكُ العِراق على المُعَلَّى بمُقتدرٍ ولا مَلِكُ الشَّآم
أَقَرَّ حَشَى أمرىء القيس بن حُجْرٍ بنو تَيْمٍ مَصابيحُ الظلام

فلبث أمرؤ القيس عنده واتخذ إبلاً هناك . فعَدا قومٌ من بنى جَدِيلة ، يقال لهم : بنو زيد ، فطَردوا الإبل ، وكان لأمرىء القيس رواحلُ مُقَيَّدة عند البُيوت، مخافةَ أن يَدْهَمه أمرٌ ليَسبْقِ عليهنّ . فخرج حينئذٍ فنزل على بنى نَبْهان من طيئ . فخرج نَفرٌ منهم فركبوا الرّواحل ليطلُبوا الإبل ، فأَخذتهن جَدِيلة ، فرجعوا إليه بلا شىء . فقال فى ذلك :

وأعجبنى مَشْىُ الحُزُقَّةِ خالدٍ كمَشْى أتانٍ حُلِّئَت عن[1] مَناهلِ
فدَعْ عنك نَهباً صِيحَ فى حَجَراته ولكن حديثاً ما حديثُ[2] الرّواحل

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرَقاً[3] من مِعزًى[4] يَحتلبها . فأخذ ذلك وأنشأ يقول :

إذا ما لم يكن[5] إبلٌ فمِعْزًى كأنّ قُرون جِلّتها[6] العِصىُّ
إذا ما قام حالبُها[7] أَرَنّت كأنّ القوم صَبّحهم نَعِىُّ
فتملأ بيتَنا أَقِطاً[8] وسَمْناً وحَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

---

(١) الحزقة : القصير بقارب الخطو . وحلئت : طردت ومنعت . والرواية فى الأصل : « عجبت له يمشى الحبقة » . والحبق ، بالقصر : ضرب من السير . ولم يسمع « الحبقة » .

(٢) الحجرات : النواحى . والرواحل : الإبل . وصدر البيت مثل للعرب ، يضرب لمن ذهب من ماله شىء ، ثم ذهب بعده ما هو أجل منه . يقول : دع النهب الذى نهب من نواحيك وحدثنى حديث الرواحل التى ذهب بها ما فعلت .

(٣) الفرق : القطيع يكون دون المائة .

(٤) الأرجح أن ألف « معزى » للإلحاق فتصرف ، وتكون للتأنيث فلا تصرف .

(٥) فى الأغانى : « إذا ما لم يجد » .

(٦) الجلة : المسان .

(٧) أرنت : صوتت ، أى المعزى . وقد يكون ذلك عن صوت اللبن وهو يقع فى الإناء من كثرته .

(٨) الأقط : شىء مثل الجبن يتخذ من اللبن المخيض .

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خَرج فنزل بعامر بن جُوَين واتخذ عنده إبلاً . وكان عامر أحد الخلعاء الفُتّاك ، قد تبرّأ قومُه من جرائره . فهمّ عامرٌ أن يَغْلِب امرأ القيس على أهله وماله ، وفطِن امرؤ القيس بشعر كان عامر يَنطق به ، وهو :

فكم بالصَّعيد من هِجَانٍ مُؤَبَّلَهْ   تَسِير صِحَاحاً ذاتَ قَيْدٍ ومُرْسَلَهْ
أردتُ بها فَتْكاً فلم أَرْتَمِضْ (١) له   ونَهْنَهتُ نفسى بعد ما كدتُ (٢) أفعلَهْ

وعرّض عامر أيضاً بهند بنت امرىء القيس بقوله :

ألا حَيِّ هنداً وأطلالَها   وتَظْعانَ هِنْدٍ وتَحْلالَها
همَمتُ بنفسىَ كلَّ الهموم   فأَوْلَى لنفسىَ أولى لَهَا
سأَحمل نَفسى على (٣) آلةٍ   فإمّا عليها وإمّا لَها

وقد قيل : إنّ الشعر للخَنساء . والله أعلم .

قيل :

فلمّا عَرف امرؤ القيس ذلك من عامر ، وخافه على نفسِه ومالِه وأهله ، تَغفَّله ، ثم انتقل إلى رجل من بنى ثُعَل يقال له : حارثةُ بن مُرّة (٤) فاستجار به منه . فوقعت الحربُ بين عامر وبين ثُعَل ، فكانت فى ذلك أمورٌ كثيرة . فخَرج امرؤ القيس فنَزل برجُل من فَزارة يقال له : عمرو بن جابر ، فطَلب الجوارَ حتى يَرى ذاتَ عَيْبه (٥) ، فقال له الفَزارىّ : يابن حُجْر ، إنّى أَنفَس (٦) بمثلك من

(١) لم أرتمض : لم أحزن .
(٢) نصب الفعل « أفعله » على تقدير « أن » .
(٣) الآلة : الحالة .
(٤) فى غير التجريد : « حارثة بن مر » .
(٥) أى ينظر فى أمره ويصلح من شأنه .
(٦) أنفس : أضن .

أهل الشَّرف، وقد كدتَ أمسِ تُؤكل فى دار طيئ، وأهلُ الباديه أهلُ بَزّ[1]، لا أهلُ حُصون تمنعهم، وبَينك و بين اليمن ذُؤبانٌ من قَيس، أوَلا أدلك على بَلد؟ فقد جئتُ قَيصر وجئتُ النُّعمان، فلم أرَ لضيفٍ نازلٍ ولا مُجتد مثله ولا مثلَ صاحبه.

قال: ومن هو؟ وأين منزله؟ قال: السَّموءلُ، وهو بتَيماء، وهو يمنع عنك حتى ترى ذات عَيبك، وهو فى حِصن حَصين. فقال أمرؤ القيس: وكيف لى به؟ فقال: أُوصلك إلى مَن يُوصلك إليه. فصَحبه إلى رجل من بنى فَزارة يقال له: الرّبيع[2] بن ضَبُع. فأوصله الرَّبيعُ إلى السموءل. فأكرم السموءلُ أمرأ القيس، وضَرب لابنته هِند قُبةً، وأنزل القومَ فى مجلس له بَرَاحٍ. وكان عنده ما شاء الله.

انتهاؤه إلى قيصر وحديثه معه

ثم إنّ امرأ القيس طَلب من السموءل أن يكتُبَ له إلى الحارث بن أبى شَمِر الغسّانى بالشام أن يُوصله إلى قَيصر. فأصحبه رجلاً يُوصله إليه، واستودع أمرأ القيس السموءلَ بن عاديا أبنته والأدراعَ والمالَ. وأقام معها يزيدُ بن معاوية ابن الحارث، ابن عمه، ومَضى أمرؤ القيس إلى الحارث، فبعَثه الحارث إلى قيصر.

قلت:

وفى ذلك يقول أمرىء القيس.

بَكى صاحبى لمّا رأى الدَّرْب دونَه ... وأيقن أنّا لاحِقان بقَيْصرَا

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنما ... نُحاول مُلْكاً أو نَموت فنُعْذرَا

قيل:

ولما وصل أمرؤ القيس إلى قيصر ملكِ الروم، قَبِله وأكرمه، وكانت له

---

(١) هذه رواية التجريد. والبز: السلاح يدخل فيه: الدرع والمغفر والسيف. يريد أن وزرهم سلاحهم لا معاقل ولا حصون. والرواية فى غير التجريد: «أهل بر» بالراء المهملة.

(٢) ذكر الذهبى فى المشتبه أنه مختلف فيه، هل هو بضم الراء أو فتحها.

عنده منزلةٌ ، فاندسّ رجلٌ من بنى أسد ، يقال له : الطمّاح ، وكان امرؤ القيس قتل أخًا له من بنى أسد ، حتى أتى بلادَ الروم فأقام هناك مُستخفياً . ثم إن قَيصر ضَمّ إلى امرىء القيس جيشاً كبيراً ، وفيهم جماعةٌ من أبناء الملوك . فلما فَصل قال لقيصر قومٌ من أصحابه : إن العرب قَومُ غَدر ولا نأمن أن يَظفر بما يُريد فيغزوك بمن بعثت معه .

وقيل : بل الطمّاح الأسدى قال لملك الروم : إن امرأ القيس غوىٌّ عاهر ، وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يُراسل ابنتك ويُواصلها ، وهو قائل فى ذلك أشعاراً يشهّرها بها فى العرب فيَفضحها ويفضحك . فبعث إليه الملك حينئذ حُلّةً من وشى مَنسوجة بالذّهب مَسمومة ، ثم قال : إنى أرسلتُ إليك بحُلّتى التى كنتُ ألبسها تَكْرِمةً لك ، فإذا وصلتْ إليك فالبسها باليُمْن والبركة ، واكتب إلىّ بخَبرك من منزلٍ منزلٍ . فلما وصلتْ إليه لَبِسها واشتد سرورُه بها ، فأسرع فيه السّمُّ وسَقط جلدُه . فلذلك سُمّى ذا القُروح ، وفى ذلك يقول :

لقد طَمح الطمّاح من بُعد أرضه ليُلبسنى من دائه ما (١) تَلبّسَا
وبُدِّلتُ قَرْحاً دامياً بعد صِحّة لعلّ مَنايانا تحوّلن أبْؤسا
فلو أنّها نفسٌ تَموت سَويّةً ولكنّها نفسٌ تَساقَط أنْفُسا

موته فلما صار إلى بَلدٍ من بلاد الروم يُدعى : أَنقِرة ، احتُضر بها . ورأى قبر امرأة من بنات المُلوك ماتت هناك فدُفنت فى سَفح جبل يقال له : عَسيب ، فسأل ، فأُخبر بقصّتها ، فقال :

أجارتَنا إنّ المَزار قريبُ وإنّى مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ
أجارتَنا إنّا غَريبان ها هنا وكلّ غريبٍ للغَريب نَسِيب

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة ، فقبره هناك .

---

(١) هذه رواية الديوان والتجريد . وفى غيرهما : « مما يلبس أبؤسا » .

الشعر الذى فيه الغنـاء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار اُمرىء القيس ، هوقولُه :

* قِفَا نبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزل *

وأبيات أُخرى من هذه القصيدة ، وهى قصيدة يُضرب بها المَثل بشُهرتها ، فلا حاجة إلى ذكر شىء منها.

أخبار الأعشى الأكبر

نسبه — هو مَيمون بن قيس بن جَنْدل بن شَراحيل بن عَوف بن سَعد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسِط ابن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار .

كنيته — ويكنى أبا بَصير .

شىء عن أبيه — وكان يُقال لأبيه قيسِ بن جَنْدل : قَتيلُ الجوع . سُمِّى بذلك لأنه دَخل غاراً ليستظلّ به من الحرّ فوقعتْ عليه صخرةٌ عظيمةٌ من الجبل، فسدَّت فَمَ الغار، فمات فيه جُوعاً .

منزلته فى الشعر — وهو أحدُ الأعلام من شُعراء الجاهليّة وفُحولها .

رأى يونس فيه — وسُئل يُونس النَّحوىّ : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : لا أُومئ إلى رجل بعَيْنه ، ولكن أقول : امرؤ القيس إذا غَضِب ، والنابغة إذا رَهِب ، والأعشى إذا طَرِب، وزُهير إذا رَغِب .

رأى أبى عبيدة — وقال أبو عُبيدة :

يَحتج مَنْ قدَّم الأعشى بكَثْرة طِواله الجياد ، وتَصرُّفه فى المَديح والهِجاء ، وسائرِ فُنون الشِّعر ، وليس ذلك لغيْره .

ويقول :

هو أولُ من سأل بشِعْره ، وأُنتجع به أقاصى البلاد . وكان يُغَنِّى فى شعره ، فكانت العربُ تُسمِّيه : صَنَّاجةَ العرب .

للشعبى فيه — وحُكى عن الشَّعبى أنه كان يقول :

الأعشى أغزلُ الناس فى بيت واحد ، وأخنثُ الناسِ فى بيتٍ واحد ، وأشجعُ الناس فى بيت واحد :

فأمّا أغزلُ بيتٍ فقولُه :

غَرّاء فَرْعاء مَصْقولٌ عَـــوارضُها　　تَمْشِى الهُوَيْنَى كما يَمشى الوَجِى[1] الوَحِلُ

وأما أخنث بيتٍ فقولُه :

قالت هُـــريرةُ لمّا جِئْتُ زائرَهـــا　　وَيْلِى عليك وَوَيْلِى مِنْكَ يا رَجُلُ

وأما أشجعُ بيتٍ فقولُه :

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتُنـــا　　أَوْ تَـــنزلون فإنّا مَعشرٌ نُزُلُ

وسُئل حمّاد الراوية عن أشعر الناس[2] ؟ فقال : الذى يقول : حماد فيه

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحـان مُتَّـــكِئاً　　وقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقها[3] خَضِـــلُ

وحَــكى سِماك بن حَرْب قال : قال لى يحيى[4] بن مـــتّى ، راوية الأعشى ، كان قدريا وكان لبيد مثبتا

وكان نَصرانيّا عِبَاديًّا مُعمَّرا :

كان الأعشى قَدرِيًّا ،[5] وكان لَبيد مُثْبِتاً . قال لَبيد :

مَن هَدَاه سُبُلَ الخيرِ اهتدَى　　ناعمَ البالِ ومَنْ شاء أَضَلْ

وقال الأعشى :

اُســـتأْثر اللهُ بالوَفاء وبالـــعَدْل وولَّى المَلامةَ الرَّجُلاَ

فقلت : مِن أين أخذ الأعشى مَذهبــه ؟ قال : مِن قول العِباديِّين نَصارى الحيرة ، وكان يأتيهم يَشترى منهم الخمر ، فلقَّنوه ذلك كُلَّه .

(١) الوجى : من يجد ألماً فى رجليه إذا مشى . والوحل : الماشى فى الوحل .

(٢) فى الأغانى : « العرب » .

(٣) الراووق : المصفاة تصفى بها الخمر . وقد تطلق على الباطية ، أى إناء الخمر . وخضل : ندى .

(٤) رواية التجريد : « يحنس بن متى » .

(٥) القدرى : جاحد القدر ، ينكر أن الله تعالى قدر على عباده الشر .

اتصاله بالمحلق

وذُكر أنّه كان لأبى المُحلَّق شَرفٌ، فمات وقد أتلف مالَه، فبقى المُحلَّق —وهو وعبد العزيز بن حَنتم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبد الله بن عُبيد بن كِلاب— وثلاثُ أخواتٍ له، ولم يترك لهم أبوهم إلاّ ناقةً واحدة وحُلَّتىْ برود حِبَرة كان يَشهد فيهما الحُقوق. فأقبل الأعشى فى بعض أسفاره يُريد منزلَه باليمامة، فنزل الماء الذى به المُحلَّق، وقَراه أهلُ الماء فأَحسنوا قِراه. فأقبلت عَمّة المُحلَّق إليه وقالت: يابن أخى، هذا الأعشى قد نَزل، وقد قَراه أهلُ الماء، والعربُ تزعُم أنه لم يَمدح قوماً قَط إلا رَفعهم، ولم يَهْجُ قوماً قَطُّ إلاّ وضعهم، فانظُر ما أقول لك: أَحتلْ فى زِقٍّ من خَمر من عند بعض التُّجار، وأرسل إليه بهذه الناقة والزِّق وبُرْدَى أبيك، فوالله لئن اعتلج الكَبدُ والسنام والخمرُ فى جوفه، ونَظر إلى عِطْفيه فى البُرْدين، ليقولَنّ فيك شعراً يَرفعك به. فقال: ما أَملِك غيرَ هذه الناقة، وأنا أَتوقّع رِسْلَها[(1)]. فأقبل يَدخل ويخرُج ويَهُمّ ولا يَفعل، وكلما دَخل على عمّته حضَّتْه، حتى دَخل عليها، فقال: قد ارتحل الرجلُ ومَضى. فقالت: الآن والله أجودُ ما كان القِرَى! تُتبعه ذلك مع مولَى أبيك فلان — مولًى له أسود شَيخ — فحيثما لحقه أَخبره أنك كنت غائباً عن الماء عند نُزوله إيّاه، وأنّك لمّا وردتَ الماء فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِراه؛ فإنّ هذا أحسنُ لِموقعه عنده. ولم تزل تحُضُّه، حتى أتى بعضَ التجّار فكلمه أن يُقرِضه ثمن زِقٍّ خَمرٍ، وأتاه بمن ضَمِن ذلك عنه، فأعطاه. فوجَّه بالناقة والخمر والبُرْدين مع مولَى أبيه. فخرج يَتبعه، فكلّما مرّ بماء قيل: ارتحل أمسِ عنه. حتى صار إلى مَنزله[(2)] باليمامة، فوَجد عنده عدّة فِتْيان قد غدّاهم بغير لحم، وصَبّ لهم فَضِيخاً[(3)] فهم يَشربون منه، إذ قُرِع الباب،

(١) الرسل: اللبن.

(٢) أى منزل الأعشى.

(٣) الفضيخ: شراب يتخذ من البسر بعد أن يصب عليه ماء حار وتخرج حلاوته.

فقال : أُنظُروا مَن هذا ؟ فإذا رسولُ المحلَّق يقول كذا وكذا . فدَخلوا عليه فقالوا: هذا رسول المُحلَّق الـكلابىّ أتاك بكذا وكذا . فقال : ويحكم ! أعرابىٌّ ! والذى أَرسل إلينا[1] لا قَدر له! والله لئن أُعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر فى جَوفى لأقولنّ فيه شعراً لم أقُل مثلَه قط . فواثبه الفِتيان فقالوا : غِبْتَ عنّا فأطلتَ الغَيبة ، ثم أَتيناك فلم تُطْعمنا لحماً وسقيتَنا الفَضيخ ، واللحمُ والخمرُ ببابك ! والله لا نَرضى بهذا منك ! فقال : أئذنوا له . فأذِنوا له . فدَخل فأَدَّى إليه الرِّسالةَ وأَناخ الجزور بالباب ووَضع الزِّق والبُرْدين بين يديه . فقال : أَقْرِه منِّى السلامَ وقل له : وصلتْـك رَحِم ، وسيأتيك ثناؤُنا . فقام الفِتْيان إلى الجزور فنَحروها ، وشَقُّوا خاصرتَها عن كبدها ، وجِلْدَها عن سَنامها ، ثم جاءوا بهما فأقبلوا يَشْوُون ، وصَبُّوا الخمر فشربوا ، وأَكل معهم وشَرب ، ولَبِس البُرْدين ، ونَظر إلى عِطْفيه فيهما فقال :

أَرِقتُ وما هـذا السُّهادُ المُؤَرِّقُ ... وما بِىَ من سُقْمٍ وما بى مَعْشَقُ
ولـكنْ أُرانى لا أَزال بحادثٍ ... أُغادَى بما لم يُمْسِ عندى وأُطْرَق

ومنهـا :

لَعَمْرى لقد لاحتْ عُيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضَـوء نارٍ باليَفاع تَحرَّق
تُشَبُّ لمَقْرورَيْن يَصْطَليانهـا ... وبات على النّار النَّدى والمُحلَّق
رَضِيعَىْ لَبانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تحالفا ... بأَسْحَمَ داجٍ عَوْضُ[2] لا نتفرَّق

حتى انتهى إلى قوله :

أبا مِسْمَعٍ سار الذى قـد فعلتُمُ ... فأَنجـد أقوامٌ به ثم أَعْـرقُوا
به تُوضعُ الأَحلاسُ فى كل مَنزل ... وتُعقد أطرافُ النُّسوع[3] وتُطْلَق

(١) فى الأغانى : « إلى » . (٢) عوض : أى أبد الدهر .

(٣) الأحلاس : جمع حلس ، وهو مايوضع تحت الرحل بينه وبين ظهر المطية حتى لايؤذيها ؛ الواحد : حلس . وإذ رفع الحلس فقد رفع معه الرحل . يريد الإقامة والإراحة . والأنساع : السيور التى يشد بها الرحل ويربط . والرواية فى الديوان : به تنقض الأحلاس . وفى بعض أصول الأغانى : « به تعقد الأحمال » .

فشاع الشعرُ وسار فى العرب . فما أتتْ على المُحلق سنةٌ حتى زَوَّج أخواته الثلاثَ ، كلُّ واحدةٍ منهن على مائة ناقة ، وأيسر وشَرُف .

خبر وفوده على النبى صلى الله عليه وسلم

وذُكر أن الأعشى وفَد إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقد مَدحه بقصيدته التى يقول فيها :

ألم تَغتَمض عيناك ليلةَ أَرْمَدَا ... وعادك ما عاد السَّليمَ (١) المُسهَّدَا
وما ذاك من عِشْق النِّساء و إنما ... تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ (٢) مَهْددا

وفيها يقول لناقته :

فآليتُ لا أرثِى لها من كَلالةٍ ... ولا من وَجًى (٣) حتى تُلاقى مُحمَّدا
متى ما تُناخِى عند باب ابن هاشم ... تُراحِى وتَلْقَىْ من فواضِله يدا
نبىٌّ يرى مالا تَرَوْن وذِكرُه ... أغار لعَمْرِى فى البلاد وأَنْجدا

فبَلغ خبرُه قريشاً فرَصدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجة العرب ، ما مدح أحداً قطُّ إلاّ رَفع قَدره . فلمّا بلغه ورَد عليهم ، فقالوا : أين أردتَ أبا بَصير ؟ قال: أردتُ صاحبَكم هذا لأُسلم. فقالوا له : إنه يَنهاك عن خِلال ويُحرِّمها عليك ، وكُلُّها بك رافق ولك موافِق. قال : وما هُنّ ؟ فقال أبوسفيان بن حَرب: الزِّنا . قال : لقد تركنى الزِّنا وما تركتُه . ثم ماذا ؟ فقالوا : القِمار . قال : لعلِّى إن لقيتُه أصبتُ عِوضاً من القمار . ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنْتُ ولا أَدَّنْتُ قَطُّ . ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أَوّه ! أَرْجع إلى صُبابةٍ لى بقيتْ فى المِهْراس (٤) فأشربُها . فقال له أبو سفيان : هل لك فى خَير ممّا هممت به ؟ قال :

(١) الأرمد : الذى بعينيه وجع . والسليم : الذى لدغته الحية .
(٢) مهدد : معشوقته .
(٣) فى الديوان و بعض أصول الأغانى : « حفى » وهما بمعنى .
(٤) المهراس : حجر منقور يسع كثيرا من الماء .

وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن فى هُدْنة ، فتأخذ مائةً من الإبل وتَرجع إلى بلدك سَنَتك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرُنا ، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذتَ خلفاً ، وإن ظَهر علينا أتيتَه . فقال : ما أكره ذاك . فقال أبو سفيان : يا معشر قُريش، هذا الأعشى ! والله لئن أتى محمداً واتّبعه ليُضرِمَنَّ عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاْجمعوا له مائةً من الإبل . ففعَلوا . فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع مَنْفوحَةَ (١) رَمى به بعيرُه فقتَله .

قبره

وحكى سُليمان النَّوفلى قال :

أتيتُ اليمامةَ والياً عليها ، فمررتُ بمَنفوحة — وهى قرية الأعشى — فقلت: هذه قريةُ الأعشى ؟ فقالوا : نعم . قلت : فأين منزله ؟ قالوا : ذاك ، وأشاروا إليه. فقلت : وأين قبره ؟ قالوا بفناء بيته . فإذا هو رَطْب، فقلت : مالى أراه رَطْباً ؟ قالوا : إن الفِتْيان يُنادمونه ويَجعلون قبرَه مكانَ رجلٍ منهم ، فإذا صدر القدَحُ إليه صبُّوه على قَبره لقوله : أرْجع إلى اليمامة فأشْبع من الأَطْيَبَيْن : الزِّنا والخمر .

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغِناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأعشى ، هو :

هُريرةَ وَدِّعها وإنْ لام لائمُ … غداةَ غدٍ أم أنتَ للبَيْن واجِمُ
لقد كان فى حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثويتُه … تَقَضىٍّ لُبانات ويَسأمُ سائِم
مُبَتَّلة هَيْفاء رُودٌ شَبابُها … لها مُقْلتا رِئم وأسودُ فاحِم
ووَجهٌ نقىُّ اللَّون صافٍ يزَينه … مع الحَلْى لبَّاتٌ لها ومَعاصِم

(١) منفوحه : قرية باليمامة .

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

نسبه وحلفه

هو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود بن غافل بن حَبيب بن شَمْخ بن فأر بن مَخْزوم بن صاهِلة بن كاهل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن ألياس بن مُضَر بن نِزار. وهو من حُلفاء بنى زُهرة، من قُريش، وعِدادُه فيهم.

لجده صحبة

وكان عبد الله بن مَسعود البَدْرىّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وعُتْبة بن مَسعود، أخوَيْن. ولعُتبة صُحبة أيضاً، وليس من البدريِّين.

شيء عن أبيه

وكان عبد الله بن عُتبة بن مَسعود رجلاً صالحاً، واستعمله عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه فأحمد أثرَه.

شيء عن أخويه

ولعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبه أخوان: عون، وعبد الرحمن. وكان عَوْن من أهل الفِقْه والأدب، وكان ملازماً لعُمر بن عبد العزيز. وصَحِب قبله محمدَ بنَ مروان بن الحكم. وقد تقدم ذكره فى أخبار جرير، حيث قال له:

يأيها القارىء المُرخى عِمامَته ... هذا زمانُك إنِّى قد مَضى زَمنِى

أحد الفقهاء السبعة

ولم يكن لعبد الرحمن نَباهة ولا ذِكْر.

وأما عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة فهو أحد وُجوه الفقُهاء السَّبعة من أهل المدينة، الذين لم يكن فى زَمنهم أعلمَ منهم، وهم: القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وعُرْوَة بن الزُّبير بن العَوّام، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

(١) ساق أبو الفرج قبل أخبار عبيد الله أسطرا عن «عمرو بن سعيد» ولم يمض فى الترجمة: ثم أتبعها ببعض أخبار لمغنين وشعراء متفرقة، مر عنها ابن واصل.

ابن هشام ، وسَعيد بن المُسيِّب ، وخارجة بن زَيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود . رضى الله عنهم .

شيوخه وتلامذته

وكان عُبيد الله ضريراً . وروَى عن جماعة من الصحابة ، مثل : أبن عبّاس ، وأبن مسعود . وروى عنه الزُّهريّ ، وأبن أبى الزِّناد ، وغيرهما .

تقريب ابن عباس له

وكان أبنُ عبّاس يُقرِّبه ويُؤثره .

تقدير عمر ابن عبد العزيز له

وتُوفِّى عُبيد الله قبل أن يُستخلف عمر بن عبد العزيز . فذُكر أنه كان يقول: لو كان عُبيد الله حيًّا ما صَدرتُ إلاّ عن رأيه ، ولوددْتُ أنّ لى بيوم من عُبيد الله غُرْماً .

رده حاجب عمر فقال شعراً

وذُكر أن عبيد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قبل خلافته يَستأذن عليه ، فردّه الحاجب وقال : عنده عبدُ الله بن عَمرو بن عثمان بن عفّان. فانصرف غضبانَ . فقال :

وإنى أمرؤ مَن يُصْفِنى الوُدّ يَلْقَنى ... وإن نَزحتْ دارٌ به دائمَ الوَصْلِ
عزيزٌ إخائى ما ينال مودّتى ... من الناس إلا مُسلمٌ كاملُ العقل
ولولا أتقائى الله قلتُ قصيدةً ... يسيرُ بها الرُّكبانُ أَبْرَدُها يَغْلى
كفانى يَسيرٌ أن أراك بحاجتى ... كَليلَ اللِّسان لا تُمِرُّ ولا تُحْلِى
تُلاوذ (١) بالأبواب منِّى مخافةَ الـ ... ـمَلامة والإخلافُ شرٌّ من البُخل
أبِنْ لى تكُن مِثلِى أوِ أبْتغ صاحباً ... كمثلك إنِّى مُبتغٍ (٢) صاحباً مِثْلى
ومايلبثُ الإخوانُ (٣) أن يتفرّقوا ... إذا لم يُؤلِّف روحُ شكل إلى شَكل

(١) تلاوذ : تراوغ .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تابع » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الفتيان » .

هو وعراك وابن حزم وقد مرا به ولم يسلما

وذُكر أن عِراكَ بن مالك ، وأبا بكر بن حَزم ، وعُبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة كانوا يتجالسون بالمدينة زماناً ، ثم إن ابن حَزم وَلِى إمْرتها ، وولى عِراكٌ القضاء ، فكانا يمرّان بعُبيد الله بن عبد الله ولا يُسلّمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريراً ، فأُخبر بذلك فأنشأ يقول :

ألاَ أبْلغا عنّى عِراكَ بنَ مالكٍ ... ولا تدَعا أن تَثْنيا بأبى بَكْرِ
فقد جعلتْ تَبدو شَوَا كلُ منكما ... كأنكما بى مُوقَرَان من الصَّخْر
وطاوعتُما بى داعِكاً[(١)] ذا فَظاظة ... لَعمْرى لقد أزْرى وما مثله يُزْرِى
ولولا اتقائى ثم بُقْيَاى فيكما ... لَلُمْتكما لوماً أحرَّ من الجمر
فشَمّاً[(٢)] تُرابَ الأرض منها خُلقتما ... ومنها المَعادُ والمَصيرُ إلى الحَشْر
فلو شئتُ أن أُلْفِى عدوّاً وطاعناً ... لألفيتُه أو قال عندىَ فى السرّ
فإنْ أنا لم آمُر ولم أنْهَ عنكما ... ضحكتُ له حتى يَلِجّ ويَستشرى

من شعره

قيل : ومن جيِّد شعره قولُه :

إذا كان لى سِرٌّ وحدّثته العِدا ... وضاق به صَدْرى فَللنَّاسُ أعذَرُ
وسِرُّك ما أُستودعته وكتمته ... وليس بسرٍّ حين يَفشو ويَظهر

أجازه ابن مرخية على شعر له

وقيل :

أنشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بن مُرْخِيةَ الكِلابىّ لنفسه :

لَعمْرُو أبى الُمحْصِينَ أيامَ نَلتقى ... لَمَا لا نُلاقيها من الدَّهر أكثرُ
يَعُدُّون يوماً واحداً[(٣)] إن لَقيتُها ... ويَنْسَوْن ما كانت على الدَّهر تهجرُ
وإنْ أُولع الواشون عَمداً[(٤)] ببَيْنها ... فإنّا[(٥)] بتجديد المودّة أبصر

(١) الداعك : الأحمق . والرواية فى بعض أصول الأغانى : «داعكا ذامعاكة». والمعاكة : الحمق .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فسا » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « إن أتيتها » مكان « إن لقيتها » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « بوصلنا » مكان « ببينها » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « فنحن » .

فأعجبت أبياتُه هذه جامعاً ، فسَر بذلك عُبيد الله وكساه وحَمله .

من أخبار جامع ابن مرخية

وجامع بن مُرْخية هذا من شُعراء الحجاز ، وهو الذى يقول :

سألتُ سعيدَ بن المُسيِّب مُفتىَ الـ مدينة هل فى حبِّ ظَمْياء من وِزْر؟
فقال سـعيدُ بن المُسيِّب إنما يُلام الفتى فيما أستطاع من الأمر

فبلغ قولُه سعيداً فقال : كَذب والله ! ما سألنى عن هذا ولا أَفتيته بمـا قال .

من شعر عبيد الله

قال : ومن جيِّد شعر عُبيد الله قولُه :

أعاذلَ عاجـلُ ما أشتهى أحبُّ إلىّ من (١) الرّائثِ
سـأُنفق مالى على لذّتى وأُوثِر نَفسـى على الوارث
أُبادر إهـلاكَ مستهلِك لمـا لِىَ أو عبثَ العـابث

وقـوله :

إنْ يَكُ ذا الدهرُ قد أضَرّ بنـا فى غـير بُخل (٢) فربمـا نفعَا
أبـكى على ذلك الزّمان ولا أحسَب شيئاً قد فات مُرْتجِعا
إذ نحنُ فى ظلّ نعمةٍ سلفت كانت لهـا كلُّ نعمة تبَعا

شعره فى مكية فتنته

وذُكر أن أمرأة قدِمت المدينةَ من ناحية مكة ، وكانت من هُذيل ، وكانت جميلةً ، فخطبها الناسُ وكادت تذهب بعُقول أكثرهم . فقال فيهـا عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، وأستشهد على حُبها بفقهاء المدينة الذين هو سابعُهم :

(٣) أحبُّك حُبًّا لا يُحبك مثله قريبٌ ولا فى العالَمين بَعيدُ
وحُبُّك يا أمَّ الصَّبىّ مُدلِّهى شَهيدِى أبو بكر فنِعْم (٤) شَهِيد

(١) الرائث : البطىء . والرواية فى الأغانى : « أحب من الآجل الرائث » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : «من غير زحل» .
(٣) الرواية فى بعض أصول الأغانى :
أحبـك حبـاً لو علمت ببعضـه لجـدت ولم يصعب عليك شديد
(٤) فى الأغانى : « فأى » مكان « فنعم » . وعليها يكون فى البيت إقواء .

ويعلم وَجْدِى القاسمُ بن محمد وعُروةُ ما أَلقى بكم وسَعيد
ويَعلم ما أُخْفِى سليمانُ عِلْمَه وخارجةٌ يُبْدِى بنا ويُعيد
متى تسألِى عمّا أقُول فتُخبَرى فللُحبِّ عندى طارفٌ وتَليد

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسيِّب فقال : والله لقد أَمِن أن تسألَنا وعَلِم أنها لو أُستشهدتْ بنا لم نَشهد عليه بالباطل عندها .

شعره فى عثمة بعد طلاقها وهو الذى فيه الغناء

وذُكر أنه كان لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة زوجةٌ تُسمَّى عَثْمة ، فطلَّقها لعَتْبه عليها فى بَعض الأُمور . وله فيها أشعارٌ كثيرة ، منها شعره الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبارَه ، وهو :

لَعمرى لئن شَطَّت بعَثْمَة دارُها لقد كنتُ[1] من وَشْك الفِراق أُلِيحُ
أَرُوحُ بِهَمٍّ ثم أغدُو بمثله ويُحْسَبُ أنِّى فى الثِّياب صَحيح

من شعره فيها

وقال فيها أيضاً :

ألا مَن لنفسٍ لا تَمُوت فَيَنْقَضى عناها ولا تحيا حياةً لها طَعْمُ
أأَترُكُ إتيانَ الحبيب تأثُّماً ألا إنّ هِجْران الحبيب هو الإثم
فذُقْ هَجرها قد كنتَ تزعم أنه رَشادٌ ألا يا رُبّما كذَب الزَّعم

وقال فيها أيضاً :

تغلغل حُبُّ عَثْمةَ فى فؤادى فباديه مع الخافى يَسيرُ
تَغلغل حيثُ لم يَبلُغْ شرابٌ ولا حُزْنٌ ولم يبلُغ سُرور
صَدعتِ القلْبَ ثم ذَرَرْتِ فيه هواكِ فَلِيمَ والْتَأم[2] الفُطُور
أكادُ إذا ذكرتُ العَهد منها أطيرُ لوْ أنّ إنساناً يَطِير

(١) فى بعض أصول الأغانى : «لقد كدت» .

(٢) الفطور : الشقوق .

غناء (١) النَّفس أن أزدادَ حُبًّا ... ولـكنِّى إلى صِـلَةٍ فقـير
وأَنفَذَ قادحاكِ (٢) سوادَ قلْبى ... فأنتِ علىّ ما عِشْنا أمـير

هو وعمر ابن عبد العزيز وقوله الشعر

وذُكر أن عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لعُبيـد الله : مالَكَ وللشِّعر ؟ فقال : وهل يَستطيع المَصدور إلا أن يَنفُث .

وهو ورجل كان يقع فى الصحابة

وذُكر أن رجلاً كان يأتى عُبيد الله بن عبد الله فيجلس إليه . فبلغ عبيدَ الله أنه يقع فى بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فجاءه الرجـلُ فلم يلتفت إليه ، وكان الرجلُ سـديدَ (٣) العقل . فقال : ياأبا محمد ، إنّ لك لشأنا ، فإن رأيتَ لى عُذراً فاْقبل عُذرى . فقال له : أتَتَّهم الله عزّ وجـل فى عِلْمه ؟ قال : أعوذ بالله ! قال : أتَتَّهم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم فى حَديثه ؟ قال : أعـوذ بالله ! قال : يقول الله عز وجل : (لَقد رَضِى الله عن المُؤمنين إذ يُبايِعُونَك تحت الشَّجرة) . وأنت تقع فى فُلان ، و إنه ممّن بايع ، فهل بلغك أن الله سَخط عليـه بعد أن رَضى ؟ فقال : والله لا أعود أبداً .

وفاته

وتُوفى عُبيد الله سنة تسع وتسعين .

وقيل : سنة ثمان وتسعين .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « غنى » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « جارحاك » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « شديد » .

أخبار الشماخ (*)

نسبه — وهو ابن ضِرار بن سِنان بن أُمامة (1) بن عمرو بن جِحاش بن بَجَالة بن مازن بن ثعلبة بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان .

أمه — وأُمه أنمارية من بنات الخُرْشُب . ويقال : إنهن أَنجبُ نساء العرب . واسمها مُعاذة بنت بُجَير بن خَلَف (2) بن إياس .

مخضرم هجا عشيرته — والشّماخ مُخضرَم ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام . وهو أحد مَن هجا عشيرتَه ، وهجا أضيافَه ومَنّ عليهم بالقِرَى .

لقبه وشيء عن أخويه — والشّماخ لقبٌ ، واسمه مَعْقِل . وللشّماخ أخَوان لأُمّه وأبيه شاعران ، أحدُهما مُزَرِّد ، واسمه يزيد ، والآخر : جَزْء بن ضِرار ، وهوالذى رَثَى عُمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله :

عليك سلامٌ مِن أميرٍ وباركتْ ... يدُ الله فى ذاك الأَديمِ المُمَزَّقِ

فمَن يَسْعَ أو يركبْ جَناحَىْ نَعامةٍ ... لِيُدرك ما قدَّمت (3) بالأَمس يُسْبَقِ

قضيتَ أُموراً ثم غادرتَ بعدها ... بوائجَ فى أَكمامها لم (4) تُفتَّقِ

وما كنتُ أَخشى أن تكون وفاته ... بكَفَّىْ سَبَنْتَى أزرقِ العَين (5) مُطْرِقِ

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار «الشماخ» أصواتا من مدن معبد .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « أمية » .

(2) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « خالد » .

(3) فى بعض أصول الأغانى : «ماحاولت» .

(4) البوائج : الدواهى . ولم تفتق : لم تنكشف . وفى بعض أصول الأغانى : « بوائق » . والبوائق : الشرور .

(5) سبنتى : أى جرىء . وأزرق العين : يريد : أعجمياً . ومطرق : فى عينيه استرخاء .

وقد رُوى عن عائشة رضي الله عنها أن الجِنّ ناحتْ على عُمر رضى الله عنه قبل أن يُقتل بثلاثة أيّام بهذا الشعر .

طبقته عند ابن سلام

وجَعل محمد بن سلاّم الشمّاخ فى الطبقة الثالثة ، وقَرنه بالنابغة ، ولَبيد ، وأبى ذُؤيب الهذلىّ ، ووَصفه فقال : كان شديدَ مُتون الشعر ، أشدّ كلاماً من لَبيد ، وفيه كَزَازة ، ولَبيد أسهلُ منه مَنْطِقاً .

شهادة الحطيئة له

وقال الحُطيئة فى وصيّته : أَبْلِغوا الشمّاخ أنه أشعرُ غَطَفان . وقد ذُكر ذلك فى أخبار الحطيئة .

وذُكر أنّ الشمّاخ تزوّج امرأة من سُلَيم فأساء إليها وضربها وكسر يدها ، فعَلقتْ به بنو تَميم يطلُبونه بظُلامة صاحبتهم . فأنكرها . فقالوا : احلف ، فجعل يطلُب إليهم أن يَرفعوا عنه اليمين ، ويُغلِّظ أمرها وشِدّتها عليه ليرضَوْا بها منه ، حتى رَضُوا . فحلف لهم وقال :

ألاَ أصبحتْ عِرْسِى من البيتِ جامحاً ... بغير بلاء أى أمرٍ بدا لَها

على خَيْرةٍ كانتْ أم العِرْسُ جامحٌ ... فكيف وقد سُقْنا إلى الحىّ مالَها

ستَرجع غَضْبَى نَزْرة الحَظّ [1] عندنا ... كما قَطعتْ فينا بلَيْلٍ وصالَها

أتتْنى سُلَيم قَضُّها [2] وقَضيضُها ... تُمسّح حولى بالخَضيض [3] سِبالَها

يقولون لى يا احْلفْ ولستُ بحالف ... أُخاتِلهم [4] عنها لكيما أنالَها

ففرّجتُ همّ النَّفس عنّى بحَلْفةٍ ... كما شَقّت الشَّقراء عنها [5] جِلالَها

---

(١) هذه رواية التجريد ، وفى الأغانى : «رثة الحال» .

(٢) القض : الحصى الكبار . والقضيض : الحصى الصغار . أى جاءوا كبيرهم وصغيرهم .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « بالبقيع » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : «أخادعهم» .

(٥) الشقراء : فرس رمحت ابنها فقتلته . وقيل إنها جمحت بصاحبها يوما فأتت على واد فأرادت أن تثبه فقصرت ، فاندقت عنقها وسلم صاحبها . فسئل عنها فقال : إن الشقراء لم يعد شرها رجلها . والجلال : جمع جل : وهو ماتلبسه الدابة لتصان به . وشقه كناية عن توطها على ابنها ، أو على ترديها وهلاكها .

شعر له من أشعر ما قالت العرب

وقيل : أشعرُ ما قالت العربُ قولُ الشّماخ :

وأشعثَ قد قدّ السفارُ قميصَه ... يجُرُّ شِواءً بالعَصا غيرَ مُنْضَجِ

دعوتُ إلى ما نابنى فأجابنى ... كريمٍ من الفِتْيان غيرِ[1] مُزَلَّج

فتًى يملأُ الشِّيزَى[2] ويُرْوِى سِنانَه ... ويَضرب فى رأس الكَمِىِّ المُدجَّج

فتًى ليس بالرَّاضى بأدنَى معيشةٍ ... ولا فى بُيوت الحىِّ بالمُتَولِّج

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار الشماخ ، هو قولُه :

رأيت عَرَابةَ الأوسىَّ يسمو ... إلى الخَيرات مُنقطعَ القَرينِ

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجدٍ ... تلقَّاها عَرَابةُ باليمين

من أخبار عرابة وأبيه وأخيه

وعرابة الذى عَناه الشّماخُ بمدحه هوأحدُ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو عَرابة بن أوس بن قَيْظىٍّ بن عَمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزرج . وإنما قال له الشّماخ عَرابة الأوسىّ ، وهو من الخزرج ، لأنه أراد النِّسبة إلى أبيه «أوس» لا النِّسبة إلى القَبيلة .

وعرابةُ أحد الذين ردّهم النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم استصغاراً لسنِّهم[3] . ومنهم: ابنُ عمر ، وزَيد بن ثابت ، وأبو سَعيد الخُدرىّ .

وأوس أبو عَرابة أحدُ المنافقين الذين شَهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أُحدا ، وهو الذى قال : إن بيوتنا عورة ، وما هى بعورة .

وأخوه أوس بن مِرْبَع بن قَيظىّ مُنافق أيضاً ، وهو الذى حَثا فى وجه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم التُّراب لما خرج إلى أُحد ، وقد مر فى حائطه[4] ، وقال له :

(١) المزلج : الناقص المروءة ، والرجل يلصق بالقوم وليس منهم .

(٢) الشيزى : قصاع من خشب ، هذا اسمه وبه تعرف .

(٣) يريد الذين أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة أحد لينفروا معه ، فردهم لصغر سنهم .

(٤) الحائط : البستان .

إن كُنت نبيًّا فما أُحِلُّ لك أن تدخُل حائطى! فضَرَبه سعد بن زيد الأشْهلىّ وقال: يا رسول الله ، دَعْنى أقتلْه قِتْلة [١] مُنافق . فقال صلّى الله عليه وسلّم : دَعْه فإنه أعمى القَلب أعمى البَصر . فقال أخوه أوس بن قَيظىّ : لا والله ، ولكنّها عداوتُكم يا بَنى عبد الأشهل ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا والله ، ولكنّه نفاقُكم يا بنى قَيظِىّ !

سبب مدحه عرابة

وذُكر أنّ الشمّاخ قَدِم المدينة فلقيه عَرابةُ بن أوس ، فسأله عما أقدمه المدينةَ . فقال : أردتُ أن أمتار لأهلى . وكان معه بَعيران ، فأوقرهما له عَرابةُ بن أوس بُرًّا وتمرا ، وكساه وبَرّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بالقصيدة التى يقول فيها هذا الشعر .

بين عرابة ومعاوية وقد سأله كيف ساد قومه

وذُكر أنّ مُعاوية بن أبى سُفيان قال لعَرابة بن أوس: بأى شىء سُدْتَ قومَك؟ قال : أعفو عن جاهلهم ، وأُعطى سائلهم ، وأسعى فى حاجاتهم ، فمن فعل كما أفعل فهو مثلى ، ومن قَصّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومَن زاد فهو خيرٌ منّى .

تفضيل أبى نواس للفرزدق على الشماخ

وقيـــل :

إنّ أبا نواس قال : ما أحسنَ الشمّاخُ فى قوله :

إذا بلّغتِنى وحَملتِ رَحْـلى ... عَرَابَةَ فاشْرَقِى بدَم [٢] الوَتِين

ألا قال كما قال الفرزدق :

عـلام تلفّتين وأنتَ تحتى ... وخيرُ النـاس كُلهم أمامى

متى تَرِدى الرُّصافةَ تستريحى ... من التّهجير والدَّبَرِ الدَّوامى

(١) فى غير التجريد : « فإنه منافق » .

(٢) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . يريد نحرها .

وقال أبو الفرج .

أخذ هذا المعنى داوُد بن سَلْم فقال يَمدح قُثَم بن العبّاس :

غَنِيت[1] عن حَلّى وعن رِحْلتى   يا ناقُ إن أدْنَيْتِنِى من قُثَمْ

إنك إن أدنيت منه غــداً   حالفــنى اليُسْر ومات العَدَم

لعبد الملك بن مروان وقد أنشد قول الشماخ فى عرابة

وقيل : أُنشد عبدُ الملك بنُ مروان قولَ الشماخ فى عَرابة :

إذا بَلَّغتــنى وحَملت رَحْــلى   عَــرابَة فأشْرَقى بدَم الوَتين

فقال : بئست المكافأة كافأهــا ! حَملت رحلَه و بلّغتْه بغيته فجعــل مكافأتَها نحرها !

لشاعر مع المهلب فى مثل ما كان من الشماخ مع عرابة

ومثل هذا ما حكَى ابنُ دأب أن رجلاً لقى المُهلَّب بن أبى صُفرة فنَحر ناقته فى وَجهه ، فتطيّر من ذلك وقال : ما قصّتك ؟ فقال :

إنى نَذرتُ لئن لقيتُك سالماً   أن تَستمرّ بها شِفارُ الجازرِ

فقال المُهلب : فأَطعمونا من كَبد هذه المَظلومة . ووَصله .

ولبعض الشعراء فى مثله

قلت :

ومثل قول الشمّاخ قول الآخر يَمدح بلالَ بن أبى بُردة الأشعرىّ :

إذا ابنَ أبى مــوسى بلالاً بلغتِه   فقام بفأسٍ بين وِصْلَيْك[2] جازِرُ

و إنما قصد هؤلاء أنهم إذا وَصلوا إلى مَمدوحيهم استغنَوْا عن مطيّهم لوُصولهم إلى حيث لا بَراح لهم عنه .

وأحسن من هذا كُلّه قول القائل :

أقــول لنــاقتى إذ بَلَّغتْنى   لقد أَصبحتِ عنــدى بالثّمين

(١) فى الأغانى : « نجوت من » .

(٢) الوصلان : العجز والفخذ .

حَرِمْتِ على الأَزِمَّةِ والوَلَايَا وأعلاق الرِّحالة (١) والوَضين
فلَمْ أجعلْك للغِرْبان (٢) نُحْلاً ولا قُلت أُشرقى بدَمِ الوَتِين

المهلب وامرأة نذرت نذراً

وذُكر أنّ امرأة من الأزد لقيت المُهلّب بن أبى صُفرة ، وقد قَدِم من حرب كان نَهَض إليها ، فقالت : أيها الأمير ، إنى نذرتُ إن لقيتُك سالماً أن أُقبِّل يدك ، وأصوم يوماً ، وتَهب لى جارية وثلثمائة درهم . فضحك المُهلّب، وقال : قد وفَّينا لك بنَذْرك ولا تَعاودى مثلَه ، فليس كُل أحد يفى لك به .

أبو دلامة والمهدى

وذُكر أن أبا دُلامة لقى المَهدى لمَّا قدم بغداد ، فقال له :

إنِّى نذرتُ لئن رأيتُك وارداً أرضَ العِراق وأنتَ ذو وَفْرِ
لتُصلِّين على النَّبى محمدٍ ولتملأنّ دراهماً حِجْرى

فقال المهدى : أما النبىّ محمد ، فصلّى الله عليه وسلّم . وأما الدّراهم فلا سبيلَ إليها . فقال له : أنت أكرمُ من أن تُعطينى أسهلَهما ! فضحك وأمر له بما سأل .

وإنما ذكرتُ هذه الأشياء ، وإن لم تكن من الباب، لأنّ الشىء يُذكر بمثله.

---

(١) الأزمة : جمع : زمام ، وهو المقود. والولايا : جمع ولية ، وهى البردعة تكون تحت الرحل. والرحالة : السرج . والوضين : بطان منسوج بعضه على بعض يشمر به الرحل على البعير .

(٢) نحلا : عطية وهدية .

أخبار قيس بن ذريح (*)

نسبه

[هو قيس بن ذَريح] بن سُنة بن حُذَافة بن طَرِيف بن عُتْوَارة بن عامر ابن لَيْث بن بَكْر بن عَبد مَناة ، وهو عليّ بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدركة ابن اليأس .

أمه

وأُمه بنت سُنّة بن الكاهل (1) بن عمرو الُخزاعيّ .

كان رضيع الحسين

وذُكر أنّ قَيْساً كانَ رَضِيعَ الُحسين بن عليّ بن أبي طالب ، رضى الله عنهما ، أَرْضعته أُمّ قيس .

أول الهوى بينه وبين لبنى

وذُكر أنّ منزل قَوم قَيس بن ذَريح كان بظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه مِن حاضرتها . فمرّ قيس يوماً لبعض حاجته بخِيام كَعب بن خُزاعة ، والحىُّ خُلوف ، (2) فَوقف على خَيمة لِلُبنى بنت الُحبَاب الكَعْبية ، فاُستسقى ماءً ، فسقَتْه وخرجت إليه به ، فرآها أمرأةً مديدةَ القامة ، شَهلاءَ (3) ، حُلوة المنظر والكلام . فلما رآها وقعتْ فى نفسه ، وشَرِب الماء . فقالت له : أَتنزل فتَتبرَّد عندنا ؟ قال : نعم . وجاء أبوها فنَحر له وأَكرمه . فاُنصرف قيسٌ وفى قَلبه من لُبنى حَرٌّ لا يُطفأ ، فجعل يَنطق الشِّعر فيها حتى شاع .

زواجه بها ثم طلاقه إياها

وذُكر أنّ قيساً أتاها يوماً آخر وقداشتد وجدُه بها ، فسلّم فظهرت له وردّت سلامَه وتحفّت به . فشكا إليها ما يَجد بها وما يَلْقى من حُبّها ، وشَكتْ مثلَ

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار « قيس » صوتا من مدن معبد .

(1) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « الذاهل بن عامر »

(2) خلوف : غيب .

(3) شهلاء : يخالط سواد عينيها زرقة .

ذلك فأطالتْ ، وعَرف كُلٌّ واحد منهما ما لَه عند صاحبه ، فأنصرف إلى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوِّجه إيّاها . فأبَى عليه وقال : يا بُنى ، عليك بإحدى بناتِ عمِّك وهى أحقُّ بك . وكان ذَريح كثيرَ المال مُوسِراً ، فأحبَّ ألاَّ يَخرُج أبنُه إلى غَريبة . فأنصرف قيسٌ وقد ساءه ما صَنع أبوه به . فأتى أُمَّه فشكا ذلك إليها وأستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يُحب ، فأتى الُحسين بن علىّ — عليهما السلام — وأتى أبن أبى عَتيق — وكان صديقه — فشكا إليهما ما به وما رَدّ عليه أبواه . فقال له الُحسين عليه السلام : أنا أَكفِيك . فمشى إلى أبى لُبنى ، فلما بَصُر به عظَّمه ووثب إليه وقال له : يابن رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألاَ بعثتَ إلىّ فأتيتُك ! فقال : إنّ الذى جئتُ فيه يُوجب قصدَك ، وقد جئتُك خاطباً أبنَتَك لقيس بن ذَريح . فقال : يابن رسول الله ، ما كُنّا لنَعصىَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رَغبة ، ولكنّ أحبَّ الأمرَيْن إلينا أن يَخطُبها ذَريح أبوه ، وأن يكون ذلك عن أَمره ، فإنّا نَخاف إنْ لم يَسْعَ أبوه فى هذا أن يكون عاراً وسُبَّة علينا . فأتى الحسينُ ذَريحاً وقومَه وهم مُجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له، وقالوا له مثلَ قول الُخزاعيّين . فقال الُحسين لذَريح : أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لُبنى على أبنك قَيس . فقال : السمعَ والطاعةَ لأمرك . فخَرج معه فى وُجوهٍ من قومه حتى أتَوْا حىَّ لُبنى ، فخَطبها ذَريح على أبنه إلى أبيها ، فزوّجه إيّاها وزُفّت إليه بعد ذلك . فأقام معها مُدة لا يُنكر أحدٌ منهما من صاحبه شيئاً . وكان أبرَّ الناس بأمه ، فألهته لُبنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك ، فوجدتْ أُمّه فى نفسها وقالت لأبيه : لقد شغلت هذه المرأةُ أبنى عن برِّى ، ولم تَر للكلام فى ذلك موضعاً . حتى مَرض قيسٌ مرضاً شديداً ، فقالت أُمه لأبيه : لقد خَشِيتُ أن يموت قيس ولم يَترُك خَلفاً ، وقد حُرم الولدَ من هذه المرأة ، وأنت ذو مال ، فيَصير مالُك

إلى الـكَلاَلة(١)، فزوِّجه بغيرها فلعلّ الله أن يَرْزُقه ولداً ، وأَلَحت عليه فى ذلك . فأمهل قيساً حتى إذا اُجتمع قومُه دعاه ثم قال له : يا قيس ، إنك اُعتَلَلْتَ هـذه العِلّة فَخِفْتُ عليك ولا وَلدَ لك ولا لى سواك ، وهذه المرأة ليست بوَلُود ، فتزوّج إحدى بناتِ عمّك لعلّ الله أن يَهب لك ولداً تقـرُّ به عينُك وأعيُننا . فقال له قيس : لستُ متزوِّجاً غيرَها أبداً . فقال له : فإنّ فى مالى سـعةً فتسَرَّ بالإماء . فقال : ولا أسوءها والله بشىء أبداً . فقال له أبوه : فإنى أُقسِم عليك إلاّ طَلّقتها . فأَبى وقال : الموتُ والله أسهلُ علىّ من ذلك ، ولـكنّى أُخيِّرك خصلة من ثلاث خصال. قال : وما هى؟ قال تتزوّج أنت فلعلّ الله أن يَرْزُقك ولداً غيرى . قال : ما فىّ فضلٌ لذلك . قال : دَعْنى أرْحَل عنك بأهلى وأصنع ما كنتَ صانعاً لو مِتُّ فى عِلّتى هذه . قال : لا ، ولا هذه . قال : فأَدَعُ لُبنى عندك وأرتحل عنك فلعلّى أَسْلوها، فإنى ما أحب بعد أن تـكونَ نفسى طيبةً أنها فى خيالى . فقال : لا أرضَى أو تُطلِّقها . وحَلف ألاّ يَـكُنّه سَقْفُ بيتٍ أبداً حتى يُطلِّق لُبنى ، فـكان يخرج فيقِف فى حَرّ الشمس ، ويجىء قيسٌ فيقف إلى جانبه ، فيُظِلّه بردائه ويَصْلَى هو بحر الشمس حتى يَفِىء الفَىء ، فيَنْصرف عنه ، ويدخُل إلى لُبنى فيُعانقها ويَبـكى وتبكى معه وتقول له : ياقيس ، لا تُطِع أباكَ فتَهلِكَ وتُهلِـكنى. فيقول : ما كنت لأُطيعَ فيك أحداً أبداً . فيقال : إنه مكث كذلك سنة .

ورُوى أنّ قيساً قال: هَجرنى أبواى فى لُبنى عَشرَ سنين ، أستأذن عليهما فيُردّانى . ولم يزالا به حتى طلّقها .

بين ابن صفوان وذريح حين فرق بين قيس وذريح

وذُكر أنّ عبد الله بن صَفوان لَقِى ذَرِيحاً فقال له : ما حَملك على أن فرّقت بينهما ؟ أمَا بلغك أن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : ما أُبالى أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أم مَشيتُ بينهما بالسَّيف .

(١) الكلالة : مالم يكن من النسب لحا ، أى لاصقا . أو هم الإخوة لأم .

قيـــل :

فلما بانت لُبنى بطلاق قيس إيّاها ، وفُرِغ من الـكلام ، اُستُطير عقـلُه وَلَهًا، وَقته وذُهب به ولَحَقه مثلُ الُجنون ، وتذكر لُبنى وحالهَا معه ، وجَعل يتأسَّف ويَبكى أشدَّ بُـكاء . وبلغها الخبرُ فأَرسلت إلى أبيها ليَحْملها ، فأَقبل أبوها بهَوْدج على ناقة وبإبل تَحمل أثاثَها . فلما رأى ذلك قيسٌ أقبل على جاريتها يسألُها . فقالت: لاتَسألنى وسَل لُبنى . فذَهب ليُلِمّ بخبائها فيسألَها ، فمنعه قومُها . وأقبلت عليه أمرأةٌ من قَومه فقالت له : مالك تَسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل! وهذه لُبنى ترتحل الليلة أو غداً . فسَقط مغشيًّا عليه لا يَعقل ، ثم أفاق وهو يقول :

قيس بعد طلاق لبنى

و إِنى لمُفْنٍ دمـعَ عينىَ بالبُـكَا ... حِذَارَ الَّذى قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعــد ذاك بليـلة ... فراقُ حَبيبٍ لم يَبِنْ وهــو بائن
وما كنتُ أخشَى أن تكون منيّتى ... بكفَّيْكِ إلاّ أنّ ما حان حائِن

وقال أيضاً :

يقولون لُبنى فتنــةٌ كنتَ قبلهـا ... بخـير فلا تَندَم عليهـــا وطَلِّقِ
فطاوعتُ أعــدائى وعاصيتُ ناصحى ... وأقررتُ عـينَ الشامت (١) المُتخلِّق
وَدِدْتُ وبيتِ اللهِ أنِّي عَصيتُهـــم ... وحُمِّلتُ فى رِضْوانها كُلَّ (٢) مُوبِق
وكُلِّفتُ خوضَ البحرِ والبحرُ زاخرٌ ... أَبيتُ على أَثْباج (٣) مَوْجٍ مُغرِّق
كأنّى أرى الناسَ المُحبِّين بعــدها ... عُصـــارةَ ماء الحَنْظـل المُتفلِّق
فتُنْكر عَينى بعدهـــا كُلَّ مَنظرٍ ... ويَـكره سمعى بعدَهـا كُلَّ مَنطق

(١) المتخلق : المتكلف ما ليس فيه .

(٢) موبق : مهلك .

(٣) أثباج : جمع ثبج ، وهو معظم الشىء وأوسطه وأعلاه .

وسَقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنْعب مِراراً ، فتطيَّر وقال :

لقد نادى الغُرابُ ببَيْنِ لُبْنَى … فطار القلبُ من حَذَرِ الغُرابِ
وقال غداً تَباعَدُ دارُ لُبْنى … وتَنْأَى بعد وُدٍّ واقْتراب
فقلتُ تَعِستَ وَيْحكَ مِن غُرابٍ … وكان الدهرَ سعيُك فى تَباب

وقال أيضاً ، وقد منعه قومُه من الإلمام بها :

ألا يا غُرابَ البَيْنِ ويحك نَبِّنى … بعِلمك من لُبْنى وأنت خَبيرُ
فإنْ أنت لم تُخْبِرْ بما قد علمتَه … فلا طِرْتَ إلاّ والجَناح كَسير
ودُرْتَ بأعداء حبيبُك فيهمُ … كما قد تَرانى بالحبيبِ أدور

وقال أيضاً ، وقد أُدخلت هَودجها و رَحلت وهو يَتبعها و يبكى :

ألا ياغُراب البَيْنِ هل أنت مُخْبِرى … بخيرٍ كما خبَّرتَ بالنَّأْى والشَّرِّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً … صدقتَ وهل شىءٌ بباقٍ على الدَّهر

فلما ارتحل بها قومُها اتَّبعها مَليًّا ، ثم علم أنّ أباها سيَمْنعه من المَسير معها ، فوقف ينظرُ إليهم حتى غابُوا عن عَينه ، فكرَّ راجعاً ، ونَظر إلى خُفِّ بَعيرها ، فأكبَّ عليه يُقبِّله ، ورَجع يقبِّل موضعَ مَجلسها وأَثر قَدمها . فَليمَ على ذلك ، وعَنَّفه قومُه على تَقبيل التُّراب ، فقال :

وما أحببتُ أرضَكُمُ ولكنْ … أُقبِّل إثرَ مَن وَطِىء التُّرابَا
لقد لاقيتُ من كَلَفى بلُبْنى … بلاءً ما أُسِيغ به الشَّرابا
إذا نادَى مُنادٍ باسم لُبْنَى … عَييتُ فما أُطيقُ له جَوابا

وقال وقد نَظر إلى آثارها :

ألا يا رَبْعَ لُبْنَى ما تقولُ … أَبِنْ لى اليومَ ما فَعل الحُلولُ
فلو أنّ الدِّيارَ تُجيب صبًّا … لردَّ جوابىَ الرَّبْعُ المُحِيل

ولو أنّى قَدَرْتُ غداةَ قالتْ : غَدرتَ وماء مُقْلتها يَسِيلُ
نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها مقالتها وذاك لها قليل
فصبراً كلُّ مؤتلفَيْن يوماً من الأيّام عيشُهما يزُول

ولما جَنّ عليه الليلُ انفرد وأوَى إلى مَضْجعه فلم يتقارّ فيه ،(١) وجَعل يَتململ فيه تَململ السَّليم ، ثم وَثب حتى أتى موضعَ خِبائها فجعل يتمرّغ فيه ، ويقول :

بِتُّ والهمُّ يا لُبَيْنى ضَجِيعى وجرتْ مُذْ نأيتِ عنّى دمُوعِى
وتنفّستُ إذ ذكرتُك حتى زالت اليومَ عن فؤادى ضُلوعى
أتناساكِ كى يُرِيغَ(٢) فؤادى ثم يَشتدُّ عند ذاك وَلُوعى
يالُبَيْنَى فدتْك نفسى وأهلى هل لدهرٍ مضَى لنا من رُجوع

وذُكر أن قيس بن ذَريح مرَض ، فسأل أبوه فتياتِ الحىّ أن يَعدْنه ويُحدِّثْنه لعلّه أن يَتسلَّى بهن أو يَعْلَق بعضَهنّ ، ففعلن ذلك . وأتوْه بطبيبٍ ليداوِيَه ، فدَخل إليه والفتياتُ معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يُحادثْنه ، وأطَلْن السؤال عن سَبب علّته ، فقال :

عِيدَ قَيْسٌ من حُبّ لُبْنى ولُبْنَى داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شَديدُ
فإذا عادنى العوائدُ يوماً قالت العينُ لا أرَى من أريد
ليت لُبْنَى تَعُودنى ثم أقْضِى إنها لا تَعود فيمن يَعود
وَيْحَ قيسٍ لقد تضمَّن منها داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عَمِيد

فقال له الطبيبُ : منذ كم هذه العلّةُ بك ؟ ومنذ كم وجَدتَ بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال :

تَعلّق رُوحى رُوحَها قبل خَلْقنا ومن بعدِ ما كُنّا نِطافاً وفى المَهْدِ

(١) لم يتقار فيه ، أى لم يسكن . والذى فى بعض أصول الأغانى : « لم يأخذه القرار » .
(٢) يريغ : يميل .

فزاد كما زِدْنا فأصبح نامياً ... وليس إذا مُتنا بمُنفَصِم (١) العَقْد
ولكنّه باقٍ على كلِّ حادثٍ ... وزائرُنا فى ظُلْمة القبْرِ واللَّحْد

فقال له الطبيبُ : إنَّ مما يُسَلِّيك عنها أن تَذْكُر مساويَها ومَعايبها وما تَعافه النفسُ من أقذار بنى آدم ؛ فإن النفس تَنْبو حينئذٍ ويخفّ ما بها . فقال :

إذا عِبْتُها شَبَّهتُها البدرَ طالعاً ... وحَسْبُكَ مِن عَيْبٍ لها شَبَهُ البَدْر
لقد فُضِّلت لُبْنى على الناس (٢) مثلَ ما ... على ألفِ شهرٍ فُضِّلت ليلةُ القَدْر
لها كَفَلٌ يَرْتجُّ منها إذا مَشَتْ ... ومتنٌ كغُصْن البانِ مُضْطمِرُ الخَصْر

وَدخل عليه أبوه، وهو يُخاطب الطبيبَ بهذه المُخاطبة ، فأنَّبه ولامه وقال له : يا بُنى ، اللهَ اللهَ فى نفسك ! فإنَّك ميِّتٌ ما دُمتَ على هذا ! له فقال :

وفى عُرْوةَ العُذْرىّ إن متُّ أُسوةٌ ... وعمرِو بن عَجلانَ الذى قتلتْ (٣) هِنْدُ
وبى مثلُ ما ماتا به غيرَ أنّنى ... إلى أجلٍ لم يأتِنى وقتُه بَعْدُ
هل الحُبّ إلا زَفْرةٌ (٤) بعد زَفْرةٍ ... وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَرْد
وفيضُ دُموعٍ تَستهِلُّ إذا بدا ... لنا عَلَمٌ من أرضكم لم يكنْ يَبْدُو

حديث زواجه بأخرى تدعى لبنى

فلما طال على قَيس ما به أشار قومُه على أبيه أن يُزوِّجه امرأةً جميلة فلعلّه أن يَسْلُو بها عن لُبنى . فدعاه إلى ذلك ، فأباه وقال :

لقد خِفْتُ ألاّ تَقْنَع النفسُ بعدها ... بشىءٍ من الدُّنيا وإن كان مَقْنَعا
وأزجُر عنها النَّفسَ إذ حِيل دُونها ... وتأبَى إليها النفس إلاّ تَطلُّعا

(١) فى بعض أصول الأغانى : بمنصرم العهد » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « كالذى » مكان « مثل ما » .

(٣) عروة العذرى ، هو ابن حزام ، شاعر إسلامى ، ممن قتلهم الهوى . وله شعر فى عفراء بنت عمه . وستأتى ترجمته . وابن عجلان : شاعر جاهلى ، أحب زوجته هند، ثم طلقها وندم على ذلك . وستأتى ترجمته .

(٤) فى الأغانى : عبرة » .

فأعلمهم أبوه بما ردّ عليه. فقالوا : فمُرْه بالمَسير فى أحياء العرب والنُّزول عليهم، فلعلّ عينَه أن تَقع على امرأة تُعجبه فتزوّجه إياها . فأقسم عليه أبوه أن يَفعل. فسار حتى نَزَل بحىّ من فَزارة ، فرأى جارية حَسناء قد حَسرت بُرْقعها عن وَجهها ، وهى كالبَدر ليلة تِمِّه . فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ فقالت : لُبنى . فَسقط على وجهه مغشيًّا عليه ، فنَضحت على وجهه ماء ، وارتاعت لِمَا عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قَيْس بن ذَريح إنه لمجنون . فأفاق . فنَسبتْه ، فانتسب لها . فقالت : قد علمتُ أنك قَيس ، فنَشَدْتُك الله وحَقّ لُبنى إلا أصبتَ مِن طعامنا . فأصاب منه بإصبعه . وركب ، وأتى على أثره أخٌ لها كان غائباً فرأى مُناخ ناقته ، فسأل عنه فأخبروه . فردّه إلى مَنزله وحَلف ليُقيمن عنده شهراً . فقال : لقد شَقَقْتَ علىّ ولكنّى سأتْبع هواك . فأقام عنده شهراً ، والفزارى يَزداد إعجاباً بحديثه وعَقله ورِوايته . فعرَض عليه الصِّهرَ . فقال له : يا فتى ، إنّ فيك لرغبةً ، لكنّى فى شغل لا يُنتفع بى معه . فلم يَزل يُعاوده والحىّ يلُومونه ويقولون : قد خَشِينا أن يصير علينا فعلُك سُبّة . فقال : دَعوني ، ففى مثل هذا الفتى يَرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهْرَ بينه و بينه على أخته المُسمّاة لُبنى ، وقال له : أنا أسُوق عنك صَداقها . فقال : أنا والله أكثر قومى مالاً ، فما حاجتُك إلى تكلُّف هذا ! أنا سائرٌ يا أخى إلى قَومى وسائقٌ إليها المَهر . ففعَل . وأعلم أباه الذى كان منه . فسَرَّه وساق المَهر عنه . ورَجع به إلى الفَزاريِّين حتى أُدخلت زوجتُه عليه . فلم يَروْه هشّ لها ولا دنا منها . فأقام على ذلك أيّاماً كثيرة ، ثم أعلمهم أنه يُريد الخروج إلى قومه . فأذِنوا له فى ذلك . فمضى لوجهه إلى المَدينة . وكان له صديقٌ من الأنصار بها ، فأعلمه الأنصاريُّ أنّ خَبر تزوُّجه بلغ لُبْنى فغَمَّها ، وقالت : إنه لغَدّار ، ولقد كنتُ أمتنع من إجابة قَومى إلى التّزويج فأنا الآن أُجيبهم .

زواج لبنى وحديث قيس

وقد كان أبوها شَكا قيساً إلى مُعاوية بن أبي سُفيان وأعلمه تعرُّضه لها بعد الطلاق. فكتب مُعاويةُ إلى مَروان بن الحكم يُهْدِر دَمَه إن تعرَّض لها، وأَمر أباها أن يُزوِّجها رجلاً يُعرف بخالد بن حِلِّزة، من غَطفان، فزوَّجها أبوها منه. فجعَل النساء ليلةَ زِفافها يقُلْن:

لُبْنى زوجها أصبح لا حُرٌّ[1] بواديهِ
له فضلٌ على الناس بما باتت تُناجيه
وقيسٌ ميّتٌ[2] حقًّا صريعٌ في بَواكيه
فلا يُبعِده الله وبُعداً لنَواعيه

فجزِع قَيس لما سَمِع ذلك جزعاً شديداً وجعل يَنْشِج أشدَّ نَشيج ويبكى أحرَّ بكاء. ثم رَكِب من فَوْره حتى أتى محلة قومها، فناداه النساء: ماتصنع الآن ها هنا؟ قد نُقِلتْ لُبنى إلى زَوجها! وجعل الفتيانُ يُعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها، وهو لايُجيبهم، حتى أتى موضع خِبائها، فنزل عن راحلته وجَعل يتمعّك[3] فى موضعها ويُمرِّغ خدَّه على تُرابها وَيبكى أحرَّ بكاء، ثم قال:

إلى الله أَشكو فَقْدَ لُبْنى كما شكا إلى الله فقدَ الوالدَيْن يَتيمُ
يتيمٌ جفاه الأَقربون فجسمُه نَحيلٌ وعهدُ الوالدَيْن قَديم
بكت دارُهم من نأيهم فتهلّلتْ دُموعى فأىَّ الجازعَين أَلُوم
أَمُستعبراً يَبْكى من الحزّ[4] والجوى أم آخَر يبكى شَجْوَه ويَهيم
تهيّضنى من حُبِّ لُبْنى علائقٌ وأصنافُ حُبٍّ هَوْلُهنّ[5] قَديم
ومن يتعلَّق حُبَّ لُبْنى فؤادُه يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَلِيم

---

(١) فى تزيين الأسواق (١ : ٥٦) : «يوازيه» . مكان « بواديه » .
(٢) فى الأغانى : «حى» مكان «حقا» .
(٣) فى الأغانى « والهوى » مكان « والجوى » . (٤) يتمعك : يتمرغ .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « عظيم » مكان « قديم » .

وإنّي وإن أزمعتُ(١) عنكِ تجلداً على العهد فيما بيننا لمُقيم
وإنّ زماناً شتّت الشملَ بيننا وبينكمُ فيه العِدا لمَشوم
أفى الحقِّ هذا أنّ قلبكِ فارغٌ صحيح وقلبى فى هواكِ سَقيم

له وقد عاتبه أبوه فى إهدار معاوية دمه

وقال أيضاً ، وقد عاتبه أبوه وتجهّمه ، لمّا بلغه أنّ مُعاوية أهدر دمَه ، وقال : انتهى بك الأمرُ إلى أن يُهدر السلطانُ دمَك :

فإنْ يَحجبوها أو يَحُلْ دون وَصْلها مَقالةُ واشٍ أو وَعيدُ أميرِ
فلن يَمنعوا عَيْنىَّ من دائم البُكا ولن يُذْهِبوا ما قد أجَنَّ ضَميرى
إلى الله أشكو ما أُلاقى من الهوى ومِن شَجنٍ يَعتادُنى(٢) وزَفير
ومن حَرَقِ للحُبِّ فى باطن الحَشى وليلٍ طويلِ الحُزن غيرِ قصير
سأبكى على نَفسى بعينٍ غزيرةٍ بُكاءَ حَزينٍ فى الوَثاق أَسير
وكُنّا جميعاً قبل أن يَظهر الهَوى بأَنْعَمِ حالَىْ غِبْطةٍ وسُرور
فما بَرِح الواشُون حتى بدت لهم بُطونُ الهَوى مَقْلوبةً لظُهور
لقد كنتِ حَسْبَ النفس لودام وصلُنا ولكنّما الدُّنيا متاعُ غُرور

وله فى مثله

وقال أيضاً فى إهدار مُعاوية دمه إن زارها :

إن تكُ لُبْنى قد أتى دون قُربها حجابٌ مَنيعٌ ما إليه سَبيلُ
فإنّ نَسيم الجوّ يَجمع بيننا ونُبصر قَرْن الشَّمس حين تَزُول
وأرواحنا فى الحىّ باللّيل تَلتقى ونَعلم أنّا بالنّهار نَقيل
وتَجمعنا الأرضُ القَرارُ وفوقنا سماءٌ نَرى فيها النُّجوم تَجول
إلى أن يعود الدهرُ سَلْمًا وتنقضى تِراتٌ بَغاها عندنا وذُحول

(١) فى الأغانى : « أجمعت » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ومن حرق تعتادنى » .

هو فى حجه وقد لقى لبنى

وذُكر أنه حجّ قيسُ بن ذَريح . وحَجّت لُبنى فى تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فدَهِش و بقى واقفاً مكانَه ، ومضت لسبيلها . ثم أرسلت المرأةَ تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره ، فألفَته جالساً مكانَه وحدَه يبكى و يقول :

ويومَ مِنًى أعرضتِ عنى فلم أقُل ... بحاجةِ نَفْسٍ عند لُبْنَى مقالهُا
وفى اليأسِ للنَّفس المريضة راحةٌ ... إذا النفسُ رامتْ خُطَّةً لا تنالُها

فدخلتْ خباءَه وجعلتْ تحدِّثه عن لُبنى ويُحدِّثها عن نفسه مَلِيًّا . ولم تُعلمه أنّ لُبنى أرسلتْها إليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلامَ ، فامتنعتْ عليه ، فأنشأ يقول :

إذا طلعتْ شمسُ النَّهار فسلِّمى ... فآيةُ تَسْليمى عليكِ طُلوعُها
بعَشْر تحيّاتٍ إذا الشمسُ أشرقتْ ... وعشرٍ إذا اصفرّت وحان رجوعُها
ولو أبلغتْها جارةٌ قولىَ اسْلمى ... طوتْ حزَناً[(١)] وارفضّ منها دُموعها
وبانَ الذى تُخْفِى من الوَجد فى الحَشَى ... إذا جاءها عنّى حديثٌ يرُوعها

وقضى الناسُ حَجَّهم وانصرفوا ، فمرَض قيسٌ فى طريقه مرضاً أشفى منه على الموت ، فلم يأته رسولُها عائداً ؛ لأنّ قومَها رأَوه وعَلِموا به ، فقال :

ألُبْنَى لقد جَلَّت عليكِ مُصيبتى ... غداةَ غدٍ إذْ حَلّ ما أتوقّعُ
تُمنِّيننى نَيلاً وتَلْوِيننى به ... فنَفسىَ شوقاً كلَّ يومٍ تَقَطَّع
أُخَبِّرتُ أنِّى فيكِ[(٢)] مِتُّ بحَسْرتى ... فمافاضَ مِن عينَيْك للوجد مَدْمع
ولكنْ لعَمْرى قد بكيتُك جاهداً ... و إن كان دائى كُلُّه منكِ أجمع
صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنَنِى ... فَظلَّتْ علىّ العائداتُ تفجّع

(١) هذه رواية التجريد . وفى الأغانى : « بكت جزعا » .

(٢) فى الأغانى : « ميت حسرتى » . مكان « مت بحسرتى » .

فقائلةٌ جِئنا إليــــه وقد قضى ... وقائلةٌ بل قد تركناه (١) يَنْزِع
فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاكَ عَبرةٌ ... وعيني على ما بي لذكراكِ تَدْمَع
إذا أنتِ لم تَبْكي عليّ (٢) جِنازةً ... لديكِ فلا تَبْكي غداً حين أُرْفَع

فبلغتْها الأبياتُ ، فجَزِعتْ وبكتْ بُكاءً شديدا . ثم خَرجت إليه ليلاً على مَوعد ، واعتذرت وقالت : إنما أُبْقي عليك وأخشى أن تُقْتَل ، فأنا أتجافاك لذلك، ولولا هذا ما تفرّقنا ، وودّعتْه وانصرفت .

شعره الذي في بعضه الغناء

وقيـــــل :

بلغه أنّ أهلَها قالوا لها : إنه عَليل لما به ، وإنّه سيموت في سفره هذا . فقالت لهم ، لتدفعَهم عن نفسها : ما أُراه إلّا كاذباً فيما يدّعي ومُتعلِّلاً . فقال شعره الذي في بعضه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَه :

تــكاد بــلادُ الله يا أُمَّ مَعْمَرٍ ... بمـــا رَحُبت يوماً عليّ تَضِيقُ
تُــكذِّبني بالوُدِّ لُبنى وليتهــــا ... تُــكَلَّف مـــــنّي مثلَه فتذُوق
ولو تَعْلَمــين الغَيْبَ أيقنتِ أنّني ... لــكُم والهدايا المُشْعَراتِ (٣) صَديق
تَتُوق إليكِ النفسُ ثم أَرُدُّهــا ... حياءً ومِثْلي بالحيـــــاء حَقيق
أَذُود سَوَامَ الطَّرف (٤) عنك وماله ... على أحــدٍ إلا عليكِ طَريق
وإنّي وإن حاولتِ صُرْمي وهِجْرتي ... عليكِ مِن أحداث الرّدَى لشَفيق
ولَمْ أرَ أيّاماً كأيّامنــــا التي ... مَرَرْنَ علينا والزمانُ أَنيق

(١) في الأغاني : « وقائلة لا بل تركناه » .
(٢) جنازة ، أي مشرفاً على الموت .
(٣) الهدايا : ما يساق إلى مكة من النعم ؛ الواحدة : هدية . والمشعرات : المعلمات ، إذ كانوا يطعنونها في سنامها الأيمن حتى يظهر الدم ويعرف أنها هدايا .
(٤) في الأغاني : « النفس » .

ووعدُكِ إيّانا وقد[1] قلتِ عاجلٌ بعيدٌ كما قد تعلمين سَحيق
وحدّثتَنى يا قلبُ أنك صابرٌ على البُعد من لُبْنَى فسوف تَذُوق
فمتْ كَمداً أو عِشْ سقيماً فإنما تُكلِّفنى ما لا أُراك تُطيق
أطعتَ وُشاةً لم يكُن لك فيهمُ خليلٌ ولا حانٍ[2] عليك شفيق
بلُبْنى أُنادَى عند أول غَشْيةٍ ويَثْنى بها الدّاعى لها فأُفيق
شَهِدتُ على نفسى بأنكِ غادةٌ رَدَاحٌ وأنّ الوجه منك[3] عَتِيق
وأنّكِ لا تَجْزِينَنى بصحَابةٍ ولا أنا للهجران منك مُطيق
وأنك قَسّمت الفُؤاد فنصفُه رَهينٌ ونصفٌ فى الحِبال وَثيق
صَبُوحى إذا ما ذَرّتِ الشمسُ ذِكرُكم ولى ذِكرُكم عند المَساء غَبُوق
إذا أنا عَزّيتُ الهوى أو تركتُه أتت عَبَراتٌ بالدُّموع تَسُوق
كأنّ الهَوى بين الحيازيم والحَشَى وبين التَّراقِى واللَّهاةِ[4] حَريق
وإن كنتِ لمّا تَعلَمى العِلْمَ[5] فاعلَمى وبعضٌ لبعض فى الفَعال[6] يفوق
سَلى هل قَلانى من عَشيرٍ صَحِبْتُه وهل ذَمّ[7] رَحْلى فى الرِّفاق رَفيق
وهل يَجْتوِى القومُ الكرامُ صَحابتى إذا اغْبرّ مَخْشِىُّ الفِجاج عَميق
سَعى الدّهرُ والواشُون بينى وبينها فقُطِّع حَبلُ الوَصل وهو وَثيق
هل الصبرُ إلا أن أَصُدّ فلا أُرَى بأرضكِ إلاّ أنْ يكونَ طَريق

(١) فى الأغانى: «ولو».

(٢) فى الأغانى: «جار».

(٣) الرداح: الثقيلة الأوراك. والعتيق: الجميل الكريم.

(٤) الحيازيم: جمع حيزوم، وهو وسط الصدر. والتراق: العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق؛ الواحدة: ترقوة. واللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم.

(٥) فى الأغانى: «فاسألى». (٦) فى الأغانى: «فزوق» مكان «يفوق».

(٧) فى الأغانى: «مل».

باع زوج لبنى ناقة وهو لا يعرفه وحديث ذلك

ثم أتى قيسُ بن ذَريح قومَه فاقتطع قطعةً من إبله ، وأعلم أباه أنه يُريد المدينة ليبيعَها ويَمتار لأهله بقيمتها . فعرف أبوه أنه إنّما يُريد لُبنى ، فعاتبه وزَجره عن ذلك ، فلم يقبل منه ، وأخذ إبلَه وقَدِم بها المدينة . فبينا هو يَعرضها إذ ساومه زوجُ لُبنى بناقةٍ منها ، وهما لا يتعارفان ، فباعه إيّاها وقال : إذا كان في غدٍ فأْتِ مكانَ كذا فاقْبِض الثمن . قال : نعم . ومَضى زَوجُ لُبنى إليها ، فقال: إنّي ابتعتُ ناقةً من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غداً ليَقْبض الثَّمن ، فأَعدّي له طعاماً . ففعلتْ . فلما كان من الغد جاء ، فصوَّت بالخادم : قُولى لسيّدكِ : صاحبُ الناقة بالباب. فعرفتْ لُبنى نَغْمته . فلم تَقُل شيئاً . فقال زوجُها للخادم : قُولى له : يدخل. فدَخل فجلس . فقالت لُبنى للخادم : قُولى له : يافتى، مالى أراكَ أَشْعثَ ! فقالت له ذلك . فتنفَّس ثم قال: هكذا حالُ مَن فارق الأحبّة واختار الموت على الحياة ، وبكا . فقالت لها لُبنى : قُولى له : حدِّثنا حديثَك. فلما ابتدأ يُحدِّثهم ، كشفت الحجابَ وقالت : حَسْبك ! قد عرفنا حديثَك ! وأسبلت الحجابَ . فبُهِت ساعةً لا يتكلّم ، ثم انفجر باكياً ، ثم نَهض فخرج . فناداه زوجُ لُبنى : ويحك ! ماقِصّتك ؟ ارجع فاقبض ثمنَ ناقتك ، وإن شئت زِدْناك . فلم يُكلّمه ، وخَرج ورَكب راحلَته ومَضى . فقالت لُبنى لزوجها : ويحك ! هذا قَيس بن ذَريح ، فما حَملك على ما فعلتَ به . فقال : ما عرفتُه . وجعل قَيسٌ يبكى في طريقه ويندُب نفسَه ويوبِّخها على فِعله ، وقال :

أتبكى على لُبنى وأنت تركتَها ... وكُنت عليها بالمَلا أنتَ أقدرُ
فإن تكنِ الدُّنيا بلُبنى تقلّبت ... فللدَّهر والدُّنيا[1] بُطونٌ وأظْهُر
لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكفّ مُرتاد وللعَين مَنْظر
وللحائم العطشانِ رِيٌّ بريقِها ... وللمَرِح المُختال خَمْرٌ ومُسْكِر
كأنّى في[2] أرجُوحةٍ بين أحبُلٍ ... إذا ذُكْرةٌ منها على القلب تَخْطُر

(١) في الأغانى : « تقلبتا على فللدنيا » .
(٢) في الأغانى : « لها » .

مرضه

وعاد قيسٌ إلى قومه بعد رُؤْيته إيّاها ، وقد أنكر نفسه وأَسِف ، ولحقه أمرٌ عظيم . فأنكروه وسألوه عن حاله ، فلم يُخبرهم . ومَرِض مَرَضاً شديداً أشرف منه على الموت . فدخل إليه أبواه ورجالٌ من قومه فكلَّموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : ويحكم ! أتُرَوْنى أمرضتُ نفسى أو وجدتُ لها سَلوةً بعد اليأس فاُخترتُ الهَمّ والبلاء ، أوْ لِى فى ذلك صُنع ؟ هذا ما اُختاره لى أبواى وقتلانى به ! فجعل أبوه يَبكى ويدعو له بالفَرَج والسَّلْوة . فقال قيس :

لقد عذَّبْتَنِي يا حُبّ لُبنى ... فقَعْ إمّا بمَوْتٍ أو حَياةِ
فإنّ الموتَ أروحُ من حياةٍ ... تَدُوم على التّباعُد والشَّتات
وقال الأقربون تَعزَّ عنها ... فقلتُ لهم إذا حانت وَفاتى

رسول لبنى إليه يسأله عن زواجه بعدها

ودَسّت إليه لُبنى رسولاً بعد خُروجه وقالت : اُستَنْشده ، فإذا سألك عن نَسبك، فاُنتسب له خُزاعيًّا ، فإذا أنشدك فقل له : لِمَ تزوّجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوّج بعدك ؟ واُحفظ ما يقوله حتى تَرُدّه علىّ . فأتاه الرسولُ ، فسلّم واُنتسب خُزاعيًّا ، وذكر أنه من أهل الشام ، واُستنشده ، فأنشده :

أيا كَبِداً صارت[1] صُدوعاً نوافذاً ... ويا حَسْرتَا ماذا تَغلْغَل فى القَلْبِ
وأُقسِم ما عُمْشُ العُيونِ شَوارِفٌ ... روائمُ بَوٍّ حائماتٌ على[2] سَقْب
تَشمَّمْنَه لو يَسْتطعنَ اُرتَشَفْنه ... إذا سُفْنه يَزْدَدْن نَكْباً على[3] نَكْب
رَئِمْن فما تَنْحاش منهنّ شارفٌ ... وحالَفْن حَبساً فى المُحول وفى الجَدْب

(١) فى الأغانى : « طارت » .

(٢) الشوارف : المسان من النوق ؛ الوحدة ، شارفة . والروائم : التى تعطف على غير أولادها ؛ الواحدة : رائمة . والبو : جلد الحوار يحشى ويقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر . والسقب : ولد الناقة .

(٣) ساف : شم . والنكب ، بالتحريك وسكن للشعر : داء تظلع منه الإبل .

بأَوْجدَ منِّى يومَ ولَّت حُمولُهــــا وقدطلعتْ أُولَى الرِّكاب على[1] النَّقب
وكُلُّ مُلِمّات الزَّمان وجــدتُها سوى فُرقةِ الأَحبـاب هَيِّنَةَ الخَطْب

فقال له الرجلُ : فلِمَ تزَوجتَ بعـدها ؟ فأخبره خبَره ، وحَلف له أنّ عينه ما اكتحلت بالمرأة التى تزوّجها ، وأنه لو رآها فى نِسْوة ماعَرفها ، وأنه مامَدَّ يدَه إليها ولا كلّمها ولا كَشف لها عن ثوب. فقال له : فإنِّى جارٌ لها ، وإنها من الوَجد بك على حال قد تمنَّى زوجها معها أن تكون بقُربها لتصلُح حالها بك ، فحمِّلنى إليها ما شئت أن أُؤدِّه إليها . قال : تعُود إلىّ إذا أردتَ الرحيل . فعاد إليه ، فأَنشده :

ألاَ حَىِّ لُبنى اليوَم إن كنتَ غادِياَ وأَلِمْ بهــا من قبــلِ أنْ لا تَلاقِياَ
وأَهْـــدِ لها منك النصيحةَ إنّهـــا قليـــلٌ ولا تخْش الوُشاةَ الأَدانيا
وقُل إنّنى والراقصــاتِ إلى منًى بأَجْبُـل جَمْعٍ[2] ينْتَظِرْنَ المُناديا
أصونُكِ عن بَعضِ الأُمور مَضَـنَّةً وأَخشَى عليكِ الـكاشحين الأَعاديا
تَسَـاقَطُ نفسى حين أَلقـاكِ أنفُساً يَرِدْنَ فمـا يَصْدُرْن إلّا صَواديا
فإن أَحْيَ أو أَهْلِكْ فلستُ بزائلٍ لـكم حافظاً ما بَلَّ رِيقى[3] لســانيا
أقول إذا نَفسى من الوَجْـدِ أصعدتْ بها زَفرةٌ تَعتـادنى هىَ ما هيــا
و بين الحَشى والنَّحر منِّى حـرارةٌ ولوعةُ وَجْـدٍ تترُكُ القلبَ ساهِيــا
ألَا ليت لُبنى لم تكُ لىَ[4] خُـلَّةً ولم ترَنى لُبنى ولم أَدْرِ ما هِيــا
سَلِى النـاسَ هل خَبّرتُ سِرّكِ منهمُ أخَا ثِقـــةٍ أو ظاهرَ الغِشِّ باديا
لَعمرى لَفيكِ اليوم[5] حُمِّلتُ ما أرى وأُنذرت من لُبنى الذى كنتُ لاقيـا
خليلىَّ ما لى قـــد بَليتُ ولا أَرى لُبْيَنَى على الهِجْرانِ إلّا كما هيـا

(١) فى الأغانى : « من » . (٢) جمع : المزدلفة .
(٣) فى الأغانى : « ريق » .
(٤) خلة : صديقة .
(٥) فى الأغانى : « لقبل اليوم حملت ما ترى » .

ألا يا غُرابَ البَيْنِ ما لكَ كُلّما ... ذكرتُ لُبَينى طِرْتَ لِى عن شِماليا
أعِنْدكَ علمُ الغَيبِ أم لستَ[(١)] مُخْبِرى ... عن الحقّ إلا بالّذى قد بَدا ليا
جَزِعتُ عليها لو أرى لىَ مَجْزعاً ... وأفنيتُ دَمعَ العَينِ لو كان فانيا
حياتَك لا تُغلَبْ عليها فإنه ... كَفى بالذى تَلْقى لنَفسك ناهيا
تَمُرُّ الليالى والشُّهور ولا أَرى ... وَلُوعى بها يَزْداد إلّا تمـاديا

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدةُ تختلط بقصيدة المَجنون التى على وَزنها وقافيتها ، ولتشابههما قلّما يتميزان .

بريكة بينه و بينها وشعره فى ذلك

وذُكر أنّه كانت امرأة من موالى بنى زهرة يُقال لها : بُرَيكة من أظرف النّساء وأكرمهن ، وكان لها زَوج من قُريش له دار ضيافة . فلما طالت عِلَّة قَيس قال له أبوه : إنّى لأعلم أنّ شفاءك فى القُرب من لُبنى ، فاْرحل إلى المدينة . فرَحل إليها ، حتى أتى دار الضيافة التى لزَوج بُريكة ، فوثب غِلْمانها[(٢)] إلى رَحْل قيس ليُحطّوه . فقال : لا تَفعلوا، فلستُ نازلاً أو ألقى بُرَيكة، فإنى قصدتُها فى حاجة ،فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم و إلا رحلتُ . فأتَوْها فأخبروها . فخرجت إليه وسلّمت عليه ورحّبت به وقالت : حاجتُك مقضيّة فاْنزل. فنَزل ودنا منها وقال: أذكر حاجتى؟ فقالت:إن شئتَ . فقال : أنا قَيس بن ذَريح. قالت : حَيّاك الله وقرّبك! إنّ ذكرك عندنا لجَديد فى كُل وقت . قال : فحاجتى أن أرى لُبنى نظرةً واحدة . قالت : ذاك لك عَلىّ . فنَزل عندهم وأقام ، وأَخْفت خَبَره . ثم أهدى لها هَـدايا كثيرةً وقال : لاطِفيها و زَوْجَها بهذه حتى تأنَس بك . ففَعلت ، وزارتْها مراراً ، ثم قالت لزَوجها : أَخبرنى عنك : أنت خيرٌ من زَوجى؟ قال : لا . قالت : فلُبْنى

---

(١) فى بعض أصول الأغانى: « أم أنت » .

(٢) فى الأغانى : « غلمانه » .

خيرٌ منى ؟ قال : لا . قالت : فما بالى أزورها ولا تزورنى ! قال : ذاك إليها . فأتتها وسألتها الزيارةَ وأعلمتها أن قيساً عندها . فسارعت إلى ذلك وأتتها ، فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان . ثم جعلتْ تسأله عن خبره وعلّته ، فيُخبرها . ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشدنى ما قلتَ فى علّتك . فأنشدها قولَه :

أُعالج من نفسى بقاياَ حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعُودُ
فإنْ ذُكرت لُبنى هَشِشْتُ لذكرها ... كما هَشّ للثَّدْى الدَّرُور وَليد
أُجيب بلُبنى مَن دعانى تجلُّداً ... ولى[1] زَفراتٌ تَنْجلى وتَعود

ومنها :

ألاَ ليتَ أياماً مَضَيْن تعود ... فإن عُدْن يوماً إنّنى لَسعيد
سَقى دارَ لُبنى حيث حلّت وخَيَّمت ... من الأرض مُنْهلُّ الغَمام رَعُود
فلا اليأسُ يُسْليني ولا القُربُ نافعى ... ولُبْنَى مَنُوعٌ ما تكاد تَجود
رمتْنِى لُبَينى فى الفؤاد بسَهْمها ... وسَهمُ لُبَينى للفؤاد صَيُود
سَلاَ كلُّ ذى شَجْوٍ علمتُ مكانَه ... وقلبى للُبْنى ما حَييتُ وَدُود
وقائلةٍ قد مات أو هو مَيّتٌ ... وللنفس منّى أن تَفيظ[2] رَصيد

وعاتبتْه على تزوّجه . فحلف أنّه لم ينظرُ إليها مِلْء عينيه ولا دَنا منها. فصدّقته. وقال :

ولقد أردتُ الصّبرعنكِ فعاقنى ... عَلَقٌ بقَلْبى مِن هواكِ قَديمُ
يَبقَى على حَدَثِ الزمان ورَيْبه ... وعلى جَفائك إنه لكَريم
فصَرَمته وصَحِحْتِ وهو بدائه ... شَتَّان بين مُصحَّح وسَقيم
قاربْته[3] زمناً فعاد بحِلْمه ... إنّ المُحبّ على[4] الحَبيب حَليم

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وبى » . (٢) فى الأغانى : « تفيض » .
(٣) فى الأغانى : « واربته » . والمواربة : المخادعة والمخاتلة .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « عن » .

فلم يزل يومَه معها يحدِّثها و يَشكو إليها أكرمَ حديث وأعفَّ شكوى ، حتى أمستْ وانصرفت . ووعدتْه الرُّجوع إليه من غد . فلم ترجع إليه . وشاع خبرُه ، فلم تُرسل إليه رسولاً . فكتب هذه الأبياتَ فى رُقعة ودفعها إلى بُرَيكة وسألها أن تُوصلها إليها . ورَحل متوجِّها إلى مُعاوية بن أبي سُفيان . والأبيات :

بنفسىَ مَنْ قلبي له الدهرَ ذاكرُ ... ومَنْ هو عَنِّى مُعرِضُ القلبِ صابرُ
ومَن حُبُّه يزداد[1] عندى تجدُّداً ... وحُبِّى لديه مُخْلَقُ العَهد داثر

ثم ارتحل إلى مُعاوية ، فدَخل إلى يزيد بن مُعاوية وشكا ما به وامتدحه ، فرقّ له وقال : سَل ماشئتَ ، إن شئت أكتب إلى زَوجها فأُحتِّم عليه أن يطلِّقها ، فعلتُ ؟ قال : لا أُريد ذلك، ولكن أحب أن أُقيم حيث تُقيم من البلاد، فأعرف أخبارَها من غير أن يُهْدَر دمى . فقال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وَجب أن نمنَعه، فأَقم حيثُ شئت . وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث أحبّ، لا يَعترض عليه أحدٌ ، وأزال ما كان كُتب به من إهدار دمه . فقدِم إلى بلده . و بلغ الفَزاريِّين خبرُه و إلمامُه بلُبنى، فكاتَبوه فى ذلك وعاتبوه، فقال للرسول : قل للفتى — يعنى أخا الجارية التى تزوجها — : يا أخى ، ما غَررتُك من نفسى ، وقد أعلمتُك أنى مَشغول عن كُل أحد ، وقد جعلتُ أمر أُختك إليك فأمض فيه من حُكمك ما أردت .

فتكرّم الفتى عن أن يفرِّق بينهما . فمكثت فى حِباله[2] مُدةً حتى ماتت .

وحكى عيّاش السَّعدىّ قال : أنشدعياشاً السعدى من شعره فى لبنى

أَقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة[3] ، فلما كنتُ بالمَذاد[4] ، إذا رَبْعٌ حديثُ عَهد بالساكن فيه ، و إذا رجلٌ مُجتمع فى جانب ذلك الرَّبع يبكى ويُحدِّث نفسه ،

(١) فى الأغانى : « عندى جدة » مكان «عندى تجددا» .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى خباء له » . (٣) الغابة : بريد من المدينة على طريق الشام .
(٤) المذاد : موضع بالمدينة .

فسلَّمتُ عليه ، فلم يرُد السلامَ علىّ ، فقلتُ فى نفسى : رجلٌ مُلتبَسٌ به ![١] فولّيتُ عنه . فصاح بى بعد ساعة : وعليك السلام ، هلُم يا صاحب السلام . فأتيتُه . فقال : أما والله لقد فهمتُ سلامَك ، ولـكنّى رجل مُشْتَرَكُ اللُّب يَضِلُّ عنِّى أحيـاناً ثم يعود إلىّ . قلت : ومَن أنت سلَّمك الله ؟ قال : أنا قيس بن ذَرِيح اللَّيْثى . قلت: صاحب لُبنى ؟ قال : لَعمرى وقَتيلُها ! ثم أرسل عَينيه كأنهما مزادتان ، فما أنسى حُسن قوله :

أبائنةٌ لُبنى ولم تَقطع المَـــدَى ... بوصلٍ ولاصُرْمٍ فييأسَ طامـعُ

نَهارِى نَهـارُ الوَالهـين صَبابةً ... ولَيلِىَ تَنْبو فيه عنِّى المَضاجـع

وقد كنتُ قبـل اليوم خِلْوًا وإنما ... تُقسَّم بـين الهالـكين المَصارع

فلولا رجاء القلب أن تُسعِف النوى ... لَمَا حبستْه بينهن الأَضالع

له وَجَباتٌ إثْر لُبـنى كأنهـا ... شَقائقُ بَرْق فى السَّماء لَوامـع

أبَى اللهُ أن يَلقى الرشـادَ مُتيَّمٌ ... ألا كُلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدَّ واقِـع

هما تركانى[٢] مُعـوِلَيْن كلاهما ... فؤادٌ وعينٌ جفنُها الدهرَ دامع

استنشده ابن أبى عتيق أحسن ماقاله فى لبنى

وذُكر أنّ ابن أبى عَتيق قال لقيس يوماً : أَنشدنى أحسنَ[٣] ما قُلت فى لُبنى . فأَنشده قولَه :

وإنّى لأَهْوى النومَ من غير[٤] نَعْسَةٍ ... لَعلّ لقاءً فى المَنـام يـكونُ

تُحدِّثنى الأحـلامُ أنِّى أراكُم ... فيا ليتَ أحـلامَ المَنام يَقِين

شَهدتُ بأنِّى لم أحُلْ عن مَودَّة ... وأنِّى بـكم لو تَعلمـين ضَـنِين

وأنّ فؤادى لا يَلينُ إلى هَوَى ... سـواكِ وإن قالُوا بَلى سَيلين

(١) أى خولط فى عقله .
(٢) فى الأغانى : « هما برحابى » .
(٣) فى الأغانى : « أحر » .
(٤) فى الأغانى : « حينه » .

فقال له ابنُ أبى عَتيـــق : لقلّ ما رضيتَ به منها يا قَيس ! فقال : ذا جَهد المُقِـلّ .

من جيد شعره

ومن حَسن شعر قَيس قولُه من قصيدة :

إذا أَمرتْنى العـاذلاتُ بهَجرها أبتْ كِبِـدٌ عمّا يقُلن صَديعُ
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحُبُّهـا يُؤرّقنى والعـاذلاتُ هُجوع

ومِن جَيِّد شعره قصيدتُه العينية التى منها :

أَتبكى على لُبْنَى وأنت تركتَهـا فـكنتَ كآتٍ حَتْفَه وهو طائعُ
فيا قلبُ صـبْراً واْعترافاً بحُبهـا ويا حُبّهـا قَعْ بالّذى أنتَ واقِع
ويا قلبُ خبِّرنى إذا شَطَّت النَّوى بلُبْنى وبانت عنك ماأنتَ صانع
أتصبر للبَـيْن المُشتّ مع الجَوى أم أنت أمرؤٌ ناسِى الحياء فجازع
كأنّك بِدْعٌ[(١)] لم ترَ النّاس قبلَها ولم يَطّلِعْك الدهرُ فيما يُطـالع
ألا يا غُرابَ البَيْن قد طِرْت بالذى أُحاذِرُ من لُبنى فهل أنت واقِع
فما مِنْ مُحبٍّ دائمٍ[(٢)] لحَبيبـه ولا ثِقةٌ إلّا له الدهرَ فاجِـع
كأنّ بلادَ الله ما لم تـكُن بها وإنْ كان فيها الناسُ وحشٌ[(٣)] بلاقع

ومنها أبياتٌ ثلاثة تقدّمت فى أخبار المجنون منسوبةٌ إليه .

قال أبو الفرج : والصحيحُ أنها لأبن الدُّمينة ، وهى :

أُقَضِّى نهارى بالحـديث وبالمُـنَى ويَجْمعـنى والهمَّ بالليـل جامع
نهارى نهارُ النّاس حتى إذا بدا لِىَ اللّيلُ هزّتْنى إليكِ المَضاجع
لقد ثَبتت فى القَلْب منك مودّة كما ثَبتت[(٤)] فى الراحتَيْن الأَصابع

(١) بدع : لم يجرب الأمور .
(٢) فى الأغانى : « فليس محب دائما » .
(٣) فى الأغانى : « قفر » .
(٤) فى الأغانى : « رسخت » .

ومن قصيدة قيس بن ذريح :

ألاَ إنّما أَبكى لمـا هو واقِع — فهل جزَعى من وَشْك ذلك نافِع
وقد كنتُ أبكى والنّوى مُطمئِنّة — بنا وبكم من عِلم ما البينُ صانع
وأَعمِد للأرض التى لا أريدهـا — لِترْجعَنى يوماً إليـكِ الرّواجع
وأهجرُكم هَجْر البَغيض وحُبُّكم — على كَبِدى منه شؤون[1] صَوادع
وأُشفِق من هِجرانكم وتَروعنى — مخافةُ وشكِ البَيْن والشملُ جامع
فما كُل ما مَنّتْك نفسُك خالياً — تُلاقِى ولا كُل الهوى أنت تابِع
فتِلْك لُبَيْنى قد تَراخَى مَزارُهـا — وتلك نَواهـا غُرْبةٌ ما تُطاوع
وليس لأمرٍ حاول اللهُ جَمْعَه — مُشتِّتٌ ولا ما فرّق اللهُ جامـع
فلا تبكيَنْ فى إثْر لُبْنى نَدامـةً — وقد نَزعتْهـا من يدَيْك النّوازع

ذكر عود لبنى إلى قيس

وساطة الحسن والحسين وابن جعفر

ذُكر أنّ ابن أبى عَتيق صار إلى الحَسن والحُسين، ابنى علىّ بن أبى طالب، عليهم السلام ، وعبدِ الله بن جعفر بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ، وجماعةٍ من قُريش ، وقال لهم : إنّ لى حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدّنى ، وإنى أستعين بجاهكم وأموالكم عليه . قالوا : ذلك مَبذول منّا . فاجتمَعوا ليوم وَعدهم فيه . فمضى بهم إلى زَوج لُبنى . فلما رآهم أعظم مَصِيرهم إليه وأكبرهم . فقالوا : قد جئناك بأجمعنا فى حاجة لابن أبى عَتيق . فقال : هى مَقضيّة كائنةً ما كانت . قال ابن أبى عتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من أهل أو ملك أو مال ؟ قال : نعم . قال : تَهَب ولهم ولى لُبنى زَوجتَك وتُطلّقها . قال : فإنّى أُشهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً . فاستحيا القومُ واعتذروا وقالوا : والله ما عرَفنا حاجَته ، ولو عرَفنا أنها هذه ما سألناك إياها .

(١) فى بعض أصول الأغانى : «كلوم» .

فعوَّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم ، وحملها ابنُ أبى عتيق إليه ، فلم تزل عنده حتى انقضت عِدّتها . فسأل القومُ أباها فزوّجها قيساً ، ولم تزل عنده حتى ماتا . فقال قيس يمدح ابن أبى عتيق :

جَزى الرحمٰن أفضلَ ما يُجازِى على الإحسان خَيراً من صَدِيقِ
فقد جَرّبتُ إخوانى جميعاً فما ألفيتُ كابن أبى عتيق
سَعى فى جَمْع شَمْلى بعد صَدْعٍ ورأيٍ جُرْت فيه عن[1] طَرِيقِ
وأَطفأ لوعةً كانت بقَلْبى أَغصَّتْنى حرارتُها بريقى

فقال له ابنُ أبى عتيق : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المَديح ، فما يَسمعه أحد إلّا ظَنَّنى قَوّاداً .

موتهما

هذا ما ذهب إليه بعضُ العلماء . وذهب بعضهم إلى أنهما ماتا على تهاجرهما . وبعضُهم ذكر أنها ماتت أولاً ، وخَرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقَفوا على قبرها ، فقال :

ماتت لُبينى فموتُها موتِى هل تَنفَعَنْ حَسْرتى على الفَوْتِ
فسوف أبكى بُكاء مُكتئبٍ قضى حياةً وَجْداً على مَيْتِ

ثم أكبّ على القبر يبكى حتى أُغمى عليه ، فرفَعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يُجيب مُتكلِّماً ، ثم مات فدُفن إلى جنبها .

قلت :

وهذه الرِّواية لا تَنفى أنها رجعتْ إليه ، فإنّ من الجائز أنها تُوفيت وجرى ذلك وهى فى حِباله .

وذكر بعضُهم أنه توفى أولاً ، وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . والله أعلم أىّ ذلك كان .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ورأى حدت فيه عن الطريق » .

أخبار عمر بن عبد العزيز (*)

نسبه

هو عمرُ بن عبد العزيز بن مَرْوان بن الحكم بن أبي العاصى بن أُميّة بن عبد شَمس بن عبد مناف. ويكنى أبا حَفْص.

أمه

وأُمه أُم عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه.

أشج قريش

ويقال له: أشجّ قُريش، لأنه كان فى جبهته أثرُ ضَربة حافر.

رقة عبد الملك له

وكان عمّه عبدُ الملك بن مَروان يرِقّ له ويُدْنيه، وإذا دخل إليه رفعه فوق ولده جميعاً، إلّا الوليدَ بن عبد الملك. فعاتبه بعضُ بنيه على ذلك، فقال: أوما تعلم لِمَ فعلتُ ذلك؟ قال: لا. قال: إن هذا سَيَلِى الخلافةَ يوماً، وهذا أشجُ بنى مروان الذى يملأ الأرض عدلا بعد أن تُملأ جوْراً، فمالى لا أُحبُّه وأُدْنيه!

خبر شجه وما كان بين أبيه وأمه

وقيل:

خرج عُمر بن عبد العزيز يوماً يلعب، فرمحتْه بغلة على جنبيه، وبلغ أُمّه أمَّ عاصم الخبرُ، فخرجت فى خدَمها، وأقبل عبدالعزيز إليها، فقالت: أمّا الكبير فيُكرم[1]، وأما الصّغير فيُرْحم، وأما الأوسط[2] فيَضيع، لِمَ لا تتخذ لأُبنى حاضناً حتى أصابه ما ترى! فجعل عبدُ العزيز يَمسح الدمَ عن وجهه، ثم نظر إليها وقال: ويحك! إنْ كان أشجَّ بَنى مروان، أو أشجَّ بنى أُمية: إنه لسَعيد.

نظرته إلى أموال أهله لما ولى

ولما أفضت الخلافةُ إلى عمر بن عبد العزيز سَلك طريق العدل، وخالف

(*) وقبل هذا ذكر أبو الفرج صوتا من مدن معبد فى شعر عنترة. ثم ذكر شيئاً من أخبار الحارث ابن خالد، ثم عاد إلى أصوات معبد فى قتيلة، ثم ذكر سبعة ابن سريج، ثم أغانى الخلفاء وأولادهم.

(١) فى بعض أصول الأغانى: «أما الكبير فيخدم، وأما الصغير فيكرم»

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «وأما الوسط».

بذلك طريقة أهله من بنى أمية ، وأخذ نفسه بردّ المظالم ، و بدأ بلُحْمته وأقاربه وأخذ ما فى أيديهم ، وسمّى أموالهم[(١)] المظالم . ففزِعت بنو أمية إلى عمّته فاطمةَ بنت مروان، فأرسلت إليه : إنه قد عنانى أمرٌ لا بُدّ من لقائك فيه . فأتته ليلاً . فأنزلها عن دابّتها . فلما أخذت مجلسها، قال : يا عمّة، أنت أولى بالكلام لأنّ لك الحاجةَ، فتكلمى . فقالت : تكلَّم أنت يا أمير المؤمنين . قال : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم رحمةً ، ولم يبعثه عذاباً ، إلى الناس كافّة ، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه ، وترك لهم نهراً شِرْبُهم فيه سواء . ثم قام أبو بكر رضى الله عنه فترك النهر على حاله . ثم وَلِى عُمر رضى الله عنه فعَمِل على أمر صاحبه . فلما وَلِى عُثمان رضى الله عنه اشتق من ذلك النهر نهراً . ثم ولى معاوية بن أبى سفيان فَشقّ منه الأنهار . ثم لم يزل النهرُ يَشُق منه يزيدُ ومروانُ وعبدُ الملك والوليدُ وسليمان حتى أفضى الأمرُ إلىّ وقد يَبِس ذلك النهرُ الأعظم ، ولن يرْوَى أصحابُ النهر حتى يعود إليهم النهرُ الأعظم إلى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامَك ومُذاكرتك ، فأمّا إذا كانت هذه مقالتَك ، فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً . ورجعت إليهم فأبلغتْهم كلامَه وقالت : ذُوقوا مَغبَّة أمركم فى تَزويجكم آلَ[(٢)] عمر بن الخطاب .

هو وكثير والأحوص ونصيب

وحكى حمّاد الرّاوية قال :

دخلتُ المدينةَ ألتمس العِلْم ، فكان أوّل مَن لقيتُ كُثيِّر عَزّة ، فقلت : يا أبا صَخر ، ما عِندك من بضاعتى ؟ فقال : إنّه لمّا كان من أمر عُمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمْتُ أنا ونُصيب والأحوص ، وكُلّ واحدٍ منّا يمُت بسابقته عند عبد العزيز ، و إخائه لعمر ، وكان أولَ مَن لقيناه مَسْلمةُ بن عبد الملك ، فأحسن ضيافتَنا وأكرم مَثوانا ، ثم قال : أمَا علمتُم أنّ إمامكم لا يُعطى الشُّعراء شيئاً ؟

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أعمالهم » . (٢) فى التجريد : « إلى » .

قلنا : قد جِئنا الآن ، فافتح لنا فى هذا الأمر وجهاً . فقال : إن كان ذو دِين من آل مَروان قد وَلِى الخلافة فقد بَقِى مِن ذوى دُنياهم مَن يقضى حقَّكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشْهُرٍ لا نَصِل إليه ، وجَعل مَسلمة يَستأذن فلا يُؤْذَن له . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظت من كلام عُمر شيئاً ! فأتيتُ المَسجد ، فأنا أوّل من حَفِظ من كلامه ، سمعتُه يقول فى خطبته : لكلّ سَفر زاد لا محالة ، فتزوّدوا من الدُّنيا إلى الآخرة التقّوى ، وكُونوا كمن عايَن ما أعدَّ اللهُ من ثوابه وعِقابه ، فعَمِل طلباً لهذا وخوفاً من هذا ، ولا يطُولنّ عليكم الأمد فتَقْسُوَ قلوبُكم وتنقادوا لعدوِّكم ؛ واعلموا أنه إنما يَطمئنّ بالدُّنيا مَن وثق بالنجاة مِن عَذاب الله فى الآخرة ، فأمّا من لا يداوى جُرحاً إلّا أصابه جرحٌ من ناحية أخرى ، فكيف يطمئنّ بالدنيا ! أعوذ بالله أنْ آمرَكم بما أنهى نفسى عنه فتَخسَر صَفْقتى ، وتبدُوَ عَيْلتى . وتَظهر مَسكنتى، يوم لا يَنفع إلّا الحقُّ والصدق . فارتجّ المسجد بالبُكاء . وبكى عمر حتى بلّ ثوبه وحتى ظَننا أنه قاضٍ نَحْبَه .

قال كُثيِّر : فبلغت إلى صاحبىّ فقلت : جَدِّدا لعُمَر من الشِّعر غيرَ ما أعددتماه ، فليس الرجل بدُنيوى .

ثم إن مَسلمة اُستأذن لنا يومَ الجمعة بعد ما أُذِن للعامة . فدخلنا كافّة ، فسلَّمنا عليه بالخلافة . فرَدَّ علينا . فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، طال الثَّواء وقَلَّت الفائدة ، وتحدَّثت بجفائك إيّانا وفودُ العرب . فقال : يا كُثيِّر ، أما سمعتَ إلى قول الله عزَّ وجلّ فى كتابه : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له : وأنا ضاحك : أنا ابنُ سبيل ومُنقَطعٌ به . فقال : أولستَ ضيفَ أبى سَعيد ؟ فقلت : بلى . قال : ما أحسب مَن كان ضيفَ

أبى سعيد أبنَ سبيل ولا مُنقطعاً به . ثم استأذنتُه فى الإنشاد . فقال : قُل ولا تَقُل إلّا حقًّا ، فإن الله يسألك . فقلت :

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عليًّا ولم تُخِف بَرِيئاً ولم تَتْبَع مقالة مُجْرِمِ
وقلتَ فصدَّقت الذى قلتَ بالذى فعلتَ فأمسى راضياً كُلُّ مُسلِمِ
ألَا إنّما يَكفِى الفتَى بعد زَيْغه من الأَوَد البادى ثِقافُ المُقَوِّم
وقد لبستْ لُبْسَ الهَلُوك[1] ثيابَها وأبدت لك الدُّنيا بكَفٍّ ومِعْصَمِ
وتُومِض أحياناً بعينٍ مَريضةٍ وتَبْسِمِ عن مِثْلِ الجُمان المُنَظَّمِ
فأعرضتَ عنها مُشمئزًّا كأنّما سقَتْك مَدوفاً من سِمَام[2] وعَلْقَمِ
وقد كنتَ من أجبالها فى مُمَنَّعٍ ومن بَحرها فى مُزْبِدِ الموج مُفْعَمِ
وما زِلتَ سبَّاقاً إلى كُلِّ غايةٍ صَعِدْتَ بها أعلى البناء المقدَّمِ
فلمّا أتاك المُلكُ عفواً ولم يكن لطالبِ دُنيا بعده مِن تَكَلُّمِ
تركتَ الذى يَفنَى و إن كان مُونِقاً وآثرتَ ما يَبقى برأيٍ مصمِّمِ
فأضررْتَ بالفانى وشمَّرتَ للذى أمامَك فى يومٍ من الشَّرِّ[3] مُظْلِمِ
ومالَك أن كنتَ الخليفة مانعٌ سوى الله من مالٍ رغيبٍ ومِن[4] دَمِ
سَمَا لك هَمٌّ فى الفؤاد مؤرِّقٌ صعدتَ به أعلى المَعالى بسُلَّمِ
فما بين شرقِ الأرض والغرب كلِّها مُنادٍ ينادِى من فصيح وأعجمِ
يقول أميرُ المُؤمنين ظلمتَنى بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ دِرْهمِ
ولا بَسطِ كفٍّ لأمرىء ظالمٍ له ولا السفكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَمِ
فلو يَستطيع المُسلمون لقسَّموا لك الشَّطر من أعمارهم غيرَ نُدَّمِ
فعِشْتَ به ما حَجَّ لله راكبٌ مُغِذٌّ مُطيفٌ بالمَقام وزَمْزَمِ

(١) الهلوك : المرأة الفاجرة المتساقطة .
(٢) المدوف : المخلوط . والسمام : السم .
(٣) فى غير التجريد : « من الهول » .
(٤) فى غير التجريد : « ولا دم » .

فأَرْبِحْ بهـا من صَفْقَةٍ لِمُبايِـعٍ وأَعْظِمْ بهـا أَعْظِمْ بهـا ثم أَعْظِمِ

فقال لى : يا كُثيِّر ، إنّ اللهَ سائلك . فأنشده :

وما الشعرُ إلّا خُطبةٌ من مُؤلِّفٍ بمَنطق حقٍ أو بمَنطق باطلِ
فلا تَقبلنْ إلّا الذى وافق الرِّضا ولا ترْجِعَنَّا كالنِّساء الأرامل
رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقِّ يَمْنةً ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلوم(١) المُخاتِلِ
ولكن أخذتَ القَصْدَ جهدكَ كُلَّه وتَقْفُو مثالَ الصالحين الأَوائل
فقُلنا ولم نَكْذب لما قد بَدا لنا وَمن ذا يرُدّ الحقّ مِن قول عاذِلِ
ومن ذا يرُد السهمَ بعد مُروقه على فُوقه إن عار(٢) مِن نَزْع نابل
ولولا الّذى قد عوّدتْنا خلائفٌ غَطاريفُ كانوا كاللُّيوث البَواسل
لَما وَخدتْ شَهراً برَحْلِى جَسْرةٌ تَفُلّ مُتونَ البيد بين الرّواحل
ولكنْ رجَوْنا منك مثل الذى به صُرفنا قديماً من ذَويكَ الأفاضل
فإن لم يكن للشِّعر عندك موضعٌ وإن كان مثلَ الدُّرّ مِن قول قائل
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه سِوى أنه يُبْنَى بناءَ المَنازل
فإنَّ لنا قُرْبى ومَحْضَ مَودَّةٍ وميراثَ آباءٍ مشَوْا بالمَناصل
فذادُوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دارهم وأَرْسَوا عِماد(٣) الدِّين بعد تمايُل
فقبلَك ما أعطَى الرسولُ هُنيدةً على الشِّعر كَعْباً من سَدِيس(٤) وبازل
رسولُ الإلٰه المُصطفى(٥) برسالةٍ عليه سلامٌ بالضُّحى والأَصائل
فكُلّ الذى عدَّدتُ يَكفيك بعضُه ونَيلُك خيرٌ من بُحور سوائل

(١) فى غير التجريد : « المجادل » مكان « المخاتل » . (٢) عار : طاش .

(٣) فى غير التجريد : « عمود » .

(٤) الهنيدة : المائة من الإبل . والسديس : مادخل من الإبل فى السنة الثامنة . والبازل : ما انشق نابه ، وذلك فى التاسعة . والرواية فى غير التجريد : «فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة » .

(٥) فى غير التجريد : « بنبوة » مكان « برسالة » .

فقال عمر : يا أحوص ، إن الله سائلُك عمّا قلتَ .

ثم تقدّم نُصيب فاُستأذنه فى الإنشاد . فأَبى أن يأذن له وغَضب غضباً شديداً وأَمره باللحاق بدَابِق[1] ، وأَمر لى وللأحوص ، كُلّ واحد منّا بمائة وخمسين درهماً .

وفى رواية أنه قال :

ما عندى ما أُعطيكم ، فاُنتظروا حتّى يَخرج عطائى فأُواسيكم منه . فاُنتظرناه حتى خَرج عطاؤه ، فأمر لى وللأحوص لكل واحد بثلاثمائة درهم ، وأمر لنُصيب بمائة وخمسين درهماً . فما رأيت أعظم بركةً من الثلاثمائة التى أعطانى إيَّاها ، اُبتعتُ بها وصيفةً وعلَّمتها الغناء ، فبعتُها بألف دينار .

تعقيب لابن واصل على بيت لكثير

قلت :

ومعنى قول كُثيِّر : «وليت فلم تشتم عليا ... ...» : أن مُعاوية بن أبى سُفيان كان هو وولاته على البلاد يسُبون علىّ بن أبى طالب على المَنابر آخر الخُطبة كل يوم جمعة ، وعُتب على معاوية فى ذلك وأنكره عليه جماعة . فاُمتنع من تركه، وقال : والله لا تركته حتى يكبُر عليه الصغيرُ ويَشيب عليه الكبير ، فإذ تُرك ، قيل : تُركت السنَّة ! فاُستمر الحال على ذلك مُدة أيامَ مُعاوية ، ويزيد اُبنه ، وأيام مروان بن الحكم ، واُبنه عبد الملك، وأيام اُبنيه: الوليد، وسليمان، اُبني عبد الملك . فلما وَلى عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رَفع السبَّ وأبدله بقوله تعالى : (إنّ الله يأمُر بالعَدْلِ والإحْسَان وإيتاء ذِى القُرْبَى ويَنْهى عن الفَحْشَاء والمُنْكر والبَغْى يَعِظُكم لعلكم تذكرون) .

(١) دابق : قرية قرب حلب .

فخرج أهلُ دمشق من المسجد وهم يقولون : ترُكت السنة ! ترُكت السنة ! فقال كُثير يمدحه :

وليت فلم تشتم عليا ... ... الأبيات

هو ودكين الراجز

وحكى دُكين الراجز قال :

امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة ناقة ، فكرهتُ أن أرمى بهنّ الفِجاج ولم تَطبْ نفسى ببيعهن ، فقدمتْ علىّ رُفقةٌ من مصر ، فسألتهم الصُّحبة . فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلةَ . فأتيتُه فودّعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لى : يا دُكين ، إنّ لى نفساً توّاقة ، فإنْ صِرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فصِرْ إلىّ ولك الإحسانُ . قلت: أَشهد لى بذلك. قال: أُشهدُ الله عزّ وجل به . قلت : ومِن خَلْقه ؟ قال : هذين الشيخَين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : مَن أنت أعرفك ؟ قال : سالمُ بن عبد الله بن عُمر بن الخطّاب . فقلتُ : لقد اُستسمنت الشاهد . وقلت للآخر: مَن أنت أعرفك؟ قال: أنا أبو يحيى مولى الأَمير . فخرجتُ إلى بلدى بهنّ ، فرَمى الله فى أذنابهنَّ بالبركة، حتى اعتقدتُ [١] منهن الإبلَ والعَبيد . فإنّى لبضحراء فَلْج [٢] إذا ناعٍ يَنعَى سُليمانَ بن عبد الملك . قلت: فمن القائمُ بعده ؟ قال:عُمر بن عبد العزيز . فتوجّهت نحوه . ولَقينى جريرٌ مُنصرفاً من عنده ، فقلت : يا أبا حَزْرة ، مِن أين ؟ قال : مِن عند من يُعطى الفقراء ويَمنع الشُّعراء . فانُطلقتُ فإذا هو فى عَرْصة دارٍ قد أحاط به الناسُ ، فلم أخلُص إليه ، فناديتُ :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمِ   وعُمَرَ الدَّسائع [٣] العَظائمِ
إنّى امرؤ من قَطَنِ بن دارم   طلبتُ دَيْنى من أخى مَكَارم

(١) اعتقدت : اقتنيت . (٢) فلج : بين البصرة وحمى ضرية .
(٣) الدسائع : الشمائل ، أو العطايا .

إذ تَنْتحِى والليلُ (١) غيرُ نائم عنـد أبى يَحيى وعنـد سـالِم

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندى لهذا البدوىّ شهادةً عليك.
قال . أعرفُها ، أُدْنُ يا دُكين ، أنا كما ذكرتُ لك، إن نفسى توّاقةٌ ، لم تنل شيئاً إلّا تاقت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدُّنيا فنفسى تتوق إلى الآخرة . والله ما رزأتُ من أموال الناس شيئاً ، وما عندى إلا ألفا(٢) درهم، فخُذ نِصفها . قال : فوالله ما رأيتُ ألفاً كان أعظم بركةً منه .

شعر متنازع بين دكين والسموءل

وقد قيل إن دُكيناً هو القائل :

إذا المرء لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضَه فكُلُّ رِداءٍ يَرْتديه جَميـلُ
و إن هو لم يَحمل عن النفس(٣) ضَيْمَها فليس إلى حُسْن الثَّنـاء سَبيل

وقيل إنهما للسموءل .

بينه وبين عبد الله ابن الحسن

وذُكر أنه دَخل عبدُ الله بن الحَسن بن الحَسن بن علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنهم ، على عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وهو حديثُ السّن ، وله وَفْرة(٤) . فرفع مجلسَه وأقبل عليه وقَضى حوائجه ، ثم أخذ عُكْنة(٥) من عُكَنه فغمزها حتى أوجعه ، وقال له : أذكرْها عندك للشَّفاعة . فلما خَرج لامه أهلُه على هذا وقالوا : فعلتَ هذا بغُلام حَدَث . فقال : إنَّ الثِّقة حدَّثنى حتى كأنّنى أسمعه من فِى رسول الله صلّى الله عليـه وسلم ، قال : « إنّمـا فاطمةُ بَضْعةٌ منّى يسُرّنى ما يَسُرها » . وأنا أعلم أنَّ فاطمة لو كانت حَيّـةً لسرّها ما فعلتُ بابنها . قالوا :

---

(١) فى التجريد : « والله » . وما أثبتنا عن العقد الفريد .
(٢) فى غير التجريد : « ألف » . تحريف .
(٣) هذه رواية الحماسة والأمالى أيضاً . والرواية فى غيرهما .
* و إن هو لم يرفع عن اللؤم نفسه *
(٤) الوفرة : الشعر الكثير . (٥) العكنة : من أطواء البطن .

فما معنى غَمزك بطنَه وقولِك ما قلتَ ؟ قال : إنه ليس أحدٌ من بنى هاشم إلّا وله شفاعة ، فرجوتُ أن أكون فى شفاعة هذا .

وحكى يزيد بن عمر بن مُورِق قال :

كنتُ بالشام زمنَ وَلِى عُمر بن عبد العزيز ، وكان بخُناصرة .[1] وكان يُعطى الغُرباء مائتى درهم . قال : فجئتُه فأجِده مُتّكئاً على إزار وكِساء من صُوف . فقال لى : ممَّن أنت ؟ قلت : من أهل الحجاز . قال : من أىّ أهل الحجاز ؟ قلتُ : من أهل المدينة . قال : من أيّهم ؟ قلت : من قُريش . قال : من أىّ قُريش ؟ قلت : من بنى هاشم . قال : من أىّ بنى هاشم ؟ قلت : مولى علىّ . فقال : مَنْ علىٌّ ؟ فسكتُّ . فقال : ابنُ أبى طالب ؟ قلت : نعم . فجلس وطَرح الكساء ثم وَضع يدَه على صدره وقال : وأنا والله مولى علىّ . ثم قال : أشهدُ على عددٍ ممن أدرك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . أين مُزاحم ؟[2] كم تُعطِى مثلَه ؟ قال : مائتا درهم . قال . أعطه خمسين ديناراً لولائه من علىّ . ثم قال : أفِى فَرْضٍ أنت ؟ قلت : لا . قال : فافرِضْ له. ثم قال . الْحَقْ ببلادك ، فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتى غيرَك .

هو ومسلمة فى احتضاره

وحكى العُتبى عن أبيه قال :

لما حضرتْ عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه ، فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبى وأمى مَن خلّفتُهم بعدى فُقراء ! فقال له مَسلمةُ بن عبد الملك ابن مَروان : يا أمير المؤمنين ، فتعقَّب فِعْلك وأَغْنهم ، فما يمنعك أحدٌ فى حياتك ولا يرتجعُه الوالى بعدك . فنظر إليه نَظر مُغْضَب مُتعجِّب ثم قال : يا مَسلمة ،

(١) خناصرة من أعمال حلب . (٢) هو مزاحم بن أبى مزاحم ، مولى عمر بن عبد العزيز .

منعتُهم إيَّاه فى حياتى وأَشقى به بعد وفاتى ! إنّ ولدى بين رجلَين : إما مُطيعٍ لله فالله مُصلحٌ له شأنَه ورازقه ما يَكفيه ، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعينه على معصية . يا مَسلمة ، إنِّى حضرتُ أباكَ — يعنى عبد الملك بن مروان — لمّا دُفِن، فحملتْنى عيني عند قبره ، فرأيتُه قد أَفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعنى وهالنى ، فعاهدتُ الله ألّا أعمل بمثل عمله إنْ وَليتُ ، وقد اجتهدتُ فى ذلك طول حياتى ، وأرجو أن أُفْضى إلى عَفوٍ من الله وغُفران .

قال مَسلمة بن عبد الملك : فلما دُفِن حضرتُ دفنَه ، فلما فُرِغ من شأنه حملتْنى عينى فرأيتُه فيما يرى النائم وهو فى رَوضة خضراء نَضِرة فيحاء وأنهار مُطَّرِدة وعليه ثيابٌ بِيض . فأَقبل علىّ وقال : يا مَسلمة ، لمثل هذا فَلْيعمل العاملون .

لمسلمة بعد وفاته

وقيل :

لمّـا تُوفِّى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وَقف مَسلمةُ بن عبـد الملك عليه بعد أن أُدرج فى كَفنه فقال : يَرحمك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد أورثتَ صالحِنا بك اقتداء وهُدى ، وملأت قلوبَنا بمواعظك وذكرك خشيةً وتُقى ، وأثَّلت لنا بفَضلك شرفاً وفخراً ، وأبقيتَ لنا بعدك فى الصالحين ذِكْرا .

وحكى مَسلمة بن عبد الملك قال :

كُنَّا عندعُمر بن عبد العزيز فى اليوم الذى مات فيه،أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك — يَعنى زوجة عُمر — فقُلنا : ياأمير المؤمنين ، إنّا نرى أنّا قد مَنعنـاك النوم ، فلو تأخّرنا عنك شيئاً حتى تنام ؟ قال : ما أُبالى لو فعلتُما . قال ! فتنحَّيتُ أنا وهى ، و بيننا و بينه سِـتراً ، فما نَشِبْنا أن سمعناه يقول : حَيِّ الوُجوه ، حَيِّ الوُجوه . فابتدرناه أنا وهى ، فجِئْناه وقد أُغمِض ميِّتاً ، و إذا هاتفٌ يهتِف فى البيت لا نراه : (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

تعقيب لابن واصل في موت عمر بن عبد العزيز

قلت :

إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وَلِي الخلافة بعهد من أبن عمّه لحًّا[١]: سليمان أبن عبد الملك بن مروان إليه و إلى يزيد بن عبد الملك بعده . فولى الخلافة سنة تسع وتسعين . وتُوفى سنة إحدى ومائة ، وكانت خلافته نحو سنتين، لم يتمكّن من إقامة منار العدل كما يريد . وخافت بنو أمية أن يَنْقُضَ قواعدهم فدسُّوا إليه من وضع على إبهامه سُمًّا ، فكان إذا أستسقى الماء وضع إبهامه فى الماء . فمات مسموماً رضى الله عنه[٢] .

(١) أى لازق النسب . (٢) وجاء بعد هذا :

« تم القسم الأول من تجريد الأغانى ويتلوه فى أول الثانى أخبار عدى بن الرقاع العاملى . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله و صحبه وسلم تسليما كثيرا .

وكتب بحماة المحروسة ببقاء مالكها خلد الله سلطانه . وكان الفراغ منه لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ٦٦٦ هـ (ست وستين وستمائة) هجرية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكاتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته محمد بن محمد بن النصيبى الحلبى عفا الله عنه . يسأل من نظر فيه أن يقف على الورق المكتوب فيه ليعذره فى عدم التمكن من تحرير أصول الكتابة » .

القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبى الله ونعم الوكيل

أخبار عدىّ بن الرّقاع (*)

نسبه

هو عدىّ بن زَيد بن مالك بن عَدِىّ بن الرِّقاع . ويَنْتهى نسبُه إلى مُعاوية: ابن الحارث بن عدىّ بن الحارِث بن مُرّة بن أُدَد .

وأُم مُعاوية بن الحارث : عاملةُ بنت وَدِيعة، من قُضاعة . وبها سُمِّى وَلدُ معاوية عاملة . ونُسب « عَدىّ » إلى « الرِّقاع » وهو جَدُّ جدِّه ، لشُهرته .

منزلته فى الشعر

وعَدىٌّ بن الرِّقاع شاعرٌ مُتقدِّم عند بنى أُمية ، مَدَّاح لهم ، خاصٌّ بالوليد ابن عبد الملك . وله بِنت شاعرة يقالُ لها :سَلْمى . وجَعله ابنُ سلَّام فى الطَّبقة الثالثة من شُعراء الإسلام . وكان منزلُه بدمشق . وهو من حاضرة الشُّعراء ، لا من باديتهم .

بينه وبين جرير فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

وذُكر أنّ جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدىٌّ بن الرِّقاع العَامِلىّ ، فقال له الوليد : أَتعرف هذا ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا عدىّ ابن الرِّقاع . قال فشَرُّ الثِّياب الرِّقاع ! فممَّن هو ؟ قال : مِن عاملة . قال : أمِن الذين قال الله عزَّ وجلّ فيهم : (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلَى ناراً حامية) ؟ ثم قال :

(*) وقبل هذا ساق أبو الفرج نسب الأشهب بن رميلة وأخباره ، ثم عاد إلى أخبار عمر بن عبد العزيز . ثم ذكر غناء الوليد ، ثم غناء الواثق ، ثم غناء المنتصر ، ثم غناء المعتز بالله .

يُقَصِّرباعُ العاملِىِّ عن[١] العُلا   ولـكنَّ أَيرَ العـاملىِّ طويلُ

فقال عدىُّ بن الرِّقاع :

أأمّك كانت أخبرتْك بُطوله   أم أنت امروٌ لم تَدْر كيف تقولُ

فقال : لا ، بل أدرى كيف أقول .

فوَثَب عدىُّ بن الرِّقاع إلى رِجل الوَليد بن عبد الملك فقبَّلها وقال : أَجِرْنى .
فقال الوليد لجرير : لئن شتمته لأُسْرِجنَّك ولأُلْجِمنّك حتى يَركبك فيُعيِّرك بذلك الشُّعراء . فلم يُصرِّح بهجائه وعرَّض به ، فقال قصيدتَه التى أولُها :

* حَىِّ الهِـدَمْلة من ذات المَوَاعيس[٢] *

وقال فيها يُعرِّض به :

قد جرَّبت عَرْكَتى فى كُل مُعْـتَرَكٍ   غُلْبُ الأُسودِ فما بال[٣] الضَّـغابيسِ

ومنها :

أَقصِرْ فإنّ نِزاراً لن[٤] يُفاخرها   فَرعٌ لئيمٌ وأَصلٌ[٥] غـيرُ مَغْروسِ
وابنُ اللَّبُون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ   لم يَسْـتطع صَوْلَةَ البُزْلِ[٦] القَناعيس

فضل عليه جرير كثيراً عند بعض الخلفـاء

وقيل :

ذُكر كُثيِّر عزّة ، وعدىّ بن الرِّقاع العاملىّ فى مجلس بعض خُلفاء بنى أُمية ،

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « الندى » مكان « العلا » .
(٢) الهدملة والمواعيس : مكانان .
(٣) الغلب : الأسود الغلاظ الرقاب ؛ الواحد : أغلب . والضغابيس : الضعفاء ؛ الواحد : ضغبوس .   (٤) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « يفاضلها » مكان « يفاخرها » .
(٥) الذى فى التجريد : « أصل لئيم وفرع ... » .
(٦) ابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ؛ لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن . وهو نكرة ويعرف بالألف واللام . والأنثى : ابنة لبون . والجماعات : بنات لبون، للذكر والأنثى . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . ولز فيه ، شد . والبزل ، بضمتين وسكن تخفيفاً : جمع بزول ، وهو البعير استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه ؛ من البزل ، وهو الشق ، لأن نابه إذا طلع يشق اللحم عن منبته شقا . والقناعيس : الجمال العظيمة الضخمة ؛ الواحد : قنعاس ، بالكسر .

فامتَرَوْا فيهما أيّهما أشعر ، وفى المجلس جريرٌ ، فقال : أعجبكم عدىّ ! لقد قال كُثيِّر بيتاً هو أشهر وأعرف فى الناس من عدىّ بن الرِّقاع نفسه ، ثم أنشد قول كُثيِّر :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غُراب البَيْن أنتَ حزينُ

فحلف الخليفةُ لئن كان عدىٌّ بن الرِّقاع أعرفَ فى الناس من بيت كُثيِّر ليُسرِجنَّ جريراً وليُلْجمنّه وليَحملنّ عدىّ بنَ الرِّقاع على ظَهره . فكتب إلى واليه بالمدينة : إذا فرَغتَ من الخُطبة فَسل الناسَ : من الذى يقول :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غُراب البَين أنت حَزينُ

وعن نَسب عدىّ بن الرقاع . فلما فرغ الوالى من خطبته قال : إن أمير المؤمنين كتب إلىَّ أن أسألكم : مَن الذى يقول :

* أأن زُمّ أجمال وفارق جيرةٌ *

فابتدرُوا من كُل جانب يقولون : كُثير ! كُثير ! ثم قال : وأمرنى أن أسألكم عن نَسب عدىّ بن الرقاع. فقالوا : لا نَدرى ، حتى قام أعرابى من مُؤخَّر المَسجد فقال : هو من عامِلة .

رأى ابن المنجم فيه

وذُكر عدىّ بن الرِّقاع عند محمد بن موسى المُنجِّم ، فقال :

ما أحدٌ ذُكر لى فأحببتُ أن أراه فإذا رأيتُه أمرتُ بصَفعه ، إلا عدىّ بن الرقاع . قال الراوى(١) : فقلتُ : و لِمَ ذلك ؟ قال لقوله :

وَعلمتُ حتّى ما أُسائل عالماً عن عِلْمِ واحدةٍ لكى أزدادَها

فكنتُ أَعرض عليه أصنافَ العُلوم ، فكلما مَرّ به شىء لا يُحسنه أمرتُ بصَفْعه .

(١) هوعلى بن يحيى ، يروى هذا الخبر عن ابن المنجم .

حديث ابنته مع الشعراء الذين أرادوا معارضة أبيها

وذُكر أنّ عدىّ بن الرِّقاع كان ينزل الشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعر . فأتاه ناسٌ من الشُّعراء ليُماتِنوه[1] ، وكان غائباً . فسمعت ابنتُه ، وهى صغيرة لم تبلغ ذَرْواً من وعيدهم[2] ، فخرجت إليهم وأنشأت تقول :

تجمّعتُم من كُل أَوبٍ و بلدةٍ ... على واحدٍ لا زلتمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتهم .

بين أبي عمرو بن العلاء ورجل فى استحسان شعره

وقيل :

أُنشد أبو عمرو بن العلا ، قولَ عدىّ بن الرِّقاع :

لولا الحياءُ وأنّ رأسى قد[3] عَسَا ... فيــه المَشيبُ لزُرتُ أُمَّ القاسمِ

وكأنّهـــا وَسْطَ النِّســاءِ أعارَها ... عَينيه أحورُ مِن جآذرِ جاسِمِ

وَسْــنانُ أَقصده النُّعاس فرنَّقتْ ... فى عَينه سِــنَةٌ وليس بنــائمِ

فقال أبو عمرو : أحسنَ والله ما شاء ! فقال رجل يحضُر مجلسَه : والله لو رأيتَه مَشْبوحاً[4] بين أربعة ، وقُضْبان الدِّفْلَى[5] تأخُذه ، لكنتَ له أشدَّ استحساناً . يعنى إذا غُنِّى به على العود .

جفاه الوليد ثم رضى عنه لمدحه عبيدة بن عبد الرحمن

وذُكر أنّ الوليد بن عبد الملك عَزل عُبيدةَ بن عبد الرحمن عن الأُرْدُنّ ، وضَربه وحَلقه وأقامه للناس ، وقال للمُوكَّلين به : مَن أتاه مُتوجِّعاً أو أثنى

(١) ليماتنوه : ليعارضوه .

(٢) ذروا : يسيراً . لغة فى : ذرء . يقال : أتانا ذرو من خبر ، أى يسير منه . وفى حديث سليمان بن صرد ، لعلى كرم الله وجهه : بلغنى عن أمير المؤمنين ذرو من قول تشذر لى فيه بالوعيد ، فسرت إليه جوادا . والعبارة : فى المطبوع من الأغانى : « دور وعيدهم » .

(٣) عسا : اشتد . (٤) الشبح : المد .

(٥) الدفلى : شجر حسن المنظر يكون فى الأودية ، وهو مما يقتدح به . وفى المثل : اقدح بدفلى أو مرخ . ولعل « ريشات » العود كانت تتخذ من قضبانه وهى غضة .

عليــه فأْتونى به . فأَتاه عدىّ بن الرّقاع ، وكان عُبيدة إليــه مُحسِناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عَزلوكَ مَســبوقاً ولــكنْ إلى الغَايات(١) سَبَّاقاً جوَادَا
وكنتَ أخِى وما ولدتْك أُمّى وَصُولًا باذلًا لى مُسْــترادا
فقد هِيضتْ بِنَــكْبتكَ القُدامى كذاكَ اللهُ يَفعــلُ ما أرادا

فوثَب إليه المُوكَّلون به فأَدخلوه على الوليــد ، وأَخبروه بما جرى . فتغيَّظ عليه الوليــدُ وقال : أَتمدح رجلًا قد فعلتُ به ما فعلتُ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إلىَّ مُحْسِناً ، ولى مُؤْثِراً ، ففى أىّ وقتٍ كنتُ أُكافئه بعــد هذا اليوم ! فقال : صدقتَ وكَرُمت ، قد عفوتُ عنك وعنــه لك ، فخُذْه وانصرفْ به إلى منزله(٢) .

---

(١) فى بعض الأصول : « الخيرات » .

(٢) إلى هنا ينتهى حديث ابن واصل عن «عدى بن الرقاع» . ويبدو أن ثم نقصاً، أقله الشعر الذى فيه الغناء ، وقد عودنا ابن واصل أن يختم به أخبار من يترجم له . وشعر عدى بن الرقاع الذى فيه الغناء هو :

لعمرى لقــد أصحرت خيلنا بأكناف دجــلة للمصعب
فمن يك منــا يبت آمنــاً ومن يك من غــيرنا يهرب

ذكر بعض أخبار المعتز بالله

نسبه هو أبو عبد الله محمد — وقيل: الزُّبير — بن المُتوكِّل على الله أبي الفضل جَعفر بن المُعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد .

من وصفه وكان أجملَ بني العبّاس . وله شِعرٌ حَسن .

هو ويونس بن بغا وذَكر يزيدُ المُهلّبي قال :

كان المُعتزّ يَشرب على بُستان مَملوء من النمّام[1]، وبين النمّام شقائق النعمان . فدَخل عليه يونُس بن بُغَا ، وكان جميل الصورة ، وكان المُعتزّ يَعشقه ، وعليه قُباء أخضر . فقال المُعتزّ :

شَبَّهتُ حُمرةَ خدِّه في ثوبه بشقائق النُّعمان في النَّمّامِ

ثم قال : أَجيزُوا . فبدَر بَنانٌ المُغنِّي، فقال :

والقَدُّ منه إذا بَدَا في[2] قَرْطَقٍ كالغُصْن في لِينٍ وحُسْنِ قَوَامِ

فقال له المعتز : فَغنِّ الآن فيه لحناً .

وذُكر أنَّ المُعتز شَرب . ويونُس بن بُغا هذا بين يديه يَسقيه ، والجُلساء والمغنُّون بين يديه ، إذ دَخل بُغَا والد يونُس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والدة عبدك يونُس في الموت ، وهي تُحب أنْ تراه ، فَأَذِن له . فخرج . وفَتَر المُعتزُّ بعده ونَعس ، وقام الجُلساء وتفرّق المُغنُّون ، إلى أنْ صُلِّيت المَغرب . وعاد المعتز إلى

---

(١) النمام : نبت عطرى قوى الرائحة ، ولانتشار رائحته سمى : نماما .

(٢) القرطق : قباء ذو طاق واحد . معرب .

مجلسه ، ودَخل يونُس بن بُغا و بين يديه شُموع ، فلما رآه المُعتزّ دعا برِطْل فشربه ، وسَقى يونس رطلاً . وعاد المجلسُ إلى أحسن ما كان . فقال المُعتزّ :

تَغيبُ فلا أفرح فليتك لا تَبرحُ
وإن جئت عذّبتنى بأنك لا تسمح
فأصبحتُ ما بين ذَيْـ ـن ولى كَبِدٌ تُجْرَح
على ذاك يا سيِّدى دُنُوك لى أَصلح

ثم قال: غَنُّوا فيه . فجعلوا يُفكِّرون . فقال المُعتز لسُليمان بن القَصَّار الطُّنبوريّ : ألحان الطُّنبور أملحُ وأخفُّ . فغنِّ فيه . فغنَّى فيه لحناً . فدَفع إليه دنانيرَ الخريطة ، وهى مائة دينار وزنها مائتان [1] ، مكتوب على كُل دينار منها : ضُرب هذا الدِّينار بالجَوْسق لخريطة [2] أمير المُؤمنين المعتز بالله . ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس ، فكان ذلك المجلسُ من أحسن المجالس .

هو وابن بغا بعد مقتل بغا

وَحكى عبدُ السَّميع الهاشميّ قال :

لمّا قُتل بُغا دَخلنا فهنَّأنا المُعتزَّ بالظَّفر ، فاصطبح ومعه يونُس بن بُغَا ، وما رأينا وجهَيْن أحسنَ من وجهَيْهما . فما مضتْ ثلاثُ ساعات حتى سَكِر ، وخَرج علينا المعتزّ فقال :

ما إنْ ترَى مَنظراً إنْ شئتَه حَسناً إلّا صَريعاً يُهادَى [3] بين سُكْرَيْنِ
سُكْرِ الشراب وسُكْرٍ من هوى رَشأٍ تَخاله والذى يَهْواه غُصنَيْن

ثم أمر فغَنّى فيهما بعضُ المُغنِّين.

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « دينار مكية ومائتان » .
(٢) أى ضربت لخزانته الخاصة .
(٣) يهادى : يتمايل .

هو وابن بغا مع ديرانى

وحكى العبّاس بن الفَضل (١) بن المأمون قال :

كنتُ مع المُعتزّ فى الصَّيد وأنقطاعٍ (٢) عن الموكب : وأنا و يونُس بن بُغَا معه ، ونحن بقُرب قَنْطرة وَصيف ، وكان هناك دَيْر فيه دَيْرانىّ يعرفنى وأعرفه ، نَظيف ظَريف مَليح الأدب واللَّفظ ، فشكا المُعتزُّ العَطش. فقلت: يا أمير المؤمنين، فى هذا الدَّير دَيْرانىٌّ أعرفه، خفيفُ الرُّوح، لا يخلو من ماء بارد ، أفترى أن تَميل إليه ؟ فقال : نعم . فجئناه ، فأخرج لنا ماءً بارداً ، وسألنى عن المُعتز و يونُس . فقلت: فتيان من أبناء الُجند . فقال : بل مُفْلِتان من حُور الجنّة . فقلت له : هذا ليس فى دينك . فقال : هو الآن فى دينى . فضَحك المُعتز . فقال لى الدَّيرانى : أتأكلون شيئاً ؟ قلنا : نعم . فأخرج شطيراتٍ و إداماً نظيفاً ، فأكلنا أطيبَ أكل وجاءنا بأطْراف أُشْنان (٣) . فاستظرفه المُعتز وقال لى : قُل له فيما بينك و بينه : من تُحب أن يكون معك من هذين لا يفُارقك ؟ فقال : كلاهما وتَمراً . فضحك المُعتز حتى مال على حائط الدَّير . فقلتُ للدَّيرانى : لا بُد أن تختار . فقال : الاختيار والله فى هذا دَمار ، وما خَلق الله عزَّ وجل عقلاً يُميز بين هذين . ولحقهما الموكبُ ، فارتاع الدَّيرانى . فقال له المُعتز : بحياتى لاتنقطع عمّا كُنّا فيه ، فإنى لِمَن ثَمّ مولًى، ولِمن ها هنا صديق . فمزَحنا ساعةً ، ثم أمر له بخمسمائة ألف دِرهم ، فقَبِلها وقال : والله ما أقبلها إلا على شَرط . قال : وما هو ؟ قال : يُجيب أمير المؤمنين دعوتى مع مَن أراد . قال : ذلك لك . فاتعدنا ليومٍ جئناه فيه، فلم يُبْقِ غايةً ، وأقام للموكب كُلّه ما احتاج إليه ، وجاءنا بأولاد النصارى يخدُموننا ، ووصله المُعتز يومئذ صلةً سريّة ، ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

---

(١) فى بعض الأصول : « الفضل بن العباس » .

(٢) فى بعض الأصول : « فانقطع » .

(٣) الأشنان : نبات من الحمض ، تكسر همزته وتضم ، والضم أعلى .

وذُكر أن المُعتز بالله بُويع بالخِلافة وعُمره سبعَ عشرةَ سنة وشهورا ، فلمّا انقضت البَيعة قال : له لما بويع

توحّدنى الرحمنُ بالعزِّ والعُلاَ فأَصبحتُ فوقَ العالَمين أَميرَا

قلت : تعقيب لابن واصل

إن المتوكل كان قد جَعل المُنتصر ولىّ عَهده ، و بعده المُعتزّ ، و بعده المؤيَّد. وهؤلاء الثلاثة أولاد المُتوكل . فلما قَتلت التركُ المُتوكل بمواطأة ابنه المُنتصر على ذلك ، بويع المُنتصر بالخِلافة ، فلم يَبق فيها إلا ستةَ أَشهر ومات مَسموماً — على ماقيل — وخافت التُّرك،إن ولى المُعتز أن يقتلهم بأبيه المُتوكل ، فعدَلوا عنه إلى ابن عمّه المُستعين بالله أحمد بن محمد المُعتصم ، فأقام مدةً ، ثم جرت أمور اقتضت خوفَه من الترك فهرَب من سُرَّ من رأى إلى بغداد ، و بايع الأتراكُ بسُرّ من رأى المُعتزّ بالله ، وبَعث الجيوش إلى بغداد فحاصروا المُستعين بها ، ثم وقع الصلحُ على أنْ خَلع المُستعين نفسَه ، ووقع الإجماعُ على المُعتز بالله ، ثم حُمل المَستعين إلى واسط فقُتل بها ، وحُمل رأسُه إلى المُعتزّ بالله ، ولم تَطُل أيام المُعتزّ إلا نحوَ ثلاث سنين ، ثم قَبضت الأتراكُ عليه فخَلعوه وقَتلوه وولّوا ابن عمّه المُهتدى بالله محمدَ بن الواثق، وكان يَتشبّه بعُمر بن عبد العزيز فى ديانته وزُهده . وأقام خليفةً سنةً ، ثم قَتله الأتراكُ وولّوا ابن عمّه المُعتمد على الله أحمد بن المُتوكل .

ذكر بعض أخبار الفرزدق

نسبه

وهو همّام بن غالب بن صَعْصعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع ابن دَارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم

لقبه

والفرزدقُ لقبٌ غَلب عليه .

حديث زواجه من النوار

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميّين . وأخبارُه تُذكر فى موضع آخر من هذا الكتاب . وإنما ذكر أبو الفرج ها هنا أخباراً تتعلق بشعر فيه الغناء ، وهو :

ليس الشَّفيع الّذى يأتيك مُؤتزراً   مثلَ الشَّفيع الذى يَأْتيك عُرْيانَا

ذُكر أنّ رجُلاً من بنى أُميـة خَطب النَّوار بنت أَعْيَن المُجاشعيّة ، فرضيتْه وجعلتْ أمرَها إلى الفرزدق . فقال لها : أَشهِدى على نَفسك شُهودا . ففعلتْ . واجتمع الناسُ لذلك . فتكلّم الفرزدقُ وقال : أشهدوا أنى قد تزوّجتُها وأَصدقتُها كذا وكذا ، فإنّى أنا ابْن عمِّها وأحقُّ بها . فبلغ ذلك النَّوارَ ، فأَبْته واستترت من الفرزدق ولجأت إلى بنى قَيس بن عاصم المِنْقرىّ ، فقال فيها :

بَنى عاصمٍ لا تُلْجِئوها فإنكم   ملاجىءُ للسَّوْآتِ[1] دُسْمُ العَمائمِ

بنى عاصمٍ لو كان حيًّا أبوكُم   للامَ بَنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ

فقالوا للفرزدق : والله لئن زِدْتَ على هـذين البَيْتين بيتاً واحـدا لنقتُلَنَّك غِيلةً . فنافرتْه النوارُ إلى عبد الله بن الزُّبير ، فلمّا قدمتْ مكةَ نزلتْ على زَوجته

---

(١) يكنى بدسامة العمامة عن الوسخ والقذارة .

تُماضر بنت مَنظور بن زَبّان ، فاْستشفعت بها إلى زَوجها عبد الله بن الزُّبير .
فقَصد الفرزدقُ حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبير ، وأُمه بنت منظور هذه ، ومَدحه الفرزدقُ فقال :

أصبحتُ قد نزلتُ بحمزةَ حاجتى إنّ المُنوَّه باسمه المَوْثوقُ

فجعل أمر النَّوار يَقْوى ، وأمرُ الفرزدق يضعفُ ، فقال الفرزدقُ :

أمّا بنَوه فلم تقْبل شفاعتُهم وشُفِّعت بنتُ مَنْظورِ بن زَبّانَا
ليس الشَّفيع الذى يأتيك مُؤْتزراً مثلَ الشَّفيع الذى يأتيك عُرْيانا

فبلغ ذلك الزُّبيرَ ، فدعا النَّوارَ فقال : إن شئت فرقتُ بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبدا ، وإن شئتِ سيّرتُه إلى بلاد العدوّ ؟ فقالت : ما أُريد واحدةً منهما .
قال : فإنه اْبنُ عَمِّك وهو فيك راغب ، فأُزوّجه إياك . قالت : نعم . فزوّجه إياها .
فكان الفرزدقُ يقول دَخلنا مُتباغضين وخَرجنا مُتحابَّين .

وقد قيلَ إنّ تُماضر التى عناها الفرزدق ، أُم خُبَيب وثابت ، اُبنى عبد الله بن الزُّبير . وماتت عند عبد الله ، فتزوّج أُختها أُمَّ هاشم ، فولدت له حَمزة وهاشماً وعبّاداً ، وفى أُم هاشم يقول الفرزدق ، يَستعينها على اْبن الزبير و يشكو طُول مُقامه :

تَرَوّحتِ الرُّكبان يا أُمَّ هاشمٍ وهُنَّ مُناخاتٌ لهنّ حَنينُ
وخُيِّسْنَ(١) حتى ليس فيهنّ نافقٌ لبَيع ولا مركوبُهنّ سَمِينُ

وهذا يدُلّ على أنّ النَّوار كانت اْستعانت بأم هاشم لا بتُماضر . فلما أَذِنتْ النوارُ لاْبن الزُّبير فى تَزْويجها بالفَرزدق حَكم عليه لها بمَهرِ مِثلها عشرةِ آلاف درهم . فسأل : هل بمكة أحدٌ يُعينه على ذلك . فدُلّ على سَلْم بن زِياد بن أبيه ، وكان اْبن الزبير حَبسه ، فقال فيه :

(١) خيسن : لم يسرحن .

دَعِى مُغْلِقِى الأبواب دون فعالهم ومُرِّى تَمَشَّىْ بى ـ هُبِلْتِ ـ إلى سَلْمِ
إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سبيلُه ويَفعل أفعالَ الكِرام التى تَنْمِى

ثم دَخل على سَلْم فأنشده . فقال : هى لك، ومثلُها لِنفقتك.فأمر له بعشرين ألف دِرْهم . فقالت له زوجتُه أم عثمان بنت عبد الله بن عَمرو بن العاص : أتُعطى عِشرين ألفَ درهم وأنت مَحْبوس ! فقال :

ألاَ بكَرَتْ عِرْسى تَلُوم سَفاهةً عَلَى ما مضَى منِّى وتأمُر بالبُخْلِ
فقلتُ لها والُجودُ منِّى سجيةٌ وهل يَمنع المعروفَ سُؤَّالَه مِثْلى
ذَرِينى فإنِّى غير تاركٍ شيمتى ولا مُقْصِرٍ عن السَّماحة والبَذْلِ
ولا طاردٍ ضيْفى إذا جاء طارقاً وقدطَرَق الأضيافُ شَيْخِى مِن قَبلى
أأبخَلُ ! إنّ البُخل ليس بمُخْلِدِى ولا الُجود يُدْنينى إلى الموت والقَتْلِ

فاصطلح الفرزدق ونَوار ورضيتْ به ، وساق إليها مَهرها ، ودَخل بها وأحبلها قبل أن يخرُج من مكة . ثم خَرج بها وهما عَـدِيلان فى مَحْمِل ، فكانت لا تزال تُشارُّه وتُخالفه ، لأنها كانت صالحةً حسنةَ الدين ، وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوّج عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قَيس بن مَسعود بن قَيس ابن خالد بن عبد الله بن عَمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان، على مائة من الإبل . فقالت له النَّوار : ويلك ! أتزوّجت أعرابيةً دقيقةَ السّاقين بوّالة على عَقِبَيْها على مائة بعير ! فقال الفرزدق ، يفضِّلها عليها ويُعيِّرها بأمها ، وكانت أَمةً : زواجه بحدراء

لجاريةٌ بين السَّليل عُروقها و بين أبى الصَّهباء[1] من آل خالدِ
أحقُّ بإغلاء المُهور من التى رَبَتْ وهى تَنْزُو فى حجُور الولائد

(١) السليل : ابن قيس ، أخو بسطام . وأبو الصهباء : بسطام بن قيس .

وقال أيضاً يمدحها :

عَقيلةٌ من بـنى شَيبانَ ترفعهـا دعائمُ للعُـلاَ من آل همّـامِ
مِن آل مُرَّة بين المُستضاء بهم من رَهْطِ صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكّام
بين الأحاوِص (١) من كَلْبٍ مُركّبها و بين قَيس بن مَسعودٍ و بِسْطام

موت حدراء

فاشترى الإبل وساقها . فلمّا كان فى بعض الطريق ، ومعه أَوْفى بن خِنْزِير ، أحدُ بنى التَّيْم بن شَيبان ، دليله ، رأى كبشاً مَـذْبوحاً ، فقال : هلـكتْ واللهِ حَدْراء ! فقال : مالك بذلك من عِلْم ! فلما بَلغ، قال له بعضُ قومها : هذا البيتُ فانْزل ، فأمّا حَدراء فهلـكتْ ، وقد عرفنا الذى يُصيبكم فى دِينكم من ميراثهـا ، وهو النِّصف ، وهو لك عندنا . قال : لا والله لا أرزأ من ذلك قِطْميرا ، وهذه صَدقتُها (٢) فاقبضوها . فقالوا : واللهِ يا بَنى دارم ما صاهرْنا أكرمَ منكم . وكانت حَدراء هذه نَصرانية ، وهى التى يقول فيها الفرزدق :

عَزفْتَ بأَعشاشٍ (٣) وما كِدْتَ تَعزفُ وأَنكرتَ من حَدْراءَ ما كُنتَ تَعرفُ
ولَجّ بك الهِجرانُ حـتى كأنمـا تَرى الموتَ فى البيتِ الذى كنتَ تألَفُ

بينه و بين أنصارى عارضـه بشعر لحسان

وكان فتى من الأنصار اعترض الفرزدَق بالمدينة فقال له : بَلغنى أنك أشعرُ العرب ! وتزعُم مُضر ذلك لك ، وقد قال صاحبُنا حسّان بن ثابت شعراً ، فأردتُ أن أَعرضَه عليك وأُؤجِّلك سنةً ، فإنْ قُلت مثلَه فأنت أشعرُ العرب، وإلا فأنتَ كذّاب مُنْتحل . ثم أنشده قولَ حسّان :

لنا الجَفنات الغُرُّ يَلْمعن بالضُّحى وأَسيافُنا يَقْطُرن من نجدةٍ دَمَا
متى ما تَزُرنا من مَعَدٍّ (٤) عصابةٌ وغَسَّانَ (٥) نَمْنعْ حوضَنا أن يُهدَّما

(١) الأحاوص ، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وهم : عوف ، وعمرو ، وشريح ، وربيعة . (٢) الصدقة : المهر . (٣) أعشاش : موضع . (٤) فى التجريد : « بعصبة » .
(٥) غسان ، هنا : فى موضع المقسم به ، لأنها لم تكن تغزوهم مع معد .

فعَمل الفرزدقُ القصيدةَ الفائية ، ففلج بها .

حسان والخنساء والأعشى فى سوق عكاظ عند النابغة

ثم ذكر أبو الفرج حكايةَ للخنساء تتعلّق بشعر حسّان هذا ، فنذكرها .

قيل : إن نابغة بنى ذُبيان كانت تُضرب له قُبة من أدم بسُوق عُكاظ ، ويَجتمع إليه فيها الشُّعراء ، فدخل حَسّان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعرَه ، فأنشدته الخنساء قولَها :

* قذًى بعينك أَم بالعَيْن عُوّار *

حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخراً لمولانا وسيدنا　　　وإنّ صخراً إذا نَشْتُو لنَحّارُ
وإنّ صخراً لتأتّم الهُداة به　　　كأنّه عَلمٌ فى رأسه نار

فقال : لولا أنّ أبا بصير أنشدنى قبلَك لقلتُ : إنك أشعرُ العرب ! أنتِ والله أشعرُ من كُل ذات مَثانة (١) . فقالت : إى والله ، وأشعر من كل ذى خُصْيتين . فقال حسّان : أنا والله أشعرُ منك ومنها ومن أبيك ! قال: حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجفناتُ الغُرّ يَلمعن فى الضُّحى　　　وأسيافُنَا يَقطُرْن من نَجدةٍ دَماَ
ولَدْنا بنى العَنقاء وأبنَىْ مُحرِّق　　　فأَكْرِمْ بنا خالاً وأَكرم بنا ابْنَما

فقالت الخنساء : إنك لشاعر لولا أنك قُلت « الجفنات » فقلّلت العدد ، ولو قلت « الجفان » لكان أكثر . وقلت: « يلمعن فى الضحى» . ولو قلت «يبرقن فى الدجى » لكان أبلغ فى المديح ، لأنّ الضيف باللّيل أكثر . وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدلات على قلّة القَتل ، ولو قلت « يجرين » لكان أكثر

(١) يريد موضع الولد من الأنثى .

لأنصباب الدم. وفخرت بمن ولدتَ ولم تفخر بمن وَلَدك. فقام حسّان منكسراً منقطعا.

تعقيب لابن واصل

قلت: أُنظر إلى هذا النقد البديع من هذه المرأة وجَودة معرفتها بالشعر!

وذُكر أنها كانت تُنشد الأبياتَ الرائيّة المذكورة وهى تهتزّ فى مِشيتها وتنظر فى أعطافها.

ومن هذه القصيدة

حامِي الحَقيقة مَرْضىّ الطَّريقة مَحْ ... مود الخَليقة نفّاع وضَرّارُ

بينه و بين كثير

وذُكر أن الفرزدق لقى كُثيِّراً فقال له: ما أشعرَك يا كُثير فى قولك:

أُريد لأَنسى ذكرها فكأنما ... تمثّل لى ليلى بكُل سَبيلِ

يُعرِّض له بسَرقته إياه من جَميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثّل لى ليلى على كُل مرَقَبِ

فقال له كُثير: أنت أشعرُ منّى يا فرزدق فى قولك:

ترى الناسَ ما ساروا يسيرون خلفنا ... و إن نحن أومأنا إلى النـاس وقّفُوا

وهذا البيت لجميل، سرقه الفرزدق منه. فقال الفرزدق لكُثير: هل كانت أُمك مَرّت[1] بالبصرة؟ فقال: لا. ولكنْ أبى كان نزيلاً لأُمك.

(١) فى بعض أصول الأغانى: «ترد البصرة».

أخبار دريد بن الصمة

[ج ٩]
نسب
واسم الصِّمَّة مُعاوية الأصغر بن الحارث بن مُعاوية الأكبر بن بكر بن عَلْقَمة[1] بن خُزاعة بن غَزِيّة بن جُشَم بن بكر بن هوَازن .

وهو فارس شُجاع شاعر فَحْل . وكان أطولَ الفُرسان الشعراء غزوا[2]، وأبعدهم سفراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمَنهم نَقيبةً عند العرب . وأشعرَهم ، دريدُ بن الصِّمَّة .

موته يوم حنين
وذُكر أنه غَزا مائةَ غَزاة ما أَخفق فى واحدة منها ، وأَدركَ الإسلام فلم يُسلم ، وخَرج مع قومه مُظاهراً للمُشركين يوم حُنَين ، ولا فَضل فيه للحرب ، لكِبَر سنّه ، وإنما أَخرجوه تيمُّناً به وليَقْتبسوا من رأيه ، فمَنعهم مالك بن عوف قَبول مَشُورته وخالَفه لئلا يكونَ له ذِكْر . فقُتِلَ دُريد يومئذٍ على شِرْكه .

وسيأتى ذِكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى .

إخوته ومقتلهم
وكان لدُريد إخوة ، وهم : عبد الله ، الذى قَتلتْه غطفان ؛ وعبد يغوث ، قتلتْه بنو مُرة ؛ وقيس ، قَتلتْه بنو أبى بكر بن كِلاب ؛ وخالد ، قتلتْه بنو الحارث ابن كَعْب .

أمهم
أُمهم جميعاً ريحانةُ بنت مَعديكرب الزَّبيدى ، أُخت عمرو بن مَعديكرب . وكان الصمة سَباها ثم تزوَّجها ، فأَولدها بَنيه . وإيّاها يعني عمرو بن مَعديكرب بقوله :

---

(١) ويقال : « علقة » .

(٢) فى التجريد : « غزية » .

أَمِن رَيْحانةِ الدّاعى السَّميع يُؤَرِّقنى وأصحابى هُجُوعُ
إذا لم تَسْتطع شيئاً فَدَعْه وجاوِزْه إلى ما تَسْتطيع

ابنه وبنته

وكان لدُريد ابْنٌ يقال له : سَلَمة . وكان شاعراً ، وهو الذى قَتل أبا عامر الأشعرىّ (١) رحمه الله يوم حُنين . وكان لدُريد بنتٌ شاعرة ، ولها فيه مراثٍ كثيرة .

رأى أبى عمرو فى شعر له فى الصبر على النوائب

وذُكر أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول :

أحسن شِعرٍ قيل فى الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصمة :

تقول ألا تبكى أخاك وقد أرى مكانَ البُكا لكن بُنيتُ على الصَّبر
لَمقتل عبد الله والهالك الذى على الشَّرف الأعلى قتيلِ أبى بكْر
وعبدِ يغوث أو خَليلِيَ خالدٍ وعَزَّ مُصاباً حَثْوُ قبرٍ على قَبر
أبَى القتلَ إلّا آلُ صِمَّة إنهم أبَوْا غيره والقَدْرُ يَجْرى إلى القَدْر
فإمّا تَرَيْنا لا تزال دماؤنا لدى واترٍ يشقى (٢) بها آخرَ الدَّهر
فإنّا لَلَحْم السَّيف غيرَ نَكيرةٍ ونَلْحَمُه (٣) حيناً وليس بذى نُكْر
يُغَار علينا واترين فيُشْتَفَى بنا إن أُصِبْنا أو نُغِيرَ على وِتْر
بذاك قَسَمْنا الدَّهر شَطْرَيْن (٤) بيننا فما يَنْقضى إلّا ونحن على شَطْر

وكان السبب فى قَتل عبد الله أنه غزا غَطفانَ يوم اللِّوى ، ومعه بنو جُشَم و بنو نَصْر بن مُعاوية ، فظَفِر بهم وساق أموالَهم ، ومَضى بها . فلما كان غيرَ بعيد قال : أنزلوا بنا . فناشده أخوه دُريدٌ اللهَ ألّا ينزلَ ، فإن غَطفان ليست بغافلة عن أموالها . فأقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مِرْباعه (٥) ، و يأكل و يُطْعم و يَقْسِم

(١) هو ابن عم أبى موسى . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسق » .
(٣) نلحمه : نطعمه اللحم . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « قسمة » مكان « بيننا » .
(٥) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية .

البقيَّة بين أصحـابه . فبينا هم فى ذلك ، وقد سَطَعت الدَّواخُن ، إذ أقبلت إليهم عَبس وفَزارة وأشجع ، فالتقوا بالمُنْعَرج من رُمَيْـلة اللِّوى واقتتلوا ؛ فقُتل عبد الله ابن الصِّمّة ، وذَب عنه أخوه دُريد فلم يُغْنِ شَيئاً . وجُرِح دُريد فسَقط ، فكفُّوا عنه ، وهم يرون أنه قد قُتل . واستنقذوا المال ونجا مَن هَرب . فلما كان الليلُ مَشى دُريد وهو ضَعيف قد نَزَفه الدمُ . فمرّ فى جماعة تسير ، فدَخل بين عُرْقوبى بَعير ظَعينة ، فنفَر البعيرُ ، فقالتْ : أعوذ بالله منك ! فانتسب لهـا ، فأَعلمت الحىّ بمكانه . فغُسِل عنه الدَّم وزُوِّد زاداً وسُقِى ، فنَجا .

وذُكر أنّ المرأة كانت فَزَاريّة ، وأنّ الحَىّ عَلِموا بمكانه فتَركوه ، فداوته المرأةُ حتى بَرأ ولَحق بقومه .

شعره فى رثاء أخيه

وقال دُريد بن الصمّة يَرْثى أخاه عبدَ الله بقَصيدة طويلة أولُها :

أَرَثَّ جديدُ الحَبل مِن أُم مَعبدِ بعاقِبةٍ[1] وأَخلفتْ كُلّ مَوْعِدِ
وبانت ولم أَحْمد إليك جِوارَها ولم تَرْجُ منّا رِدّةَ اليوم أو غَد

ومنها .

أعاذلتِي كلُّ أمرىء وابْنُ أُمّه متـاعٌ كزاد الراكب المُتزوِّد
أعاذل إن الرُّزء أمثالُ[2] خالد ولا رُزْء ممّا أهلكَ المرءُ عن يَد
نصَحتُ لعارضٍ وأصحاب عارض[3] ورَهطِ بنى السَّوداء والقومُ شُهَّدى
فقلت لهم ظُنُّوا بألفَى مُـدَجّج سَراتُهم فى الفارسىّ[4] المُسرَّد
أمرتُهمُ أمرى بمُنْعَرج اللِّوى فلم يَسْتبينوا الرُّشْد إلّا ضُحَى الغد
فلما عَصَوْنى كنتُ منهم وقد أرى غَوايتَهم وأنَّنى غيرُ مُهتَـدى

(١) بعاقبة : أى بأخرة .
(٢) خالد ، من أسماء عبد الله ، وسيأتى أنه كان يسمى أيضاً : عارضاً ومعبداً .
(٣) هم أصحاب أخيه .
(٤) فى الأصل : «السابرى المسود» . والمسرد : المتتابع الحلق فى النسج . يعنى دروعا .

وهل أنا إلّا من غَزِيّة إن غوتْ غويتُ و إن ترْشُد غَزِيّةُ أَرْشُد
دعانى أخى والخيلُ بينى و بينه فلما دعانى لم يجدنى بقُعْدُد
تنادَوْا فقالُوا أَرْدَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أعبدُ الله ذلكمُ الرَّدِى
فإنْ يَكُ عبدُ الله خلَّى مكانَه فما كان وقَّافاً ولا طائشَ اليَد
ولا بَرِماً إذا الرِّياحُ تناوحتْ برَطْبِ العِضَاه والهَشِيم[1] المُعضَّد
نظرتُ إليه والرِّماح تَنوشُه كوَقْع الصَّياصِى[2] فى النَّسِيج المُمدَّد
فما رِمْتُ حتى خرَّقَتْنى رماحُهم وغُودرتُ أكبُوفى القنا[3] المُتقصِّد
قِتالَ أمرىء واسَى أخاه بنفسه ويَعْلَم[4] أنَّ المرء غيرُ مُخلَّد
صَبور على وَقْع النَّوائب[5] حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غَد

تمثل على بن أبى طالب ببيت له

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لما أُختلفت كلمةُ أصحابه فى أمر الحكَمَيْن : أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، وتفرّقت الخوارج وقالوا له : إنّا كفرنا نحن وأنت فى تحكيم الحكمَيْن ، فتُب من ذلك وأُرجع عن تحكيم الحكَمَيْن ، وعُدْ بنا إلى قتال عدوّك وأعترف بأنك كفرت إذ حكَّمت . فلم يقبل منهم ، وفارقوه وخالفوه ، تمثّل رضى الله عنه بقول دُريد بن الصمّة :

* أمرتُهم أمرى بمُنْعرج اللِّوى *

والبيتَيْن اللذين بعد هذا البيت .

أسماء عبدالله وكناه

وقيل :

كان لعبد الله بن الصمّة ثلاثة أسماء وثلاثة كنى : عبد الله ، ومعبد،[6] وخالد ،

(١) البرم : الضجر . وتناوح الرياح : هبوبها مرة يميناً ومرة شمالا . والعضاه : شجر عظيم له شوك . والهشيم : النبت اليابس المتكسر . والمعضد : المقطع .
(٢) تنوشه : تتناوله . والصياصى : جمع صيصية ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . (٣) المتقصد : المتكسر . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأيقن » .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : «المصائب» . (٦) الذى فى شرح الحماسة (٢ : ١٥٦) : «عارض» .

وأبو ذُفافة ، وأبو فُرْعان ، وأبو أوْفى . وقد ذَكر دُرَيد كُل ذلك فى شعره .

وقيل : إن أُم معبد التى ذكرها دُريد فى القصيدة ، هى زوجتُه ، وكانت رأتْه شديدَ الجَزع على أخيه عبد الله ، فعاتبتْه على ذلك وصغّرت شأن أخيه وسبّته . فطلّقها وقال فيها :

* أرثّ جديدُ الحَبل من أُم مَعْبد *

البيتين اللذين هما أول هذه القصيدة .

حربه غطفان ثأراً لأخيـه وشعره فى ذلك

وذُكر أن دُريد بن الصمّة أغار بعد قتل أخيه عبد الله على غَطفانَ يُطالبهم بدَمه ، فاستَقْراهم (١) حيًّا حيًّا ، وقَتَل من بنى عَبْس ساعدةَ بن مُرّة ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زَيْد بن قارب ، أَسره مُرّة بن عوف الجُشمىّ . فقالت بنو جُشم : لو فاديناه (٢) ! فأبى ذلك دُريد وقَتله بأخيه عبد الله . وقَتل من بنى فَزارة رجلاً يقال له : حِزام ، وإخوةً له ؛ وأصاب جماعةً من بنى مُرّة ، ومن بنى ثَعلبة بن سَعد ، ومن أحياء غَطفان . فقال دُريد فى ذلك من قصيدة :

جَزينا بنى عَبْس جزاءً مُوفَّرًا ... بمَقتل عبد الله (٣) يومَ الذّنائبِ

ولولا سوادُ الليل أدركَ رَكْضُنا ... بذى الرِّمْث والأَرْطَى (٤) عِياضَ بن ناشِب

قَتلنا بعبد الله خيرَ لِدَاته ... ذُؤابَ بنَ أسماء بنِ زَيد بن قارب

عبدالملك بن مروان وشعر لدريد

وذُكر أنه أُنشد عبدُ الملك بن مروان هذا البيتَ الأخير ، فقال : كاد دُريد أن يَنْسُب ذُؤابَ بن أسماء إلى آدم ! ولمّا أُنشد البيت الأوسط قال : ليت الشمس كانت ثَبتت له قليلاً حتى أدركه .

من شعره فى هذه الوقعة

وقال أيضاً :

قَتلنا بعبد الله خيرَ لداته ... وخيرَ شَباب الناس لو ضُمّ أجمعَا

(١) استقراهم : تتبعهم . (٢) فاداه : أطلقه وقبل فديته .
(٣) يوم الذنائب : من أيام العرب . (٤) الرمث والأرطى : نبتان . وذو الرمث : موضع .

ذُؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قارب   منيَّتُه أَجْرَى إليها[1] فأَوْضعا

هو وأمه في ثأر قيس

وذُكر أنَّ رَيحانةَ بنت مَعديكرب قالت لابنها دُريد بن الصمة، بعد سنة من مقتل أخيه عبد الله: يا بُنى، إن كنت عجزتَ عن طلب الثأْر بأخيك فاستعن بخالك وعَشيرتك من زُبيد. فأَنِف من ذلك وحَلف لا يَكتحل، ولا يَدَّهن، ولا يَمسّ طِيباً، ولا يأكل لحماً، ولا يشرب خمراً، حتى يُدرك ثأره. فغزا هذه الغزاة وجاءها بذُؤاب ابن أسماء فقتَله بفنائها، وقال: هل بلغت ما فى نفسك؟ قالت: نعم، مُتِّعتُ بك.

مقتل قيس بن الصمة

وأما السبب فى قتل قيس بن الصمة، فإنه غَزا فى جماعة من رَهطه من بنى جُشَم، فأغاروا على إبلٍ لبنى كَعب بن أبى بكر بن كِلاب، فانطلقوا بها. وخَرج بنو أبى بكر ابن كِلاب فى طَلبها، حتى إذا دنَوْا منها، قال عمر بن سُفْيان الكِلابى، وكان حازماً عاقلاً: امكثوا. ومَضى هو مُتنكِّراً حتى أتى رجلاً من رَهط قيس بن الصمّة، فسلّم عليه واستسقاه وانتسب له هِلاليًّا، وسأله عن قومه وأين مَرعى إبلهم، وأعلمه أنه قد جاء رائداً لقومه يُريد مجاورتَهم. فخبَّره الرجلُ بكُل ما أراد. ورَجع إلى قومه، وقد عرف بُغيته. فصَبح القومَ بنو كِلاب فظفروا بهم، وقَتلوا قيس بن الصمَّة، وارتجعوا أموالهم، وذَهبوا بإبل آل الصمَّة.

فقَيس هذا هو الذى ذَكره دُريد فى شعره، وهو قتيل أبى بكر[2]، أى آل أبى بكر.

مقتل عبد يغوث

وأما عبد يَغوث بن الصمّة، فإنه كان يَنزل بين أظهُر بني الصَّادر فقَتلوه. وذَكره أيضاً دُريد فى شعره.

مقتل خالد

وأما خالد، فإن بنى الحارث بن كَعب غزتْ بنى جُشَم بن مُعاوية، فخرجوا إليهم فقاتلوهم، فقتلت بنو الحارث خالدَ بن الصمّة، قتلتْه أَحْمَسُ بطنٌ من شنوءة، وكان دُريد بن الصمّة أغار عليهم فظَفِر بهم، واستاق إبلَهم وأموالَهم، وسَبى

(١) أجرى إليها: قصد إليها. والإيضاع من السير: السريع.
(٢) انظر شعر دريد (ص ١١١٨) من هذا الجزء.

نساءهم وملأ يديه وأيدى أصحابه ، ولم يُصَب أحدٌ ممن كان معـه إلّا خالداً عمّه ، رماه رجلٌ منهم بسَهم فقتله . وخالد بن الصمّة هو المذكور فى شعر دُريد فى قوله : « أو خليلى خالد[1] » .

حديث خطبة الخنساء

وذُكر أنّ دريد بن الصمة مَرّ بالخَنساء الشاعرة ، واسمها تُماضر بنت عمرو ابن الشَّريد ، وهى تَهنأ بعيراً لها ، وقد تبذّلت ، حتى فرغت منه ، ثم نَضت عنها ثيابها فاغتسلت ، ودُريد بن الصمة يراها وهى لا تشعر به، فأعجب بها ، وانصرف إلى رجاله وأنشأ يقول :

حيُّوا تُمـاضِرَ وارْبَعوا صَحْبى ... وقِفُوا فإنّ وُقوفَكم حَسْبى
أخُنَـاسُ قد هام الفؤادُ بكم ... وأصابه تَبْـلٌ من الحُبّ
ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ به ... كاليوم طالىَ أينُقٍ جُـرب
مُتبـذّلاً تَبْـدو محاسـنُه ... يَضَع الهِناء مَواضِـعَ[2] النُّقْب
مُتحسِّراً نَضَح الهِنـاء به ... نَضْحَ العَبِـير برَيْطةٍ[3] العُطْب
فَسلِيهمُ عنّى خُنـاسُ إذا ... عَضّ الجميعَ الخَطْبُ ما خَطْبى

فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها منـه . فقال له أبوها : مرحباً بك أبا قُرّة ! إنّك لَلـكريم لا يُطعَن فى حَسَبه ، والسيّد لا يُردّ عن حاجته ، والفَحل لا يُقْدَع أنفُه ![4] ولـكن لهـذه المرأة فى نَفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرُك لها ، وهى فاعلةٌ . ودَخل إليها فقال : ياخنساء ، أتاكِ فارسُ هَوازنَ وسيّد بنى جُشَم ، دُريد ابن الصمّة يخطُبك ، وهو مَن تَعلمين . فذُكر أنها قالت له : أنْظِرْنى حتى أُشاور

(١) انظر شعر دريد (ص ١١١٣) من هذا الجزء .
(٢) الهناء : القطران . والنقب : قطع الجرب المتفرقة .
(٣) العطب ، بالضم وبضمتين : القطن . وفى بعض أصول الأغانى : « العصب » .
(٤) يقدع أنفه : يضرب بالرمح و غيره ؛ يفعل هذا بالفحل غير الكريم إذا أراد الناقة ، ليحمل عليها غيره . يريد أنه كريم .

نَفسى ، فإن وجدتُ بَولَه قد خَرق الأرض ففيه بقيّـة ، و إن وجدتُه قد ساحَ على وجهها فلا فضلَ فيـه . فأتْبعتْه وليدتُها ، ثم عادت إليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساحَ على وجه الأرض . فأمسكت . فعاود دُريد أباها . فعاودها أبوها . فقالت له: يا أبة ، أتُرانى تاركة بنى عمِّى مثل عوالى الرِّماح وناكحةً شَيخَ بنى جُشم هامةَ اليوم أو غد[1] ! فخرَج إليه أبوها وقال : يا أبا قُرَّة ، قد امتنعتْ ، ولعلّها أن تُجيب فيما بعد . وكان دُريد يسمع قولَها حين قالت لأبيها هـذه المقالةَ ، فقال : قد سمعتُ قولَـكما ، وانصرف .

هو فى آخر عمره وشعره فى ذلك

وذُكر أن دُريد بن الصمة أسنّ وجَعـل له قومُه بيتاً مُنفرداً عن البُيوت ، ووكّلوا به أَمةً تَخدُمه ، فـكانت إذا أرادت أن تُبْعد فى حاجةٍ قيّـدته بقيد الفرس . فدَخل إليه رجلٌ من قومه ، فقال له : كيف أنت ؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ أقذِفُ أَهدافَ المَنُون[2] كما ... يَرْمى الدَّريئـةَ[3] أَدْنَى فُوقةِ الوَتَرِ
فى مَنْصَفٍ[4] من مَدَى تِسْعينَ من مائة ... كَرْمْيَة الـكاعِب العَـذْراء بالحَجر
فى منزلٍ نازحِ م الحىّ مُنتَبـذٍ ... كمَرْبَط العَـيْر لا أُدْعى إلى خَـبر
يُمْضون أَمرهمُ دونى وما فَقَـدوا ... منّى عزيمـةَ أمرٍ ما خَلا كِبَرى
ونَومةً لست أَقضيها و إن[5] مَتُعت ... وما مَضى قبلُ من شَأْوى ومن عُمُرى
وأنّنى رابَنى قَيـدٌ حُبِسْتُ به ... وقد أَكونُ وما يُمْشَى على أَثَرى
إن السِّنين إذا قَرَّبْن من مائة ... لَوَيْن مِرَّة[6] أحوالٍ على مِرَرِ

بينه وبين زوجته بعد ما أسن

وذُكر أنّ زَوجة دُريد بن الصمّة قالت له : قد أَسْنَنْتَ وضَعُف جِسْمك ،

(١) الهامة : روح القتيل– فيما تزعم العرب – الذى لم يدرك بثأره تزقوعند قبره تقول : اسقونى اسقونى . فإذا أدرك بثأره طارت . و يقال : هامة اليوم أوغد . أى يموت اليوم أو غدا .

(٢) فى الأصل : «المتون» .

(٣) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الرامى الرمى . . وفوقة السهم . حيث يقع الوتر من رأسه .

(٤) منصف : وسط . (٥) متعت : طابت . (٦) المرة : طاقة الحبل .

وقُتل أهلُك، وفَنِى شبابُك، ولا مالَ لك ولا عُدّة[1]، فعَلَى أىّ شىء تُخَلِّف أهلَك إنْ قُتلت؟ فقال دُريد:

أَعاذلَ إنما أفنَى شَبابِى رُكوبِى فى الصّريخ إلى المُنادِى
مع الفِتْيانِ حتّى كَلّ جِسْمى وأَقْرح عاتِقِى حَمْلُ النِّجاد
أَعاذلَ إنّه مالٌ طَرِيفٌ أحبُّ إلىَّ من مالٍ تِلاد
ويَبْقَى بعد حِلْم القوم حِلْمى ويَنْفَدُ[2] قبل زاد القَوم زادى

غزوة حنين ومقتل دريد

ذكر غزوة حُنين ومقتل دريد بن الصمة:

قيل: لمّا اُفتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكةَ أقام بها خمسَ عشرةَ ليلة يقصُر الصلاة، وكان فَتْح مكة لعَشْر ليالٍ بَقِين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة. ولما سمعت هَوازن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، جَمعها مالك ابن عَوف النَّصرى، واُجتمعت إليه ثقيف مع هوازن. ولم يجتمع إليه من قيس إلّا هوازنُ وناسٌ قليل من بنى هِلال، وغابت عنها كَعْب وكِلاب، فجمعت نَصْرٌ وجُشَمُ وسَعْد و بنو بكر وثَقيف واُحتشدت، وفى بنى جُشَمَ دريدُ بن الصمة شيخٌ كبير فانٍ، ليس فيه إلّا التَّيمن برأيه ومَعرفته بالحرب، وكان شُجاعاً مُجرِّباً. وفى الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مَسعود، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبيع ابن الحارث، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصرى. فلمّا أجمع مالكٌ المسيرَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حَطَّ مع الناس أموالهم وأولادهم. فلما نزلوا بأوطاس[3] اُجتمع إليه الناسُ وفيهم دُريد بن الصمة فى شِجَارٍ[4] له. فقال لهم دُريد: بأى وادٍ أنتم؟ قالوا: بأَوطاس. قال: نِعْمَ مَجال الخَيل، ليس بالحَزْن

(١) فى الأصل: «جدة». وهى اليسار والسعة. (٢) فى بعض أصول الأغانى: «ويفنى».
(٣) أوطاس: واد بديار هوازن. (٤) الشجار: مركب أصغر من الهودج.

الضَّرِس ،[١] ولا السَّهل الدَّهِس[٢] . مالى أَسمع رُغاء البعير[٣] ، ونُهاق الحَمير ، و بُكاء الصَّغير ، وثُغاء الشاء ! قالوا : ساقَ مالكُ بن عَوف مع النّاس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعى له به . فقال : يا مالك ، إنك أصبحتَ رئيسَ قومك ، و إن هذا يومٌ كائن له ما بعده من الأيام ، مالى أَسمعُ رُغاء البعير ، ونَهيق الحَمير ، و بُكاء الصِّبيان ، وثُغاء الشاء ؟ قال : سُقت مع النـاس نساءهم وأبناءهم وأموالَهم . قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعلَ خَلف كُل رجلٍ أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم . قال : فأَنْقَض به[٤] وو بّخه ولامه ، وقال : راعى ضَأْنٍ واللهِ ! — أىْ أحمق — وهل يَرُد المُنهزم شىء ! إنها إن كانت لك لم ينفْعك إلا رجل بسَيفه ورُمحه ، و إن كانت لهم عليك فُضِحت فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلتْ كَعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يَشهدها منهم أَحـد . قال : قال : فاتَ[٥] الجِدّ والحَدّ[٦] ! لو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم تَغِب عنه كَعب وكِلاب ، ولودِدْتُ أنكم فعلتُم مثلَ مافعَلوا ، فمَن شَهِدها منهم ؟ قالوا : بنو عَمرو بن عامر ،و بنوعَوف بن عامر . قال : ذانك الجَذَعان[٧] من عامر ، يضُرّان ولا ينفعان . ثم قال : يا مالك ، إنك لم تَصنع بتَقديم البَيْضة[٨] بَيضة هَوازنَ إلى نُحور الخَيـل شيئاً ، ارفعهم إلى أعلى بلادهم وعَلْياء قَومهم ، ثم الْقَ القوم بالرِّجال على مُتون الخَيـل ؛ فإن كانت لك لَحِق بك مَن وراءك، و إن كانت عليك كنتَ قد أحرزت أهلَك ومالَك ولم تُفْضَح فى حَريمك . فقال : لا والله ، لا أفعـل ذلك أبداً ، إنك قد خَرِفْت وخَرِف رأيُـك وعلمُـك ، والله لتُطيعُنَّنى يا معشرَ هوازن ، أو لاتكئَنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظَهرى — ونَفِس على دُريد بن الصمة أن يكون له فى ذلك اليوم

(١) الضرس : الصعب .
(٢) الدهس : اللين السهل .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الإبل » .
(٤) أنقض به : صاح .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : «غاب » .
(٦) الحد ، أى الشجاعة والحدة .
(٧) الجذع : الحدث الشاب .
(٨) البيضة : أصل القوم .

ذِكْر ورَأْى — فقالوا : أطعناك وخالفنا دُريداً . فقال دُريد : هذا يومٌ لم أَشْهده ولم أَغِبْ عنه ! وقال رجَزه الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار دُريد ابن الصمة ، وهو :

يا ليتنى فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ(١)
أَقُود وطْفاء الزَّمَعْ كأنها شاةٌ صَدع(٢)

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى لقائهم من مكة ومعه اثنا عشر ألفاً ، منهم عشرة آلاف هم الذين فَتح بهم مكة ، ومنهم ألفان هم مُسْلمة الفتح من قُريش وغَيرهم .

ولما رأى بعضُ المسلمين كثرة جَيش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لن يُغلب هؤلاء من قلّة . فلما لَقِيهم المشركون انهزم المسلمون ، وثبت رسولُ الله صلّى الله عليه ، وهو راكبٌ بَغلته الدُّلدل ، ومعه العبّاس عمّه رضى الله عنه . فأَمره أن ينادى الأنصار ليرجعوا ، وكان جَهير الصوت ، فنادى بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ! فرجَعوا رضى الله عنهم كارِّين على عدوِّهم كالإبل تعطف على أولادها مائةً مائةً ، وتَراجع المُسلمون ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخذ من حَصْباء الوادى فحَصب به وجوه المشركين وقال : «شاهت الوجوه !» واستعرت الحرب ، وتطاول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على بَغلته ينظُر مُجتلد القوم . فقال : « الآن حَمِى الوطيس » . وهذا من أمثاله صلّى الله عليه وسلم المُختَصّة به ، وأنزل الله نَصره ، وأيّده بالملائكة ، وانهزم المُشركون أقبح هزيمة . فأتوا الطائف ومعهم مالكُ ابن عوف ، وعَسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضُهم نحو نَخلة(٣) . وتبعت خيلُ

(١) الخبب والوضع : ضربان من السير .
(٢) وطفاء : كثيرة الشعر . والزمع : الشعر المدلى فى مؤخر رجل الشاة والعنز . وصدع : فتية قوية .
(٣) هى نخلة اليمانية . (ياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن سلك نَخلة ؛ فأدرك ربيعةُ بن رُفيع السُّلمى — أحدُ بنى يَرْبوع بن سَمَّال بن عَوْف ، وهو غلام شاب — دُرَيدَ بن الصمة ، فأخذ بخِطام جمله ، وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان فى شِجارٍ له ، فأناخ به ، فإذا هو رجل شيخٌ كبير ؛ ولم يعرفه الغلام . فقال له دريد : ماذا تُريد ؟ قال : أقتلك . قال : ومَن أنت ؟ قال : ربيعةُ بنُ رُفيع السُّلمى . فأنشأ دُريد يقول :

وَيْحَ ابن تَكمة[1] ماذا يُريد ... من المُرْعَشِ الذّاهب الأَدْرَدِ
فأُقسم لو أنّ بى قوةً ... اظلّت[2] فرائصه تُرْعَد
ويا لَهْفَ نفسىَ ألا تكونَ ... معى قوّةُ الشامخ[3] الأمرد

ثم ضَربه السُّلمىّ بسيفه ، فلم يُغنِ شيئاً . فقال له دُريد : بئس ما سَلَّحَتْك أُمّك ! خُذ سيفى هذا من مُؤخَّر رَحلى فى القِراب فاضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدِّماغ ، فإنى كذلك كنتُ أضربُ الرجال ؛ فإذا أتيتَ أُمك فأخبرها أنك قتلت دُريد بن الصمّة ، فربّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءك .

وحُكى عن ربيعة أنه قال :

لما ضربتُ دُريد بن الصمّة بالسيف سقط فتكشّف ، فإذا عِجانُه[4] وبطن فَخِذَيه مثل القراطيس من رُكوب الخَيل .

فلما رجع ربيعةُ إلى أُمه أخبرها بقتله إياه . فقالت له : لقد أعتق قَتيلُك ثلاثاً من أُمهاتك .

وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فى آثار مَن توجَّه قِبَلَ أوطاس ، أبا عامر

(١) فى غير التجريد : « أكة » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « لولت » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الشارخ » وهو الشاب .
(٤) العجان : الدبر . وقيل : هو ما بين الدبر والقبل .

الأشعرىّ - عم أبى موسى الأشعرى - فهزمهم الله وفَتح على المُسلمين . ورَمى سلمةُ ابن دُريد بن الصمة أبا عامر بسهم فأَصاب رُكبته فقتله .

شعر عمرة ابنتــه فى رثائه

وقالت عمرة بنت دُريد بن الصمّة تذكُرقتل السُّلمى أباها :

جَزى عنّا الإلهُ بنى سُــليم ... وأَعقْبهم بمـا فعلوا[1] عَقَاقِ

وأَســـقانا إذا سِرْنا إليهم ... دِماءَ خيــارهم يومَ التَّـلاقى

فرُبَّ مُنَوِّهٍ بك من سُــلَيم ... أُجيبَ وقد دعاك بلا[2] رَماقِ

ورُبَّ كريمــةٍ أعتقتَ منهم ... وأُخرى قد فككتَ من الوَثاقِ

(١) العقاق ، بالبناء على الكسر : العقوق .

(٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمق .

أخبار إبراهيم بن العباس الصولى (*)

هو إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول . وكان صُولٌ رجلاً من الأتراك ، ففَتَح يزيدُ بن المُهلَّب بن أبى صُفْرة بلدَه ، وأسلم على يَده . فهم مَوالى يزيد . نسبه وولاؤه

ولمّا ظهر يَزيدُ بن المهلَّب بالعراق ودَعا إلى نفسه وخَلَع يزيد بن عبد الملك ، أتاه صُول لينصُرَه ، فصادفه وقد قُتل . وكان يُقاتل كُلَّ مَن بينه وبين يَزيد من جيش بنى أُمية ، ويكتُب على سِهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة رسوله . فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك ، فاغتاظ وجعل يقول : ويلى على ابن الغَلفاء ! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ! ولعلّه لا يَفقه صلاته .

وكان محمّد بن صُول من رجال الدَّولة العباسية ودُعاتها ، وقد كان بعض أهليهم ادّعوا أنهم عربٌ ، وأنّ العبّاس بن الأحنف خالُهم . شيء عن محمد بن صول

وقيل : كان صُول وفَيْروزُ أخوَيْن ملكَيْن[1] على جُرْجان ، وكانا تُركيَّيْن ، تمجَّسا وتَشبَّها بالفُرس . فلما حَضر يزيدُ بن المُهلَّب جُرْجانَ أمَّنهما ، فأسلم صولٌ على يده ، ولم يَزل معه حتى قُتل يوم العَقْر[2] . صول وفيروز

وكان محمد بن صُول ، ويُكنى أبا عُمارة ، أحدَ الدُّعاة . وقتله عبد الله بن علىّ ابن عبد الله بن العبّاس لما خالف مع مُقاتِل بن حَكيم العَكّى وعدّةٍ آخرين . تتمة الحديث عن محمد بن صول

وكان إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول ، وأخوه عبد الله ، من وجُوه إبراهيم وأخوه عبد الله

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار «إبراهيم» طائفة من أخبار المعتضد فى خن ، وهى لا تعدو الصفحة .

(1) فى بعض أصول الأغانى : « ملكا » . (2) موضع عند كربلاء .

الكُتّاب ، وكان عبد الله أسنَّهما وأشدَّهما تقدُّماً ، وكان إبراهيم آدبَهما وأحسنَهما شعراً ، وكان هو وأخوه من صنائع ذى الرياستين الفَضل بن سَهل ، اتصلا به فرَفع منهما ، وتَنقَّل إبراهيمُ فى الأعمال الجليلة إلى أن مات وهو يتقلّد ديوان الضِّياع والنَّفقات بسُرَّ مَن رأى فى نِصف شعبان سنةَ ثلاثٍ وتِسعين ومائتين .

ما كان يستحسنه دعبل من شعر إبراهيم

وكان دِعبل يَستحسن قولَ إبراهيم بن العبّاس :

إنّ امرأً ضَنَّ بمعروفه عنّى لَمبذولٌ له عُذْرِى
ما أنا بالرّاغب فى عُرفه إنْ كان لا يَرغب فى شُكرى

ما كان بين إبراهيم ومحمد الزيات وهجاء إبراهيم

وذكر أن إبراهيم الصولى كان صديقاً للوزير محمد بن عبد الملك الزيّات ، ثم آذاه وقصده ، وصارت بينهما شَحناء عظيمة لا يُمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يَهجوه . فمن قوله فيه :

أبَا جَعفرٍ خَفْ خَفضةً بعد رِفعةٍ وقَصِّر قليلاً عن مدَى غُلَوائكا
لئن كان هذا اليومُ يوماً حويتَه فإنّ رجائى فى غدٍ كرجائكا

وله فيه :

دعوتُك فى بَلوَى ألمَّت صروفُها فأوقدتَ من ضِغْنٍ علىَّ سَعيرَها
وإنّى إذا أدعوك عند مُلمّةٍ كداعيةٍ عند القبُور نَصيرَها

وقال فيه لما مات :

لمّا أتانى خَبَرُ الزّيّاتِ وأنّه قد صار فى الأموات
أيقنتُ أنّ موتَه حياتِى

شعره لبعض من هجره

وقيل :

لما انحرف محمدُ بن عبد الملك الزيّات عن إبراهيم بن العبّاس تحاماه الناسُ أن يلقَوْه ، فكتب إلى بعضِ إخوانه ، وقد هجره فيمن هجره :

تَغـيَّر لى فيمن تَغـيَّر حارثُ ... وكم من أخٍ قد غيرته الحوادثُ
أحارثُ إن شوركتُ فيك فطالما ... غَنِينا وما بَينى و بينـك ثالث

من جيد شعره

ومن جيد شعر إبراهيم :

خَـلِّ النِّفاق لأهـله ... وعليـك فالْتمس الطَّريقَا
وأذهبْ بنفسـك أن ترَى ... إلا عـدوًّا أو صـديقا

ومن جيد شعره :

أميلُ مع الذِّمام على أبن(١) عمِّى ... وأحمِل للصَّديق على(٢) الشَّقيقِ
أُفرِّق بـين مَعـروفى ومَـنِّى ... وأجمـع بين مالِى والحُقـوق
و إن ألفيتَنى حُـرًّا مُطـاعاً ... فإنك واجدِى عبـدَ الصَّديق

شعره إلى رجل معتـذر

وأعتذر إليه رجلٌ بعذر ، فلم يَقبل عُذره وكتب على ظهر ورقته :

أبداً مُعتذرٌ لا يُعـذَر ... ورُكوبٌ للذى(٣) لا يُغفرُ
ومُلقًّى بمساوٍ كُلُّهـا ... منه تَبدو وإليـه تَصْدُر
هى من كُل الوَرى مُنكَرةٌ ... وهى منه وحدَه لا تُنْكَر

رثاؤه ابنـه

وقيل إنه كان لإبراهيم بن العبَّاس أبن قد يفَع وترعرع ، وكان به مُعجَباً ، فمات فقال فيه :

مَن شاء بعدك فَليمُتْ ... فعليك كنتُ أحاذرُ
كنت السـوادَ لمُقلتى ... فبكى عليك النـاظر

شعره فى هبـة عبد الله الصولى

وذُكر أن عبد الله بن العبَّاس الصُّولى وهَب لأخيـه إبراهيم ثُلث ماله ، ووهَب لأُخته الثُّلث الآخر ، وأبقى لنفسه الثلث . فقال إبراهيم فى ذلك :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن أمى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وآخذ للصديق من » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « للتى لا تغفر » .

ولكنّ عبدَ الله لما حَوى الغِنى وصار له من بين إخوته مالُ
رأى خَلّةً منهم تُسَدُّ بمــــاله فساهمهم حتى أستوتْ بهمُ الحال

وقد عِيب على إبراهيم أبتداؤه فى الشعر بلفظة « ولكن » وقد كرّره فى موضع آخر ، فقال :

ولكنّ الجواد أبا هشــام وفىُّ العهد مأمونُ[(١)] الغُيوبِ
بَطِىءٌ عنك ما أستغنيْت عنه وطَلّاعٌ عليك مع الخُطوب

وهذا شعر فى غاية الحُسن ، ولم يَشِنْه إلا الأبتداء بلفظة « لكن » فإنها تَقتضى مُقدَّم كلام .

بينه و بين المتوكل وقد طلب إليه وصف القدور الإبراهيمية

وذَكر على بن يحيى :

أن المُتوكل بعث إلى إبراهيم بن العبّاس يأمُره أن يَصف له القُدور الإبراهيميّة —وقد كان أبتدعها— فكتب إليه صفتها ، وكتب فى آخرها فى ذكر الأبازير : «ووزن دانَق» ، وأنسى أن يكتُب من أى شىء . فلما وصلت إليه الصِّفة، أغتاظ ثم قال لعلى بن يَحيى : أحلف بحَياتى أن تقول ما أمُرك به . ففعل . فقال : قل له : وزن دانق أى شىء ؟ أمن بَظْر أُمك ؟ قال علىٌّ بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلتُ : إنّى قد جئتُك فى رسالةٍ عزيز علىّ أن أُؤدِّيها . فقال : هاتِها . فأدّيتُها. قال : فأرجع إليه فقل له : يا سيدى ، إن علىّ بن يحيى صَديقى وأخى ، وقد أدّى الرسالةَ ، فإن رأيتَ أنْ تجعل وزن الدَّانق من بَظر أُمى و بظر أُمــه جميعاً تفضّلت ؟ فقلت : قَبحك الله ! وأنا أيْشٍ ذَنْبى ! قال : قد أدّيتَ الرِّسالة وهذا جوابُها . قال : فدخلتُ إلى المُتوكل ، فقال : إيهِ ، ما قال لك ؟ فقلت : قَبح الله ما جئتُك به ! وأخبرتُه بالجواب . فضَحك حتى فَحص برِجْله ، وجعل يَشْرب

(١) فى بعض أصول الأغانى : «المغيب» مكان « الغيوب » .

عليه بقيّة يومه ، فإذا لقيتهُ قال لى : يا علىّ ، وزن دانق أَيش ؟ فأقول : لعنةُ الله على إبراهيم !

شعره فى الحسن بن وهب وهو مخمور

وقيل : نَظر إبراهيمُ بن العبّاس إلى الحسن بن وَهْب ، وهو مخمور ، فقال له :

عينـاكَ قد حَكَتا مَبِيـ ... ـتَك كيف كنتَ وكيف كانَا
ولرُبّ عـينٍ قـد أرتْـ ... ـك مَبِيتَ صاحبهـا عِيانَا

من جيد شعره

ومن جيّد شعر إبراهيم بن العبّاس ما كتب به إلى مُحمد بن عبد الملك الزيات:

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ ... فلمّا نَبا صِرْتَ حَرباً عَوانَا
وكنتُ أُذمّ إليـك الزمانَ ... فأصبحتُ فيك أذمُّ الزّمانا
وكنتُ أُعِـدّك للنائبـات ... فهأنا (١) أطلُب منك الأمانا

ومن جيّد شعره قولُه :

رَدّ قولى وصـدّق الأقوالا ... وأطـاع الوُشاة والعُـذّالا
أتُراه يـكون شهرَ صُـدود ... وعلى وَجْهه رأيتُ الهِـلالا

معنى شعر سرقه ابن دريد وابن الرومى منه

وقال أبو الفرج :

أنشدتُ عمّى أبياتاً لابن دُريد يمدح بها رجلاً من أهل البصرة :

يا مَن يُقبِّل كفَّ كُلِّ مُخرِّق ... هـذا ابنُ يحيى ليس بالمِخْراقِ
قَبِّـل أناملَه فلسن أناملاً ... لـكنّهن مفاتحُ الأرزاق

فقال : يا بُنى ، هذا سَرقه هو وابن الرُّومى جميعاً من إبراهيم بن العبّاس ، قال إبراهيم يَمدح الفَضلَ بن سَهل :

لفضلِ بن سهل يَدٌ ... تقاصَر منها الأملْ
فباطنُهـا للندَى ... وظاهرُها للقُبَـل
وبَسْطتُهـا للغنَى ... وسطوتُها للأجل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فأصبحت » .

وسَرقه ابنُ الرومى فقال :

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذلَّةٍ والُحرّ بينهما يَموت هَزِيلاَ
فامْدُد إلىَّ يداً تعوَّد بَطنُها بَسْطَ النَّوالِ وظَهْرُها[1] التَّقبيلا

رأى ثعلب فيه

وحَكى الصُّولىّ قال : سمعتُ أحمد بن يحيى ثعلباً يقول :

كان إبراهيم بن العبّاس من أشعر المُحدثين ، وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ غيرَه ، وكان يَستحسن كَثيراً قوله :

لناإبلٌ كُومٌ[2] يَضيق بها الفَضا ويَفترُّ عنها أرضُها وسَماؤها
فِمن دُونِها أن تُستباح دِماؤنا ومن دوننا أن تُستباح دِماؤها
حِمًى وقِرًى فالموتُ دون مَرامِها وأيسرُ خطبٍ يومَ حقَّ فَناؤُها

ثم قال : والله لو كان لبعض الأوائل لا ستُجيد له .

رأى ابن طاهر فيه

وذُكر أن عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان يقول :

لا نعلم لقديمٍ ولا مُحدث فى قِصَر الليل أحسنَ من قول إبراهيم بن العبّاس :

وليلةٍ من اللَّيالى الزُّهْرِ قابلتُ فيها بدرَها ببَدْرِ
لم تك غير شَفَقٍ وفَجْرِ حتى تولَّت وهى بِكْر الدهر

من شعره فى الفضل ابن سهل

ومن جيِّد شعر إبراهيم بن العبّاس فى الفَضل بن سهل ذى الرِّياستين :

فلوكان للشُّكرشخصٌ يَبينُ إذا ما تأمَّله الناظِرُ
لمثَّلته لك حتى تراه فتعلم أنِّى اُمروٌ شاكِر
ولكنّه ساكنٌ فى الضَّمير يُحرِّكه الكَلِمُ السَّائر

مدحه للمتوكل وولاة عهده

ولما عَقد المُتوكِّل ولايةَ العهد بعده لبنيه الثلاثة : المُنتصر ، والمُعتز ، والمُؤيّد ، مَدحه ومَدحهم إبراهيم بن العبّاس بقوله :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بذل الندى وظهورها » .

(٢) كوم : ضخمة عظيمة السنام ؛ الواحد : أكوم ، والأنثى كوماء .

أضحت عُرى الإسلام وهى مَنوطةٌ بالنَّصر والإعزاز والتَّأييدِ
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ كَنَفوا الخلافةَ من وُلاة عُهود
قمرٌ توافتْ حولَه أقمارُه فحَففْن مطلعَ سَعده بسُعود
رَفعتهمُ الأيامُ وارتفعت(١) بهم فسمَوْا بأكرمِ أنفسٍ وجُدود

فأمر له المتوكِّل بمائة ألف دِرْهم ، وأمر له وُلاة العُهود بمثلها .

ومن جيّد شعر إبراهيم بن العبّاس قولُه : ومن جيد شعره

أسدٌ ضارٍ إذا هَيَّجتَه وأبٌ برٌّ إذا ما قَدَرَا
يعرف الأبعدَ إن أثْرى ولا يعرِف الأدْنى إذا ما افتقَرا

وله ، وهو فى غاية الُحسن :

تَلِج السِّنون بيوتَهم وترى لهم عن جار بيتهمُ ازورارَ مَناكِب
وتراهمُ بسُيوفهم وشِفارهم مُستَشْرفين لراغبٍ أو راهب
حامِين أو قارِين حيث لقِيتَهم نَهْبَ العُفاة ونُهْزةً للرّاغب

وله إلى بعض أصحاب الأطراف وهو شعره الذى فيه الغناء

وذُكر أنّ إبراهيم بن العبّاس كتب فى رسالة عن المُعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف ، فقال فى فصل منها : وإن عند أمير المؤمنين فى أمرك أناةً ، فإن لم تُغْن عقَب بعدها وعيدا ، فإن لم يُغن أغنت عزائمه .

وكتب ذلك وهو يظنُه نثراً ، فلما تأمّله رآه شِعْراً وأنه بيت نادر ، وعُمل فيه لحن وغّنى به .

وهذا البيتُ هو الذى افتتح به أبو الفرج أخبار إبراهيم بن العبّاس(٢) .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وارتفعوا به » .
(٢) البيت : أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه

أخبار مروان بن أبى حفصة (*)

نسبته وكنيته

هو مَرْوان بن سُليمان بن يَحيى بن أبى حَفْصة. ويكنى أبا السِّمط . وأسم أبى حَفْصة يزيد .

أصله

وذُكر أنّه كان يَهوديًا فأسلم على يدى مَرْوان بن الحكم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْى إصْطخر ، وأنّ عُثمان بن عفّان رَضى الله عنه اُشتراه فوَهبه لمَرْوان بن الحكم .

حديث عتق أبي حفصة وكنيته

وشهِد أبو حَفْصة الدّارَ (1) يوم قُتل عُثمان رضى الله عنه مع مَولاه مَروان بن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً، وقَتل رجلاً من أَسْلَمَ - يقال له : بَنان - وجُرح مَرْوان يومئذ ؛ أصابته ضَربةٌ قطَعت عِلباويه (2) فَسقط ، فذَبّ عنه أبو حَفْصة واُحتمله ، فجعل يَحمله مرةً على عُنقه ومرةً يجُرّه ، فيتأوّه ، فيقول له : اُسكت واُصبر ؛ فإنهم إن علموا أنك حىّ قَتلوك . فلم يزل به حتى أَدخله دارَ اُمرأة من عَنَزة ، فدَاواه فيها حتى برىء ؛ فأعتقه مروانُ ونَزل له عن أُمّ ولد كانت له منها بِنْت - يقال لها : حَفْصة - تَحضُنها ، فكُنِّى بأبى حَفْصة . فحفصة بنت مروان .

زواجه وأولاده

وكان مروان إذا ولى المدينة فى خلافة مُعاوية وجّه أبا حَفصة إلى اليمامة ليَجمع ما فيها من المال ويَحمله إليه ؛ فمرّ أبو حفصة بقَرية من قُرى اليَمامة ، فوَقف على

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار « مروان » صفحة وبعض الصفحة عن صنعة أولاد الخلفاء، الذكور منهم والإناث .

(1) أى يوم دار عثمان ، وبها قتل . (2) العلباء : عصبية فى صفحة العنق .

باب فاستسقى ماء ، فخرجت إليه جارية مُعْصِر (١) ، فسقته فأعجبته . فسأل عنها ليشتريها ، فقيل له : هى حُرة ، وهى مولاة لبنى عامر بن حَنيفة . فتبعتها نفسُه ومضى إلى اليمامةَ ، فلم يخرُج منها حتى تزوّجها ؛ فأتت منه بيحيى ، ومحمد ، وعبد الله ، وعبد العزيز .

في فتنة ابن الزبير

ولما وقعت فتنةُ ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مولاه مروان إلى الشام .

هو يوم الجمل بين مروان وعلى

وذُكر أن أبا حَفصةَ شَهِد مع مروان يوم الجمل ، وقاتل قتالاً شديداً . فلما ظَفِر علىٌّ رضى الله عنه ، نَجا مروانُ إلى مالك بن مِسْمع فدخل داره ، ومعه أبو حَفصة ؛ فقال لمالك : أغلق بابك . فقال له مالك: إن لم أمنعك والباب مفتوح لم أمنعك والباب مُغلق . فطَلب علىٌّ عليه السلام مروَان منه ، فلم يَدْفعه إليه إلاّ برَهينة . فدَفع مالكٌ الرهينةَ إلى أبى حَفصة ، ومَضى بمروان إلى علىّ عليه السلام؛ فكَساه كُسوةً ، فكساها مروانُ أبا حَفصة . فغدا فيها أبو حفصة . وبَلغ ذلك عليًّا عليه السلام ، فغَضِب وقال : كسوتُه كُسوة فوهبها عبدَه !

في مرج راهط

وشَهد أبو حَفصة مع مروان مَرْجَ راهط (٢) ، وكان له بَلاء . وكان شاعراً .

من شعره يوم الدار

ومن شعره يومَ الدار :

وما قلتُ يومَ الدار للقوم صالِحُوا ... أجَلْ لا ولا اخترتُ الحياة على القَتْلِ
ولكنّنى قد قلتُ للقوم جالِدُوا ... بأسيافكم لا يُخْلَصنّ إلى الكَهل

أبو حفصة بين عكل والعجم

وذُكر أن عُكْلاً تَدَّعى أن أبا حَفصة منهم ، يقولون : هو من كِنانة بن عَوف بن عبد مَناة بن أُدّ بن طَابخة بن اليأس بن مُضَر، وقد كانوا استعدَوْا عليه مروانَ بن الحكَم ، وقالوا : إنما باعتْه عَمّته لمجاعةٍ ! فأَبى هو أن يُقرّ بذلك . ثم

(١) معصر : قد بلغت شبابها وأدركت .

(٢) مرج راهط : فى غوطة دمشق من ناحية الشرق . وفيه كانت الوقعة بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس – داعية ابن الزبير – فقتل مروان فيها الضحاك وخلت له الخلافة .

أستَعدَوْا عليه عبدَ الملك بن مَروان أيضاً ، فأَبى إلاّ أنه رجلٌ من العَجم من سَبْى فارس ، نَشأ فى عُكْل وهو صغير .

ادعاء غسان له

وولَدُ السموءل بن عادياء يَدّعونه . والسموءل من غسّان .

أخوه مروان

وذُكر أنه كان لأبى حَفْصة ابنٌ يقال له : مروان ، سمّاه مروانُ بن الحكم باسمه ، وليس بالشاعر ، وكان شُجاعاً ، أَمدّ به عبدُ الملك الحجّاجَ بن يُوسف وقال: بعثتُ إليك مولاى مَروان بن أبى حَفْصة ، وهو يَعْدِل ألفَ رجلٍ . فشهد معه حَرْب ابن الأشعث ، وأبلى فيه بَلاءً حسناً .

شىء عن يحيى جد مروان

وكان يَحيى بن أبى حَفْصة ، جدّ مروان الشاعر ، جواداً مُمدَّحاً ، وله أشعار حَسنة .

يحيى يهنىء عبد الملك ويعزيه

وذُكر أنّ عبد الملك بن مَروان لما تُوفى ، ووَلِى ولدُه الوليدُ بن عبد الملك ، دَخل عليه يحيى بن أبى حَفْصة فهنأه وعزّاه وأَنشده :

إنّ المَنايا لا تُغادر واحداً يَمشى بِبزّته ولا ذا جُنّهْ
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتاً كان الخليفةُ مُفْلِتاً مِنْهُنَّه
بَكتِ المَنابرُ يومَ مات وإنما بكتِ المنابرُ فَقْدَ فارسُهنّه
لما علا هُنّ الوليدُ خليفةً قُلْن ابنُه ونظيرُه فسَكَنّه
لو غيرُه قَرَع المَنابر بعده لَنكِرْنَه وطَرَحْنه عَنهُنّه

منزلة مروان فى الشعر وبخله

وكان مَروان بن سُليمان بن يَحيى بن أبى حَفَصة شاعراً مُجيدا مخلاً من شُعراء الدولة العباسية ، وكان من أبخل الناس ، على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، وكان بنو العبّاس يُعطونه لكل بيت يَمدحهم به ألفَ درهم .

من بخله وجود سلم

وذُكر أنّ المهدىّ كان يُعطى مروانَ بن أبى حفصة وسَلْماً الخاسرَ عطيةً واحدة، فكان سَلم يأتى إلى باب المَهدىّ على البِرْذون قيمتُه عشرة آلاف درهم ، والسَّرج

واللجام المَقْذُوذين (١) ، ولباسُه الخزُّ والوَشْىُ ، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحةُ المِسك والغالية والطِّيب تفُوح منه ؛ ويجىء مروانُ بن أبى حَفْصة وعليه فَرْو كَبْش وقميصُ كَرابيس (٢) ، وعمامةُ كَرابيس ، وكساء غليظ مُنتن الرائحة ، وكان لا يأكل اللَّحم بُخلاً حتى يَقْرَم (٣) ، فإذا قَرِم أرسل غُلامَه فيشترى له رأساً فيأكله. فقيل له : نَراك لا تأكل إلا الرُّءوس فى الصَّيف والشتاء! فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ، الرأسُ أعرفُ سعره فلا يَستطيع الغُلام أن يَغْبِنَنى فيه ، وليس بلَحم يطبُخه الغُلام فيقدر أن يأكل منه ، إنْ مسّ عيناً ، أو أخذ أُذناً أو خدًّا وقفتُ على ذلك ، وآكُل منه ألواناً ، آكل عينَيه لوناً ، وأُذنيه لوناً ، وغَلْصمته لوناً ، ودماغه لوناً ، وأُكْفَى مؤونة طَبْخه ؛ فقد اجتمعت لى فيه مَرافق كثيرة .

من نوادره فى البخل

ويَحكى موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمك قال :

أوصلنا إلى مروان بن أبى حَفصة فى وقت من الأوقات سبعينَ ألف درهم ، فجمع إليها مالاً حتى تمّت مائة ألف درهم ، وأَودعها يزيدَ بن مَزْيد . قال : فبينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا علىّ ، أَودَعَنى مروانُ بن أبى حَفصة خمسينَ ومائة ألف درهم ، وهو يَشترى الُخبز من البقّال . فغضب يحيى ثم قال : علىَّ بمَروان . فأُتى به . فقال له : أخبرنى أبو خالد بما أُودعتَه من المال وما تَبتاعه من البقّال ، ووالله لما يُرى من أَثر البُخل عليك أَضرُّ من الفقر لو كان بك .

وحُكى عن مروان بن أبى حفصة أنه قال :

ما فَرحتُ بشىء قطُّ فرحى بمائة ألف دِرهم وَهبها لى أميرُ المؤمنين المهدى ، فوزنتُها فزادت درهماً ، فاشتريت به لحماً .

---

(١) المقذوذ : المزين المسوى. (٢) الكرابيس : الثياب الخشنة ؛ جمع : كرباس .
(٣) أى تشتد شهوته إليه .

وحكى جَهم بن خلف قال :

نزلنا على مروان بن أبى حَفصة باليمامة ، فأطعمنا تمراً ، وأرسل غُلامه بفَلْس وسُكُرَّجَة (١) ليشترى لنا زيتاً . فلما جاء بالزيت قال : خُنْتَنى ! قال : مِن فَلس كيف أخونُك ! قال : أخذتَ الفَلس لنفسك واستوهبت الزيت .

وقيـــل :

مرّ مروانُ بن أبى حفصة فى بعض أسفاره ، وهو يُريد معنَ بن زائدة، بامرأة من العرب ، فأضافته ، فقال : لله علىّ إنْ وَهب لى الأميرُ مائةَ ألفِ درهم أن أهَب لكِ درهماً . فأعطاه ستين ألفَ درهم . فأعطاها دَوانِق (٢) .

وقيـــل :

اشـترى مروانُ لحماً بنِصف دِرهم ، فلمّا وضعه فى القِدر ، وكاد يَنضج ، دعاه صديقٌ له ، فردَّه على القصَّاب بنُقْصان دانق؛ فَشَكَّه (٣) القصَّاب وجعل يُنادى : هـذا لحمُ مَروان ! وظَن أنه يأنف لذلك . و بلغ الرشيدَ ذلك فقال : ويلك ! ما هذه الفَعلة ! فقال : أكره الإسراف .

وقيل : فرّق المهدىُّ على الشُّعراء جوائزَ، فأعطى مروانَ بن أبى حَفصة ثلاثين ألفاً . فجاءه أبو الشَّمَقْمق فقال : أجِزْنى من الجائزة . فقال : أنا وأنت نأخذ ولا نُعطى . قال : فاسمع بيتَيْن . قال : هات . فقال أبو الشَّمقمق :

لِحْيةُ مروانَ تَقِى عَنـبرَا ... خالطَ مِسْكاً خالصاً (٤) أذْفرَا
فمـا يقيان بها ســاعةً ... حتى (٥) يعـودان جميعاً خَرَا

(١) السكرجة : الصفحة . (٢) دوانق : جمع : دانق ، وهو سدس الدرهم .
(٣) شكه ، أى انتظمه فى شوكة : يريد : علقه . والرواية فى غير التجريد : « فشكاه » .
(٤) تقى ، أى « تقىء » بالهمز ، فسهل . والأذفر : الجيد من المسك .
(٥) فى غير التجريد : « إلا » .

فأمر له بدرهمين .

مع الهادى

وذُكر أنّ مروان بن أبى حفصة دَخل على موسى الهادى ، فأنشده قولَه فيه :

تَشابه يوماً بُؤسِه ونَواله فما أحدٌ يَدرِى لأيّهما الفَضْلُ

فقال له الهادى : أيما أحبّ إليك : ثلاثون ألفاً مُعجَّلةً، أم مائةُ ألف تُدوَّن فى الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنت تُحسن ما هو خيرٌ من هذا ، ولكنّك أُنسيته ؛ أفتأذن لى أن أذكِّرك ؟ قال : نعم . قال : تُعجِّل لى الثلاثين ألفاً وتُدوِّن المائة الألف فى الدّواوين . فضحك وقال : بل يُعجَّلان جميعاً . فحُمل المال إليه أجمع .

احتكامه إلى يونس فى شعره وتفضيله على الأعشى

وذُكر أنّ مروان بن أبى حَفصة جاء إلى حَلْقة يُونس فسلّم، ثم قال لهم : أيكم يُونس ؟ فأومئوا له إليه . فقال له : أصلحك الله ! إنى أرى قوماً يقولون الشعر ؛ لأنْ يَكشف أحدُهم سوءتَه ثم يَمشى كذلك فى الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثلَ ذلك الشعر ! وقد قلتُ شعراً أعْرِضه عليك ، فإن كان جيِّداً أظهرتُه ، وإن كان رديئاً سترتُه . فأنشده :

طرقَتْك زائرةً فحَىِّ خَيالَها بيضاء تَخلط بالحياء (١) دلالَها

فقال له يونس : يا هذا ، اذهب فأَظْهر هذا الشعر ، فأنت والله فيه أشعرُ من الأعشى فى قوله :

* رحلتْ سُميَّة غُدوةً أجمالَها *

فقال له مَروان : سررتَنى وسُؤْتنى ؛ فأما الذى سرّنى فارتضاؤك الشعرَ ، وأما الذى ساءنى فتقدْيمك إياى على الأعشى ، وأنت تعرف محلَّه . فقال له : إنما قدَّمتُك عليه فى تلك القصيدة لا فى الشِّعر كله ؛ لأنه قال فيها :

* فأصاب حبّة قلبها وطِحالَها *

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بالدلال جمالها » .

والطّحال لا يدخل فى شىء إلا أفسده ، وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه .

اتصاله بمعن وانتحاله شعر الباهلى

وحُكى أنّ مروان بن أبى حَفصة مرّ برجل من باهلةَ من أهل اليمامة ، وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم ، شعراً مَدح به مروانَ بن مُحمد ، وأنه قُتل قبل أن يلقاه ، و يُنْشده إياه ، أوله :

مَروانُ يا بن محمدٍ أنت الذى ... زِيدتْ به شَرَفاً بنو مروانِ

فأعجبتْه القصيدةُ ، فأمهل الباهلىَّ حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه فى منزله فقال له : إنّى قد سمعتُ قصيدتَك وأعجبتْنى ، ومروانُ قد مَضى ومضى أهلُه ، وفاتك ماقدَّرتَ عنده ؛ أفتبيعُنى القصيدة حتى أنْتحلها ، فإنه خيرٌ لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ! فقال : بكم ؟ فقال : بثلثمائة درهم . قال : قد بِعْتُها . فأعطاه الدراهمَ ، وحلَّفه بالطلاق ثلاثاً و بالأيمان المُحْرِجة ألّا يَنْتحلها أبداً ولا ينسبُها إلى نفسه ولا يُنْشدها . وانصرف إلى منزله ، فغيّر منها أبياتاً وزاد فيها ، وجَعلها فى مَعن بن الشَّيبانى ، وقال :

معَنْ بن زائدةَ الذى زِيدت به ... شَرفاً إلى شَرف بنو شَيبانِ

ووفد بها إلى مَعن بن زائدة ، فملأ يديه ، وأقام عنده مدةً حتى أثرى واتسعت حاله . فكان مَعنٌ أولَ مَن رفع ذكره ونوّه به . وله فيه مدائحُ بعد ذلك شريفة ومراثٍ حَسنة .

حديثه عن معن وسعى المنصور فى طلبه

وحَكى مروانُ بن أبى حَفصة قال :

كان أبو جَعفر المَنصور قد طَلب مَعن بن زائدة طلباً شديداً ، وجعل فيه مالاً . قال مروان : فحدّثنى معنُ بن زائدة باليمن أنه اُضطرُ لشدّة الطلب إلى أن قام فى الشّمس إلى ان لوّحت وجهَه ، وخفَّف عارضيه ولِحْيته ، ولَبِس جُبة صُوف غليظة، وركب جملاً من الجمال النَّقَّالة ، وخَرج عليه ليَمْضى إلى البادية فيُقيم بها ؛ وكان قد

أَبلى فى حرب يَزيد بن عُمر بن هُبيرة (١) بلاءً غاظ المنصورَ وجدَّ فى طلبه . قال مَعن : فلما خرجتُ من باب حَرْب (٢) تبعنى أسودُ متقلِّدا سيفاً ، حتى إذا غِبتُ عن الحرس قبض على خِطام الجمل فأناخه ، وقبض علىّ . فقلت : مالك ؟ قال : أنت طَلِبةُ أمير المؤمنين . قال معن بن زائدة : فقلت : يا هذا ، اتّق الله ! وأين أنا من مَعن ! فقال : دَع هذا عنك ، أنا والله أعرفُ به منك . فقلت له : فإن كانت القصّة كما تقول فهذا جوهرٌ حملته معى يفى بأضعاف ما بذله المنصورُ لمن جاءه بى ، فخذْه ولا تسْفك دمى . فقال : هاتِه . فأخرجتهُ إليه . فنظر إليه ساعةً وقال : صدقتَ فى قيمته ، ولستُ قابلَه حتى أسألك عن شىء ، فإن صدقتنى أطلقتُك . فقلت : قل . قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبرنى: هل وهبتَ مالَك كله ؟ قلت : لا . قال : فنصفَه ؟ قلت : لا . قال : فثُلثه ؟ قلت : لا . حتى بلغ العُشر . فاستحييتُ وقلت : أظُنّ أنى قد فعلتُ هذا . فقال ما ذاك بعظيم ، أنا والله راجل ، ورِزقى من أبى جعفر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمتهُ آلافُ دنانير ، وقد وهبتهُ لك ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أنّ فى الدُّنيا مَن هو أجود منك ، فلا تُعجبك نفسُك ولْتحقر بعد هذا كُلَّ شىء تفعله ، ولا تتوقَّف عن مَكْرُمة ؛ ثم رَمَى بالعقد فى حِجْرى وخلَّى خِطام البعير وانصرف . فقلت له : يا هذا ، والله فضحْتَنى ! ولَسَفْكُ دمى أهونُ علىّ ممّا فعلتَ ! خُذ ما دفعتُ إليك فإنى غَنِىٌّ عنه . فضَحك ثم قال : أردتَ أن تكذِّبنى فى مَقامى هذا ، والله لا آخذه ولا آخُذ لمَعروفٍ ثمناً أبداً ، ومَضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنتُ ، وبذلتُ لمن جاءنى به ما شاء ، فما عرفتُ له خبراً ، وكأنّ الأرض ابتلعته .

(١) من رجالات بنى أمية وفرسانهم . أبلى مع مروان بن محمد ، ثم قتله أبو جعفر سنة ١٣٢ هـ . (الطبرى فى حوادث هذه السنة) .

(٢) موضع ببغداد ، ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخى ، أحد قواد المنصور . (ياقوت) .

قال : وكان سبب رِضا المنصور عن مَعن أنه لم يزل مُستتراً حتى كان يوم الهاشمية[١] :

تعقيب لابن واصل

قلت : هذا يوم وثبتْ فيه جماعةٌ على المَنصور - ويقال لهم: الرَّاوندية ، كانوا يَعتقدون أن المَنصور إلٰه خالق رازق - وبلغ المنصورَ ذلك عنهم فأمر بقَتلهم ، فوثبوا به فى المدينة التى بناها أخوه السَّفَّاح وسمّاها الهاشمية .

عود لحديث مروان عن معن

قال مروان : فلما وَثب القومُ على المَنصور وكادوا يقتُلونه ، وثب معنُ بن زائدة وهو متلثِّم فانتضَى سيفَه وقاتل ، فأَبلى بلاءً حسناً ، وذَبَّ القومَ عنه حتى نَجا ، وهم يُحاربونه بعدُ . ثم جاء والمنصورُ راكب على بَغلة ولجامُها بيد الرَّبيع ، فقال له : تَنحَّ فإنى أحقُّ باللجام منك فى هذا الوقت وأعظمُ فيه غناءً . فقال له المَنصور : صَدَق ! فادفعه إليه . فأخذه ، فلم يزل يُقاتل حتى انكشفت تلك الحالُ . فقال له المنصور : من أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا طَلِبتك يا أَميرَ المُؤمنين : مَعن بن زائدة . فقال : قد أَمَّنك الله على نَفسك ومالك ، ومِثلك يُصطنع . ثم أَخذه معه ، فخَلع عليه وحَباه وزيّنه[٢] . ثم دعا به ، فقال : إنّى قد أَهّلتُك لأمرٍ فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يُحبّ أميرُ المؤمنين . قال : قد ولَّيتك اليَمن ، فابسُط فيهم السيفَ حتى يُنقَض حِلْف ربيعة واليمن . قال : أبلُغ من ذلك ما يُحب أمير المُؤمنين . فولّاه اليمنَ . وتوجّه إليها فبَسط فيهم السيفَ .

قال مروان : وقَدم معنُ بن زائدة بِعَقِب ذلك فدَخل على المنصور . فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شىء ، لولا مكانُك عنده ورأيه فيك لغَضِب عليك . قال: وما ذلك يا أميرَ المُؤمنين ، فوالله ما تعرَّضتُ لك منك . قال: إعطاؤُك مروانَ بن أبى حَفْصة ألفَ دينار ، لقوله فيك :

---

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالكوفة ، وزاد فيها المنصور ؛ وسيعرض ابن واصل لهذا اليوم . (ياقوت) .

(٢) فى التجريد : « ورتبه » .

مَعْنُ بن زائدةَ الذى زِيدتْ به ... شرفاً على شَرفٍ بنو شَيبانِ
إنْ عُدّ أيامُ الفَخار[1] فإنما ... يوماهُ يومُ ندًى ويومُ طِعانِ

فقال: والله يا أميرَ المُؤمنين ما أعطيته ما بَلغك لهذا الشعر، وإنما أعطيتُه لقوله:

ما زِلتَ يومَ الهاشميةِ مُعلَماً ... بالسيف دون خليفة الرحْمٰنِ
فمنعتَ حَوْزَته وكنتَ وِقاءه ... من وَقْع كُلّ مُهنَّد وسِنان

فاستحيا المنصور وقال: إنما أعطيتَه ما أعطيته لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ووالله لولا مَخافة الشَّناعة[2] عندك لأمكنته من مفاتيح بيت المال، وأبحتُه إيّاها. فقال المنصور: لله دَرُّكَ من أعرابىّ! ما أهونَ عليك ما يَعزُّ على الرجال وأهل الحزم!

هو والمهدى وقد وفد عليه يمدحه

وحَكى الفضلُ بن الرَّبيع قال:

رأيتُ مروانَ بن أبى حَفْصة، وقد دَخل على المهدىّ بعد وفاة مَعن بن زائدة فى جُملة الشُّعراء، فيهم سَلْم الخاسر وغيرُه، فأنشده مديحاً له فيه؛ فقال له: من أنت؟ فقال: شاعرُكَ يا أميرَ المُؤمنين مروانُ بن أبى حَفصة. فقال له المَهدىّ: ألست القائل:

أَقَمْنا بالمدينة[3] بعد مَعْنٍ ... مُقاماً لا نُريد به زَوالَا
وقُلنا أين نَرحل بعد مَعْنٍ ... وقد ذَهب النَّوالُ فلا نَوالا

قد ذهب النّوال فيما زعمتَ، فلم جئتَ تطلُب أموالَنا؟ لا شىء لك عندنا! جُرُّوا برجله. فجرُّوا برِجْله، حتى أُخرج. فلما كان العامُ المُقبل تلطَّف حتى دَخل

(١) فى غير التجريد: «الفعال».
(٢) فى بعض أصول الأغانى: «النقمة». وفى بعض آخر: «الشنعة».
(٣) فى غير التجريد: «باليمامة».

مع الشُّعراء — وإنما كانت الشُّعراء تدخُل على الخُلفاء فى كل عام مرة — فمَثَل بين يديه وأَنشده بعد رابع، أو بعد خامس، من الشعراء:

طرقتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَهَا ... بيضاء تَخلط بالحَياء دَلالَهَا
قادتْ فؤادَكَ فاستقاد ومثلُها ... قاد القُلوبَ إلى الصِّبا فأَمالَها

فأنصت لها المهدىُّ، حتى بلغ مروان إلى قوله:

هل تَطْمِسون من السماء نُجومَها ... بأكفِّكم أو تَسْتُرون هِلالَهَا
أو تَجْحدون مقالةً من ربِّكم ... جبريلُ بَلَّغها النبيَّ فقالَهَا
شهدتْ من الأنفال آخرُ[1] آيَة ... بتُراثهم فأَردتُمُ إبْطالَهَا

هو والرشيد وقد وفد عليه يمدحه

قال: فرأيتُ المهدىَّ وقد زَحف من صَدر مُصلَّاه حتى صار على البِساط، إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هى؟ قال: مائةُ بيت. فأَمر له بمائة ألفِ درهم. فكانت أوّلَ مائة ألف دِرهم أُعطيها شاعرٌ فى أيام بنى العبّاس.

قال: ومَضت الأيامُ وَولى هارون الرشيد الخلافةَ، فدَخل إليه مروان، فرأيتُه واقفاً مع الشُّعراء، ثم أَنشده قصيدةً اُمتدحه بها. فقال: من أنت؟ فقال: شاعرُك وعبدُك يا أميرَ المُؤمنين مَروانُ بن أبى حفصة. فقال له: ألستَ القائلَ فى معن بن زائدة؟ وأنشده البيتين اللذين أَنشده إياهما المَهدى، ثم قال: خُذوا بيده فأَخرجوه، لا شىء لك عندنا! فلما كان بعد ذلك بيومين تلطَّف حتى دَخل، فأَنشده قصيدتَه التى يقول فيها:

لعمرِكَ ما أَنسى غداةَ المُحصَّب ... إشارةَ سَلْمى بالبَنان المُخضَّبِ
وقد صَدر الحُجّاج إلّا أقلَّهم ... مصَادر شَتَّى مَوكباً بعد مَوْكِبِ

(١) يشير إلى قوله تعالى: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم. وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله. إن الله بكل شىء عليم).

فأعجبته . فقال : كم قصيدتُك ؟ فقال : ستُّون ـ أو سبعون ـ بيتاً . فأمر له بعَدد أبياتها أُلوفاً . فكان ذلك رَسْمَ مروان عندهم حتى مات .

صلة المهدى له

وقال مروانُ بن أبي حفصة :

دخلتُ على المهديّ في قَصره بالرُّصافة ، فأنشدتُه قولي فيه :

أَمَرُّ وأَحْلَى ما بلا الناسُ طعمَه ... عذابُ أميرِ المُؤمنين ونائلُه

وإنّ طَليقَ الله من أنت مُطْلِقٌ ... وإنّ قَتيلَ الله من أنت قاتلُه

كأنّ أميرَ المُؤمنين محمداً ... أبو جعفر في كُلّ أمرٍ يُحاوله

قال : فأعجب بها وأمر لي بمال عظيم . وكانت تلك الصلةُ أوّلَ صلةٍ سَنِيَّة وصلتْ إليّ في أيّام بني هاشم .

حديثه مع الجنى

وحكى محمدُ بن حَفْص بن عَمْرو بن الأَيهم الحَنفيّ قال :

مرّ مروانُ بن أبي حَفصة برجلٍ من تَيم اللّات بن ثَعلبة ، يُعْرَفُ بالجِنِّيّ . فقال له مروان : زَعموا أنّك تقول الشِّعر . فقال له : إن شئتَ عرّفتُك ذلك . فقال له مَروان : وما أنتَ والشِّعر ! ما أرى ذلك من طريقتك ولا تقوله ! فقال له الجنّيّ : اجلس فاسمع . فجلس . فقال الجِنّي يهجوه :

ثَوى اللُّؤم في عَجْلانَ يوماً وليلةً ... وفي دار مَروانٍ ثَوى آخرَ الدَّهرِ

غدا اللُّؤمُ يَبغي مَطْرَحاً لِرحاله ... فنقَّب في بَرِّ البلاد وفي البَحر

فلمّا أتى مروانَ خيَّم عنده ... وقال رَضِينا بالمُقام إلى الحَشْر

وليست لمروانٍ على العِرْسِ غَيرةٌ ... ولكنّ مرواناً يَغار على القِدْر

فقال له مروان : نَشدتُك الله إلّا كَفَفْتَ ، فإنك أشعرُ الناس . فحَلف الجِنّي بالطلاق ثلاثاً أنه لا يكفّ حتى يَصير إليه بنَفر من رؤساء أهل اليمامة ، ثم يقول

بحَضرتهم : قاق ! فى أُستى بيضة . فجاءهم مروانُ وفعل ذلك بحَضرتهم — وكان فيهم جَدِّى يحيى بن الأيهم — فانصرفوا وهم يضحكون من فِعله .

وفوده على الهادى مهنئاً ومعزياً

وذُكر أنه لما مات المهدىُّ وفدتِ العربُ على ابنه مُوسى الهادى يهنئونه بالخِلافة ، ويُعزُّونه عن المهدىّ . فدَخل مروانُ بن أبى حفصة ، فأخذ بعَضادتى الباب ، ثم قال :

لقد أصبحتْ تَختال فى كُل بلدةٍ بقبر أمير المُؤمنين المَقابرُ
ولو لم تُسكِّن بابنه فى[1] مقامه لما برِحَت تبْكى عليه المَنابر

فخرج الناس بالبيتين .

تهنئته ابن مسعدة بإبلاله من مرضه

وذُكر أنه مرض عمرو بن مَسعدة ، فدَخل عليه مروانُ بنُ أبى حفصة ، وقد أبلَّ من مرضه ، فأنشأ يقول :

وصحّ الجِسْمُ يا عمرو لكَ التَّمْحِيصُ والأَجرُ
ولله علينا الحَمْـ ـدُ والمِنَّة والشُّكر
فقد كان شكا شوقاً إليك النَّهىُ والأَمرُ

لصريع الغوانى فى نحوه

فَنحا نحوه مُسلم بن الوليد صريعُ الغوانى فقال :

قالوا أبو الفَضل محمومٌ فقلت لهم نَفسى الفِداءُ له من كُلِّ مَحذورِ
يا ليت عِلَّته بى غير أنَّ له أجرَ العَليل وأنِّى غيرُ مأجور

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبارَ مروانَ بن أبى حفصة ، هو :

* هل تَطمِسون من السماء نُجومَها *

والبيت الذى بعده ، وقوله : « طرقتك زائرة » . وقد تقدّم ذكرها[2] .

(١) فى غير التجريد : «فى مكانه» . (٢) انظر (ص ١١٣٧ و ١١٤٢) من هذا الجزء .

أخبار إبراهيم بن المهدى

هو أبو عبد الله محمد بن المنصور أبى جَعفر عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله أبن العبّاس بن عبد المُطلب . نسبه

وأمه شَكْلة ، أَمَةٌ مولَّدة . كان أبوها رجل من أصحاب المازِيار ، يقال له : شاه أفْرند . فقُتل مع المازيار ، وسُبيت شَكِلة وحُملت إلى المنصور ، فوَهبها لُمحيّاةَ أمّ ولده ، فربَّتها وبعثتْ بها إلى الطائف ، فنشأت هناك وتفصَّحت . فلما كَبرتْ رُدّت إليها ، فرآها المهدىّ عندها فأعجبتْه ، فطلبها من مُحَيَّاة، فأعطتْه إيّاها ، فولدت منه إبراهيم . أمه

وكان رجلاً عاقلاً فَهِماً أديباً[1] شاعراً ، راويةً للشِّعر وأيام العرب ، خطيباً فصيحاً حسنَ العارضة . من صفته

وكان إسحاق الموصلى يقول : لإسحاق الموصلى فيه

ما وَلد العبّاسُ بن عبد المطلب ، بعد عبد الله بن العباس ، رجلاً أفضلَ من إبراهيم بن المَهدىّ . فقيل له : مع ما تَبذّل به من الغناء ؟ فقال : وهل تَمّ فضلُه إلّا بذلك .

وكان إبراهيم ، مع فَضله وشرفه ، بارعاً فى صناعة الغِناء متقدِّماً فيها . وكان يقول : لولا أنى أرفع نفسى عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يَعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قَبلى مِثلى . منزلته فى الغناء

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : « دينا » .

غناؤه لسليمان بن أبى جعفر و جعفر ابن يحيى

وكان رُبما غنَّى لأخيه الرشيد المرّةَ بعد المرّة . فحُكى عنه أنه قال :

كان الرشيدُ يُحب أن يسمعنى ، فخلا بى مرّاتٍ إلى أنْ سمعنى . ثم حضرتُه مرّةً وعنده سليمانُ بن أبى جعفر المَنصور ، فقال لى : عمُّك وسيدُ ولدِ المَنصور بعد أبيك ، وقد أَحبّ أن يَسمعك . فلم يتركْنى حتى غنَّيتُ بين يديه :

سَقْياً لرَبْعِكِ من رَبعٍ بذى سَلَمٍ ... وللزَّمان به إذ ذاكَ من زَمنِ

إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ ... وإذ أُجُرّ إليكم سادراً رَسَنِى

فأمر لى بألف ألف درهم . ثم قال لى ليلةً أُخرى ، ولم يَبقَ عنده فى المجلس إلّا جعفر بن يحيى ، فقال : أنا أُحبُّ أن تشرِّفَ جعفراً بأن تُغنِّيه صوتاً . فغنيته لحناً صنعتهُ فى شعر الدَّارمىّ :

كأنّ صُورتها فى الوصف إذ وُصفتْ ... دينارُ عينٍ من المَضْروبة[1] العُتُقِ

أو دُرَّةٌ أَعْيَت الغوّاصَ فى صَدَفٍ ... أو ذَهَبٌ صاغَه الصوّاغ فى وَرِق

فأمر لى بألف ألف درهم .

حبسه الأمين ثم رضى عنه وأطلقه

وحَكى إبراهيم بن المهدىّ قال :

غَضِب علىّ محمدٌ الأمين فى بعض هَناته ، وسلّمنى إلى كَوْثر[2] ، وحَبسنى فى سِرْداب وأَغلقه علىّ . فمكثتُ فيه ليلتى . فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخٍ قد خَرج علىّ من زاويةِ السِّرداب ، فدَفع إلىّ رَبِيطاً[3] وقال : كُلْ . فأكلت . ثم أخرج لى قِنِّينة شراب ، فقال : اشرب . فشربتُ . ثم قال لى غَنّ فغنيتُ :

لى مُدةٌ لا بُدَّ أَبلغُها ... معلومةٌ فإذا انقضتْ مُتُّ

لو سَاورتْنى الأُسد ضاريةً ... لغلبتُها ما لم يَجِ الوَقْت

(١) فى غير التجريد : « المصرية » . (٢) هو كوثر خادم الأمين .

(٣) الربيط : التمر اليابس .

وسمعني كَوْثر . فصار إلى محمد وقال له : قد جُنّ عمُّك ! هو جالسٌ يُغنِّي بكَيت وكَيت . فأمر بإحضاري . فأُحضرت . فأخبرتُه بالقصّة . فأمر لى بسبعمائة ألف دِرهم ، ورَضِى عنّى .

أبو أحمد بن الرشيد والمأمون ومطارحة علية له

وحكى أبو أحمد بن الرشيد قال :

كنتُ يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسِرٍ فسارّه بشىء . فمَضى وعاد . فقام المأمونُ وقال لى : قُم . فدَخل دار الحُرم ودخلتُ معه ، فسمعتُ غِناءً أذهل عقلى . وفَطِن المأمونُ لما بى ، فضَحك وقال : هذه عمّتُك عُليَّة تُطارح عمّك إبراهيم . والشعرُ لعُليَّة بنت المهدىّ ، وكذلك الصّنعة :

ما لى أرى الأبصارَ بى جافيَهْ ... لم تَلْتَفِتْ منِّى إلى ناحيهْ
لا ينظر النـاسُ إلى المُبتلَى ... وإنما الناسُ مع العافيه
صَحْبِى سلُوا ربكم العافيَهْ ... فقد دهتْنِى بعدكمُ داهيه
وقد جفانى ظالمـاً سيدى ... فأدمُعى مُنهـلّةٌ[1] جاريه

ابن بسخنر بينه وبين جاريته شارية

وحكى محمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

وجّه إلىّ إبراهيمُ بن المهدىّ يوماً يدعونى ، وذلك فى أول خلافة المُعتصِم ، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه ، وشاريةُ جاريته خلف السِّتارة ، فقال : إنِّى قلتُ شعراً وغنيتُ فيه ، فطرحتُه على شارية فأخذتْه ، وزعمتْ أنها أحذقُ به منِّى ، وأنا أقول : إنى أحذق به منها ، وقد تراضينا بك حَكَماً بيننا لموضعك فى هذه الصناعة ، فاسمعه منِّى ومنها واحكم ، ولا تَعجل حتى تَسمعَه ثلاثَ مرّات . فقلت : نعم . فاندفع يغنِّى :

أَضَنُّ بليلى وهى غيرُ سخيةٍ ... وتَبخل ليلى بالهَوى وأَجودُ

فأَحسن وأَجاد . ثم قال لها : تغنَّىْ . فغنّتْه ، فبرّزت فيه حتى كأنه كان معها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « هامية » مكان « جارية » .

فى « أبى جاد » . ونظر إلىّ فعرف أنى قد عرفتُ فضلَها عليــه . فقال : على رِسْلِك ! وتحدَّثنا وشَرِبْنا ، ثم اندفع فغنَّاه ثانيةً ، فأضعف فى الإحسان . ثم قال لها : تغنَّىْ . فغنَّت ، فبرعت وزادت أضعافَ زيادته ، وكدتُ أشُقّ ثيــابى طرباً . فقال لى : تثبَّت ولا تَعجل . ثم غنَّاه ثالثةً ، فلم يُبْقِ غايةً فى الإحكام . ثم أمرها ، فغنَّت . فكأنه إنما كان يلعب . ثم قال لى : قُل . فقضيتُ لها . فقال : أصبتَ . فكم تُساوى عندك الآن ؟ فحملنى الحسدُ له عليها ، والنفاسةُ بمثلها أنْ قلت : تُساوى مائة ألف درهم . فقال : أوَ ماتُساوى على هذا الإحسان وعلى هذا التفضيل إلّا مائة ألف ! قَبحَ الله رأيَك ! والله ما أَجِد شيئاً أبلغ فى عُقوبتك من أن أصرفَك ، فقم فانصرفْ إلى منزلك مَذْموماً . فقلت له : ما لقولك : « أُخرج من منزلى » جوابٌ ! وقمتُ فانصرفتُ ، وقد أَحفظنى كلامُه وأرمضنى[1] . فلما خطوتُ خُطواتٍ التفتُّ إليــه فقلت : يإبراهيم ، أتطرُدنى من مَنزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئاً ! وضَرب الدهرُ ضربانَه ، ثم دعانى المُعتصم بعد ذلك وهو بالوزيريّة فى قصر التّل ، فدخلتُ أنا ومُخارق وعَلَّويه ، وإذا أميرُ المؤمنين مُصطبح وبين يديه ثلاث جاماتٍ : جامُ فضّــة مملوءةٌ دنانير جُدُداً ، وجام ذهب مملوءةٌ دراهم جُدداً ، وجام قواريرَ مملوءةٌ عنبراً . فظننّا أنها لنا ، بل لم نَشُك فى ذلك . فغنَّيناه وأجهــدنا أنفُسنا ، فلم يَطرب ولم يَتحرك لشىء من غنائنا . ودخل الحاجبُ فقــال : إبراهيمُ ابن المهدىّ . فأْذن له . فدَخل فغنّاه أصواتاً أحسنَ فيها ما شاء . ثم غنّاه بصوت من صَنعته — والشعر لإبراهيم الموصلى — وهو :

ما بالُ شَمسِ أبى الخَطّاب قد غَرَبتْ يا صــاحبىّ أظُنّ الســاعةَ اقتربتْ

فاستحسنه المُعتصم وطَرب له ، وقال : أَحسنتَ والله ! فقــال إبراهيم : يا أميرَ المُؤمنين ، فإن كنتُ قد أَحسنتُ فهَب لى إحدى هذه الجامات . فقال :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وأمضنى » .

خُذ أيتها شئت . فأَخذ التى فيها الدّنانير . فنَظر بعضنا إلى بعض . ثم غنّاه إبراهيمُ بشعر له ، وهو :

فمـــا مُزَّةٌ قهوةٌ قَرقَفٌ شَمُولٌ تَروق براوُوقها(١)

فقال : أحسنت والله يا عم ، وسَررتَ ! فقــال : يا أميرَ المؤمنين ، إن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لى جاماً أخرى . فقال : خُذ أيتهما شئت . فأَخذ الجام التى فيها الدّراهم . فعندها أُنقطع رجاؤنا منها . وغنّاه بعد ساعة بشعر العبّاس بن الأَحنف :

ألا ليتَ ذا الخـال تَلْقى مِن الهوى عَشِـيرَ(٢) الذى أَلْقى فيلتئمَ الحُبُّ
وِصالـكُمُ صَـــدٌّ وقُربكُمُ قِلًى وعطفـكُمُ سُخْطٌ وسِـلْـكُمُ حَرْب

فقام المُعتصم على رجليَـه طرباً ، وأرتجّ بنا المَجلس الذى كُنّا فيه . ثم جَلس المُعتصم وقال : أحسنتَ والله يا عَم ما شئت ! فقال : إن كنتُ أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لى الجام الثالثة . فقال : خُذها . فأَخذها . وقام أميرُ المؤمنين . فدعا إبراهيمُ بمِنْديل فثناه طاقتَـيْن ووضع الجاماتِ فيه وشَدّه ، ودعا بطين فختمه ودَفعــه إلى غُلامه . ونَهضنا للانصراف ، وقُدِّمت دوابُّنا . فلمـا ركب إبراهيمُ ألتفت إلىّ وقال : يا محمــد بن الحارث ، زعمتَ أنّى لا أُحسن أنا وجاريتى شيئاً ، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان ! فقلتُ فى نفسى : قد رأيتُ ، فخذها لا بارك الله لك فيها ! ولم أُجبه بشىء .

(١) المزة ، والقهوة ، والقرقف ، والشمول : كلها من أسماء الخمر . والراووق : الباطية للخمر . (٢) العشير : العشر ، وهو الجزء من عشرة .

ذكر خروج إبراهيم بن المهدى على المأمون

ثم ظفر المأمون به وعفوه عنه

تمهيد لابن واصل

ذكر أبو الفرج عَفْوَ المأمون عنه ولم يذكر خُروجه ، فأردت أن أذكر ذلك ملخصاً ؛ لأَبنى عليه ما ذكر أبو الفرج :

لما قُتل محمد الأمين بن الرّشيد ، وَصَفَت الدُّنيا للمأمون ، وأجمع الناس على البَيعة له ، وهو إذ ذاك بخُراسان بمَرْو ، استوزر الفضلَ بن سَهل ذا الرِّياستين . فغَلب على المأمون غلبةً شديدة وحَجبه ، وصارت الأمور كُلها إليه . فأشار على المأمون أن يَجعل ولىَّ عهده والخليفةَ بعده الرِّضَى أبا الحَسن علىّ بن موسى ابن جَعفر بن محمد بن علىّ بن الحَسن بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم . وأن يُغيِّر السوادَ الذى هو لُبْس آبائه ، ويَلبس الخُضرة ويأمر النـاسَ بِلباسها . فأَجابه المأمونُ إلى ذلك . واستقدم المأمونُ علىَّ بن موسى . فقدم عليه . فأَمر الناسَ بالبَيعة له ، ولَقَّبه الرِّضى من آل محمد . وكَتب إلى الآفاق ببَيعته ، وأَمر بأن يُخطب له على المَنابر بعده . وأَمر الناسَ بلُبس الخُضرة ونَزْع السَّواد . ولما بَلغ أهلَ بغداد ومَن بها من بَنى العبَّاس كَرهوا نَقل الأمر عنهم إلى آل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وتَرْكَ الشِّعار الذى هو شعارُهم . فخَلعوا المأمون من الخلافة ، وبايعوا بها عمَّه إبراهيم بن المهدى ، ولقّبوه المُبارك ؛ ووقعت الحربُ بين إبراهيم ابن المهدىّ وبين الحَسن بن سَهل نائب المأمون بالعراق ، واضطربت الدُّنيا على المأمون . ولما بلغ المأمونَ ذلك نَدِم على ما فعل وعَلم أن الفَضل بن سهل هو الذى عليه الأُمور . فرَحل طالباً العِراق . فلما وصل إلى سَرْخس تواطأ جماعة على الفَضل بن سهل ، ففتكوا به وهو فى الحَمّام . ولما وصل إلى طُوس تُوُفِّى علىّ

ابن موسى الرِّضى ولىّ عهده . فدَفنه عند أبيه الرَّشيد . وقد قِيل إن المأمون سَمَّه . والله أعلم . ولمّا وصل المأمونُ إلى بغداد تفرّق عن إبراهيم بن المهدىّ أصحابُه ، واستتر إبراهيم خوفاً على نفسه من المأمون . وكانت مُدة أيامه بالعراق سنةً وعشرة أشهر . ودَخل المأمونُ بغداد ، وقد انتظمت له الأُمور ، ولم يبق له مُنازع ، وعليه وعلى أصحابه الخُضرة . وأمر أهل بغداد بلُبسها ، فلَبِسوها . وأقام على ذلك أسبوعاً ، ثم نزع الخُضرة ولبس السَّواد ، وأمر الناس بلُبسه ، وعادت الأُمور كما كانت عليه أولاً . وكان دُخول المأمون بغدادَ سنةَ أربعٍ ومائتين .

هو والمأمون لما ظفر به

وفى سنة عشرة ظَفِر بعمِّه إبراهيم بن المهدى . ولما ظَفر به أحَبَّ أن يُوبِّخه على رُءوس الناس . فجىء بإبراهيم بن المَهدىّ يَحجُل فى قُيوده . فوقَف على طَرَف الإيوان فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته . فقال : لا سَلَّم الله عليك ولا حَفِظك ولا رعاك ولا كَلأك يا إبراهيم ! فقال إبراهيم : على رِسْلك يا أمير المؤمنين ، فلقد أصبحتَ ولىَّ ثأرى ، والقُدرةُ تُذهب الحَفيظةَ ، ومن مَدَّ له الاغترارُ فى الأَمل هجمتْ به الأَناةُ على التَّلف ، وقد أَصبح ذَنبى فوق كُلِّ ذنب ، كما أنَّ عَفوك فوق كُل عفو . فإن تُعاقِبْ فبحقِّك ، وإن تغفر(١) فبفضلك . فأَطرق المأمونُ مليًّا ، ثم رفع رأسه فقال : إن هذين أشارا علىَّ بقتلك . فالتفتَ فإذا المُعتصم والعبّاس بن المأمون . فقال : يا أمير المؤمنين ، أمّا حقيقة الرأى فى معظَم تدبير الخِلافة والسياسة فقد أشارا عليك به ، وما غَشّاك إذ كان منى ما كان ، ولكنّ اللهَ عوّدك من العَفو عادةً جريتَ عليها دافعاً ما تخافُ بما ترجو ، فكفاك الله يا أمير المؤمنين . فتبسَّم المأمونُ وأقبل على ثُمامة بن أشرس ، ثم قال : إنّ من الكلام لما يفُوق الدرَّ ويغلب السِّحر ، وإن كلام عمِّى منه ، أَطلقوا عن عمِّى حديدَه ورُدُّوه إلىَّ مُكرَّماً . فلمّا رُد إليه قال : يا عمّ ، عُد إلى المُنادمة وارجع

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وإن تعف » .

إلى الأُنس ، فلن ترى منّى أبداً إلّا ما تُحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدَرْج [١] فيه هذه الأبيات :

يا خيرَ من ذَمَلتْ [٢] يمانيةٌ به ... بعد الرّسول لآيسٍ أو طامِع
وأبرّ مَن عَبد الإله على الهُدى ... نفساً وأحكمه بحقٍّ صادِع
عُسْلُ القَوارع ما أُطِعْتَ [٣] فإن تُهجْ ... فالموتُ فى جُرَعِ السِّمام النـاقع
مُتيقِّظاً حَـذِراً وما تخشى العِدا ... نَبْهانَ مِن وَسنات ليلِ الهاجِع
والله يعـلمُ ما أقول فإنها ... جَهْدُ الأَليَّة من حَنيفٍ راكع
قَسماً وما أُدلى إليك بحُجَّة ... إلّا التضرُّعَ من مُحبٍّ خاشع
ما إن عصيتُك والغُواة تَمُدّنى ... أسبابُها إلّا بنِيّة طائع
حتى إذا عَلقتْ حبائلُ شِقْوتى ... بِرَدًى إلى حُفَر المَهالك دافِعى
لم أَدْرِ أنّ لِمثل ذَنْبى غافراً ... فأقمتُ أرقُب أىّ حَتْفٍ صارعى
رَدَّ الحياةَ إلىّ بعد ذَهابها ... وَرَعُ الإمام القاهر المُتواضع
أَحياكَ مَن ولّاكَ أطولَ مدّة ... ورَمى عدوّك فى الوَتين [٤] بقاطِع
إنّ الذى قَسَم الفضائلَ حازها ... فى صُلْب آدمَ للإمام السابع
كم مِن يدٍ لك لا تُحدِّثنى بها ... نَفسى إذا آلتْ إلىّ مَطامعى
أَدَّيتَها [٥] عفواً إلىّ هَنيئةً ... فشكرتُ مُصْطَنَعاً لأكرم صانِع
ورَحمتَ أطفالاً كأفراخ القَطا ... وعَويلَ عانسةٍ كَقوس النازع
وعفوتَ عمَّن لم يكن عن مثله ... عفوٌ ولم يَشفع إليك بشافع
إلا العُلوّ عن العقوبة بعد ما ... ظَفِرت يداك بمُسْتكين خاضع

(١) الدرج : بالفتح ويحرك : ما يكتب فيه . (٢) ذملت : سارت سيراً سريعاً ليناً .
(٣) أى حلو العطايا . (٤) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « أسديتها »

فبكى المأمونُ ، ثم قال : علىَّ به . فأُتى به . فخلع عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف دينار . ودعا بالفرّاش فقال له : إذا رأيت عمّى مُقبلاً فاطرح له تُكَأَة . فكان يُنادمهُ ولا يُنكر عليه شيئاً .

وقيل : إن إبراهيم لما خاطب المأمون بما خاطبه به ، دفعه إلى ابن أبى خالد الأحول وقال : هو صديقُك ، فخُذه إليك . فقال : وما تُغنى صداقتى عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه ، أمَا إنى و إن كنتُ صديقاً له لا أمتنع من قول الحقّ فيه . قال : قُل ، فإنك غير مُتَّهم . فقال ، وهو يريد التسلّق إلى العفو عنه : إن قتلتَه فقد قتلتِ الملوكُ قبلك مَن هو أقلُّ جُرماً منه ، و إن عفوتَ عنه عفوتَ عمّن لم يُعفَ قبلك عن مثله . فنكت المأمونُ ساعةً بيده ، ثم قال[١] مُتمثّلاً :

قَومى همُ قتلُوا أُميم أخى ... فإذا رميتُ أصابنى سَهمى
فلئن عفوتُ لأعفوَنْ جَللاً ... ولئن ثأرتُ[٢] لأُوهنَنْ عَظْمى

خُذه إليك يا أحمد مُكرَّماً . فانصرف به .

وذُكر أنّ المأمون تقدّم إلى محمد بن يَزْداد[٣] ، لما أطلق إبراهيم بن المهدىّ ، أن يمنعه دارَىِ الخاصّة والعامة ، ويُوكّل به رجلاً من قِبَله يَثق به ليُعرّفه أخبارَه . فكتب إليه الموكَّل به : إن إبراهيم لمّا بلغه منعُه من دارَىِ الخاصّة والعامّة تمثّل :

[٤]يا سَرحةَ الماء قد سُدَّت مَواردُه ... أمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مَسْدُودِ
لحائمٍ حامَ حتّى لا حِيامَ له ... مُحلَّأٍ عن طريق الماء[٥] مَرْدود

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « فسكت المأمون ساعة ثم قال » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولئن سطوت » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « مزداد » تحريف .
(٤) الشعر لإسحاق الموصلى . (٥) فى بعض أصول الأغانى : «مطرود» مكان « مردود » .

فلما قرأها المأمونُ بكى ، وأمر بإحضاره من وقته مُكرَّماً ، وأنزله منزلته(١) . فصار إليه محمد فبشّره بذلك وأمره بالركوب ، فركب . فلما دخل على المأمون قبّل البساط ثم قال :

البرُّ بي منك وَطا العُذْرَ عندك لي دون اعتذاري فلم تعذل ولم تَلُمِ
وقام علمُك بي فاحتجَّ عندك لي مقامَ شاهدِ عَدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ
رددتَ مالي ولم تَبْخَل(٢) عليّ به وقبلَ ردِّك مالي قد حقنتَ دمي
فبؤتُ منك وقد كافأتها بيد هي الحياتان من موتٍ ومن عَدَمِ
لئن كفرتُك ما أوليتَ من نِعَمٍ إنّيَ باللُّوم أولى منك بالكَرَمِ
تَعفو بعَدْلٍ وتسطو إن سطوت به فلا عدمناك مِن عافٍ ومُنْتَقِمِ

فقال له المأمون : اجلس يا عمّ آمناً مطمئنا ، فلن ترى منّي أبداً ما تكره ، إلا أن تُحْدِث حدَثا أو تتغيّر عن طاعة ؛ وأرجو ألّا يكون ذلك إن شاء الله .

هو وابن بسخنر ومخارق مع المأمون

وحكى محمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

لمّا قدم المأمونُ من خُراسان لم يَظهر لمُغنّ بمدينة السلام غيري ، فكنتُ أُنادمه سرًّا، ولم يَظهر للندماء حتى ظَفِر بإبراهيم بن المهدي ، فلما ظَفر به وعفا عنه ظَهر للندماء . ثم جمعنا ووجّه إلى إبراهيم . فحضر في ثياب بِذْلته(٣) . فلما رآه المأمونُ قال : أَلْقِ عمّي رداء الكِبْر عن مَنْكِبيه . ثم أمر له بخِلَع فاخرة وقال : يا فَتْح ، غَدِّ عمّي . فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون . ثم تحوّل إلينا . وكان مُخارق حاضراً ، فغنّى مخارق بشعر عديّ بن زيد :

هذا وربّ مُسوِّفين(٤) صبحتُهم من خمر بابلَ لذةً للشاربِ

---

(١) في بعض أصول الأغاني : « وإنزاله في مرتبته » .
(٢) في بعض أصول الأغاني : « ولم تمنن » . (٣) في بعض أصول الأغاني : « مبتذلة » .
(٤) المسوف : الصابر .

بَـكروا علىّ بسُحرة فصَبحتُهم ... بإناء ذى كَرَم كقعْب الحالِب
بزُجاجةٍ مِلْء اليدين كأنها ... قِنديلُ فِصحٍ فى كنيسة راهب

فقال إبراهيم بن المهدى : أسأت ! فأعده . فأعاده . فقال : قاربتَ ولم تُصب . فقال له المأمون : إن كان أساء فأحْسِن أنت . فغنّاه إبراهيمُ . ثم قال لمُخارق : أعده . فأعاده . فقال : أحسنت ! ثم قال للمأمون : كم بين الأمرين؟ قال : كثير . فقال لمخارق : إنما مثلُك مثلُ الثوب الفاخر إذا غَفل عنه أهلُه وقع عليه الغُبار فأحال لونَه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . قال: ثم غنّى إبراهيم :

يا صـاحِ ياذا الضـامرِ العَنْسِ ... والرَّحْل ذى الأقتاد والحِلْس (١)

قال : وكانت لى جائزةٌ قد خَرجت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيِّدى بإلقاء هذا الصوت علىّ مكانَ جائزتى، فهو أحبُّ إلىّ منها . فقال : يا عم ، ألْقِ هذا الصوتَ على مُحمد(٢) . فألقاه علىّ ، حتى إذا كدت أن آخُذه ، قال : اذهب ، فأنت أحذق الناس به . فقلت : إنه لم يَصِحّ لى بعـــد . قال : فاغْدُ علىّ . فغدوتُ عليه ، فغنّاه متلوِّياً . فقلت : أيها الأمير ، لك فى الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابنُ الخليفة وأخو الخليفة وعَمّ الخليفة ، تجود بالرغائب وتبخل علىّ بصوت ! فقال : ما أحمقك، إن المأمون لم يَستبقنى محبةً لى ولا صلةً لرحِمى ولا رباءً للمعروف عندى ، ولكنّه سَمِع من هذا الجِرْم ما لم يَسمعه من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون بمَقالته ، فقال : إنّا لا نُكدِّر على أبى إسحاق عَفْونا عنه ، فَدَعْه .

فلما كانت أيامُ المعتصمُ نَشِط للصَّبوح يوماً . فقال : أحضروا عمِّى . فجاء فى

(١) الضامر : يوصف به الجمل والناقة . والعنس : الناقة الصلبة القوية . والحلس : ما يوضع تحت الرحل والقتب والسرج .

(٢) هذه رواية التجريد . ومحمد ، هو ابن بسخنر ، راوى الحديث . وفى غير التجريد : « مخارق » .

دُرّاعة بغير طَيْلسان . فأعلمتُ المُعتصم خبر الصوت سرًّا . فقال : يا عم ، غَنِّنى :

* يا صاحِ ياذا الضامر العَنْس *

فغنّاه . فقال : أَلْقه على محمد . فقال : قد فعلتُ ، وسَبَق منّى قولٌ ألاَّ أُعيده عليه . ثم كان يتجنّب أن يغنِّيه حيث أحضرُه .

هو والأمين ولحن أخذه عن إسحاق

وحَكى عبدُ الله بن عيسى الماهانى ، قال :

دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فى حاجةٍ فرأيتُ عليه مِطْرف خزّ أسود ما رأيتُ قطُّ أحسنَ منه ، فتحدّثنا إلى أن أخذْنا فى أمر المِطرف ، فقال : لقد كانت لكم أيامٌ حَسنة ودولةٌ عجيبة ، فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : مارأيت مثلَه . فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب . فقلت له: ما أقوّمه إلا بمائة دينار . فقال لى إسحاق: اسمع حديثه : شربتُ يوماً من الأيام فبتُّ وأنا مُثْخَن ، فانتبهت لرسول محمد الأمين ، فدَخل علىّ فقال :يقول لك أمير المؤمنين: عَجِّل إلىّ ـ وكان بخيلاً على الطَّعام ، فكنت آكل قبل أن أذهب إليه ـ فقُمتُ فتسوّكتُ وأَصلحتُ أمرى ، وأعجلنى الرسولُ عن الغِداء ، فدخلتُ عليه ، وإبراهيمُ ابن المهدىّ جالسٌ عن يمينه، وعليه هذا المِطرف وجُبّة خزّ دَكناء . فقال لى محمد : ياإسحاق ، تغدّيت؟ فقلت : نعم ، ياسيدى . فقال : إنك لنَهِم، أهذا وقتُ غَداء ! فقلتُ : أصبحتُ يا أمير المؤمنين و بى خُمار ، فكان ذلك ممّا حَدانى على الأكل . فقال لهم : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثة أرطال. فقال : اسقوه إياها . فقلت: إن رأيتَ أن تفرّقها علىّ ! فقال : يُسقى رِطْلين ورِطلاً . فدُفع إلىّ رطلان ، فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسى تَسيل معهما . ثم دُفع إلىّ رِطلٌ آخر ، فشربتُه ، فكأن شيئاً انجلى عنّى . فقال :غَنِّ .

كُليبٌ لَعمرى كان أكثر ناصراً   وأيسر جُرْماً منك ضُرِّج بالدَّمِ

فغنّيتُه . فقال : أحسنتَ ! وطَرب وشرب . ثم قام فدَخل ، وكان يفعل ذلك كثيراً ، يدخُل إلى النّساء ويَدعنا . فقُمْتُ فى إثرِ قيامه ، فدعوتُ غلاماً لى فقلتُ : أذهب إلى بيتى وجِئْنى ببزْمَا وَردَتَيْن(١) ولُفّهما فى مِنديل، وأذهب ركضاً وعَجّل . فمضَى الغلام فجاءنى بهما . فلما وافى البابَ ونزل عن الدّابة أنقطع البرذونُ فنَفق من شدّة ما رَكَضه ، وأدخل إلىّ البزْما وَرْدَتين، فأكلتُهما ، ورجعتْ إلىّ نفسى ، وعدتُ إلى مجلسى . فقال لى إبراهيم : إنّ لى إليك حاجةً أُحبّ أن تَقضيَها لى . فقلت: إنما أنا عبدُك وأبنُ عبدك ، فقُل ما شئتَ . فقال : ترُد علىّ :

* كُليبٌ لَعمرى كانَ أكثرَ ناصرا *

وهذا المِطْرف لك . فقلت : أنا لا آخُذ منك مِطْرفاً على هذا ، ولكنّى أصير إليك إلى منزلك وأُلقيه على الجوارى وأردّه عليك مراراً . فقال : أُحب أن تردّه علىّ الساعةَ وأن تأخذ هذا المِطْرف ، فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوتَ مراراً حتى أَخذه . ثم سَمِعنا حركة محمد ، فقُمنا حتى جاء فجلس، ثم قَعد وقَعدنا ، فشَرب وتحدّثنا . فغنّاه إبراهيم :

* كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصرا *

فكأنى واللهِ لم أَسمعه قبلَ ذلك حسناً . وطَرب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنت والله يا عم ! يا غلام ، أعطه عَشْر بِدَر الساعة . فجاءوا بها . فقال: يا أمير المؤمنين، إن لى فيها شريكاً . قال : ومَن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذتُه الساعةَ منه لمّا قُمتَ . فقلت له : ولِمَ ! أضاقت الأموالُ على أمير المؤمنين حتى يُشركك فيما تُعطاه ! فقال : أمّا أنا فأُشركك ، وأميرُ المؤمنين أعلم . فلما أنصرفنا من المجلس أعطانى ثلاثينَ ألفَ درهم وأَعطانى هذا المِطرف . فهذا أخذتُه بمائة ألف درهم ، وهى قيمته .

---

(١) البزما ورد : طعام يصنع من اللحم المقلى بالزبد والبيض ، ويسمى : « لقمة القاضى » و« لقمة الخليفة » .

وهو الرشيد وجارية على بئر عروة

وحكى إبراهيم بن المهدىّ قال :

حججتُ مع الرشيد ، فلما صِرْنا بالمدينة خرجتُ أدور فى عَرَصاتها ، فانتهيتُ إلى بئر ، وقد عطشتُ، وجاريةٌ تَستقى منها . فقلت : يا جارية ، أُمتَحى لى دلواً . فقالت : أنا والله عنــك فى شُغل بضريبةٍ لموالىّ علىّ . فنقرتُ بسوطى على سَرْجى وغنَّيت :

رام قلبى السُّلوَّ عن أسماءِ وتعزَّى وما به من عَــزَاءِ
سُخْنَةٌ فى الشتاء باردةُ الصَّيـ ـف سِراجٌ فى اللَّيلة الظَّلْمـاء
كفِّنانى إن مِتُّ فى دِرْعِ أَروى وأمتَحا لى من بِئرِ عُروة مائى

والشعرُ للأحوص بن محمد الأنصارى . وتمام الأبيات :

إنّنى والذى تَحُجّ قــريشٌ بيتَه سالــكين نَقْبَ[1] كَدَاءِ
لَمُلِمٌّ بها و إن أُبْتُ منهـا صادراً كالذى وَردتُ بداءِ
ولهـا مَرْبَعٌ[2] بِبُرْقه خاخٍ ومَصيفٌ بالقَصْرِ قصرِ[3] قُبَاءِ
قلبتْ لى ظَهْرَ المِجَنِّ فأمستْ قد أطاعتْ مقالةَ الأعـداء

قال : فرفعت الجارية رأسها إلىّ وقالت : أتعرف بئر عُــرْوة ؟ قلت : لا . قالت : هذه والله هى بِئْر عُروة . ثم سقتنى حتى رَويتُ، وقالت : إن رأيتَ أن تُعيــده ؟ ففعلتُ . فطَربتْ وقالت : واللهِ لأحملنّ قِرْبَةً إلى رَحلك . فقلت : أفعلى . ففعلتْ وجاءت معى تَحملها . فلما رأتِ الجيش والخــدَم فزعتْ . فقلتُ : لا بأس عليك ! وكسوتُها ووهبتُ لهــا دنانيرَ وحبستُها عندى . ثم صِرْتُ إلى الرشـــيد ، فحدّثته حديثَها . فأمر بأبتياعها وعِتْقها . فما برحتْ حتى أُشــتُريت وأُعتقت . وأخذتُ لها صلةً منه وأفترقنا .

(١) كداء : بأعلى مكة . (ياقوت) . (٢) برقة خاخ : قرب المدينة .
(٣) قباء : موضع قرب المدينة .

حديث رؤيته علياً فى النوم

وذُكر أن إبراهيم بن المهدىّ كان شديد الانحراف عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فحدَّث المأمونَ يوماً أنه رأى فى المنام علياً رضى الله عنه ، فقال له : مَن أنت ؟ فأخبره أنه علىّ بن أبى طالب . قال : فمشينا حتى جِئْنا إلى قنطرة فذهب يتقدّمنى لعبُورها . فأمسكتهُ وقلت له : إنما أنت رَجلٌ تدَّعى هذا الأمر بأمرأة ، ونحن أحقُّ به منك ! فما رأيتُ له فى الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه . فقال المأمون : وأىّ شىء قال لك؟ قال : ما زادنى على أن قال : سلاماً . فقال المأمون : قد والله أجابك أبلغَ الجواب. قال : وكيف؟ قال: عرّفك أنك جاهل لا تُجاب . قال الله عز وجل : (وإذا خاطَبهم الجاهلون قالوا سَلاماً) . فخجل إبراهيمُ وقال : ليتنى لم أحدِّثك بهذا .

هو والرشيد فى شؤم اسمه

وحكى إبراهيم بن المَهدىّ قال :

كنت بين يدى الرّشيد جالساً على ظهر حَرّاقة، وهو يريد الموصلَ، وقد بلغنا إلى السَّواد، فأنبه[1] ، والمدّادون يَمُدّون السُّفن، والشَّطْرنج بينى وبينه ، والدَّستُ متوجِّه له ، إذ أطرق هُنيهةً ثم قال لى : يابن أمّ ، ماأحسنَ الأسماء عندك ؟ قلت: محمد، اسم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : ثم أى شىء بعده ؟ قلت : هارون ، اسم أمير المؤمنين . قال : فأقبح[2] الأسماء ما هو ؟ قلت : إبراهيم . فزجرنى ثم قال: ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرّحمن ؟ فقلت : بشؤم هذا الاسم لقى من نَمْرودَ ما لقى ، وطُرح فى النار . قال : فإبراهيم ، ابنُ النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قلت: لا جرمَ ! إنه لم يُعمَّر من أجله . قال : فإبراهيم الإمام . قلت : بشؤم اسمه قتله مروانُ فى حَرّان . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيم بن الوليد ، خُلع ؛ وإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قُتل ؛ وعمه إبراهيم بن حسن ، سقط عليه

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « السودقانية » على أنها كلمة واحدة لموضع من المواضع.
(٢) فى بعض الأصول : « فأسمج » .

السجن فمات؛ وما رأيت والله أحداً بهذا الاسم إلّا قُتل أو نُـكب، أو رأيته مضروباً أو مَقذوفا أو مَظلوما . فما أنقضى كلامى حتى سمعتُ ملّاحاً يَصيح بآخر : يإبراهيم، مُدَّ ويلك ! ثم أعاد : ويلك يإبراهيم مُد ! ثم أعاد : يإبراهيم يا عاضَّ بظر أمـه مُدَّ ! فقلت له :أبقى لك شيء بعد هذا ! ليس والله فى الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام. فضحك والله حتى أشفقتُ عليه .

تعريضه بالحسن ابن سهـل وهو يغنى فى حضرة المأمون

وذُكر أنه دخل الحسنُ بن سهل على المأمون وهو يشرب ، فقال له : بحياتى وبحقِّى عليك يا أبا محمـد ، إلّا شربتَ معى قَدَحاً ـ وصبَّ له من نبيـذه قدحاً ـ فأخذه بيده وقال له : مَن تُحِبّ أن يُغنِّيك ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدىّ . فقال له المأمون : غَنِّ يا عَمّ . فغنّاه :

* تَسمع للحَلْى وَسواساً إذا أنصرفت *

يُعرِّضُ به لِما كان لحقه من السَّوداء والاختلاط . فغضب المأمونُ حتى ظن إبراهيمُ أنه سيُوقع به . ثم قال له : أبيتَ إلا هُزُؤاً يا أكفر خَلق الله لنعمه ! والله ما حَقَن دَمك غيرُه ، ولقد أردتُ قتلَك فقال لى : إن عَفوتَ عنـه فعلتَ فعلاً لم يَسبقك إليه أحد . فعفوتُ عنك لقوله ، أفحقُّه أن تُعرِّض به ولا تَدع كيـدك ودَغَلك ، أو أَنِفْتَ من إيمائه إليك بالغنـاء . فوثب إبراهيم قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أذهب حيثُ ظننتَ ، ولستُ بعائد . فأعرض عنه .

هو وجارية لبعض أهله

وَذُكِرَ أن إبراهيم بن المهدى لما استتر خوفاً من المأمون كان عند بَعض أهله من النِّساء ، فوكّلت بخدمته جاريةً جميلة وقالت لها : إن أرادك لأمرٍ فطاوعيـه وأعلميه ذلك حتى يتّسع له . فـكانت تُوفِّيه حقه فى الخِدمة والإعظام ولا تُعْلمـه بما قالت لها . فجلّ مقدارُها فى نفسه إلى أن قَبّل يوماً يدَهـا . فقبّلت الأرضَ بين يديه ، فأنشد :

يا غزالاً لى إليه	شافعٌ من مُقلتيه
والذى أجلَلْتُ خَدَّ	يه فقبَّلتُ يديه
بأبى وجهُك ما أك	ثر حُسّادى عليه
أنا ضيفٌ وجزاء الضَّ	يف إحسانٌ إليه

وذُكر أن إبراهيم بن المهدى غنّى يوماً والمأمونُ مُصطبح ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره : غنى المأمون فرق له

ذَهبتُ من الدُّنيا وقد ذهبتْ منّى	هَوَى الدهرُ بى عنها وولّى بها عنّى

فرَقّ له المأمونُ لمّا سَمِعه وقال له : لا والله لا تذهب نفسُك على يد أمير المؤمنين ، فطِبْ نفساً ، فإن الله عزّ وجلّ قد أمّنك ، إلّا أن تُحدِث حَدَثاً يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألاّ يكون منك حَدَث إن شاء الله .

وذُكر أن إبراهيم بن المهدى غنّى محمداً الأمين ليلة فى شعر أبى نُواس ، وهو: أجازه الأمين وقد غناه فى شعر أبى نواس

يا كَثيرَ النَّوحِ فى الدِّمَن	لا عليها بل على السَّكَنِ
سُنّة العُشّاق واحدةٌ	فاذا أحببتَ (١) فاسْتَبِنِ
ظَنّ بى من قد كَلِفتُ به	فهو يجفُونى على الظِّنَن
رَشأٌ لولا ملاحتُه	خلَتِ الدُّنيا من الفِتَن
كلّ يومٍ يسترقُّ له	حُسنُه عبداً بلا ثمن

وهذه الأبيات يمدح بها أبو نُواس محمداً ، وتمامها :

فاسقنى راحاً على عذل	كرهتْ مَسْموعه أذنى
من كُميتِ اللون صافية	خير ما سَلسلت فى بدنى
تضحك الدُّنيا إلى ملك	قام بالآثار والسُّنن

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فاستكن » .

أنت تبقى والفناء لنـــا فإذا أفنيتنـــا فكُن
كيف تسخو النفس عنك وقد قُمت بالغـــالى من الثمن

فأمر محمد لعمّه إبراهيم بثلثمائة ألف درهم . فقال له إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، قد أجزتنى إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم . فقـال محمد : وهل هى إلّا خَراج بعض الكُوَر !

وقد حُـكى عن إبراهيم أنه قال :

لما أردتُ الانصراف قال : أَوقروا زَورقَ عَمِّى دنانيرَ ، فانصرفتُ بمال كثير .

وفاته وحديث ابنه مع المعتصم عنه

وتوفى إبراهيم بن المهدى فى خلافة ابن أخيه المُعتصم بالله . فحكى إبراهيمُ بن هبة الله بن إبراهيم بن المهدى قال :

قلتُ للمعتصم : كانت لأبى أشياء لم يـكن لأحدٍ مثلها . فقـال : وما هى ؟ فقلت : شارية وزامرتُها مَعْمَعة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزامرة ؟ فقلت : ماتت . قال : وماذا؟ قلت : وساقيته مكنونة ، ولم يُرَ أحسنُ وجهاً منها ، ولا ألينُ ولا أظرف . قال : فما فعلت ؟ قلت : ماتتْ ، قال : وماذا ؟ قلتُ : نخلةٌ كانت تحمل رُطَباً طولُ الرُّطَبَة منها شبر . قال : فما فعلت ! قلت : جَمَّرتُها [1] بعد وفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قدَحه الضَّحْضاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعةَ والله حَجمنى فيه أبو حَرْملة ، فسألتُه أن يهبه لى ففَعل . فوجّهتُ به إلى منزلى فغُسل ونُظِّف وأُعيد إلى خزانتى . فرأيتُ أبى فيما يرى النائمُ فى ليلتى تلك ، وهو يقول لى :

أَيُتْرع ضَحْضاحِى دماً بعدما غَدتْ علىّ به مكنونةٌ مُتْرَعاً خَمرَا
فإنْ كنتَ منِّى أو تحب [2] مبرتى فلا تُغْفلنْ قبل الصَّباح له كَسرا

قال : فانتبهتُ فزعاً ، وما فَرَق [3] الصبح حتى كسرتُه .

(١) أى قطعت جمرها . (٢) فى بعض أصول الأغانى : «مسرتى» . (٣) فرق : اتضح وتبين .

أخبار أبي النجم العجلي

نسبه

أسمه المُفضَّل — وقيل : الفَضل — بن قُدامة بن عُبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إياس[1] بن عَوف بن رَبيعة بن مالك بن رَبيعة ابن عِجْل بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أَسد بن رَبيعة بن نِزار .

منزلته فى الرجز

وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحول المتقدِّمين[2] ، وفى الطبقة الأولى منهم .

رأى ابن العلاء فيه

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول :

هو أبلغ فى النَّعت من العجَّاج .

رأى أبى عبيدة فيه

وقال أبو عُبيدة :

ما زالت الشُّعراء تَقْصر[3] بالرُّجَّاز حتى قال أبو النجم :

* الحمدُ لله الوَهوب المُجْزِل *

وقال العجاج :

* قد جَبر الدِّينَ الإلٰهُ فجَبرْ *

وقال رؤبة :

* وقاتم الأَعماق خاوى المُخْتَرَقْ *

---

(١) فى غير التجريد : « الياس » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « المقدمين » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تغلب » مكان « تقصر بالرجاز » .

فأنتصفوا منهم .

إعظام رؤبة له

وذُكر أنّ فِتياناً من بنى عِجْل قالوا لأبى النّجم : هـذا رُؤْبة بن العجّاج بالمِرْبَد[1] يَجلس يُسمع شعرَه ويُنشد الناسَ ، ويَجتمع إليه فتيانٌ من بنى تميم ، فما يَمنعك من ذلك ؟ فقال : أَوَ تُحبون هذا ؟ قالوا : نعم . قال : فَـأْتونى بعُسٍّ[2] من نَبِيذ . فأَتوْه به . فشَربه ثم نَهض ، وقال :

إذا اصطبحتُ أربعاً عَرفْتَنِى   ثم تجشّمتُ الذى جَشّمتنى

فلما رآهُ رُؤْبة أَعظمه وقام له عن مكانه ، وقال : هذا رَجّاز العرب . وسألوه أن يُنشدهم . فأنشدهم أبو النجم :

* الحمدُ لله الوَهوب المُجزل *

وكان إذا أنشد أَزبد ورَمَى بثيابه . وكان مِن أَحسن الناس إنشاداً . فلمّا فرغ منها قال : هذه أمّ الرَّجز . ثم قال : يا أبا النَّجم ، قد قَرّبت مَرعاها إذ جَعلتَها بين رجل وأبنه . يُوهِم عليه رؤبةُ أنه حيث قال :

تبقّلتْ مِن أول التّبقُّل   بين رِمَاحَىْ مالكٍ ونَهشلِ

أنه يريد نَهشلَ بن مالك بن حَنظلة بن زيد مناة بن تميم . فقال له أبو النجم : هيهات ! إنما أُريد مالكَ بن ضُبيعة بن قَيس بن ثَعلبـة بن عُـكابة بن صعب ابن علىّ بن بكر بن وائل . ونَهشل قبيلة من ربيعة[3] .

---

(١) يريد : مربد البصرة : وهو من أشهر محالها ، كان سوقاً للإبل ، ثم كانت به مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . (٢) العس : القدح الكبير .

(٣) وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين — فيما ذكر أبو عمرو الشيبانى — أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، فتحامى جميعهم الرعى بين فلج والصمان مخافة الشر ، حتى عفا كلؤه وطال . فجاءت تسير بنوعجل لعزها إلى ذلك الموضع فرعته ، ولم تخف من هذين الحيين . ففخر بهم أبوالنجم.

مناجزته العجاج وهرب العجاج

وذُكر أن العجّاج خَرج مُتحفِّلاً(١) ، عليه جُبة خَز وعمامة خَز ، على ناقة له قد أجاد رَحْلها ، حتى وقف بالمِرْبد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قولَه :

* قد جَبر الدينَ الإلٰهُ فجَبرَ *

فذَكر فيها ربيعةَ وهَجاهم . فجاء رجلٌ من بنى بكر بن وائل إلى أبى النَّجم ، وهو فى بيته ، فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجّاج يَهجونا فى المِرْبد قد اُجتمع عليه الناسُ ! فقال : صف لى حالَه . فوَصفه له . فقال : أبْغنى جَملاً طَحّاناً قد أُكثر عليه من الهِنَاء(٢) . فجاء بالجَمل إليه . فأخذ سراويلَ له ، فجَعل إحدى رجلَيْه فى السّراويل واتّزر بالأخرى ، ورَكب الجمل ودَفع خِطامَه إلى مَن يقوده . فاُنطلق حتى أتى المِرْبد . فقال : اُخْلع خِطامه . فخَلعه . فأنشد :

* تذكَّر القلبُ وجهلاً ما ذَكَرْ *

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمَّمها ، ويتباعد عنه العجّاج لئلّا يُفسد ثيابَه ورَحْلَه بالقَطِران . حتى إذا بلغ إلى قوله :

* شيطانُه أُنثى وشَيطانى ذَكَر *

تَعلّق الناسُ هذا البيتَ وهَرب العجّاج منه .

بز الشعراء عند عبد الملك وظفر بالجارية

وذُكر أنه كان عند عبد الملك بن مروان — أو اُبنه سليمان — جماعةٌ من الشُّعراء ، وفيهم أبو النَّجم والفرزدقُ ، فقال : مَن صبَّحنى بقَصيدة يفتخر فيها وصدَق فى فَخره فله هذه الجاريةُ . قالوا : نعم . فقاموا على ذلك ، ثم قالوا : إن أبا النَّجم يَغلبنا بمُقطَّعاته ! ـ يعنون الرجز ـ فقال : فإنّى لا أقول إلّا قصيداً . فقال مِن ليلته قصيدتَه التى يَفخر فيها ، وهى :

* عَلِقَ الفؤادُ حبائلَ(٣) الشَّعثاء *

(١) متحفلا : متزيناً . (٢) الهناء : القطران .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « علق الهوى بحبائل » .

ثم أصبح فدَخل عليه ، ومعه الشُّعراء ، فأنشده ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

منّا الذى رَبَع الجُيوشَ(١) لصُلبه عِشْرُون وهو يُعَـدُّ فى الأحياءِ

فقال له : قِفْ ، إن كنتَ صدقتَ فى هذا البيت فلا نُريد ما وراءه . فقال الفرزدق : أنا أعرف منه ستةَ عشر ، ومن وَلَد وَلَده أربعة ، كلُّهم قد رَبَع . فقال عبدُ الملك ــ أو سُليمان ــ : وَلَد وَلَده هم ولدُه ، أُدفع إليه الجاريةَ يا غُلام . فغلبهم يومئـــذ .

حديث أخذه جارية من خالد القسرى

وذكر أنه بَعث الجُنَيدُ بن عبد الرحمن المُرّى إلى خالد بن عبد الله القَسْرىّ بسَبْيٍ من الهنـد بِيضٍ . فجَعل يَهب لأهل البيت كما هو للرَّجل من قُريش ومن وُجوه النـاس ، حتى بقيتْ جاريةٌ منهنّ جميلةٌ كان يدّخرها وعليها ثيابُ أرْضِها فُوطتان . فقال لأبى النجم : هل عندك فيها شىءٌ حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم ، أصلحك الله . فقال العُرْيان بن الهَيثم النَّخَعِىّ : كذَب ! والله مايقدر على ذلك ــ وكان على شُرَط خالد بن عبد الله ــ فقال أبو النَّجم :

عَلِقتُ خُوداً من بنات(٢) الزُّطِّ ذاتَ جَهـازٍ مُضْغَطٍ(٣) مُلَطِّ
رابِى المَجَسِّ جَيِّـد المَحطِّ كأنما قُطَّ على مِقَـــطِّ
إذا بَدا منـــه الذى تُغَطِّى كأنّ تحتَ ثوبها(٤) المُنْعَطِّ
شَـطًّا رميتَ فوقه(٥) بشَطِّ لم يَعْـلُ فى البَطْنِ ولم يَنْحَطِّ
فيـه شِفاءٌ من أذى التَّمطِّى كهامةِ الشَّيخ اليَمانى(٦) الثَّطِّ

وأومأ بيده إلى هامة العُريان بن الهيثم . فضَحك خالدٌ وقال للعُريان : هل تُراه احتاج أن يُروِّى(٧) فيها ياعُريان ؟ فقال : لا والله ، ولـكنّه مَلْعون ، ابنُ مَلعون !

(١) ربع : أخذ ربع الأموال ، وكان ذلك حظ الرئيس . والرواية فى غير التجريد : «لظهره» مكان «لصلبه» . (٢) الزط : جيل من أهل الهند .
(٣) الجهاز ، هنا : فرج المرأة . وملط : مستور . (٤) المنعط : المنشق .
(٥) الشط : جانب السنام . (٦) الثط : الخفيف اللحية . (٧) يروى : يفكر .

غضب هشام عليه ثم رضى عنه

وذُكر انّ أبا النّجم ورد على هشام بن عبد الملك فى الشُّعراء . فقال هشام : صِفوا إبلاً فقطِّروها[1] ، وأَوْردوها وأَصدروها ، حتى كأنى أنظُر إليها . فأَنشدوه . وأَنشده أبو النجم قصيدته :

* الحمدُ لله الوَهوب المُجزل *

حتى بلغ إلى ذكر الشّمس فقال :

* فهى على الأُفْق كعين ... *

وأراد أن يقول « الاحول » ، ثم ذَكر حَوْلَة هِشام ، فلم يُتم البيتَ وأُرْتِج عليه . فقال هشام : أَجِز . فقال : « كعين الأَحول » وأَتمّ القصيدة . فأَمر هشام بوَجْء[2] عُنقه و إخراجه من الرُّصافة . وقال لصاحب شرطته : يا ربيع ، إياك وأن أرى هذا ! فكلّم وجوهُ الناس صاحبَ شُرطته أن يُقرَّه ، ففعل . فكان يُصيب من فُضول أَطعمة الناس و يأوى إلى المساجد .

قال أبو النَّجم : ولم يكن بالرُّصافة أحدٌ يُضيفُ إلّا سُلَيمَ بن كَيْسان الكَلْبى ، وعَمرو بن بِسْطام التَّغلَبى ، فكنت آتى سُلَيما فأَتغدّى عنده ، وآتى عَمْراً فأَتعشى عنده ، وآتى المسجدَ فأَبيت فيه . فأهتمّ هشامٌ ليلةً وأمسى لَقِسَ النَّفس ، وأراد مُحدِّثاً يُحدِّثه ، فقال لخادم له : ابغنى مُحدِّثاً أعرابيًّا أهوجَ شاعراً يَروى الشعر . فخرج الخادمُ إلى المسجد ، فإذا هو بأبى النَّجم ، فضَربه برجله وقال : قُم أَجب أميرَ المُؤمنين . قال : إنى أعرابىٌّ غريب . قال : إياكَ أبغى ، هل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقولُه . فأَقبل به حتى أَدخله القَصر ، وأَغلق البابَ . فأَيقن الشرَّ . ثم مَضى به فأَدخله على هشام فى بَيت صغير ، بينه و بين نسائه سِتْرٌ رقيق ، والشَّمع بين يديه تزْهَر . فلما دَخل ، قال له هِشام : أبو النَّجم ؟ قال : نعم يا أمير المُؤمنين ،

(١) قطروها : أى اجعلوها قطاراً على نسق. (٢) الوجء : الضرب .

طريدُك . قال : اجلس . فسأله وقال له : أين كنت تأوى ؟ وأين منزلُك ؟ فأخبره الخبرَ . فقال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنت أتغدّى عند هذا ، وأتعشّى عند هذا . قال : فأين كنت تبيت ؟ قال : فى المسجد حيث وَجدنى رسولُك . قال : وما لَك من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لى ، وأمّا الولد فثلاث بَنات ، و بُنيّ يُقال له : شَيبان . فقال : هل زَوّجتَ من بناتك أحداً ؟ قال : نعم ، زوّجت اثنتين و بقيتْ واحدة تَجْمِز [1] فى أبياتنا كأنها نَعامة . قال : وما وَصّيت به الأُولى ؟ فقال : قلت :

أوصيتُ من بَرّةَ [2] قلباً حُرّا ... بالكلب خيراً والحماةِ شرّا

لا تَسأمى ضَرباً لها وجَرّا ... حتى تَرىْ حُلو الحياة مُرّا

وإن كستْك ذهباً ودُرّا ... والحيَّ عُمِّيهم بشَرٍّ طُرّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ فقال : قلت :

سُبِّى الحماة وابْهَتى [3] عليها ... وإن دَنَتْ فازدلفى إليها

وأوجعى بالفِهْر [4] رُكبَتَيْها ... ومِرْفقيها واضربى جَنْبَيها

وظَاهِرى النُّذْرَ [5] لها عليها ... لا تُخبرى الدّهرَ به ابنتَيْها

فضحك هشام حتى بدت نَواجذُه وسَقط على قَفاه ، وقال : ويحك ! ما هذه وصية يعقوبَ ولدَه ؟ فقال : لا ، وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ! قال : فما قلتَ للثالثة ؟ قال : قلت :

أُوصيكِ يا بنتى فإنّى ذاهبُ ... أُوصيك أن تَحمَدك القرائبُ

والجارُ والضيفُ الكريم الساغب ... لا يُرْجَع المِسْكينُ وهو خائب

(١) تجمز : تعدو وتسرع . (٢) برة ، هواسمها . (٣) ابهتى : افترى .
(٤) الفهر : الحجر . (٥) النذر ، بالضم : الاسم من « أنذر » ، أى توعد .

ولا تَنِي أظفارُكِ[1] السَّلاهبُ منهنّ فى وجه الحَماة كاتِب

والزَّوجَ إن الزوج بئس الصاحب

فقال : وكيف قلت لها هذا ولم تتزوّج ! وأى شىء قلت فى تأخير تَزويجها ؟ قال : قلت :

كأَنّ ظَلّامةَ أُختَ شَيْبانْ يَتيمـــةٌ ووالداها حَيَّـانْ

الرأسُ قَمْلٌ كُلّه وصِئبانْ وليس فى الساقَيْن إلّا خَيْطان

تلك التى يفزع منها الشّيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضَحِكه، وقال للخَصِىّ : كم بقِى من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال : فأعطه إياها ليَجعلها فى رِجْل ظَلّامة مكان الخيطين .

رأيه لهشام فى النساء

وذُكر أن أبا النّجم دخل على هشام بن عبد المَلك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له هشامُ : ما رأيُك فى النساء ؟ فقال : إنّى لأنظرُ إليهنّ شَزْرا ، وينظُرن إلىّ خَزْراً[2] . فوَهب له جارية ، وقال له : اُغدُ علىّ فأَعْلمنى بما كان منك . فلمـا أَصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعتُ شيئاً ولا قَدرتُ عليه ، وقد قلتُ فى ذلك أبياتاً ؛ ثم أنشده :

نظرتْ فأَعجَبها الذى فى دِرْعهـا من حُسْنه ونَظرتُ فى سِرْبالِيـا

فرأتْ لها كَفَلاً يَميـل بخَصْرها وَعْثاً[3] روادفُه وأَجْثمَ رابيـا

ورأيتُ مُنْتَشِرَ العِجان[4] مُقلِّصاً رِخْواً مفـاصلُه وجِلْداً باليا

أُدْنِى له الرَّكَبَ[5] الحَليقَ كأنما أُدنى إليـــه عَقارباً وأفاعيا

(١) السلاهب : الطويلة .
(٢) الشزر : النظر بجانب العين فى إعراض . والخزر : النظر بمؤخر العين .
(٣) الوعث : اللين . (٤) العجان : القضيب . (٥) الركب : الفرج .

ما بالُ رأسِك من ورائىَ طالعاً أظننتَ أنّ حِرَ الفَتــاة ورائيا
فاْذهبْ فإنّك ميّتٌ لا تُرتجَى أبَدَ الأَبيــد ولا عَمِرْتَ لياليا
أنت الغَرُور إذا خُبِرْتَ وربمـا كان الغَرورُ لمن رَجاه شــافيا
لـكنّ أَيرى لا يُرجَّى نفعُـــه حتى أعُود أخا فَتَــاء ناشــيا

فضَحك هشام ، وأمر له بجائزة أخرى .

رجزه الذى فيه الغناء

والرّجز الذى فيــه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبـار أبى النَّجم العجلى ، هو قولُه :

تَضحك عمّا لو سَقَتْ منــه شَفَا مِن أُقحُوانٍ بَلَّه[1] طَلُّ الضُّحَى
أغرّ يجلو عن غِشَا العين العَشَا حُلْوٍ بعَيْنىْ كُلِّ كَهْــلٍ وفتى
إنّ فؤادى لا تُسلّيـــه الرُّقَى لو كان عنها صاحياً لقــد صَحى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قطر الندى » مكان « طل الضحى » .

اخبار عَليّة بنت المهدى

نسبها وأمها
نَسَبُها إلى العبّاس قد تقدّم فى ذِكر نَسب أخيها إبراهيم بن المهدى . وأُمّها أمّ ولد ، مُغنِّية يقال لها : مَكْنونة . كانت من جوارى المَرْوانيّة المغنية .

تعقيب لابن واصل
قلت : وليست المَروانيـة ، من آل مَروان بن الحكم ، هى زَوجة الحُسين ابن عبد الله بن عُبيد الله بن العباس[1] .

شيء عن أمها
وكانت مكنونة أحسنَ جارية بالمدينة وجهاً . وكانت رَسْحاء[2] ، وكان من يمازحها يَعبث بها فيَصيح : طَسْت ! طَسْت ![3] وكانت حسنةَ الصدر والبَطن ، تُوضِح بهما ، وتقول : ولكنّ هـذا ! فاُشتُريت للمَهدىّ فى حياة أبيه المنصور بمائة ألف درهم . فغَلبت عليه ، حتى كانت الخَيزران أُم الهادى والرّشيد تقول : ما مَلك أَمةً أغلظَ علىّ منها . واُستتر أمرُها عن المنصور حتى مات .

من صفة علية
فولدتْ له عُليّة بنت المهدى ، مِن أَجمل الناس وأَظرفهم ، تقول الشعر الجيّد ، وتَصوغ فيه الألحان الحسنة . وكان فيها عيب ، كان فى جَبينها فَضلُ سَعة حتى تَسمج . فاُتخذت العصائب المكلَّلة بالجوهر لتستُر بها جبينها . فأَحدثتْ والله شيئاً لم يُحدث النِّساء أبدع منه ولا أحسن .

من دينها وأدبها
وذُكر أنها كانت حسنةَ الدِّين، لا تُغنِّى ولا تَشرب النبيذ إلا إذا كانت مُعتزلة الصلاة ، فإذا طَهُرت أقبلتْ على الصلاة ، وقَرأت القرآن ، وقرأت الكتب . فلا تَلَذّ بشيء غير قول[4] الشِّعر فى الأحيان ، إلّا أن يَدْعُوَها الخليفةُ إلى شيء

---

(١) ظاهر القول أنه من مقول ابن واصل ، وهو من كلام أبى الفرج ، وقد ورد فى الأغانى .

(٢) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٣) أى إنها كالطست استواء . (٤) فى التجريد : « قراءة » .

فلا تَقدر على مُخالفته . وكانت تقول : ما حَرَّم الله شيئاً إلا وقد جَعل فيما حَلّل منه عِوَضاً ، فبأىّ شىء يحتجّ عاصيه والمُنتهك لحُرُماته ! وكانت تقول : لا غَفر الله لى فاحشةً ارتكبتُها قطّ ، ولا أقول فى شِعرى إلّا عبثاً .

لابن الربيع فيها وفى أخيها

وكان عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع يقول :

ما اجتمع فى الإسلام أخٌ وأُخت أحسن غناءً من إبراهيم المهدى وأُخته عُلَيّة ، وكانت تُقدَّم عليه .

هى وطل والرشيد

وذُكر أنّ عُلية بنت المَهدىّ كانت تُحِبُّ أن تُراسل بالأشعار من تَختصّه . فاختصّت خادماً يقال له : طَلّ ، من خَدم الرّشيد ، فكانت تُراسله بالشعر . فلم تَره أيّاماً . فمَشت على مِيزاب وحدَّثته ، ثم قالت فى ذلك :

قد كان ما كُلِّفْتُهُ زمناً يا طَلُّ من وَجْدِى بكم يَكْفِى
حتى أتيتُكَ زائراً عَجِلاً أمشى على حَتْفٍ إلى حَتفِ

فحلف عليها أخوها الرّشيدُ ألّا تُكلِّمَ « طَلّاً » ولا تُسميه باسمه . فضَمِنت له ذلك . فاستمع عليها يوماً وهى تدرُس آخر سورة البقرة ، حتى بلغت إلى قوله عز وجل : (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلّ) وأرادت أن تقول « فطل » فقالت : فالذى نهانا عنه أميرُ المؤمنين . فدَخل فقبّل رأسها وقال : قد وهبتُ لك طَلّاً ، ولا أمنعك من شىء تُريدينه .

من شعرها فى طل

ولعُليّة فى « طَل » هذا شعر ، وصَحّفت اسمه فى أوّل بيتٍ ، وذلك لمّا حُجب عنها :

أيا سَرْوَةَ[1] البُستان طال تشوُّقى فهل لِى إلى ظِلٍّ لديك مَقيلُ
متى يَلتقى مَن ليس يُقضَى خُروجه وليس لمن يَهْوَى إليه[2] سَبيل

(١) السرو : شجر قويم الساق حسن الهيئة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « دخول » مكان « سبيل » .

عَسى الله أن نَرتاح من كُربةٍ لنا فيَلْقى اُغْتباطاً خُلَّةٌ وخَليــــل

ولها فيه أيضاً ، وصحّفت اسمه فى ثالث بيت :

سَــلِّم على ذاكَ الغزالِ الأَغيدِ الحسنِ الدَّلالِ
سَــلِّم عليـــه وقُل له يا غُلَّ ألبابِ الرِّجال
خَلَّيت جِسْمى ضاحياً وسكنتَ فى ظِلِّ الحِجال(١)
و بلغتَ منِّى غايةً لم أَدْرِ فيها ما احتيالى

وذُكِر أنّ عُلية كانت تقول الشعر فى خادم لها يقال : له « رشأ » وتُــكَنِّى عنه فى شعرها فيه ، وكَنَتْ عنه بزينب : هى وخادمها رشأ

وَجــد الفؤادُ بزَينباً وَجداً شــديداً مُتْعِبا
أصبحتُ من كَلفٍ بها أُدْعَى شَقِيًّا(٢) مُنْصَبا
ولقد كَنيتُ عن اسمها عَمــداً لــكى لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينب سُترةً وكتمتُ أَمراً مُعْجِبا
قالت وقد عَزَّ الوِصــا لُ ولم أَجِدْ لى مَذْهبا
والله لا نِلْتَ المَوَ دَّةَ أو تنــالَ الــكوكبا

قيل :

ولما عُلم أنها تَــكْنِى عن « رشأ » بزينب ، قالت :

القلبُ مُشــتاقٌ إلى رَيْبِ يارَبِّ ما هــذا من العَيْبِ
قد تَيَّمتْ قلبى فلم أســتطع إلّا البُــكا يا عالِمَ الغَيْب
خبأتُ فى شعرىَ سرِّى(٣) الذى أردتُه كالخَبْء فى الجَيْب

فصحّفت اسمه فى « ريب » فى البيت الأول .

(١) الحجال : جمع حجلة ، وهى ستر العروس فى جوف البيت .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « سقيما » . (٣) فى غير التجريد : « اسم » .

هجاؤها جارية لها سعت بينها وبين رشأ

وقيل : وشت جارية يقال لها : « طُغْيان » بعُلية إلى « رشأ » وحكمت عنها ما لم تَقُل . فقالت عُلية تهجوها :

لطُغيانَ خُفٌّ مذ ثلاثين حِجّةً جـــديدٌ فما يَبلى ولا يتخَرّقُ
وكيف بِلَى خُفٍّ هو الدهرَ كُلّه على قدَمَيهـــا فى السماء[1] مُعَلّق
فما خَرقتْ خُفًّا ولم تُبْلِ جَوْرباً وأمّا سَراويلاتهـــا فتُمزَّق

ولها فى رشأ وقد ترك النبيذ

وحلف « رشأ » ألّا يَشرب النبيذ . فقالت عُلية :

حَرّمتُ شُرب الراح إذ عِفْتَها فلستُ فى شىءٍ أُعاصـــيكِ
فلو تَطوّعتِ لعــــوِّضتِنى منــه رُضابَ الرِّيق من فيك
يا زينباً قـــد أرّقَتْ مُقْلتى أَمْتعنى الله بحُبِّيــــك

غضب المعتصم عليها لشعر غنى به قيل إنه لها

وحكى محمد بن إسماعيل بن موسى بن الهادى قال :

كنّا عند المُعتصم ، وعنده عَلَّويه ، ومخارق ، ومحمد بن الحارث ، وعَقيد ؛ فتغَنّى عَقيد ، وكُنت أضربُ عليه :

نام عُـــذّالى ولم أَنَمِ واْشْتفَى الواشُون من سَـقَمى
وإذا ما قلتُ بى أَلَمٌ شَكَّ مَن أهواه فى أَلَمى

فطَرِب المُعتصمُ وقال : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فأَمسكوا . فقُلت : لعُلَيّـة . فأَعرَض عنّى . فعرفتُ غَلطتى وأنّ القوم أَمسكوا عَمداً . فقُطِع بى[2] . فتبيَّن حالى ، فقال : لا ترُع يا محمد ، فإنّ نَصيبك منها مثلُ نَصيبنا .

المأمون فى لحن بينها وبين إسحاق

وحكى إسحاقُ بن إبراهيم الموصلىّ قال :

عملتُ لحناً فى أيام الرشيد ، وهو :

---

(١) فى غير التجريد : « فى الهواء » . (٢) أى أرتج عليه ولم يعرف وجه القول .

سَقْياً لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نَبَّهنى بعـد الهُدوِّ بها قَرْعُ النَّواقيسِ
كأنَّ سَوْسَنَها فى كلِّ شـارقةٍ على المَيادين أذنابُ الطَّواويس

قال : فأعجبنى ، وعملتُ على أن أباكر به الرشـيدَ . فلَقِينى فى طريقى خادمٌ لعُليّـة بنت المهـدىّ . فقال : مولاتى تأمرك بدُخول الدِّهليز لتَسْمع مِن بعض جواريها غناءً أخذتْه عن أبيك وشكّت فيـه الآن . فدخلتُ معه إلى حُجرة قد أُفردت لى كأنها كانت مُعدَّة ، فجلستُ ، وقُدِّم لى طَعامٌ وشراب ، فنِلْتُ منهما حاجتى . ثم خَرج إلىّ الخادمُ فقال : تقول لك مولاتى : أنا أعلمُ أنّك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوتٍ قد أعددتَه له مُحْـدَثٍ ، فأسمعنيه ولك جائزة سنيّـة تتعجّلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعـلّه لا يأمر لك بشىء ، أو لا يَقع الصوتُ منـه بحيثُ توخَّيتَ ، فيذهبَ سَعْيُك باطلاً . فاندفعتُ فغنّيتُها إياه ، ولم تزل تَستعيده . ثم أخرجتْ إلىّ عشرين ألفَ دِرهم ، وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتُك . ولم تزل تَستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه الآن . فغنّته غناءً ما خَرق سَمعى مثـلُه ، ثم قالت : كيف تَراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أَرَ مثـلَه : قالت : يا فلانة ، أعيدى له مثلَ ما أخذ . فأحضرت عشرين ألفاً أخرى ، وعشرين ثوباً . فقالت : هـذا ثمنُه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين وأُخبره أنّه من صَنعتى ، وأُعطى الله عهـداً لئن نطقتَ أنّ لك فيه صنعةً لأقتلنّك ، هذا إن نجوتَ منـه إن عَـلِم بمَصيرك إلىّ . فخرجتُ من عندها ووالله إنّى لـكالمُوقن[1] بما أكره من جائزتها ، أسفاً على الصوت . فما جَسَرْتُ بعد ذلك أن أتنغّم به فى نفسى فضـلاً عن أن أُظهره ، حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون فى أول مَجلس جلسه للهو بعدها ، فبدأتُ به فى أول ما غنّيت . فتغيّر لونُ المأمون وقال : مِن أين لك ويلك هذا ؟ قلت : ولِىَ الأمان على الصِّـدق ؟ قال : ذلك لك . فحدَّثتُه الحديثَ . فقـال :

(١) فى التجريد : « لكالموقر بما » .

يا بغيض ! فما كان لك فى هذا من النَّفاسة حتى شَهَرْتَه وذكرتَ هذا منه، مع ما قد أخذتَه من العِوَض ! وهَجَّنني فيه هُجْنة وَدِدْتُ معها أنِّي لم أذكره. فآليتُ ألّا أُغنِّيه بعد هذا أبداً .

مودة الرشيد إلى أم جعفر بشعر لها غنته فيه

وذُكر أنه أُهديت إلى الرَّشيد جاريةٌ فى غاية الجَمال والكمال، فخَلا معها يوماً، وأخرج كُلَّ قَينة فى داره، فاصطبح. وكان مَن حَضر من جواريه للغِناء والخِدمة فى الشَّراب زُهاء ألفَى جارية، فى أحسن زِيّ، من كُل نوع من أنواع الثياب والجَوهر. واتصل الخَبرُ بأُمّ جَعفر زُبيدة. فغَلُظ عليها ذلك. فأرسلت إلى عُلَيّة بنت المهدىّ تشكو إليها. فأرسلت إليها عُلية : لا يَهُولَنّك هذا، فوالله لأَرُدّنه إليك ؛ وقد عزمتُ على أن أصنع شعراً وأَصُوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارىّ، فلا يَبقى عندك جاريةٌ إلا بعثتِ بها إلىّ ؛ وألبسيهنَّ ألوان الثّياب ليأخُذْن الصوتَ مع جوارىّ. ففعلتْ أُم جَعفر ما أمرتْها به عُلَيَّة. فلما جاء وقتُ صلاة العَصر لم يشعُر الرشيدُ إلَّا وعُلية قد خرجتْ عليه من حُجرتها، وأُم جعفر من حُجرتها، معهما زُهاء ألفَىْ جارية من جواريهما وسائر جوارى القصر، عليهنَّ غرائب اللِّباس، وكُلّهن فى لحن واحد من صَنعة عُليّة :

مُنفصلٌ عنّى وما قلبىَ عنه مُنفصلْ
يا هاجرى[1] اليومَ لمن نويتَ بعدى أن تَصِلْ

فطَرِب الرشيدُ وقام على رِجْليه حتى استقبل أُمّ جعفر وأُختَه عُلية، وهو على غاية السُّرور. وقال : لم أَرَ كاليوم قطُّ ! يا مسرور، لا يَبقى فى بيت المال دِرْهم إلّا نثرتَه. فكان مَبْلغ ما نثره يومئذ ستةَ آلاف ألف درهم. وما سُمع بمثل ذلك اليوم قطُّ.

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يا قاطعى ».

الرشيد و جاريتان لما سمعهما عنـد ابراهيم الموصلى ثم عندهـا

وحُكى أنّ الرشيدَ أُشتاق إلى إبراهيم الموصلىّ يوماً ، فركب حماراً يقرُب من الأرض ، ثم أمر بعضَ خَدم الخاصّة بالسعى بين يديه . وخَرج من داره حتى دَخل على إبراهيم . فلما أحسّ به إبراهيمُ ، أستقبله وقبّـل رجلَيْه . وجلس الرشـيد ، فنَظر إلى مواضعَ قد كان فيها قومٌ قد مضَوْا ، ورأى عيداناً كثيرة . فقال : يإبراهيم ، ما هـذا ؟ فجعل يدافع . فقال : ويلك ! أصدُقنى . فقـال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتـان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظَريفتين — وكانت الجاريتان لعُليّـة ، بعثتْ بهما ليَطرح عليهما — فقال الرشيد لإحداها : غنِّى . فغنّت :

بنِى الحبُّ على الجوْر فـلو أنصف المعشوقُ فيـه لسَمُجْ
ليس يُسْتحسن فى وَصف[1] الهوى عاشقٌ يُحسن تأليفَ الحُجَج
لا تَعيـبنْ من مُحبٍّ ذِلةً ذِلّة العاشـق مِفْتاحُ الفَرج
وقليـل الحب صِرْفاً خالصـاً لك خيرٌ من كثيرٍ قد مُزِج

فأحسنت جدًّا . فقال : الرشـيد . يإبراهيم ، لِمن الشعر ؟ ما أملحـه ! ولمن اللحن ؟ ما أظرفه ! فقال : لا عِلْم لى . فسأل الجارية . فقالت : لستِّى . قال : ومَن سِتُّك ؟ قالت : عُلية أخت أمير المؤمنين . قال : الشـعرُ واللحن ؟ قالت : نعم . ثم أطرق ورفعَ رأسه إلى الأُخرى ، فقال : غنِّى . فغنّت :

تَحبّب فإنّ الحبّ داعيةُ الحب وكم من بعيدِ الدار مُستوجبُ القُربِ
تَبصّر فإنْ حُدِّثْتَ أنّ أخا هوًى نجا سـالماً فارجُ النَّجاة من الحب
إذا لم يكُن فى الحبّ سُخْطٌ ولا رِضًى فأين حلاواتُ الرّسائل والكُتْب

فسأل إبراهيمَ عن الغِناء والشعر . فقال : لا عِلْم لى يا أمير المؤمنين . فقـال

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فى حكم » .

للجارية : لمن الشعرُ واللحن ؟ فقالت : لسِتِّى . فقال : ومَن سِتُّك؟ قالت : عُلية أُخت أميرالمؤمنين . فوثب الرشـيد وقال : يإبراهيم ، أُحتفظ بالجاريتَيْن . ومضى فركب حِمَاره، وأنصرف إلى عُليـة فقال : قد أحببتُ أنْ أشربَ عندك اليوم . فتقدمتْ فيما تُصلحه . وأخذا فى شأنهما . فلما كان آخر الوقت حَمل عليها بالنبيذ ، ثم أخذ العُود من حِجر جارية ودَفعه إليها . فأكبرت ذلك . فقال : وتُربة المَهدىّ لَتُغنِّين . قالت : وما أُغنى ؟ فقال : غَنِّى :

* بُنى الُحب على الجور فلو *

فعلمتْ أنه قد وقف على القصّة ، فغنتّه . فلما أتت عليه . قال : غَنِّى :

* تَحبَّبْ فإن الُحبّ داعيةُ الحبّ *

فَلَجْلَجت ، ثم غنتّه . فقام وقبَّل رأسها وقال : يا سيدتى ، هذا عندك ولا أعلم! وتَمَّ يومَه عندها .

غنت الرشيد وكان معـه جعفر

وحَـكى محمد بنُ جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرمك قال :

شهدتُ أبى جعفراً ، وأنا صغـير ، يُحدِّث جدِّى يحيى بن خالد فى بعض ما كان يُخبره به من خَلَواته مع هارون الرشيد . قال: يا أبةِ ، أخذ بيدى أميرُ المؤمنين، ثم أقبل بى على حُجرة يخترقهـــا ، حتى أنتهى إلى حجرة مُغلقة ، ففَتحها بيديه ، ودَخلنا جميعاً ، وأَغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صِرْنا إلى رِواق ففَتحه ، وفى صَدره مجلسٌ مُغْلَق، فقعد على باب المجلس . فنقر الرشيدُ البابَ بيده نقرات . فسَمِعْنا حِسًّا . ثم أعاد النَّقر . فسمعْنا صـوتَ عُود . ثم أعاد النقر ثالثةً . فغنَّت جاريةٌ ، ماظننتُ والله أن الله خَلق مثلَها فى حُسن الغنا ءوجَودة الضَّرب . فقال أمير المؤمنين لها — بعد أن غنَّت أصواتاً — : غَنِّى صوتِى. فغنَّت صوته ، وهو :

ومُخَنَّثٍ شَهِدَ الزِّفافَ وقبـله غَنَّى الجوارىَ حاسراً ومُنقَّبا

لَبِس الدّلالَ وقام يَنقُر دُفَّه نَقْراً أقرَّ به العُيونَ وأطْربا
إنّ النِّساء رأينــه فعشِقْنه فشكون شِدَّة ما بهن فأكذبا

فطربتُ والله طرباً هممتُ معه أن أنطح برأسي الحائط . ثم قال لها : غنِّى :

* طال تــكذيبى وتصديقى *

فغنّت :

طال تكذيبى وتَصْديقى لم أجِدْ عهداً لمَخْلوقِ
إنّ ناساً فى الهوى غَدَروا حسَّنوا[1] نقْضَ المَوَاثيق

فَرقص الرشيدُ ورقصتُ معه . ثم قال : أُمض بنا فإنى أخشى أن يبدُوَ منّا ماهو أكثرُ من هذا . فمضينا ، فلما صِرْنا إلى الدِّهليز قال ، وهو قابض على يدى : أعرفتَ هذه المرأة ؟ قلتُ : لا ، يا أمير المؤمنــين . قال : فإنى أعلم أنّك ستسأل عَنها ولا تــكتُم ذلك ، وأنا أُخبرك بها : هذه عُلية بنت المهدى ! ووالله لئن لفظتَ بين يدَى أحــدٍ وَبلغنى لأقتُلنّك . قال : فسمعتُ جدِّى يقول له : فقد والله لفظتَ به ، ووالله ليقتُلنّك ! فاصنعْ ما أنت صانع .

تعقيب لابن واصل فى نكبة الرشيد للبرامكة

قلت : إنه بلغ من شدّة تقريب الرّشيد لجعفر — على ما حكاه الطبرى — أن الرشيد كانت له أختٌ أُخرى يقال لها العبّاسة بنت المهدىّ، وكان الرّشيد لا يَصبر عنها ولا عن جعفر ، فرأى تزْويجها لجعفر حتى يَحلَّ له النظرُ إليها عندما يجتمعان عنــده . فزوّجه إياها سرًّا . وكانا يَشربان معه . فشَربا يوماً معــه وثَمِلا، وقام الرشيدُ لحاجة له ، وكانت قــد أحبَّت جعفراً وأحبَّها ، فوَاقعها فحَبِلت منه . فلما وَضعت خافت الرشــيدَ . فسيَّرت الولدَ إلى مكة و بالغت فى كِتمان أمره . فنُمى خبرُه إلى الرشيد . فحجّ سنةَ سبع وثمانين ومائة ، فوقف على القضيّــة تحقيقاً . فــكان ذلك سبب إيقاعه بجعفر و نــكبته البرامكة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أحدثوا » .

وقد قيل فى سبب نَكبته لهم أمورٌ كثيرة غير هذا ، والله أعلم .

تأخرها فى الحج وغضب الرشيد عليها

وذُكر أنّ عُلية بنت المهدى حجّت فى أيام الرشيد . فلما انصرفت من الحج أقامت بِطيزَنَا باذ (١) أياماً ، فانتهى ذلك إلى الرشيد ، فغضب . فقالت عُلية :

أىُّ ذنبٍ أذنبته أىُّ ذنبِ   أىُّ ذنبٍ لولا رجائى لربِّى
بمُقامى بطيزَنَا باذَ يوماً   بعده ليلةٌ على غير شُرب
ثم باكرتُها عُقاراً شَمُولاً   تَفْتِنُ النّاسكَ الحليمَ وتُصْبِى
قَهوةً قَرْقفاً تراها جَهُولاً   ذاتَ حِلمٍ فرّاجةً كلّ كَرب

وصنعت فيه لحناً . فلما جاءت وسمع الشعرَ واللّحن رضى عنها .

حنينها إلى العراق ورد الرشيد لها إليه

وذُكر أنّ الرّشيد لمّا خرج إلى الرّى أخذ أخته عُلية معه ، فلما صار بالمَرْج (٢) عملتْ شِعراً وصاغت فيه لحناً ، وهو :

ومُغتربٍ بالمَرْجِ يَبكى لشَجْوِه   وقد غاب عنه المُسعِدون على الحُبِّ
إذا ما أتاه الرّكْبُ من نحو أرضهم   تَنشّق يَسْتَشفى برائحة القُرْب

فلما سمع الصوتَ علم أنّها اشتاقت إلى العِراق وأهلِها به ، فردّها .

غناؤها الرشيد فى يوم عيد فطر

وذُكر أنّ عُلية غنّت الرشيد فى يوم عِيد فطر :

طالتْ علىّ ليالى الصّوم واتصلتْ   حتى لقد خِلْتُها زادتْ على الأبَدِ
شوقاً إلى مجلسٍ يُزْهَى بصاحبه   أُعيذه بجَلال الواحِد الصَّمد

وذُكر أن عَريب غنّته للمُعتمد على الله . فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

تركها الغناء لموت الرشيد وعودتها إليه

وذُكر أنه لما تُوفى الرّشيدُ جَزِعت أُخته عليه جزعاً شديدا ، وتركت النّبيذ

(١) موضع نزه بين الكوفة والقادسية .
(٢) هو مرج القلعة ، بينه وبين حلوان منزل إلى جهة همذان .

والغناء ، فلم يزل بها محمد الأمين حتى عادت فيهما (١) على كُره ، وقالت فيه شعراً وعملت فيه لحناً ، وهو :

أَطَلْتِ عاذلَتى لَوْمِى وتَفْنيدى   وأنتِ جاهلةٌ شوقى وتَسْهيدِى
لا تَشْرب الراحَ بين المُسمعات وزُرْ (٢)   ظَبْيًا غريراً نقىَّ الخدِّ والجيد
قد رَنَّحته شَمُولٌ فهو مُنْجدِل   يَحكى بوَجْنته ماء العَناقِيد
قام الأمينُ فأغنى الناسَ كُلَّهمُ   فما فقيرٌ على حالٍ بمَوْجود

شعرها إلى أختها لبانة

وذُكر أنها كتبتْ يوماً إلى بنت أخيها لُبانةَ بنت علىٍّ بن المَهدىّ :

وحدّثنى عن مجلس كنتِ زَيْنَه   رسولٌ أمينٌ والنِّساء شُهودُ
فقلت له كُرَّ الحديث الذى مضى   وذِكْرَكِ من بين (٣) الحديث أريد

غنت هى وأخوها وزمر عليهما يعقوب

وحكت عَريب قالت :

أحسنُ يومٍ رأيته فى الدنيا وأطيبُه يومٌ أجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدى ، عند أُخته عُلية ، وعندها أخوها يعقوب بن المهدى ، وكان أحذَق الناس بالزَّمر . فبدأت عُلية فغنَّت من صَنعتها ، وأخوها يعقوب يَزْمُر عليها :

* تحبَّب فإنّ الحب داعية الحبّ *

وغنّى إبراهيم بن المهدى وزَمر عليه أخوه يعقوب :

لم يُنْسِنيك سُرورٌ لا ولا حَزَنٌ   وكيف لا كيفَ يُنْسَى وجْهُك الحسَنُ
ولا خَلا منك قَلْبى لا ولا جَسدى   كُلِّى بكُلِّك مَشْغولٌ ومُرْتَهن
يا واحدَ الحسن (٤) مالى منك مُذ كَلِفت   نَفسى بحُبِّك إلا الهَمُّ والحَزَن
نورٌ تولّدَ من شَمس ومِن قَمرٍ   حتّى تكامل فيه الرُّوح والبَدن

(١) فى بعض أصول الأغانى : « منهما » .
(٢) فى التجريد : « وذر » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ذاك » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «يا واحد الحب» .

فما سمعتُ مثلَ ما سمعتهُ منهما قط، وأعلم أنِّي لا أسمع مثله أبدا .

مولدها ومماتها

وذُكر أن عُلية بنت المهدى ولدت سنة ستّين ومائة، وتُوفيت سنة عشر ومائتين، فى خلافة المأمون، وعُمرها خمسون سنة. وكانت زوجة لموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس، وصلى عليها المأمون، وكان سَبب وفاتها أن المأمونَ ضمّها إليه وجعل يُقبّل رأسها، وكان وجهها مُغطًّى، فشرقت من ذلك وسعلت، ثم حُمّت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد

اسمه أحمد . وقيل : صالح . وأمه بَرْبَرِيّة . — اسمه وأمه

وكان مِن أحسن الناس وجهاً ومُجالسةً وعِشرة ، وأحدّهم نادرة ، وأشدّهم عَبثاً . وكان يقول شعراً طيّباً من مثله . — من خلقه وخلقه

وكان يُقال : انتهى جمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد ، ومِن أولاد الرشيد إلى محمد الأمين ، وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عَزم على الرُّكوب جلس له الناسُ حتى يروه ، أكثر مما كانوا يَجلسون للخُلفاء ، وكان حسنَ الغِناء .

وذُكر أن الرشيد قال لابنه أبي عيسى ، وهو صبيّ : ليت جمالَك لعبد الله المأمون ! فقال : على أنّ حظَّه منك لى ! فعَجِب من جوابه على صِباه ، وضَمّه إليه وقبّله . — هو وأبوه فى المأمون

وذُكر أنه شَهد المأمونُ ليلةً وهم يتراءَوْنَ هلالَ رمضان ، وأبوعيسى أخوه معه مُستلقٍ على قفاه ، فرأى المأمونُ ومن معه الهلالَ وجعلوا يَدْعون ، فقال أبو عيسى قولاً أُنكر عليه فى ذلك المعنى ، كأنه كان مُتسخِّطاً لُورود الشهر ، فما صام بعده . — هو والمأمون وشهر الصيام

وقيل إن أبا عيسى لما قال :

دَهانِىَ شهرُ الصَوم لا كان من شَهرٍ ... ولا صُمتُ شهراً بعده آخرَ الدّهرِ

فلو كان يُعْدِينى الإمامُ بقُدرةٍ ... على الشَّهر لاستعديتُ جهدى على الشّهرِ

ناله بعَقِب هذا القول صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع فى اليوم مرّاتٍ إلى أن مات، ولم يبلغ شهراً مثله .

عبثه مع طاهر فى حضرة المأمون

وذُكر أن أبا عيسى بن الرشيد، وطاهرَ بن الُحسين، كانا يَتغدَّيان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هِنْدباءة(١) فغمسها فى الَخلّ وضرب بها عينَ طاهرٍ الصحيحةَ، فغضِب طاهرٌ وشَقّ ذلك عليه وقال: يا أمير المُؤمنين، إحدى عَيْنىّ ذاهبةٌ، والأُخرى على يدى عَدْل، يُفعل بى هذا بين يديك! فقال المأمون: يا أبا الطيِّب، إنه والله ليَعبث بى أكثر من هذا العَبَث.

هو والمأمون ويعقوب بن المهدى

وذُكر أنّ المأمون بينا كان يخطُب يومَ الُجمعة على المِنبر بالرُّصافة، وأخوه أبو عيسى تِلقاءَ وجهه فى المَقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدىّ، وكان أفْسى الناسِ، قد عُرِف بذلك، فلما أقبل وضع أبو عيسى كُمه على أنفه، وفَهِم المأمون ما أراد، فكاد يَضحك. فلما انصرف بَعث إلى أبى عيسى فأحضره، وقال: والله لَهممتُ أن أبطحك وأضربَك مائةَ دِرّة، ويلك! أردتَ أن تَفضَحنى بين أيدى الناس يومَ الُجمعة وأنا على المِنبر! إياك أن تعود لمثل هذا!

يعقوب بن المهدى وداية له

قيل: وكان يعقوب بن المهدىّ لا يقدر أن يُمسك الفُساء إذا جاءه، فاتخذتْ له دايةٌ مُثلَّثةً وطيَّبتها وتنوّقت فيها. فلما وضعتْها تحته فسا. فقال: هذه ويلك ليست بطيِّبة! فقالت الدايةُ: فديتُك، قد كانت طيّبة وهى مثلّثة، فمُذ ربَّعتَها فسدت.

من حماقة يعقوب

وكان يعقوب هذا محمَّقاً، كان يخطُر بباله الشىء فيشتهيه، فيُثبته فى إحصاء خزائنه. فضجّ خازنهُ من ذلك، فكان يُثبت الشىء ثم يُثبت تحته أنه ليس عنده، وإنما أثبته ليكون ذكرُه عنده إلى أن يَملكه. فوُجد فى دَفتر له فيه ثَبَتُ ثياب: ثَبَتُ ما فى الخزانة من الثِّياب المثقّلة الإسكندرانية الهاشميّة لا شىء، أستغفر الله! بلى عندنا منها زِرٌّ من جُبَّة(٢) كانت للمهدىّ. الفُصوص الياقوت

(١) الهندباء: نبات كالخس عريض الورق.

(٢) هذه رواية التجريد. والزر: العروة. والذى فى غيره: «زرحية». وظاهر أن الصواب فيها: «زرجبة» كما فى التجريد.

الأحمر ، التى من حالها وقِصّتها كذا وكذا ، لا شىء . أستغفر الله ! بلى عندنا دُرْج(١) كان فيه للمهدىّ خاتَم هذه صِفتهُ . حُمِل هذا إلى المأمون ، فضَحِك لما قرأه حتى فَحص برجليه ، وقال : ما سمعتُ مثل هذا قطُّ !

من محبة المأمون له

وقيل : كان المأمون أشدَّ الناس حُبًّا لأبى عيسى أخيه ، وكان يُعِدّه للخلافة بعده ويُذاكر أصحابه ذلك . وقال يوماً : إنه ليَسْهُل علىّ أمر الموت وفَقْدُ المُلك ، وما يَسْهل شىء منهما على أحد ، ذلك لمحبّتى أن يَلى أبو عيسى الأمر من بعدى، لشدّة حُبّى إياه .

موته

وحكى أن سبب موته أنه كان يُحب صيدَ الخنازير ، فوقع عن دابّته فلم يَسْلَم دِماغُه . فكان يتخبّط فى اليوم مراتٍ حتى مات .

تعزية المهلبى للمأمون فيه

وحكى محمد بن عبّاد المُهلّبى قال :

لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ إلى المأمون وعمامتى علىّ، فخلعت عمامتى ونبذتُها ورائى ــ والخلفاء لا تُعزَّى فى العمائم ــ ودنوت . فقال لى : يا محمد ، حال القَدَر دون الوَطر . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كُلُّ مصيبةٍ أخطأتْك تهون ، فجعل الله الحزن لك لا عليك .

حزن المأمون عليه

وذُكر أنّ أبا عيسى توفى سنة تسع ومائتين . وصلّى عليه أخوه المأمون ، ونزل فى قبره ، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يضُرّ ذلك به .

وحكى القاضى أحمد بن أبى دُوَاد قال :

دخلتُ على المأمون فى أول صُحبتى إياه ، وقد تُوفى أخوه أبو عيسى، وكان له مُحبًّا ، وهو يبكى ويَمسح عينيه بمنديل ، فقعدتُ إلى جَنب عمرو بن مَسعدة وتمثّلتُ قول الشاعر :

(١) الدرج ، بالضم : سفيط صغير .

نَقصٌ من الدُّنيا وأسبابِهـــا نَقصُ المنايا من بـــنى هاشمِ

فلم يزل على تلك الحال ساعةً يبكى ، ثم مَسح عينيه وتمثّل :

سأبكيك ما فاضتدُموعى فإن تَغِضْ فَحسبُك منّى ما تُكِنّ(١) الجوانِحُ
كأنْ لم يَمُت حىٌّ سواكَ(٢) ولم تقُم على أحـدٍ إلّا عليـــك النَّوائح

ثم التفت إلىّ فقال : هيه يا أحمد ! فتمثّلتُ قول عَبْدة بن الطَّبيب :

عليك سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمتُه ما شـاء أن يـترحّمَا
تحيّـةَ مَن أوليتَه منـــك نعمةً إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سَلَّما
وما كان قَيْسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ ولـكنّه بُنيانُ قومٍ تهـدّما

فبكى ساعةً ثم التفت إلى عمرو بن مَسعدة فقال : هيــه يا عمرو ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين :

بَــكَّوا حُذيفةَ لم تُبـكوا مثلَه حتى تعودَ قبـائلٌ لم تُخلَقِ

قال : فإذا عَريبٌ وجوارٍ معها يَسْمَعن ما يدور بيننا ، فقالت : اُجعلوا لنا معكم فى القول نَصيباً . فقال المأمون : قُولى ، فُربّ صوابٍ منك كثير . فقالت :

(٣) كذا فَلْيجلّ الخَطْبُ وليَفْدحِ الأمرُ فليس لعَينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُـذْرُ
كأنّ بَنى العبّـــاس(٤) يوم وفاته نُجوم سمـاء خَرّ مِن بينها البَدْرُ

فبكى وبكينا . ثم قال لها المأمون : نُوحى به . فناحت وردّ عليها الجوارى . فبكا المأمونُ حتى قلتُ : حانت(٥) نفسه . وبكينا معه أَحَرّ بُكاء . ثم أمسكت .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما تجن » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ولم تتح » مكان « ولم تقم » .
(٣) هذا الشعر لأبى تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسى . وكان مقتله فى حرب كانت بينه وبين أصحاب بابك الخرمى سنة ٢١٤ هـ . وقد ذكره أبو الفرج وأخذ عنه ابن واصل أن أبا عيسى مات سنة ٢٠٩ هـ .
(٤) فى ديوان أبى تمام : « كأن بنى نبهان » . (٥) فى بعض أصول الأغانى : «خرجت» .

فقال لها المأمون : اُصنعى فيه لحناً وغنِّى فيه . فصنعتْ فيه لحناً على مَذهب النوح وغَنَّته إياه على العُود . فوالذى لا يُحْلَف بأعظم منه ، لقد بكَيْنا عليه غِناءً أكثر مما بكَيْنا عليه نَوْحاً .

أبو العتاهية يسلى المأمون عنه

وحكى عمرو بن مسعدة قال :

لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخل عليه أبو العتاهية فقال: حَدِّثنى يا أبا إسحاق بحديث بعض المُلوك ممّن كان فى مثل حالنا وفارقَها . قال : يا أمير المؤمنين ، لَبس سليمانُ بن عبد الملك أفخر ثيابه ، ومَسَّ أطيب طيبه ، وركب أفره خَيله ، وتقدّم إلى جميع مَن معه أن يركب فى مِثْل زِيّه وأكمل سلاحه ، ونَظر فى مِرآته فأعجبته نفسُه وهَيئته وحُسنه ، فقال : أنا الملك الشابّ ! ثم قال لجارية له : كيف تَرين ؟ فقالت :

أنت نِعْم المَتاعُ لو كنتَ تَبقى ... غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنت خِلْوٌ من العُيوب ومما ... يكره الناسُ غيرَ أنّك فانى

فأعرض بوجهه ، فلم تَدُر عليه الجُمعة إلا وهو فى قبره . قال : فبكى المأمون والناسُ ، فما رأيتُ أكثرَ باكياً من ذلك اليوم .

الشعر الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبارَ أبى عيسى بن الرشيد ، هو:

قام بقلبى وقَعدْ ... ظبىٌ نَفَى عنّى الجَلَدْ
خَلّفنى مُدَلَّهاً ... أَهيمُ فى كُل بَلَدْ
أَسْهرنى ثم رَقد ... وما رَثَى لى من كَمَدْ
ظبىٌ إذا اُزددتُ له ... تذلُّلاً تاه وصَدّ
واعطَشاً إلى فَمٍ ... يَمُجّ خمراً من بَرَدْ

أخبار عبد الله بن موسى

شىء عنه
وكان أضرَب الناس بالعُود ، وأحسَنهم غناء . وله شعرٌ .

شعره فى خادم لصالح بن الرشيد
فحكى سليمانُ بن داود ، كاتب أبى جعفر ، قال : كنتُ جالساً مع عبد الله ابن مُوسى الهادى فمرّ به خادمٌ لصالح بن الرشيد ، فقال له : ما أسمك ؟ فقال : أسمى « لا تسل » . فأعجبه حُسنه وحُسن منطقه . فقال لى : قُم بنا حتى نُسَرَّ اليومَ بذكر هذا البدر . فقمت معه ، ، فأنشدنى فى ذلك اليوم :

وشادنٍ مرّ بنا ... يجرح باللّحظ المُقَلْ
مَظلوم خَصْر ظالمٍ ... منه إذا يمشى الكَفَل
أعتدلت قامتُه ... واللحظُ منه ما عدَل
بدرٌ تراه أبدا ... طالِعَ سَعْدٍ ما أفَل
سألتُه عن أسمه ... فقال لى أسمى «لا تَسل»
وأطلعتْ فى وجنتيه ... وَردتان من خَجَل
فقلتُ ما أخطأ من ... سمّاك بل[1] نال الأمل
لا تسألن عن شادنٍ ... فاق جمالاً وكَمَل

وقال فيه أيضاً — وقيل إنه من هذه الأبيات :—

عزّ الذى نهوى وذَلّْ ... صبُّ الفُؤاد مُختَبلْ
جَدّ[2] به الهجرُ وذا الـ ... ـهجرُ إذا جَدّ[2] قتل

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « قال المثل » مكان « نال الأمل » .
(٢) فى غير التجريد : « لج » فى الموضعين .

من شادنٍ مُنتطِقٍ فاق جمالاً وكَمَل
تناصف الُحسن به فلا تَسل عن «لا تَسل»

لبعض الشعراء فى جوده

وذُكر عن عبد الله بن موسى أنه كان جواداً كريما مُمدَّحا، وفيه يقول الشاعر:

أعبدَ الله أنت لنا أميرُ وأنت من الزَّمان لنا مُجيرُ
حكَيت أباك موسى فى العَطايا إمامُ الناس والملكُ الكبير

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى لعبد الله فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخباره، هو :

تقاضاك دهرُك ما أسلفا وكَدّر عيشَك بعد الصَّفَا
فلا تجزعنّ فإن الزمانَ رهينٌ بتَشْتيت ما أَلَّفا
ولما رآك قليل[1] الهُموم كثير الهَوى ناعماً مُترَفا
ألحّ عليك برَوْعاته وأقبل يَرْميك مُستهدِفا

حديث موته

وذُكر أن عبد الله بن موسى الهادى كان مُعربِداً، وكان قد أعضل[2] المأمونَ مما يُعربد عليه إذا شرب معه، فأمر به أن يُحبس فى منزله فلا يخرجَ منه، وأُقعد على بابه حرساً. ثم تذممَّ من ذلك، فأظهر له الرِّضا وصَرف الحرس عن بابه. ثم نادمه فعرْبد عليه أيضاً، وكلّمه بكلام أحفظه. وكان عبد الله مُغرماً بالصيد، فأمر المأمونُ خادماً من خواص خدمه يقال له: حسين، فسمّه فى دُرَّاج وهو بموسَياباذ[3]. فدعا عبدُ الله بالعشاء، فأتاه حُسين بذلك الدُّراج، فأكله. فلما أحسّ بالسمّ ركب فى اللَّيل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروْننى. وأكل معه من الدُّراج خادمان، فأما أحدهما فمات من وقته، وأما الآخر فبقى مدة ثم مات. ومات عبدُ الله بعد أيام.

(١) فى غير التجريد : «وما زال قلبك مأوى» مكان «ولما رآك قليل».
(٢) أى أعياه. والرواية فى بعض أصول الأغانى : «أحفظ المأمون».
(٣) موسيا باذ : قرية من نواحى همذان. وأخرى بالرى، منسوبة إلى موسى الهادى، وهذه الأخيرة هى المرادة. (ياقوت). والذى فى بعض أصول الأغانى : «بمرسى أباد». تحريف.

أخبار عبد الله بن محمد الأمين

اسمه

هو عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد .

أم الأمين

وأم الأمين أمُّ جعفر زُبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور . واسمها أَمَةُ العزيز ، وزُبيدة لقبٌ غلب عليها . وكان جدُّها أبو جعفر المنصور يُرقِّصها وهى صغيرة — وكانت سمينةً حسنةَ البدن — فيقول : يا زُبيدة ! يا زبيدة ! فغَلب عليها ذلك .

أم عبد الله وشىء عنه

وأم عبد الله أم ولد . وكان ظريفاً غزلاً ، يقول شعراً ليِّناً ، ويَصنع فى الغناء صنعةً صالحةً ، وكان يُنادم الواثق ، ثم نادم بعده سائر الخلفاء إلى المعتمد . وله فى المعتمد :

رأيتُ الهلالَ على وجهكا ... فما زلتُ أدعو إلهى لكا
فلا زلتَ تحيا وأحيا معاً ... وآمننى الله من فَقْدكا

من شعره

ومن شعره :

يامَن به كلُّ خَلْقٍ ... تراه صَبًّا مُتيَّمْ
ومَن تجالَلَ تيهاً ... فما تَراه يُكلِّمْ
لاشىءَ أعجبُ عندى ... ممّن يراك فيَسْلَمْ

شعره إلى أبى نهشل فى جارية أراد شراءها

وذُكر أنه كان بين عبد الله بن محمد الأمين و بين أبى نَهْشل بن حُميد مودةٌ، فاعترض عبدُ الله جاريةً مغنيةً لبعض نساء بنى هاشم فأعطى بها مالاً عظيماً . فعرفت منه رغبةً فيها فزادت عليه فى السَّوم ، فتركها ليكسِرهم . فجاء أخٌ لأبى نَهشل فاشتراها وزاد . فتتبَّعتْها نفسُ عبد الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النُّزولَ عنها ، فسأله ذلك ، فوعده ودافعه ، فكتب عبدُ الله إلى أبى نَهشل :

يا بن حُميدٍ يا أبا نَهشلٍ مِفتاحَ باب الحَدَث المُقْفَل
يا أكرمَ النـاس ودادًا وأر عاهم لحقٍّ ضائعٍ (١) مُغْفَـل
أحسنتَ فى ودِّى وأجملتَ بل جُزْتَ فِعال المُحْسِن المُجْمِل
بيتُك فى ذى يَمَنٍ شامخٌ تَقْصُر عنه قُنَّتا (٢) يَذْبُل
خلَّفتَ فينا حاتمًا ذا النَّدى وجُدْتَ جَوْدَ العارض المُسْبِل
أىُّ أخٍ أنتَ لذى وَحْدةٍ تركْتَه بالعِزِّ فى جَحْفَل
نُجُومُ حظِّى منك مسعودةٌ فيما أُرجِّى لَسْنَ بالأُفَّل
فَصدِّق الظَّنَّ بما قُلتَه وسَهِّل الأمرَ به يَسْهُل
لا تحرِمنِّى ولديك المُنَى بالله صَيْدَ الرَّشأ الأَكْحل
رُميتُ منه بِسهام الهوى وما دَرى بالرَّمْى (٣) فى مَقْتَلى
أدْنيتَنى بالوعد فى صَيْده إدناءَ عَطْشانٍ من المَنْهَل
ثم تناسيتَ وأسلمتَنى إلى مِطَالٍ مُوحشِ المَنْزِل
تركتَنى فى لُجَّةٍ عائمًا لا أعرف المُدْبرَ من مُقْبِل
صَرِّح بأمرٍ واضحٍ (٤) بيننا لا خَيرَ فى ذِى لَبَس (٥) مُشْكل

فلم يزل أبو نَهْشَل بأخيه حتى نَزل له عنها .

وقيل :

كانت لعبد الله بن محمد الأمين ضيعةٌ بالسَّواد تُعرف بالعَمْرِيَّة ، فخرج إليها وأقام بها ثلاثًا (٦) ، فكتب إليه أبو نَهشل : بينه وبين أبى نهشل حين أقام بضيعة له

سَقَى الله بالعَمْرِيَّة الغيثَ منزلاً حللتَ به يا مُؤنِسى وأميرِى
فأنت الذى لا يَخْلُق الدهرَ ذِكرُه وأنت أخِى حقًّا وأنت سُرورِى

(١) فى غير التجريد : « مهمل » مكان « مغفل » . (٢) يذبل : جبل بنجد .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « ما الرمى » . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « بين » مكان « بيننا » . (٥) اللبس ، بإسكان ثانيه ، وحرك للشعر .
(٦) فى غير التجريد : « أياما » .

فأجابه عبد الله :

لئن كنتُ بالعَمْرية اليومَ لاهياً … فإنّ هواكم حيثُ كنتُ ضميرِى

فلا تحسبنِّى حيث كُنتُ(١) مُقصِّراً … وكُنْ شافِعِى مِن سُخْطكم ومُجيرِى

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وافتتح به الفرج أخبار عبد الله بن محمد الأمين، هو:

ألا يا دَيْرَ حَنْظلةَ المُفدَّى … لقــد أورثتنى سَقماً وكَدَّا

أُزُفُّ من الفُراتِ إليك(٢) زِقًّا … وأجعل تحته الوَرق المُندَّى

شيء عن دير حنظلة

وهذا الدير هو بالجزيرة . وصاحبه هو حَنظلة بن أبى عَفراء ، أحد بنى حيَّة الطائيين ، رهط أبى زُبيد ، ورهط إياس بن قَبيصة . وكان حنظلة هذا قد تعبَّد فى الجاهلية وتفكّر فى أمر الآخرة ، فتنصّر و بنى هذا الديرَ فعُرِف به . وهو القائل:

ومهما يكن رَيبُ الزمانِ فإننى … أرى قمرَ الليل المُعذَّب(٣) كالفتَى

يَهِلُّ صَغيراً ثم يعظُم ضَــوءه … وصُورته حتى إذا ما هو استوى

تقارب يَخبو ضَــوءه وشُعـاعُه … ويَمْصَح(٤) حتى يَسْتَسِرّ فلا يُرى

كذاك تمامُ(٥) المرء ثم انتقاصه … وتكرارُه فى دَهره بعد ما مَضى

نُصبِّح أهلَ الدار والدارُ زينةٌ … ونأتِى الجبالَ من شَماريخها العُلا

فلاذا غِنًى يُرجِئْن عن فَضل ماله … وإن قال أخِّرنى وخُذْ رِشوةً أبى

ولا عن فقــيرٍ يأتخرن لفقــره … فتنفعَه الشَّكوى إليهنّ إن شَــكا

(١) فى غير التجريد : فى هواكم » مكان « حيث كنت » .
(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره :
« أزف من العقار إليك دنا »
(٣) هذه رواية التجريد ومعجم البلدان (دير حنظلة) . وفى غيرها : « المغرب » .
(٤) يمصح : يذهب وينقطع .
(٥) فى غير التجريد : «كذلك زيد » .

أخبار علي بن الجهم

نسبه

هو عليّ بن الجَهم بن بَدْر بن الجَهْم بن مَسعود بن أَسيد بن أُذينــة بن كَرّاز ابن كَعب بن مالك بن عُتبة [١] بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سَامَة بن لُؤيّ بن غالب .

شيء عن سامة جده

هكذا يدَّعون . وقُريش تَدفعهم عن النَّسب وتُسمِّيهم : بنى ناجية ، يَنسبونهم إلى أُمهم ناجية ، وهى زوجة سامةَ بن لُؤى بن غالب . وكان سامة — فيما يقال — خَرج إلى ناحية البحرَيْن مُغاضِباً لأخيه كعب بن لُؤى فى مُماظَّةٍ [٢] كانت بينهما ، فطأطأتْ ناقتهُ رأسَها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العُشب بمِشْفرها ، فعَلق بمشفرها أفعى ، ثم عَطفته على قَتَبها فحــكَّته به ، فدبّ الأَفعى على القَتَب حتى نَهش ساقَ سامةَ فقتَله . فقال : أخوه يَرثيه :

عينُ جُودِى لسامةَ بن لُؤىّ   عَلِقَتْ سـاقَ سامةَ العَــلَّاقهْ
رُبَّ كأسٍ هَرقْتَها ابنَ لُؤىّ   حذرَ الموتِ لم تكن مُهْرَاقه

وقال مَن يَدْفع بنى سامة من نَسَّابِى قُريش : إنه كانت معه امرأتُه ناجيــة ، فلما مات تزوَّجت رجلاً من أهل البحرين، فولدت منه الحارث . ومات أبوه وهو صغير ، فلما تَرعرع طَمِعت أُمه فى أن تُلْحِقه بقُريش ، فأَخبرته أنه ابن سامةَ ابن لُؤى . فرحل من البحرَيْن إلى كَعب بن لُؤى ، وأخبره أنه ابن أخيه سامةَ ، فعَرف كعبٌ أُمَّــه وظنّه صادقاً فى دعواه ، فقَبله ومكث عنده مُدَّةً ، حتى قدم مكةَ رَكْبٌ من أهل البَحْرَين ، فرأوا الحارثَ فسلَّموا عليــه وحادثوه ساعةً ، فسألهم

---

(١) هذه رواية التجريد وابن خلكان . وفى غيرهما . «عيينة» .   (٢) المماظة : المخاصمة .

عنه كعب بن لُؤى ومن أين يعرفونه . فقالوا له : هـذا أبنُ رجلٍ من أهل بلدنا يقال له : فُلان ، وشَرحوا له خبَره . فنفَاه كعبٌ ونفَى أُمّه . فرجعا إلى البَحْرَين وكانا هناك . وتزوّج الحارثُ وأَعقب هذا العَقِب .

ورَووا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « عَمّى سامةُ لم يُعْقِب » . وأرتدّ بنو ناجية عن الإسـلام بعد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . ولمّـا وَلِى علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنـه الخلافةَ دعاهم إلى الإسلام ، فأَسلم بعضُهم وأقام الباقون على الردّة ، فسَباهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وأسترقّهم ، فأشتراهم مَصْقلةُ ، وأدَّى ثُلث ثمنهم وأشهد بالباقى على نفسه ، ثم أَعتقهم وهَرب من تحت ليلته إلى مُعاوية ، وصـاروا أحراراً ، ولَزمه الثمنُ . فهَدم علىٌّ رضى الله عنـه دار مَصقلة بالـكُوفة ، فلم يَدْخلها[1] مَصقلةُ حتى قُتل علىّ رضى الله عنه .

وأثبت الزُّبَير بن بَكّار نسَبهم فى قُريش . ورَدّ عليه أبو الفرج قولَه وقال : إنما فعل الزُّبير بن بكار ذلك لأنحرافه عن علىّ رضى الله عنـه وتَعصُّبه عليه ، فأثبت نَسب هؤلاء لعَداوتهم عليًّا رضى الله عنه . والله أَعلم بحقيقة ذلك .

صلته بالمتوكل

وكان علىّ بن الجَهم شاعراً فَصيحاً مَطبوعاً . وخُصّ بالمُتوَكل حتى صار من جُلسائه . ثم أَبغضه لأنّه كان كثيرَ السِّعاية إليه بنُدمائه و الذِّكْر لهم بالقبيح عنده ، فإذا خلا به عَرّفه أَنهم يَعيبونه ويَثْلبونه ويتَنقَّصونه ، فيَكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفَاه بعد أن حَبسه مُدة .

شعره فى هجاء آل أبى طالب

وكان علىٌّ بن الجهم يَنحو نحو مروان بن أبى حَفصة فى هِجاء آل أبى طالب وذَمّهم و الإغراء بهم ، وهو القائل :

ورافضـةٍ تقول بشِعْب رَضْوى إمامٌ خاب ذلك من إمامِ
إمامى[2] من له عشرون ألفاً من الأتراك مُشْرَعةُ السِّهـام

(١) أى الكوفة . (٢) فى غير التجريد : « إمام » .

هجاء البحترى له

وفيه يقول البُحْترىّ :

إذا ما حُصِّلتْ عُليـا قُرَيش فلا فى العِـير أنت ولا النَّفيرِ
ولو أعطـاكَ ربُّك ما تمَنَّى[1] لزاد الخَلقَ فى عِظَمِ الأُيور
علامَ هَجَوْت مُجتهِـداً عَليًّا بما لفَّقت من كَذِب وزُور
أما لكَ فى اُستِكَ الوَجْعاء شُغْلٌ يكُفُّك عن أَذَى أهل القُبور

بين أبى العينـاء وبينـه

وذُكر أن أبا العَيناء سمع علىَّ بن الجَهم يَطعن على علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنـه ، فقال له : أنا أدرى لِمَ تَطعن على علىّ أمير المؤمنين . فقال له : أَتعنى قصّة بَيعه أهلى من مَصقلة بن هُبيرة ؟ قال : لا ! أنت أَوضعُ من ذلك، ولـكن لـكونه قَتل الفاعلَ فِعل قوم لُوط والمفعولَ به ، وأنت أَسفلُهما .

حبس المتوكل له والقصة فى ذلك

وذُكر أنه كتب صاحبُ الخَبر إلى المُتوكل : إن الحَسن بن عبـد الملك ابن صالح اُحترق فمات . فقال علىُّ بن الجهم للمتوكل : قد بلغنى أنّ العاملَ قَتله ، وصانَع صاحبَ الخبر حتى كَتب بهذا — وكان يَسعى بالجُلساء إلى المتوكِّل — فأَبغضه وأَمره بأن يَلْزم بيتَه . ثم بلغه أنه هَجاه فحَبسه . فقال فى الحَبس أشعاراً كثيرة حسنةً . وأحسنُ شعر قاله فى الحبس قصيدتُه التى أولها :

قالت حُبستَ فقلتُ ليس بضائرى حَبْسى وأىُّ مُهنَّـدٍ لا يُغْمَدُ
أَوَما رأيتِ الليثَ يألف غِيـلَه كِبْراً وأوباشُ السِّـباع تَردَّد
والبدرُ يُدركه السِّرار[2] فَتنْجلى أيّامُـه وكأَنّه مُتجـدِّد
والشمسُ لولا أنّهـا محجوبةٌ عن ناظرَيْك لَمـا أَضاء الفَرْقد
والغيثُ يَحصُره السَّحاب[3] فمايُرى إلّا ورِّيقـه يَروع ويَرْعُـد

---

(١) الرواية فى ديوان البحترى :
ولو أعطاك ربك ما تمنى عليه لزاد فى غلظ الأيور
(٢) السرار ، بالفتح والكسر : آخر أيام الشهر .
(٣) فى غير التجريد : « الغمام » .

والزّاعبيّـةُ(١) لا يُـقيم كُعوبَهـا إلّا الثِّقافُ وجَمرةٌ(٢) تتوقّـد
والنـارُ فى أحجارها مَخبوءة لا تُصْطلَى إن لم تُثِرْها الأَزْنُد
والحَبْسُ ما لم تَغشَه لِدَنيّـةٍ شَـنعاءَ نِعْمَ المنزلُ(٣) المُتورَّد
بيتٌ يُجـدِّد للـكرام كرامةً ويُزار فيـه ولا يَزور ويُحْمَد
لو لم يكُن فى الحَبْس إلّا أنه لا يَستذِلُّك بالحِجاب الأعْبُد
كم من عَليـلٍ قد تَخطَّاه الرّدى فنجا ومات طبيبُه والعُوَّد
يا أحمـدُ بنَ أبى دُوَاد إنمـا تُدْعى لـكُلِّ عظيمة يا أحمـد
أبلغ أمـيرَ المُؤمنين فدُونه خَوْضُ الرّدى ومَخاوفٌ لا تَنفَد
أنتم بنو عَمِّ النبىِّ محمـدٍ أولى بمـا شَرَع النبىُّ مُحمـد
ما كان من كَرمٍ فأنتم أهـلُه كَرُمَت مَغارسُكم وطاب المَحْتِد
أَمِنَ السَّويّةِ يابن عَمِّ محمـدٍ خَصْمٌ تُقرِّبه وآخرُ تُبْعِـد
إنّ الذين سَـعَوْا إليك بباطلٍ حُسَّادُ نِعمتِك التى لا تُجحَـد
شَهِدوا وغِبْنا عنهمُ فتحكّمـوا فينا وليس كغائبٍ مَن يَشهد
لو يَجمع الخُصماءَ عنـدك مَجلسٌ يوماً لبان لك الطريقُ الأقصد
فبأىِّ جُرمٍ أصبحتْ أعراضُـنا نَهْباً تَقسَّمها اللئيمُ الأوغـد

صلب المتوكل له وشعره فى ذلك

وذُكر أنه لما حُبس علىّ بن الجَهم ما زال أعداؤه يُوغِرون صدر المتوكِّل عليه، وقالوا للمتوكل: إنه يَهجوك! فتقدَّم بنَفْيه إلى خُراسان، وكتب إلى عامله بخُراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحُسين بأن يصلب ابنَ الجهم، إذا وَردها يوماً إلى الليل. فلما وصل علىُّ بن الجَهم إلى الشَّاذياخ(٤) حَبسه بها، ثم أُخرج فصُلب يوماً إلى اللَّيل مُجرَّداً، ثم أُنزل. فقال فى ذلك:

(١) الزاعبية: رماح تنسب إلى رجل من الخزرج، يقال له: زاعب، كان يعمل الأسنة.
(٢) فى غير التجريد: «وجذوة». (٣) المتورد: الذى يزار ويورد.
(٤) الشاذياخ: من ضواحى نيسابور، كانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين، فبنى هو بها، ثم عمرت حتى اتصل بناؤها بنيسابور. (ياقوت).

لم يَنْصِبوا بالشّاذياخ عَشِيَّة الْ إثنين مَسبوقاً ولا مجهولَا
نَصبوا بحَمد الله مِلْء قُلوبهم شرَفاً ومِلْء صُدورهم تَبْجيلا
ما أزداد إلا رفعةً بنُكوله وأزدادت الأعداء عنه نُكولا
ما كان[1] إلا اللَّيْثَ فارق غِيلَه فرأيتَه فى مَحْمِلٍ محمولا
لا يأمن الأعداء من شَدّاته شَدًّا يُفصِّل هامَهم تفْصيلا
ما عابه أن بُزّ عنه لباسُه فالسيفُ أَهْولُ ما يُرى مَسْلولا
إن يُبتذل فالبدرُ لا يُزْرِى به أن كان ليل تَمامه[2] مَبْذولا
أو يَسْلُبوه المالَ يَحزُنْ فقدُه ضيفاً ألَمَّ وطارقاً ونَزيلا
أو يَحْبِسُوه فليس يُحْبَسُ سائرٌ من شِعره يَدعُ العزيزَ ذليلا
إنّ المصائب ما تعدَّتْ دينَه نِعَمٌ وإن صَعُبت عليه قَليلا

وذُكر أنّ المُتوكِّل كَتب إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علىّ بن الجَهم ، فلمّا أطلقه قال له أبنُ الجهم : شعره فى طاهر لما أطلقه المتوكل

أطاهرُ إنِّى عن خُراسانَ راحلُ ومُستَخْبَرٌ عنها فما أنا قائلُ
أأصدُق أم أَكنى عن الحق[3] أيُّما تخيَّرتَ أدَّتْه إليك المَحافل
وسارت به الرُّكبانُ وأصطفقت به أكُفُّ قِيانٍ وأجتَبَتْه القَبائل
وإنِّى بغالِى الحمد والذمِّ عالمٌ بما فيهما نامِى الرميّة[4] ناضِل
وحقًّا أقول الصِّدْق إنى لمائلٌ إليك وإن لم يَحْظ بالوُدِّ مائِل
ألَا حُرمةٌ تُرْعَى ألا عَقْدُ ذِمةٍ لجارٍ ألا فِعْلٌ لقَوْلٍ مُشاكل
ألا مُنْصِفٌ إن لم تَجِد مُتفضِّلاً علينا ألا قاضٍ من النّاس عادِل
فلَا تَقْطعنْ غيظاً علىّ أناملاً فقَبلك ما عُضَّت علىّ الأنامِل

(١) فى غير التجريد : « هل كان » .
(٢) فى غير التجريد : « ليلة تمه » . (٣) فى غير التجريد : « الصدق » .
(٤) نامى الرمية ، التى تصيبها فتموت بعيدة عنك . وناضل : غالب فى الرمى .

أطاهرُ إنْ تُحسن فإنّىَ مُحْسنٌ إليك و إن تبْخَـل فإنّىَ باخِل

فقال له طاهر : لا تَقُل إلا خيراً ؛ فإنّى لا أفعـــل بك إلا ما تُحب . ووصله وكَساه .

شعره فى قينة

وذُكر أنّ علىّ بن الجَهم كان فى مجلس فيه قَينة ، فعابثها وجَمَّشها . فباعدته وأعرضت عنه ، فقال :

خَفِى[1] اللهَ فيمن قد تَبَلَتِ فُؤادَه وغادرْته نِضْواً كأنّ به وَقْرَا

دَعِى البُخلَ لا أسمعْ به منك إنما سألتُك أمراً ليس يُعرِى لكم ظَهْرَا

فقالت له : صدقت يا أبا الحسن ! هـذا أمرٌ ليس يُعرِى لنا ظهراً ، ولكنه يملأ لنا بَطْنا .

شعره فى علة المتوكل بعد ما ضرب جاريته قبيحة

وحَكى علىٌّ بن الجهم قال :

دخلتُ على المُتوكل ، وقد بلغنى أنه كَلَّمَ قَبِيحةَ جاريتـه ، فأجابتْه بشىء أغضبه ، فرَماها بمِخَدَّة فأصابتْ عينَها فأثَّرت فيها . فتأوَّهت و بكت ، و بكى أبنه المُعتز لبكائها . فخَرج المُتوكل وقد حُمّ من الغم والغَضب . فلما بصُر بى دعانى ، و إذا الفَتح[2] يُرِى بَخْتِيَشوع القارورة و يُشاوره فيهـا . فقال لى : قُل فى عِلّتى هذه شيئاً وصِفْ أنّ الطّبيب ليس يَدرى ما بى . فقلتُ :

تنكَّر حال عِلّتىَ الطبيبُ وقال أَرى بجسمك ما يَرِيبُ

جَسَسْتُ العِرْقَ منك فَدل جَسِّى على أَلَمٍ له خَــبَرٌ عَجيب

فما هـذا الذى بكَ هاتِ قُلْ لى فـكانَ جوابَه مِنِّى النَّحيب

وقلتُ : أيا طبيبُ ، الهجرُ دائى وقلبى يا طبيبُ هو الكئيب

فحرَّك رأسَــــه عَجباً لقولى وقال الحُب ليس له طَبيب

(١) كذا فى التجريد والأغانى . والخطاب للواحدة .

(٢) هو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل .

وأعجبنى الذى قد قال جـدًّا فقلتُ بلى إذا رَضِى الحبيب
فذاك[١] هو الشِّفـاء فلا تُقصِّر فقلتُ أجل ولـكنْ لا يُجيب
ألاَ هل مُسْعِدٌ يَبكى لشَجْوى فإنِّى هائمٌ فَرْدٌ غـريب

فقال : أحسنتَ وحيانى ! يا غُلام أسقنى قَدَحاً . فجاءه بقَدَحٍ فشرِب، وسُقِيت الجماعةُ مثلَه . وخَرجت إليه فَضْلُ الشاعرةُ بأبياتٍ أمرتْها قَبيحةُ أن تقولها عنها . فقرأها فإذا هى :

لأَكتُمنّ الذى فى القلب من[٢] غُصَص حتى أموت ولم يَعْلَمَ بىَ النـاسُ
ولا يقال شَكا مَن كان يَعْشقه إنّ الشَّكاة لِمن تَهْوَى هى الياس
ولا أبوح بشىء كنتُ أكتُمـه عند الجَليس[٣] إذا ما دارت الكاس

فقال المتوكل : أحسَنتِ يا فَضْلُ ! وأمر لى ولها بعشرين ألفَ دِرهم ، ودَخل إلى قَبيحة فصالحها[٤] .

من شعره

ومن رقيق شعر ابن الجهم :

أَعلمِى يا أحبَّ شىء إليَّـا أنّ شوقى إليكِ قاضٍ عليَّـا
إنْ قَضى الله لى رُجوعاً إليكم لا ذكرتُ الفِراق مادمتُ حيًّا
إنّ حَرَّ الفِراق أنحلَ جِسمى وكوى القلبَ منكِ بالشّوق كيَّا

شماتته بالرخجى وشعره فى ذلك

وذُكر أن علىّ بن الجهم كان سأل عُمر بن الفَرج الرُّخَّجى[٥] معاونَتـه ، واسترفده فى نَكبته ، فلم يُعاونه ولم يَرْفِده . ثم قَبض المُتوكل على عُمر بن الفَرج وأَسْلم إلى نَجاح[٦] ليُصادره . فقال علىّ بن الجهم له :

(١) فى غير التجريد : « فقال هو » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « حرق » مكان « غصص » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى: « الجلوس » .
(٤) فى بعض أصول الأغانى: « فترضاها » .
(٥) كان هو وأبوه فرج من أعيان الكتاب أيام المأمون وأيام المتوكل .
(٦) هو نجاح بن سلمة ، كان على ديوان التوقيع أيام المتوكل .

أَبلغْ نَجاحاً فتى الفِتْيان[1] مَأْلُكةً ... تَمضى بها الرِّيحُ إصداراً و إيرادَا
لن يَخرج المالُ عَفواً من يدَىْ عُمَرٍ ... أو يُغمَدَ السيفُ فى فَوْديه إغمادا
الرُّخَّجيُّون لا يُوفون ما وَعدوا ... والرُّخَّجيّاتُ لا يُخْلِفن مِيعادا

وقال فيه أيضاً :

جمعتَ أمرَيْن ضاع الحزمُ بينهما ... تِيهَ المُلوك وأفعالَ المَماليكِ
أردتَ شُكراً بلا بِرٍ[2] ومَرزِئةٍ ... لقد سلكتَ طريقاً غير مَسْلوكِ
ظَننْتَ عِرْضَك لا يُرْمَى بقارعةٍ ... وما أُراكَ على حالٍ بمَتروكِ

استشفع نديم لسليمان بشعره

وذُكر أنه كان لسُليمان بن وَهب نديمٌ يأنس به ، فعَربد عليه ليلةً من اللَّيالى عربدةً قبيحةً ، فاُطَّرحه وجفاه مُدةً . فوقف له على الطريق ، فلما مرَّ به وثب إليه وقال له : أيها الوزير ، ألاَ تكون فى أمرى كما قال علىّ بن الجَهم :

القومُ إخوانُ صِدْقٍ بينهم نَسبٌ ... من المودَّة لم يُعْدَلْ به نَسبُ
تراضعُوا دِرَّةَ الصَّهباء بينهمُ ... فأوجبوا لِرَضيع الكأس ما يَجِب
لا تَحفظنّ على السَّكران زَلَّتَه ... ولا تَريبك من أخلاقه رِيَب

فقال له سليمان : قد رضيتُ عنك رضًى صحيحاً ، فعُد إلى ما كنتَ عليه من مُلازمتى .

وأول هذه الأبيات :

الوَردُ يَضحك والأوتارُ تَصطخبُ ... والنَّايُ يَندُب أشجاناً و يَنْتَحِبُ
والرَّاحُ تُعرَض فى نَوْر[3] الربيع كما ... تُجلَى العَروس عليها الدُّرُّ والذَّهب
وكلّما اُنسكبت فى الكأس آونةً ... أقسمتُ أنّ شُعاع الشَّمس يَنْسكب

(١) مألكة : رسالة . (٢) المرزئة ، من رزأه ماله : إذا أصاب منه خيراً .
(٣) فى التجريد : « ثوب » .

وذُكر أن علىّ بن الجهم دخل على عبد الله بن طاهر بن الُحسين يوماً فى غُدوة من غُدوات الربيع ، وفى المساء غَيم رقيق ، والمطرُ يجىء قليلا و يسكن قليلا ، وقد كان عبد الله بن طاهر عَزم على الصَّبوح ، فغاضبته حَظيَّةٌ له ، فتنغص عليه عَزْمُه وفتر . وخُبِّرعلىّ بن الجهم بالخبر، وقيل له : قُل فى هذا المعنى شيئاً لعلّه يُنشّط الأمير للصَّبوح . فأنشده :

أَمَا ترَى اليومَ ما أحلَى شمائلَه صَحوٌ وغَيْمٌ و إبراق و إرعادُ
كأنّه أنتَ يا مَن لا شبيه لَه وَصْلٌ وهَجْرٌ وتَقريبٌ و إبعاد
فباكِرِ الرّاح واْشرَبْها مُعتَّقةً لم يَدَّخر مِثْلَها كِسْرَى ولاعاد
واْشربْعلى الرّوض إذلاحت زَخارفُه زَهرٌ ونَوْرٌ وأوراق وأوْراد
كأنّما يومُنا فِعلُ الحبيب بنا بَذْلٌ وبُخل و إيعادٌ وميعاد
وليس يَذهب عنِّى كلُّ فعلكمُ رُشدٌ وغَىٌّ و إصلاحٌ وإفساد

فاْستحسن الأبياتَ ، وأمر له بثلثمائة دينار . وحَمله وخَلع عليه ، وأمر بأن يُغنّى فى الأبيات .

شعره فى سبب جلوسه على المقابر

وحكى رجلٌ من أهل خُراسان قال :

رأيت علىّ بن الجهم ، بعد أن أُطلق من محبسه ، جالساً على المَقابر ، فقلت له : ما يُجلسك ها هنا ؟ فقال :

يَشتاق كُلُّ غريبٍ عند غُربته ويذكر الأهلَ والجِيرانَ والوَطنَا
وليس لى وطنٌ أمسيتُ أذكره إلّا المقابر إذ كانت لهم[1] سَكنا

شعره فى هجاء ابن الرشيد لبخله

وذُكر أن علىّ بن الجهم مَدح أبا أحمد بن الرشيد ! فلم يُعطه شيئاً فقال يهجوه :

(١) فى غير التجريد : « إذ صارت لهم وطناً » .

يا أبا أحمـــدَ لا يُنـ جِي من الشِّعر الفِرارُ
لبنى العبّاس أحـلا مٌ عِظـــامٌ ووَقار
ولهم فى الحرب إقــدا مٌ ورأىٌ واُصـطبار
ولهم ألســـنةٌ تبـ رِى كما تبرى الشـفار
ووجـوهٌ كنُجوم الْـ لَيل تهدِى من يحَار
ونَسِيمٌ كنَسيم الرَّ وض جادتْه القِطـار
ولِعِطْفيك عن المَجـ دِ شِمـــاسٌ وازْوِرار
إن تـكن منهم بلا شـــكٍّ فللعُود (١) قُتَار

رثاؤه عبد الله ابن طاهر

وحكى عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

دَخل إلينا علىٌّ بن الجهم بعقِب موت أبى ، والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين ، فمثل قائماً وأنشد يرثيه :

أىُّ رُكْنٍ وَهَى من الإسلامِ أىُّ يومٍ أخْنَى على الايّامِ
جَلّ رُزْء الأَمير عن كُلِّ رُزْءٍ أدركتْه خواطرُ الأوهـام
سَلَبتنـا الأيّام ظِلاًّ ظَليـلاً وأباحتْ حِمًى عزيزَ المَـرام
يا بَنى مُصْعبٍ حَللْتم من النا سِ محلَّ الأَرواح فى الأَجسام
وإذا رابكم من الدَّهر رَيْبٌ عَمَّ ما خَصَّكم جميعَ الأنام
انظُروا هل تَروْنَ إلا دُموعاً شـاهداتٍ على قُلوبٍ دوامِى
من يُداوِى الدُّنيا ومن يكلأ المُلْـ ك لدى فادح الخطوب العِظام
نحن مِتنـا بموته وأجلُّ الـ خَطْبِ موتُ الساداتِ والأعلام
لم يَمُت والأميرُ طاهرُ حَىٌّ دائمُ الإنتقـام والإنعـام
وهو من بعده نظامُ المَعالى وقِوامُ الدُّنيا وسـيفُ الإمام

(١) القتار : ريح العود المحرق .

قال : فما أذكر أنّى بكيتُ أو رأيتُ فى دُورنا باكياً أكثر من يومئذ .

غناء عريب للمعتز بشعره

وحكى أبو الدِّهقانة النديم قال :

دخلنا يوماً على المُعتز، وهو مُصطبح على صوت أُختاره واقترحه على عَريب، وأظن الصنعة لها، فلم يَزل يشرب عليه بقيةَ يومه ، وأمر لها بثلاثين ألف دِرهم ، وفرّق على الجُلساء كُلِّهم الجوائز والطِّيب والخِلع . والصوتُ هو :

العينُ بعدك لم تنظر إلى حَسَن ... والنَّفسُ بعدك لم تسكُن إلى سَكَنِ
كأنّ رُوحى[1] إذا ما غبتَ غائبةٌ ... حتى إذا عُدتَ لى عادت إلى بَدَنى

والشعرُ لعلىّ بن الجَهم .

شعره إلى المتوكل من الحبس

وذُكر أنّ علىّ بن الجهم كتب إلى المُتوكل، وهو مَحبوس :

أَقِلْني أقالَكَ مَن لم يزَلْ ... يَقِيك ويَصْرِفُ عنك الرَّدَى
ويَغْذُوك بالنِّعم السابغات ... وليداً وذا مَيْعةٍ أمْردا
وتَجرى مقاديرُه بالذى ... تُرِيد[2] إلى أن بلغتَ المَدى
ويُعْلِيك حتى لو أنّ السماء ... تُنال لجاوزتَها مُصْعِدا
فما بين ربِّك جلّ اسمُه ... وبينك إلّا نبىّ الهُدَى
فشكراً لأنعُمه إنّه ... إذا شُكرت أنْعُمٌ[3] جدّدا
وعفوَك عن مُذْنبٍ خاضعٍ ... قَرَنْتَ المُقيمَ به المُقْعِدا
إذا ادَّرع الليلَ أفضَى به ... إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا
عفا اللهُ عنك ألا حُرمةٌ ... تَعُوذ بفضلك أن أبْعَدا
لئن جلّ ذنبٌ ولم أعتمد ... لأنت أجلُّ وأعلَى يَدا

(١) فى غير التجريد : « نفسى » . (٢) فى غير التجريد : « تحب » .
(٣) فى غير التجريد : « نعمة » .

ألم ترَ عبداً عــدَا طَوْرَه ومولًى عفا ورشيداً هَدى
ومُفْسِدَ أمْرٍ تلافيتَــه فعــاد فأصلح ما أفْسدا
فـلا عُدْتُ أعصيك فيما أمر تَ حتى أزور الثَّرى مُلْحَدا
وإلّا لخالفتُ ربَّ السماء وخُنتُ الصديقَ وعِبْتُ النَّدى(١)
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابن عمرٍو مُبيحِ العِيال لمن أولدا
يُـكثِّر فى البيت صِبيانَه يَغيظ بهم مَعشراً حُسَّدا

شعره فى الشماتة بابن أبى دواد

وكان علىّ بن الجهم قد استشفع بالقـاضى أحمد بن أبى دُواد إلى المتـوكل واستعان به ، فلم يُعِنه ولم يَشفع له . فلما أُطلق علىّ بن الجهم ، وأصـاب ابنَ أبى دُواد الفالجُ شَمِت به وأظهر ذلك له ، وقال فيه :

لم يَبْقَ منك سوى خيالك لامعاً فوق الفِراش مُوسَّداً(٢) بوسادِ
فرحتْ بمَصرعك البريةُ كلُّها مَنْ كان منهم مُوقِناً بمَعَاد
كم مجلسٍ لله قــد عطَّلته كى لا يُحـدَّث فيـه بالإسْنـاد
ولـكم مصابيحٍ فـمـا أطفأتَها حتى يزول من الطَّريق الهادى
ولـكم كريمةِ مَعشرٍ أرملتَهــا ومُحدِّثٍ أوثقتَ فى الأقياد
إنّ الأسارى فى السُّجون تفرَّجوا لمّا أتتك مواكبُ العُوَّاد
وغدا لمصرعك الطبيبُ فلم يجد شيئاً لدائك حيلةَ المُرْتاد
فذُقِ العذابَ مُعجَّلاً ومؤجَّلا واللهُ ربُّ العرش بالمِرْصاد

مما يغنى فيه من شعره

ومما يُغنّى فيه من شِعره :

نَطق الهوى بجوًى هو الحقُّ وملـكتنى فَليَهْنِكَ الرِّقُّ
رِفقـاً بقَلبى يا مُعـذِّ به رفقاً وليس لظالمٍ رِفْق

(١) فى غير التجريد : « وعفت » . (٢) فى غير التجريد : « ممهدا » .

وإذا رأيتك لا تُكلّمنى ضاقتْ علىّ الأرضُ والأُفْق

المنجم بينه و بين المتوكل بقصيدة مدحه بها

وحكى محمد بن عبد السلام قال :

رأيتُ مع علىّ بن يحيى المُنجّم قصيدةَ علىّ بن الجهم ، يَمدح المُتوكّل ويَصف الهارونىّ(١) . فقال له المُتوكل : يا أبا الحَسن، ماهذه القصيدة معك؟ فضَحك وقال: قصيدةٌ لعلىٍّ بن الجهم سألنى عَرْضَها على أميرالمؤمنين، فعرضتُها . فلما سَمع قولَه :

وقُبّة مُلْكٍ كأنّ النّجو مَ تُفْضى(٢) إليها بأسرارِهَا

تخِرّ الوفـودُ لهـا سُجّداً إذا ما تَجلّت لأَ نصـارها

وفَوّارة ثأرُهـا فى السماء فليست تُقَصِّر عن ثارها

تَرُدّ على المُزن ما أنزلت على الأرض من صَوْب مِدْرارها

فاستحسنها . فلما انتهيتُ إلى قوله :

تبوّأتُ بعدك قَعْر السُّجون وقد كنتُ أرثى لزُوّارها

غضب وتربّد وجهه ، وقال : هذا بما كسبت يداه ! ولم يَسمع تمام القصيدة .

حيلته فى إيصال قصيدة له إلى المتوكل من الحبس

وحكى عبدُ الله بن المعتز قال :

لما حَبس أميرُ المؤمنين المتوكلُ علىّ بن الجهم ، واجتمع الجلساء على عداوته وإبلاغِ الخليفة عنه كُلّ مكروه ووَصْفهم مساويه ، قال القصيدةَ التى يَمدحه فيها ويذكر حُقوقه عليه ، وهى :

عفا الله عنـك ألاَ حُرمـةٌ تعـوذ بفَضلك(٣) أن أبْعَدَا

وقد تقدّم ذكرُها . ووجّه بها مع بيدون الخادم . فدخل بها إلى قَبيحةَ ، وقال لهـا : إنّ علىّ بن الجهم قد لاذ بك ، وليس له ناصرٌ سواك ، وقد قصده هؤلاء

(١) الهارونى : قصر قرب سامراء ، ينسب إلى هارون الواثق بالله .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « تصغى » . (٣) فى غير التجريد : « بعفوك » .

النُّدماء والكتّاب ، لأنه رجل من أهل السُّنة وهم روافضُ ، فقد اُجتمعوا على الإغراء بقتله . فدَعت المعتز وقالت له : اُذهب بهذه الرُّقعة يا بُنىّ إلى سيِّدك وأَوْصلها إليه . فجاء بها ووقف بين يدَى أبيه . فقال له : ما هذا معك ؟ فديتُك ! فدنا منه وقال : هذه رُقعة دفعتْها إلىّ أُمى . فقرأها المُتوكل وضَحك ، ثم أقبل عليهم وقال لهم : قد أصبح أبو عبد الله — فديتُه — خصمَكم ! هذه رُقعة علىّ ابن الجهم يَستقيل[1] ، وأبو عبد الله شفيعُه ، وهو لا يُرد . وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله :

وإلا فخالفتُ ربَّ السماء　　وخُنتُ الصديقَ وعِبتُ النَّدى[2]
وكنت كَعزُّونَ أوكا بن عمرو　　مُبيحِ العيالِ لمن أوْلدا

وثب ابنُ حمدون وقال : يا سيدى ، مَن دفع هذه الرُّقعة إلى السيدة ؟ فقال . بيدون الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنتَ ! تُعادينا وتوصل رقعة عدوّنا فى هجائنا ! فانصرف بَيدون ، وقام المُعتز فانصرف . وجعل ابن حمدون يُنشد قولَه :

وكنتُ كَعزُّون أو كابن عمرو　　مُبيح العيال لمن أولدا

وهم يشتُمون ابن حمدون ويَضحكون ، والمتوكل يَضحك ويُصفِّق ويَشرب ، حتى سكر ونام . وسَرقوا قصيدَته من بين يدى المتوكل واُنصرفوا ، ولم يُوقِّع الخليفةُ بإطلاقه ونَسيه . فقالوا لابن حمدون : ويلك ! تُعيد هجاءنا وتَشْتمنا ! فقال : يا حَمْقى ، والله لو لم أفعل ذلكَ فيضحك ويشربَ حتى يَسكر وينام لوقَّع بإطلاقه ، ولوقَعْنا معه فى كُلّ ما نكره .

وذُكر أنه لما شاع فى الناس مذهبُ علىّ بن الجهم وشَرُّه وذِكْرُه كلَّ أحدِ بسوء من صديقه وعدوه ، تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام فى قافلة يَقصِد مقتله

---

(١) يستقيل : يطلب الإقالة من ذنبه والعفو عنه . (٢) فى غير التجريد : « وعفت »

حلب . فخرج عليه نفرٌ من الأعراب . فتسرَّع إليهم قومٌ من المُقاتلة[(١)] . وخرج فيهم علىٌّ بن الجهم. فقاتل قتالاً شديدا وهَزم الأعراب . فلما كان من الغد خَرج على القافلة خلقٌ كثير منهم . فتسرّعت إليهم المقاتلة [(١)] ، وخرج فيهم ، فأصابته طعنةٌ قتلتْه . فحكى الُحسين بن موسى قال : جئنا إليه فاُحتملناه وهو يَنْزف دمُه ، فلما رآنى بَكا وجعل يُوصينى بما يُريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا قَلِق قلقاً شديدا وأَحسّ بالموت ، فجعل يقول :

أَزِيدَ فى الليل ليــلُ ... أم سال بالصُّبح سَيْلُ
ذكرتُ أهل دُجيــل ... وأين منِّى دُجَيْــلُ

فأَبكى كُلَّ من كان فى القافلة ، ومات فى السَّحَر ،ودُفن فى ذلك المنزل على يوم من حلب.

آخر شعر له

وذُكر أن آخر شعر قاله :

يا رحمةً للغريب بالبلد النـ ... ـازح ماذا بنَفسه صَنعَا
فارق أحبابَه فما اُنتفعوا ... بالعَيش من بعده وما اُنتفعا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به الفرج أخبار علىّ بن الجهم ، هو :

هى النَّفس ما حمّلتها تتحمّــل ... وللدَّهر أوقاتٌ[(٢)] تجور وتَعْدِلُ
وعاقبةُ الصَّبر الجميــل جميلةٌ ... وأفضلُ أخلاقِ الرجال[(٣)] التفضُّل

(١) فى التجريد : « القافلة » .
(٢) فى غير التجريد : « أيام » .
(٣) فى غير التجريد : « التجمل » مكان « التفضل » .

أخبار أبى دلامة

اسمه وولاؤه

واسمه زَند بن الجَون . ومن الناس مَن يُصحِّف ويقول : زيد ، بالياء . وإنما هو بالنون . وهو أسود . وكان مولًى لبنى أسد ، كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له : فضافض [1] ، فأعتقه . وسُمى أبا دُلامة ، بجَبلٍ بمكة بأعلاها ، فسُمى بذلك، كانت قُريش تَئِد فيه بناتِهم .

بين الأمويين هو والعباسيين

وأدرك آخرَ أيام بنى أُمية ، ولم يكن له نَباهة فى أيّامهم ، ونبغ فى أيام بنى العباس فانقطع إلى أبى العبّاس السفّاح ، وأبى جعفر المنصور ، والمهدىّ ، وكانوا يُقدِّمونه ويُفضِّلونه ويَستطيبون مُجالسته ونوادره . وكان انقطع إلى رَوْح بن حاتم أيضاً فى بعض أيّامه . ولم يَصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبى دُلامة من المَنصور خاصة .

فساد دينه

وكان فاسدَ الدِّين ردىء المَذهب ، مُرتكباً للمَحارم مُضيِّعاً للفروض ، مُجاهراً بذلك . فكان يُعلَم هذا منه ويُعرف به فيُتجافَى عنه للُطْف محلِّه .

أول شعره

وكان أولُ ما حُفظ من شعره ، وأُسنيت الجائزة له به ، قصيدةً مَدح بها أبا جعفر المنصور ، وذَكر قَتْلَه أبا مُسلم صاحبَ الدَّعوة ، يقول فيها :

أبا مُسلم خَوَّفْتنى القتلَ فانتحَى ... عليك بما خَوَّفتنى الأسدُ الوَرْدُ

أبا مُسلم ما غيَّر اللهُ نعمةً ... على عبده حتى يُغيِّرها العبد

قيل : إنه أنشدها المنصورَ فى مَحْفل من الناس . فقال : احتكم ، فاحتكم [2]

---

(١) فى التجريد : « قصاقص » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « قال » مكان « فاحتكم » .

عشرة آلاف درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : أما والله لو تعدّيتها لقتلتُك.

هو والمنصور فى لبس السواد

وذُكر أن المَنصور كان أمر أصحابَه بلُبْس السواد وقلانسَ طِوال تُدْعم بعيدانٍ من داخلها ، وأن يُعلِّقوا السُّيوفَ بالمناطق ، ويكتبوا على ظُهورهم (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وهو السَّميع العليم) . فدخل عليه أبو دُلامة فى ذلك الزّى . فقال له المنصور : ما حالُك؟ قال : شرُّ حالٍ ، وجهى فى نِصفى وسيفى فى أُستى ، وقد صبغتُ بالسواد ثِيابى ، ونبذتُ كتابَ الله وراء ظَهرى . فضحك المنصور ، وأعفاه وحدَه من ذلك الزىّ ، وقال له : إيّاك أن يَسمع هذا منك أحد ! وقال أبو دلامة فى ذلك :

وكُنّا نُرجِّى منحةً من إمامنا (١) فجاءت بطُولٍ زاده فى القَلانسِ
تَراها على هامِ الرِّجال كأنها دِنانُ يَهودٍ جُلّلت بالبَرانس

هو والسفاح وقد سأله أشياء

وذكر أنّ أبا دُلامة وقف بين يدَى السّفّاح، فقال له السّفاح: سَلْنى حاجتَك. قال : كَلْب صَيد . قال : أعطوه إياه . قال : ودابّة أتصيّد عليها . قال : أعطوه . قال : وغُلام يقود الكَلب ويَصيد به . قال : أعطوه غُلاماً . قال : وجارية تُصلح لنا الصيدَ وتُطعمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عِيال ولا بُدّ لهم من دار يَسْكنونها قال : أعطوه داراً تجمعهم قال: إن لم تكن لهم ضَيعة فمن أين يَعيشون ؟ قال : قد أقطعتك مائةَ جريب (٢) عامرة ومائةَ جريب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نباتَ فيه . قال : قد أقطعتُك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فَيافى بنى أسد . فضحك وقال :

---

(١) الرواية فى غير التجريد :

وكنا نرجى من إمام زيادة فجاد بطول زاده فى القلانس

(٢) الجريب : نحو من ثلاثة آلاف ذراع وستمائة .

أجعلوا المائتين عامرة (١). قال : فأذن لى أن أقبّل يدك . قال : أمّا هذه فدَعْها، فإنى لا أفعل . قال والله ما منعتَ عِيالى شيئاً أقلّ عليهم ضرراً منها .

حديث شهادته لجارة له على أتان

وذُكر أن أبا دُلامة شَهد عند القاضى ابن أبى لَيلى (٢) لجارةٍ له على أتانٍ نازعها فيها رجلٌ . فلما فَرغ من الشهادة قال لابن أبى ليلى : اسمع قولى أولاً ثم اقض بما شئتَ . قال : هات . فأنشده :

إنِ الناسُ غَطَّونى تغطَّيتُ عنهمُ ... وإنْ بحثُوا عنِّى ففيهم مَباحثُ
وإن حَفروا بئرى حفرتُ بئارهم ... ليُعلم يوماً كيف تلك (٣) النَّبائث

فأقبل القاضى على المرأة فقال : أتبيعيننى الأتان ؟ قالت : نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال: ادفعوها اليها . ففعلوا . فأقبل على الرجل فقال : قد وهبتُها لك . وقال لأبى دلامة . قد أمضيتُ شهادتَك ولم أبحث عنك، وابتعتُ ممّن شهدتَ له ، ووهبتُ مِلكى لمن رأيتُ، أفرضيتَ ؟ قال : نعم . وانصرف .

هو والسيد الحميرى فى قبح ابنته ثم مع المنصور

وذُكر أنه اجتمع أبو دُلامة والسّيد الحِميْرى، إذ خرجتْ بنتٌ لأبى دُلامة ، فقال فيها أبو دُلامة :

فماولدتْكِ مريمُ أمّ عيسى ... ولا رَبّاك لُقمانُ الحكيمُ

وقال : أجز يا أبا هاشم . فقال السيد :

ولكن قد تَضُمّك أمُّ سَوْء ... إلى لَبّاتها وأبٌ لئيمُ

فضَحِك مَن حضر لذلك . ثم غدا أبو دلامة إلى المَنصور فأخبره بقصّته مع ابنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدها :

---

(١) الرواية فى غير التجريد : « اجعلوها كلها عامرة » .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، ولى القضاء على الكوفة ليوسف بن عمر ، ثم وليه بعد ذلك لبنى العباس .

(٣) النبائث : ما يستخرج من تراب البئر . يريد بها : خفايا الناس وعيوبهم .

لو كان يَقْعدفوق الشمس من كرمٍ قومٌ لقيل أُقعدوا يا آل عبّاسِ
ثم ارتقوا فى شُعاع الشمس كلُّكمُ إلى السماء فأنتم أكرمُ (١) الناس
وقدِّموا القائمَ المنصور رأسَكمُ فالعينُ والأنفُ والأذْنان فى الرّاس

فاستحسنها وقال له : بأىّ شىء تحبُّ أن أعينَك على قُبْح ابنتِك ؟ فأخرج خريطةً قد كان خاطها من الليل ، وقال : تملأ لى هذه دراهمَ . فمُلِئت ، فوَسِعت أربعةَ آلاف درهم .

شعره المنصور يعزيه فى السفاح وما كان بينه وبينه

وذُكر أنّه لما تُوفى أبو العبّاس السفّاح ، دَخل أبو دُلامة على المنصور ، والناسُ عنده يُعزونه ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمسيتَ بالأنبار يابنَ محمد لم تَستطع عن عُقْرها تحْويلاَ
وَيْلى عليك ووَيْل أهلى كلِّهم ويلاً وعَوْلاً فى الحياة طَويلا
فلتبكيَنّ لك النساءُ بعَبْرة ولَتبْكينّ لك الرجالُ عَويلا
مات النّدى إذ مُتَّ يابن محمد فجعلتَه لك فى التُّراب (٢) عَديلا
إنّى سألتُ الناس بعدك كلَّهم فوجدتُ أسمحَ مَن وجدتُ (٣) بَخيلا
ألِشقْوتى أُخِّرتُ بعدك للّتى تدع العزيزَ من الرِّجال ذَليلا
فلأحلفنّ يمينَ حقٍّ بَرّةً بالله ما أُعطيتُ بعدك سُولا

فأبكى الناسَ قولُه . وغَضب المنصور غضباً شديداً ، وقال : لئن سمعتُك تُنشد هذه القصيدة لأَقطعنّ لسانَك . قال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لى مُكرِماً ، وهو الذى جاء بى من البدو كما جاء الله تعالى بإخوة يوسف إليه ، فقُل كما قال يوسف : (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) . فسُرِّى عن المنصور ، وقال : قد أقلناك يا أبا دُلامة، فسَل

(١) فى غير التجريد : « أظهر » . (٢) فى غير التجريد : « فى الثراء » .
(٣) فى غير التجريد : « سألت » .

حاجتك . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ، ولم أَقْبضهما . فقال المنصور : ومَن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممّن حَضر . فقام سليمانُ بن مُجالد وأبو الجهم ، فقالا : صدق أبو دُلامة ، فنحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبى أيّوب الخازن ، وهو مَغيظ : يا سليمان ، أُدفعها إليه وسَيِّره إلى هذا الطاغية — يعنى عَمَّه عبدَ الله بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وكان قد خَرج عليه بالشام وأظهر الخلاف — فوثب أبو دُلامة وقال : يا أمير المؤمنين ، أُعيذك بالله أن أخرُج معهم ، فوالله إنى مَشئوم . فقال المنصور له : أُمض فإنْ يُمْنى يَغلب شُؤمك ، فاخرج . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أُحب لك أن تُجرِّب ذلك منِّى على مثل هذا العَسكر ، فإنِّى لا أَدرى أيُّهما يَغْلب : أشؤمى أم يُمنك ؟ إلّا أنّى بنفسى أوثقُ وأعرفُ وأطولُ تجربة . فقال : دَعْنى مِن هذا ، فما لك من الخُروج بُدّ . قال : فإنى أَصْدُقك الآن . شَهِدتُ والله تسعةَ عشر عسكراً ، كُلُّها هُزِمت وكنتُ سببَها ، فإنْ شئتَ الآن على بصيرة أن يكون عسكرُك العِشْرين فافْعل . فاستغرب أبو جعفر ضَحِكاً ، وأمر بأن يتَخلَّف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

وحَكى أبو دلامة قال :

ما كان منه مع روح فى حرب الشراة

أُتى بى المنصور — أو المهدىّ — وأنا سكران ، فحَلف ليُخرجنِّى فى بَعْثِ حرب . فأخرجنى مع رَوْح بن حاتم المُهلَّبى لقِتال الشُّراة[1] . فلما الْتقى الجَمْعان قلت لِرَوْح : أما والله لو أنّ تحتى فرسَك ومعى سلاحَك لأثَّرتُ اليومَ فى عدوّك أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك ولآخذنّك بالوفاء بشَرطك . ونزل ، ونزع عن فرسه ، ونَزَع سلاحَه ودفعهما إلىّ ، ودَعا بغيرهما واستبدل

---

(١) الشراة : الخوارج .

بهما . فلما حَصل ذلك فى يدى وزالت عنّى حلاوةُ الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلتُ بيتين فاسمعهما . قال : هات . فأنشدتُه :

إنى أستجرتُك أن أُقدَّم فى الوغَى ... لِتَطاعُنٍ وتنـــازُلٍ وضِرابِ
فهَبِ السُّيوفَ رأيتها مشهورةً ... فتركتُها وذهبتُ (١) فى الهُرّاب
ماذا تقول لِما يجىء وما يُرَى ... من بادرات (٢) الموت فى النُّشّاب

فقال : دع عنك هذا وستَعلم . وبَرز رجلٌ من الخوارج يدعو إلى المبارزة . فقال : والله لتخرُجَنّ . فقلتُ : أيها الأمير ، إنه أول يوم من الآخرة وآخرُ يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما تَنْبعث (٣) لى جارحة من الجوع ، فمُر لى بشىء آكله ثم أخرُج . فأمر لى برَغيفين ودَجاجة . فأخذت ذلك وبرزتُ عن الصفّ . فلما رآنى الشارىّ أقبل نحوى ، وعليه فَرْوٌ قد أبتلّ ، وأصابته الشمسُ فاقفعلّ (٤) ، وعيناه تَقِدان ، فأسرع إلىّ . فقلتُ له : على رِسْلك يا هذا ، أتقتُل مَن لا يُقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أفتستحلّ أن تقتُل رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت : أفتستحلّ ذلك قبل أن تدعو من تُقاتله إلى دينك ؟ قال : لا . فاذهب عنّى إلى لعنة الله ! قلت : لا أفعل أو تسمع منى . قال : قل . قلت : هل كان بيننا قطّ عداوة أو تِرةٌ ، أو تَعرفنى بحال تُحفظك علىّ ، أو تَعلم بين أهلى وبين أهلك وِتراً ؟ قال : لا والله . فقلت له : ولا أنا لك والله إلا على جَميل ، وإنّى لأهواك ، وأنتحل مَذْهبك ، وأدين بدينك ، وأريد السُّوء لمن أرادك . فقال : يا هذا ، جَزاك الله خيراً ، فانصرفْ . فقلت : إنّ معى زاداً أريد أن آكلَه معك وأريد مُؤاكلتك لتتأكّد المودةُ بيننا . قال : فافعل . فتقدَّمت إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابّنا وجَمعنا أرجلَنا على مَعارفها ، وجعلنا نأكل ، والناسُ قد غُلبوا ضَحِكاً . فلما استوفينا ودّعنى . ثم قلت له :

(١) فى غير التجريد : « ومضيت » .
(٢) رواية غير التجريد : « واردات » .
(٣) فى غير التجريد : « ما شبعت » .
(٤) اقفعل : تقبض .

إنّ هـذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المُبارزة ندبنى لك ، فتَتعب وتُتعبنى ، فإن رأيتَ ألّا تَبْرُز اليومَ فافعل . قال : قد فعلتُ . ثم انصرف وانصرفتُ . فقلتُ لرَوح : أما أنا فقد كفيتُك قِرْنى ، فقُل لغيرى يَكْفيك قِرْنه كما كفيتُك . فأمسك . وخَرج آخرُ يدعو إلى البراز . فقال لى : اُخرج إليه . فقلت :

إنِّى أعوذ برَوْح أن يُقرِّبنى[1] إلى القِتال فتَخْزَى بى بنو أَسَدِ
إنّ البرازَ إلى الأقران أعلمُه مما يفرِّق بين الرُّوح والجَسد
إنّ المُهلَّب حُبَّ الموت أورثكم وما وَرِثتُ اختيار الموت عن أحد
لو أنّ لى مُهجةً أخرى لجُدت بها لكنّها خُلقت فرداً فلم أجُد

فضحك وأعفانى .

هو وموسى بن داود لقد أراده على الحج

وذُكر أنه عَزم موسى بن داود بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس على الحجّ ، فقال لأبى دُلامة : حُجّ معى ولك عشرة آلاف درهم . فقال : هاتها . فدُفعت إليه . فأخذها وهَرب إلى السَّواد ، فجعل يُنفقها هناك ويَشرب بها الخَمر . وطَلبه موسى فلم يَقدر عليه . وحان وقتُ الحج ، فخَرج موسى ، فلما شارف القادسيَّة إذا هو بأبى دُلامة خارجاً من قَرية إلى أخرى وهو سكرانُ . فأمر بتقييده وأَخْذه وطَرْحه فى المَحْمِل . ففُعل ذلك به . فلما سار غيرَ بعيدٍ أقبل على موسى فناداه :

يأيها الناسُ قُولوا أجمعون معاً صلّى الإلٰه على مُوسى بن دَاوُدِ
كأنَّ ديباجَتَى خدَّيه مِن ذهبٍ إذا بدا لك فى أثوابه السُّود
إنى أعُوذ بداودٍ وأعظُمه مِن أن أُكلَّف حَجًّا يابن داود
خُبِّرت أن طريق الحج مَعْطشةٌ لقاصديه وما شُربى[2] بتصْريد

(١) فى غير التجريد : « يقدمنى » .
(٢) التصريد : الشرب دون الرى . والرواية فى غير التجريد : « من الشراب » مكان « لقاصديه » .

والله ما بِيَ[١] من أجرٍ فتطلبـه ... ولا الثنـاء على دِينى بمحمود

فقال موسى : أَلقُوه ــ لَعنه الله ــ عن المَحْمل ودَعُوه ينصرف . فأُلقى وعاد إلى حاله بالسواد حتى نَفِدت العشرةُ الآلاف .

هو والمنصور وقد أراده على صلاة الجماعة

وذُكر أنَّ أبا جعفر المَنصور كان يحب العَبث بأبى دُلامة ، وكان يسأل عنه فيوجد فى بُيوت الخمّارين وهو سكران لا فضلَ فيه ، فعاتبه على انقطاعه عنه ، فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَملَّنى . فعلم أنه يُحاجزه[٢] ، فأمر الربيعَ أن يُوكِّل به من يُحْضِره الصلواتِ الخَمْسَ معـه فى جماعةٍ فى الدار . فلما طال ذلك عليه قال :

ألم تَرَيَا أنَّ الخليفةَ لَزَّنى ... بمَسجده والقَصرِ مالى وللقَصْرِ

وقد صَدَّنى عن مجلس[٣] أستلِذّه ... أُعلَّل فيـه بالسَّماع وبالخمر

يُكلِّفنى الأُولى جميعاً وعصرَها ... فويلى من الأُولى وويلى[٤] من العَصْر

وقد كان فى قَومِى مساجدُ جَمَّةٌ ... ولم يَنْشرح يوماً لغِشيانها صدرى

ووالله ما لى نِيَّة[٥] فى صلاتكم ... ولا البِرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمرى

وما ضَرَّه والله يغفر ذنبَـه ... لو أنّ ذُنوبَ العالمين على ظَهرى

فبلغت المنصورَ الأبياتُ ، فضحك وقال : صـدق ! ما يضرنى والله ذلك ، ولا يُفلح هذا أبداً ، دعُوه يفعل ما يشاء .

حبسه المنصور لسكره فاستعفاه بشعر له

وقيل :

وقع العَسَسُ يوماً بأبى دُلامة وهو سكرانُ فخرقوا ثيـابَه وساجَه وأتَوا به المنصور ، فأمر بحبسه يوماً مع الدَّجاج . فلمّا أفاق من سُكره جعل يُنادى غلامَه

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ما فى » .

(٢) يحاجزه ، أى يتخلص منه وينتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه .

(٣) فى غير التجريد : « مسجد » . (٤) فى غير التجريد : « وعولى » .

(٥) فى غير التجريد : « فى صلاته » مكان « فى صلاتكم » .

مرةً وجاريته أخرى ، فلا يُجيبه أحدٌ ، وهو مع ذلك يسمع صوت الدَّجاج وصِياح الدُّيوك . فلما أكثر قال له السّجان : ما شأنك ؟ قال : ويلك ! من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : أنت فى الحَبس ، وأنا فلان السّجان . قال : ومن حَبسنى ؟ قال : أميرُ المؤمنين . قال : ومَن خَرق طَيْلسانى ؟ قال : العَسس . فطلب له من يأتيه بدواة وقِرطاس ، ففعل . فَكتب إلى المَنصور :

أمـيرَ المُؤمنين فدَتْك نفسى ... عَلَام حبستَنى وخَرقْتَ ساجِى
أمِن صَهباء[1] صافيةِ المِزاج ... كأنّ شُـعاعها لَهبُ السِّراج
وقد طُبخت بنـار الله حتى ... لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاج
تَهشُّ لها النُّفوس[2] وتَشتهيها ... إذا برزتْ تَرقرقُ فى الزُّجاج
أُقاد إلى السُّجون بغـير جُرم ... كأنِّى بعضُ عُمّـال الخَراج
ولو معهم حُبست لكان سهلاً ... ولـكنِّى حُبست مع الدَّجاج
وقد كانت تُخـبِّرنى ذُنوبى ... بأنِّى من عِقابك غيرُ ناجى
على أنِّى وإن لاقيتُ شَرّاً ... لَخيرك بعـد ذاك الشرِّ راجى

فدعا به فقال : أين حُبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدَّجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : كنت أُقَوْقِى معهنّ حتى أصبحتُ . فضَحك وخَلّى سبيـلَه ، وأمر له بجائزة . فلمـا خرج قال له الربيع : إنه قد شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أمَا سمعتَ قوله : « وقد طبخت بنار الله » ـ يعنى : الشمس ـ فقال أبو دُلامة : لا والله ، ما أردتُ إلّا نار الله المُوقـدة التى تَطَّلع على فؤاد الرَّبيع . فضَحك المنصور وقال : خُذها يا ربيع ولا تُعاود التعرُّض له .

خداعه المهدى بموت زوجته وخداع زوجته الخيزران بموته

وذُكر أنّ أبا دُلامة دَخل على المهدىّ وهو يبكى ، فقال : مالك ؟ فقال : ماتت أم دُلامة . وأَنشده لنفسه فيها :

(١) فى غير التجريد : « أمن صفراء » . (٢) فى غير التجريد : « القلوب » .

وكنا كزوجٍ من قَطاً فى مَفازةٍ لدى خَفْض عيشٍ ناضرٍ[1] مُونِقٍ رَغْدِ
فأفردنى رَيْبُ الزّمان بصَرْفه ولم أَرَ شيئاً قطُّ أوحشَ من فَرد

فأمر له بثياب وطيبٍ ودنانير ، فخرج . ودخلت أُم دلامة على الخَيزران وأعلمتْها أنّ أبا دُلامة قد مات . فأعطتها مثلَ ذلك وخرجت . فلما اُلتقى المهدىُّ والخَيزران عَرفا حِيلَتهما ، فجعلا يضحكان لذلك و يَعْجبان .

مداعبته عافية القاضى

وذُكر أنّ أبا دُلامة خاصم رجلاً فى داره ، فارتفعا إلى عافيةَ القاضى ، فأنشأ أبو دُلامة يقول :

لقد خاصمتْنى دُهاةُ الرِّجالِ وخاصمتُها سَنةً وافيهْ
فما أَدْحض اللهُ لى حُجَّةً ولا خَيَّب اللهُ لى قافيه
ومَن خِفْتُ من جَوْرِه فى القضاء فلستُ أخافُك يا عافيه

فقال له عافية : أمَا والله لأشكونّك إلى أمير المؤمنين ولأُعلمنّه أنك هجوتَنى . فقال : إذنْ والله يَعزِلَك . قال : ولِمَ ؟ قال لأنّك لا تَعرف المَديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصورَ ، فضحك وأمر لأبى دُلامة بجائزة .

طلب إليه المهدى أن يهجو فهجا نفسه

وذُكر أنّ أبا دُلامة دخل على المهدىّ ، وعنده جماعة من أهل بيته من بنى هاشم ، فقال له : أنا أُعطى الله عهداً لئن لم تَهْجُ لى واحداً ممّن فى البيت لأقطعن لسانك . فنظَر إليه القوم ، وكلما نظر إلى واحد منهم غَمزه بأنّ عليه رضاه . قال أبو دُلامة : فعلمتُ أنى قد وقعتُ ، وأنها عَزمةٌ من عَزماته لا بُدّ منها ؛ فلم أرَ واحداً أحقَّ بالهجاء منّى ، ولا أدعى إلى السلامة من هِجاء نفسى . فقلت :

ألَا أبلغ لديك أبا دُلامهْ فلستَ[2] من الكِرام ولا كَرامهْ

---

(١) فى غير التجريد : « ناعم » . (٢) فى غير التجريد : « فليس » .

إذا لَبِس العمامةَ قلت قِرْدًا وخِنْزيرًا إذا وَضع[1] العِمامه
جمعتَ دَمامةً وجمعت لُؤماً كذاك اللُّؤم تَتبعه الدَّمامه
فإنْ تكُ قد أصبتَ نَعيم دُنيا فلا تَفْرَح فقد دَنَت القِيامه

فضحك القومُ ، ولم يَبق منهم أحدٌ إلّا أجازه .

شعره فى المهدى وابن سليمان وقد خرجا للصيد

وذُكر أنّ المهدىّ خَرج إلى الصيد ، ومعه علىّ بن سليمان بن علىّ بن عبد الله ابن العباس ، فسَنح لهما قَطيع من ظباء ، فأُرسلت الكلاب وأُجريت الخيل ، فرَمى المهدىُّ سهماً فصَرع ظبياً ، ورمى علىّ بن سليمان سهماً فأصاب بعضَ الكلاب . فقال أبو دُلامة :

قد رَمى المهدىُّ ظَبياً شَكَّ بالسَّهم فُؤادَهْ
وعلىُّ بن سُليما ن رَمى كلباً فصَاده
فهنيئاً لكما كُـ لُّ أمرئٍ يأكُل زاده

فضحك المهدىُّ حتى كاد يسقُط عن سَرجه ، وقال : صَدق والله أبو دُلامة ! وأمر له بجائزة سَنيّة .

شعره للمنصور وقد أراد هدم بيته

وذُكر أن المَنصور كان قد أَطلق لأبى دُلامة داراً تُجاور قصرَه ، ثم أُحتاج إلى زيادة فى القَصر وهَدْم تلك الدار ، فَدخل عليه أبو دُلامة وأَنشده :

يابنَ عَمِّ النبىّ دعوة شَيخٍ قد دنا هَـدْمُ دارِه ودَمارُهْ
فهو كالماخض التى أُعتادها الطَّلْـ ـق فقرَّت وما يَقِرُّ قَـرارُه
إن[2] تحُزْ عُسْرَهُ بكفَّيْك يوماً فبكَفَّيْك عُسْرُه ويسارُه
أو تَدَعْـه فللبَوارِ وأَنَّى ولماذا وأنت حَىٌّ بَواره

(١) فى غير التجريد : « إذا لبس العمامة كان قرداً * وخنزيراً إذا نزع » .
(٢) فى التجريد : « إن تحن عسرة » .

هل يخاف الهلاكَ شاعرُ قومٍ قَدُمتْ فى مَديحهم أشعاره

لكُم الأرضُ كلُّها فأعيروا شيخَكم ما احتوى عليه جِداره

فكأنْ قد مَضى وخلَّف فيكم ما أعرتُم وأقفرتْ منه داره

فاستعبر المنصورُ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.

مداعبته المنصور فى جنازة بنت عمه

وذُكر أنه توفِّيت حَمّادة بنت عيسى بن علىّ، وحَضر المنصور جنازتها. فلما وقف على حُفْرتها قال لأبى دُلامة: ما أعددتَ لهذه الحُفرة؟ فقال: بنتَ عَمّك يا أميرَ المُؤمنين حمّادة بنت عيسى يُجاء بها الساعةَ فتُدْفَن فيها. فضَحِك المنصور حتى غُلب وسَتر وجهه.

سؤاله الخيزران جارية وحديث ذلك

وذُكر أن الخَيْزُران حجّت، فلمّا خرجتْ صاح أبو دُلامة: جَعلنى الله فِداكِ! الله الله فى أمرى! فقالت: مَن؟ قالوا: أبو دُلامة. قالت: سَلُوه ما أَمرُه. فقالوا: ما أمرُك؟ فقال: أَدْنُونى من مَحْمِلها. قالت: أَدْنُوه. فدنا، فقال لها: أيتها السيدة، إنى شيخٌ كبير وأجرُكِ فىّ عظيم. قالت: فمَهْ. قال: تَهَبين لى جاريةً من جواريك تُؤنسنى وترفُق بى وتُريحنى من عجوزٍ عِندى، قد أكلتْ رِفْدى[1]، وأطالت كدِّى، فقد عاف جِلْدى جلدَها، وتمنَّيتُ بُعْدَها، وتشوّقت فَقْدَها. فضحكت الخيزرانُ وقالت: سوف آمرُ لك بما سألتَ. فلما رجعت تلقَّاها وأَذْكرها، وخرج معها إلى بغداد، فأقام حتى غَرِض[2]، ثم دَخل على أُمّ عَبيدة، حاضنةِ الهادى والرَّشيد، فدَفع إليها رُقعةً قد كَتبها إلى الخَيْزُران، فيها:

أَبْلغى سيِّدتى بالله يا أُمَّ عَبيده

أنها أَرْشدها اللهُ وإن كانت رَشيده

(١) فى التجريد: «زندى». (٢) غرض: ضجر ومل.

وَعَدتْنى قبل أن تخـ ـرج للحجِّ وَليده
فتأنَّيتُ وأرسـلـ ـت بعشرين قَصيده
كلما أخلقْنَ أخلفـ ـتُ لها أخرى جَديده
ليس فى بَيتى لتمهيـ ـد فِراشى مِن قَعيده
غيرُ عَجْفاء عجوزٍ ساقُها مثلُ القَديده
وجهُها أقبحُ من حُو تٍ طَرِىٍّ فى عَصيده
ما حياةٌ مع أنثى مثلِ عِرْسى بسَعيده

فلما قُرئت عليها الأبيات ضحكت . ثم استعادت قولَه :

وجهها أقبح من حُو ت طَرِىٍّ فى عَصيده

فجعلت تَضحك . ثم دعت بجارية من جواريها فائقةٍ ، فقالت لها : خُذى كُلَّ مالك فى قصرى . ففعلت . ودعت ببعض الخَدم وقالت له : سَلِّمها إلى أبى دُلامة . فانطلق الخادم بها ، فلم يُصادفه فى منزله ، فقال لامرأته ، إذا رَجع فادفعيها له وقولى له : تقول لك السيدةُ : أحسنْ صُحبة هذه الجارية فقد آثرتُك بها . فلما خَرج دخل ابنها دُلامة ، فوجد أُمه تبكى ، فسألها عن خَبرها فأخبرته ، وقالت : إن أردتَ أن تبرَّنى يوماً من الدَّهر فاليوم . فقال : قولى ما شئتِ فإنِّى أفعله . فقالت : تدخل وتُعلمها أنك مالكها وتطؤها وتُحرِّمها عليه ، وإلا ذهبتْ بعَقله وجفانى وجفاك . ففعل ، ودَخل إلى الجارية فوَطئها ووافقها ذلك منه . وخرج ودخل أبو دلامة ، فقال لامرأته : أين الجارية ؟ فقالت : فى ذلك البيت . فدخل إليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهبٌ ، فمدَّ يده إليها وذهب ليقبِّلها . فقالت له : مالك ! ويحك ! تنحَّ وإلا لطمتُك لطمةً دققتُ بها أنفك . فقال : أبهذا أوصتْك السيدة ؟ فقالت : إنها بعثتْنى إلى فتًى من حاله وهيئته كَيت وكيت ، وقد كان عندى آنفاً ونال منّى حاجتَه . فعَلِم أنه قد دُهِى مِن أم دُلامة وابنها . فخرج إليه أبو دُلامة

فلَطمه وتَلَبَّب به[١] وحَلف ألّا يفارقَه إلا عند المهدىّ . فمَضى به مُلبَّباً حتى وقف على باب المهدىّ . فعُرِّف خبرَه وأنه قد جاء بابنه على تلك الحال . فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك ؟ ويلك ! قال : عَمِل بى هذا ابنُ الخَبيثة ما لم يَعمله ولدٌ بأبيه ، ولا يُرضينى إلّا أن تَقتله . فقال : ويلك ! مافعل ؟ فأخبره الخبر . فضَحك حتى استلقى ، ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعلُه فتضحَك منه ؟ فقال المهدىّ : علىّ بالسَّيف والنِّطع . فقال دُلامة : قد سمعتَ قولَه يا أمير المؤمنين فاسمع منِّى . قال : هات . قال : هذا الشَّيخ أصفقُ الناس وجهاً ، هو ينالُ من[٢] أمى منذ أربعين سنة ما غضبتُ ، ونلتُ[٢] أنا من جاريته مرة واحدة فغَضِب وصنع بى ما ترى . فضحك المهدىُّ أشد من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعها له يا أبا دلامة وأنا أُعطيك خيراً منها . قال : على أن تخبأها لى بين السماء والأرض ، وإلّا نال منها واللهِ كما نال من هذه . فتقدّم إلى دُلامة ألّا يُعاود مثلَ فعله ، وحَلف أنه إن عاود قتله . ووهب له جاريةً أُخرى كما وَعد .

أنشد المهدى يستوهبه بغلة

وذُكر أنّ أبا دُلامة أنشد المهدىَّ قصيدتَه المشهورة فى بَغلته التى يُضرب بها المثل ، يَهجوها ويذكر مَعايبها . فلما أنشده قولَه :

أتانى خائبٌ[٣] يستام منِّى	عَريقٌ فى الخَسارة والضَّلالِ
فقال تَبيعها قلت ارتبطْها	بحُكمك إن بَيْعى غير غالى
فأقبل ضاحكاً نحوِى سُروراً	وقال أراكَ سهلاً[٤] ذا جَمال
هُلُمَّ إلىّ يَخلو بى خداعاً	وما يَدْرى الشقىُّ بمن يُخَالى
فقلتُ بأربعين فقال أحْسِنْ	إلىّ فإن مثلَك[٥] ذو سِجال

(١) تلبب به ، أى أخذ بتلابيبه .
(٢) فى الأصل كلمة أصرح من هذه .
(٣) فى غير التجريد : « أتانى بغلة » .
(٤) فى غير التجريد : « سمحا » .
(٥) ذو سجال ، أى ذو مماكسة فى الثمن .

فأَتْرُكُ خمسةً منهـــا لعلمى بما فيه يَصير من الخَبال

فقال المهـدىّ : لقد أَفلتَّ من بَـلاء عظيم . فقال : والله يا أميرَ المُؤمنين لقد مكثتُ شهراً أتوقّع صاحبَها أن يَرُدّها . ثم أنشد :

فأَبْدِلْنى بها يا ربِّ[1] طِرْفاً يكونُ جمالُ مَرْكبـه جَمالى

فقال المهـدىُّ لصاحب دوابّه : خَيِّره مركو بَين[2] من الأُصـطبل . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان الأختيار إلىّ وقعتُ فى شرٍّ من البغلة ، ولـكن مُره أن يختار لى . فقال له : اُختَرْ له .

هو والمهدى فى بخل العبـاس

وذُكر أنّ أبا دُلامة دخل على المهدىّ فحادثه ساعةً وهو يَضحك ، فقال له : هل بَـقِى من أهلى أحدٌ لم يَصِلْكَ ؟ قال : إنْ أَمَّنتنى أخبرتُك ، و إن أعفيتَنى فهو أحبُّ إلىّ . فقـال : بل تُخبرنى وأنت آمن . فقال : كُلهم قد وَصلنى إلا حاتِمَ بنى العبّاس . قال : ومن هو ؟ قال : عمُّك العبّاس بن مُحمد . فالتفت المهدىّ إلى خادم واقف على رأسه وقال : جأْ[3] عُنُق العاضِّ بَظْر أمه . فلما دنا منه صاح به أبو دُلامة : تَنحَّ يا عبدَ السَّوْء لا تُحْنِث مولاك وتَنْـكُثْ عَهْده وأمانه ! فضحك المهدىُّ وأمر بالخادم فَتَنَحَّى عنه . ثم قال لأبى دُلامة : ويلك ! عمّى أبخلُ الناس . فقال أبو دلامة : بل هو أَسخى الناس . فقـال له المهدىّ : والله لو متَّ ما أعطاك شيئاً . قال : فإنْ أتيتهُ فأَجازنى ؟ فقال : لك بكُلّ درهم تأخذه منه ثلاثةُ دراهم . فانصرف أبو دلامة فحَبَّر للعبّاس بن محمد قصيدةً ، ثم غدا بها عليه فأنشده :

قِفْ بالدِّيار وأىَّ الدهرِ لم تَقفِ على المنـازل بين الظَّهر[4] والنَّجَفِ
وما وقوفُك فى أطـــلالِ منزلةٍ لولا الذى أُستدرجتْ من قلبِك الكَلِف

---

(١) الطرف : الكريم من الخيل . (٢) فى غير التجريد : « مركبين » .
(٣) الوجء : اللكز . (٤) الظهر والنجف : موضعان بالكوفة . و بالقرب من ثانيهما قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

إنْ كنتَ أصبحْتَ مشغوفاً بساكنها فلا وربِّك لا تَشْفيك من شَغَف
دَعْ ذا وقُلْ للذى قد فاز من مُضَرٍ بالمَكْرُمات وعِزٍ غيرِ[1] مُقْتَرَف
هذى رسالةُ شيخٍ من بنى أسد يُهدى السلامَ إلى العبّاس فى الصُّحُف
تَخُطها من جَوارى المِصْر كاتبةٌ قد طالما ضَرَبتْ فى اللّام والألف
حتى إذا نَهَد الثَّديان وامتلآ منها وخِيفَتْ على الإسْراف فى[2] القَرَف
صِينتْ ثلاثَ سنينٍ ما تَرَى أحداً كما تصون بِحارٌ[3] دُرَّةَ الصَّدف
فبينما الشيخُ يَهْوِى نحو[4] مَسجده مُبادراً لصلاة الصُّبح[5] بالسَّدَف
حانت له لَمحةٌ منها فأبصرها مُطلّةً بين سَجْفَيْها من الغُرَف
فخرَّ والله ما يَدْرى غداتئذٍ أخرَّ مُنكشِفاً أو غير مُنكشف
وجاءه الناسُ أفواجاً بمائِهمُ ليَغسِلوا الرجل المغشىَّ[6] بالنُّطف
وَوَسْوسوا بقُرانٍ فى مَسامعه مَخافةَ الجنّ والإنسانُ لم يَخَف
شيئاً ولكنّه من حُب جاريةٍ أمسى وأصبح[7] من موتٍ على شَرف
قالوا لك الويلُ ما أبصرتَ قلتُ لهم جِنِّيةً أقصدتْنى من بنى خَلَف[8]
أبصرت جاريةً مملوكةً لهمُ تطلَّعت من أعالى القَصر ذى الشُّرف
فقلتُ أيُّكمُ والله يأجُرُه يُعين قُوَّته فيها على ضَعَف
فقام شيخٌ بَهِىٌّ من رجالهمُ قد طالما خَدع الأقوامَ بالحَلِف
فابتاعها لى بألْفَىْ دِرْهمٍ وأتى بها إلىَّ وألقاها على كَتِفى
فبِتُّ ألثُمها طوراً وألزَمُها طوراً وأصنع بعضَ الشَّىء فى اللُّحُف

---

(١) مقترف : مكتسب . (٢) القرف : التهمة . (٣) فى غير التجريد : «يصون تجار» .
(٤) فى غير التجريد : « مجلسه » مكان « مسجده » . (٥) السدف : « الظلمة » .
(٦) النطف : جمع نطفة ، وهى الماء الصافى ، قل أوكثر .
(٧) فى غير التجريد : « موقوفاً على التلف » مكان « من موت على شرف » .
(٨) سقط هذا العجز فى غير التجريد ، كما سقط صدر البيت التالى ، وجاء البيتان بيتاً واحداً .

فبين ذاك كذا إذ جاء صاحبها يَبغى الدَّراهم بالِميزان ذى الكِفف
وذِكْرَ حَقٍ على زَنْدٍ وصاحبه والحقُّ فى طَرَفٍ والطِّينُ فى طَرف
وبَين ذاك شُهودٌ لا يَضُرُّهم أكنتُ معترفاً أو غيرَ مُعترف
فإن يكن منك شىء فهو حقُّهمُ أو لا فإنَّىَ مَدفوعٌ إلى التَّلف

فضَحِك العباسُ وقال : ويحك ! أصادق أنت ؟ قال : نعم والله . فقال : يا غلام ، ادفع إليه ألفى درهم . فأخذها ، ودَخل على المهدىّ فأخبره بالقصّة ، وما احتال له به . فأمر له المهدىُّ بستة آلاف درهم .

هو وأبو مسلم فى رجل دعاه للمبارزة

وذَكر أنّ أبا دُلامة كان مع أبى مُسلم صاحب الدعوة فى بعض حُروبه لبنى أُمية ، فدعا رجلٌ إلى المُبارزة . فقال له أبو مُسلم : ابُرُز إليه . فقال أبو دلامة :

ألَا لا تَلُمْنى إنْ فررتُ فإننى أخاف على فُخّارتى أن تَحطَّمَا
فلو أنّنى فى السُّوق أبتاع مِثلَها وجدِّك ما باليتُ أن أتقدَّما

فضحك وأعفاه .

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى دُلامة ، هو قولُه :

« إنِ الناسُ غطَّونى » .

البيتين اللذين تقدّم ذكرهما(١) .

---

(١) انظر (ص ١٢١٠) من هذا الكتاب .

أخبار عبد الله بن المعتز بالله

اسمه وكنيته

[هو عبد الله بن المعتز بالله] أبى عبد الله محمد ـ وقيل : الزبير ـ وقد تقدّم ذِكْر ذلك وذِكْر النَّسب فى أخبار المُعتزّ . و يكنى « عبد الله » : أبا العباس .

شىء عنه

وكان أبن المُعتز فاضلَ بنى العبّاس وشاعرَهم . وشعره ، و إن كان فيه رقّة المُلوكية وغَزل الظُّرفاء ، فإن فيه أشياءَ كثيرةً تَجرى فى أُسلوب المُجيدين ولاتقصُر عن مَدَى السابقين . وهو صاحبُ التَّشبيهات البديعة التى لم يَشُقَّ فيها أحدٌ غُبارَه . وكانت له فضائلُ أخرى وعلومٌ غير الأدب . وكان عالماً بصناعة المُوسيقى وعِلَلِ الغنـاء . و بُويع بالخلافة له ببغداد يوماً واحداً ، سـنة ستٍّ وتسعين ومائتين ، فلم يَتِمّ له الأمر وتفرّق عنه أصحابه ، ثم قُبض عليه وقُتل خَنقاً . فقال فيه ابنُ بسّام :

لله دَرُّكَ من مَيْتٍ بمَضْيعةٍ ناهيكَ فى العِلْمِ والآدابِ والحَسبِ
ما فيه «لوّ» ولا «ليت» فتنقصه وإنما أدركتْه حرفةُ الأدب

شعر فى غلام له جدر

وذُكر أنه كان لعبد الله بن المُعتز غلامٌ كان يُحبّه ، وكان يُغَنِّى غناءً صالحاً ، فجُدر . وجَزِع عبدُ الله لذلك جزعاً شديداً ، ثم عُوفى ولم يُـؤثِّر الجُدَرِىّ فى وجهه أثراً قبيحاً . فقال فيه عبدُ الله بن المعتز :

لى قَمرٌ جُدِّر لمـّـا أستوى فزاده حُسناً فزالت[1] هُمومْ
أظنُّه غَنَّى لشمس الضُّحى فنقَّطته طَرباً بالنُّجـــوم

(١) الرواية فى غير التجريد : « فزادت » .

شعره فى ترضيه وقد غضب عليه

وذُكر أن هذا الغُلام غَضب على عبد الله بن المُعتز، فجَهِدَ فى أن يرضى، فلم يكن له فيه حيلةٌ، فقال فيه:

بأبِى أنتَ قد تما ... ديتَ فى الهَجر والغَضبْ
واصطبارِى على صُدو ... دِكَ يوماً من العَجبْ
ليس لى إن فقدتُ وجـ ... ـهك فى العَيش من أَربْ
رَحِم الله مَن أعا ... ن على الصُّلح واحتسب

قال جعفر بن قُدامة: لمّا سمعتُ هذا الشعرَ مضيتُ إلى الغُلام ولم أزل أُداريه وأرفُق به حتى ترضّيتُه وجئته به، فمرّ لنا أطيبُ يوم وأحسنُه.

شعره فى سيل أصاب داره

وذُكر أنه جاء سَيلٌ أحدث فى دار عبد الله بن المُعتز ما أحوجه إلى غَرامة وكُلفَة فى إصلاحها، فقال فى ذلك:

ألا مَن لنفسٍ وأحزانِها ... ودارٍ تداعَى بحيطانِها
أَظَلُّ نهارىَ فى شمسها ... شَقِيًّا مُعنًّى ببُنْيانها
أُسوِّدُ وجهى بتَبييضها ... وأخرب[1] كِيسى بعُمرانها

وذُكر أنَّ رجلاً نبيهاً فاضلاً احتاج إلى تَزويج ابنته من دنئ، فقال ابنُ المعتز فى ذلك:

وبِكرٍ قلتُ مُوتى قبل بَعْلٍ ... وإنْ أثْرى وعُدَّ من الصَّميمِ
أأمزُج باللِّئام دَمِى ولَحمِى ... فما عُذرِى إلى النَّسب الكَريم

شعره فى رجل أطال السجود فى صلاته

وذُكر أن رجلا صلّى بحضرة ابن المُعتز صلاة خفيفة جدًّا، ثم دعا عُقيب صلاته وسَجد سجدةً طويلة استثقله جميعُ مَن حضر بسببها. فقال فى ذلك ابن المعتز:

(١) فى غير التجريد: «وأهدم».

صلاتُك بين الوَرى نَقرةٌ كما اُختلس الجَرعةَ الوالِغُ
وتسجُد من بعدها سجدةً كما خُتِم المِزْوَدُ الفارغ

شعره فى جارية قبيحة تعلق بها

وذُكر أنّ ابن المُعتز لاعب اُمرأة قبيحةَ الصُّورة وتعلَّق بها ، فعُوتب على ذلك ، فقال :

قلبيَ وثّابٌ إلى ذا وذا ليس يَرى شيئاً فيأباهُ
يَهيم بالحُسن كما ينبغى ويَرحم القُبْحَ فيهْواه

تعقيب لابن واصل فى مثله

قلتُ : وسمعتُ لبعض الشُّعراء اُعتذاراً فى حُبِّ قَبيحِ الصورة :

وما حُبِّى له رِجْساً لأنّى تركتُ الحُسن واُخترتُ القَبيحَا
ولكنْ غِرْتُ أن أهوى مليحاً وكُل النـاس يَهْوَوْن المَليحا

بينه وبين جارية تركت النبيذ

وذُكر أنّ ابن المُعتزّ كان يُحب مُغنِّية مُحسنة شاعرة ظريفة ، فتركتِ النَّبيذ ، فكَتب إليها :

رأيتُك قد أظهرتِ زُهداً وتَوبةً فقد سَمُجتْ من بعد توبتكِ الخَمْرُ
فأهديتُ وَرْداً كى يُذكِّر عِيشةً بمن(١) لم يُمتِّعنا ببهجتها الدَّهر

فأجابتْه :

أتانى قريضٌ يا أميرى مُحبَّرٌ حَكى لِىَ نَظْمَ الدُّرَّ فُصِّلَ(٢) بالشَّذْرِ
أأنكرتَ يابنَ الأكرمين إنابَتِى وقد أفصحتْ لى ألسُن الدَّهْر بالزَّجر
وآذنَنى شَرْخُ الشَّباب ببَيْنه فياليتَ شِعْرى بعد ذلك ما عُذرى

شعره فى الربيع

وحَكى جعفر بن قُدامة قال :

كنتُ أشرب مع عبد الله بن المُعتز فى أيام الرَّبيع ، والدُّنيا كالجنَّة المُزخرفة ، فقال عبدُ الله :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لمن » . (٢) الشذر : خرز تفصل به الجواهر فى النظم .

حبَّــذا آذار شهراً فيــه للنَّور أنتشارُ
ينقصُ الليــلُ إذا حـ ـلّ[١] ويمتــدُّ النَّهار
وعلى الأرض أصفرارٌ وأحمــرار وأخضرار
وكأنّ الأرض[٢] وشْيٌ بالغتْ فيــه التِّجار
نَقْشُه آسٌ[٣] ونِسر ينٌ ووَرْدٌ وبَهار[٤]

(١) فى غير التجريد : « جاء » .

(٢) فى غير التجريد : « الروض » .

(٣) النسرين : ورد أبيض عطرى قوى الرائحة . معرب .

(٤) كأن الحديث عن ابن المعتز لم ينته ، فلم يختمه ابن واصل بما يختم به تراجمه من ذكر الشعر الذى فيه الغناء .

أخبار زهير بن أبى سلمى

واسم أبى سُلمى ربيعة بن رِياح بن قُرّة بن الحارث بن مازن بن ثَعلبة بن ثَور بن هَرْمة بن الأصمّ بن عُثمان بن مُزينة .[1] وهو عمرو بن أُدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضر بن نِزار .

أحـد الثلاثة المقدمين فى الشعر

وهو أحدُ الثلاثة المُقدّمين على سائر الشُّعراء باُتفاق ، وهم : اُمرؤ القيس ، وزُهير ، والنابغة الذُّبيانى . و إنما اُختُلف فى تقديم بعضهم على بعض .

بين عمر وابن العباس فى تفضيله

وحدّث عبدُ الله بن العبّاس قال : قال عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلةً فى مسيره إلى الجابية :[2] أين اُبنُ العبّاس ؟ فأتيتُه ، فشكا إلىّ تخلُّف علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . فقلتُ له : أولم يعتذر إليك ؟ قال : بلى . قلت : فهو ما اُعتذر به . ثم قال : أوّل من رَيَّثكم عن هذا الأمر أبو بكر ، إنّ قومكم كَرِهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوّة — قال أبو الفرج : ثم ذَكر قصةً طويلة ليست من هذا الباب فتركتها —[3] ثم قال : هل تَروى لشاعرِ الشُّعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال الذى يقول :

ولو أنّ حَمداً يُخلِد الناسَ أُخْلِدوا ولكنّ حَمد الناسِ ليس بمُخلِدِ

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعر الشُّعراء . قلت: و بم كان شاعر

---

(١) هذا سياق التجريد . وأصول الأغانى على غيره ، ففيها : « ... بن عثمان بن عمرو » . ثم زادت : « ومزينة أم عمرو بن أد ، هى بنت كلب بن وبرة » . ويقول ابن حزم فى « الجمهرة » : « وهؤلاء بنو عمرو بن أد ، وهم مزينة ... فنسب ولدها إليها » .

(٢) الجابية : قرية من أعمال دمشق .

(٣) انظر الطبرى (ق ١ ص ٢٧٦٨ – ٢٧٧١) .

الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يُعاظِل[1] فى الكلام ، وكان يتجنَّب وَحْشِىَّ الكلام ، ولا يَمدح أحداً إلا بما فيه .

بين معاوية والأحنف فى تفضيله

وذُكر أن مُعاوية بن أبى سُفيان سأل الأحنف بن قيس عن أشعر الناس . فقال : زُهير . فقال: وكيف ذلك ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام. قال: مثل ماذا ؟ قال : بقوله :

فما يكُ من خيرٍ أتَوْه فإنما ... توارثه آباء آبائهم قَبْلُ

استعاذة النبى صلى الله عليه وسلم منه

ورُوِى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أنه نَظر إلى زُهير بن أبى سُلمى ، وله مائة سنة ، فقال : اللهم أعِذْنى من شَيطانه ! فما لاكَ بيتاً حتى مات .

معلقته وسببها

وذُكر أنّ رجلاً من بنى عَبس ، ثم من بنى غالب ، يقال له: وَرْد بن حابس ، قَتل هَرِم بن ضَمضم المُرِّى فى حرب عَبس وذُبيان قبل الصُّلح ، وحلف حُصين بن ضَمضم ألّا يَغسِلَ رأسه حتى يَقْتل وَرْدَ بن حابس أو رجلاً من بنى عَبس، ثم من بنى غالب ، ولم يُطْلع على ذلك أحداً . وكان قد حَمل الحَمالَة[2] الحارثُ بن عَوف بن أبى حارثة المُرِّى . فأقبل رجُلٌ من بنى عَبس، ثم أحد بنى مَخزوم ، حتى نزل بحُصين بن ضمضم . فقال له حُصين : مَن أنت أيها الرجل ؟ قال : عَبْسِىٌّ. قال : مِن أىّ عَبس ؟ فلم يزل يَنْتسب له حتى انتسب إلى بنى غالب . فقتله حُصين . و بلغ ذلك الحارثَ بن عَوف ، وهَرِمَ بن سنان، المُرِّيَيْن ، فاشتدّ عليهما. و بلغ بنى عَبس فركبوا نحو الحارث . فلما بلغه ركُوبهم إليه ، وما قد اشتدّ عليهم من قَتل صاحبهم ، وأنهم يريدون الحارثَ به ، بَعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنُه ، وقال للرسول : قُل لهم: الإبل أحبُّ إليكم أم ابنى تقتلُونه مكانَ قتيلكم ؟ قالوا : بل نأخُذ الإبل ونُصالح قومَنا ويتمّ الصُّلح . فقال زُهير يمدح الحارث بن

(١) أى يحمل بعضه على بعض ، و يكرر اللفظ والمعنى . (٢) الحمالة : الدية .

عَوف، وهَرِمَ بن سنان ، المُرِّيين ، ويذكر سَعْيهما فى صُلح قومهما . وهى قصيدتُه التى أولها الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار زُهير بن أبى سلمى ، وأولُها :

أمِن أمِّ أوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ ... بحَوْمانةِ الدَّرّاجِ [١] فالمُتثلَّمِ

لها العِينُ والآرام يَمْشِين خِلْفةً ... وأطلاؤُها يَنْهَضن من كُلِّ [٢] مَجْثَمِ

وقفتُ بها من بعد عشرين حِجَّةً ... فلأْياً عرفتُ الدارَ بعد [٣] توهُّمِ

فلمّا عرفتُ الدار قلتُ لِرَبْعها ... ألا أنْعِمْ صَباحاً أيُّها الرَّبعُ واْسلَمِ

ومنها :

ومَن يَعْصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنه ... يُطيع العَوالى رُكِّبتْ كُلَّ [٤] لَهْذَمِ

ومَن هاب أسبابَ المَنايا يَنَلْنَه ... ولو نال [٥] أسبابَ السَّماء بُسلَّمِ

يقول فيها فى مَدح الحارث ، وهَرِم :

سَعى ساعياً غَيْظ بن مُرّة بعد ما ... تبزَّل ما بين العَشيرة [٦] بالدَّمِ

تداركتُما عبساً وذُبيانَ بعد ما ... تفانَوا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ [٧] مَنْشَمِ

فأصبح يُحْدَى فيهُم مِن تِلادكم ... مَغانمُ شَتَّى من إفالٍ [٨] مُزَنَّمِ

(١) الدمنة : آثار الناس وما سودوا بالرماد . والحومانة : المكان الغليظ . والدراج والمتثلم : موضعان .

(٢) العين : البقر. والآرام : الظباء . وأطلاؤها : أولادها . والمجثم : الموضع يجثم فيه ويقام .

(٣) الحجة : السنة . واللأى : البطء .

(٤) الزجاج : جمع زج ، وهو أسفل الرمح . والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح . يريد أن من لم يقبل الأمر الصغير فسيضطر إلى قبول الأمر الكبير . واللهذم : القاطع من كل شىء .

(٥) الرواية فى المعلقات : « ولو رام » . (٦) تبزل : تشقق .

(٧) منشم : امرأة عطارة ، تحالف قوم فغمسوا أيديهم فى عطرها ليتحرموا به ، ثم خرجوا للحرب فقتلوا جميعاً ، فتشاءمت العرب بها .

(٨) التلاد : ما ولد عندك . وهذا أصله . ثم أطلق على كل ما يملك الرجل . والإفال : الفصلان . والمزنم : الذى جعل فيه علامة تميزه ، وكذلك كان يفعل بكرام الإبل ، كان يسحى ظاهر الأذن — أى يقشر — ثم يفتل ، فتبقى زنمة تضطرب . والرواية فى غير التجريد والمعلقات : « فأصبح يجرى » . مكان « فأصبح يحدى »

يُنجِّمها[1] قومٌ لقـــوم غرامةً ولم يُهَرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَم

زواج الحارث من بنت أوس

وذُكر أن الحارثَ بن عوف بن أبى حارثة المُرِّى قال لخارجة بن سِنان بن أبى حارثة، وهو ابن عمّـه: أتُرانى إن خطبتُ إلى أحـدٍ رَدّنى؟ قال: نعم. قال: ومَن ذاك؟ قال أوسُ بن حارثة بن لَأم الطائىّ. فقال الحـارث لغُلامه: ارحل لنا.[2] ففعل. فركب الحارثُ وخارجةُ حتى أتيا أوسَ بن حارثة فى بلاده، فوجداه فى فِناء منزله. فلما رأى الحـارثَ بن عوف قال: مرحباً بك يا حارِ. قال: وبك. قال: ماجاء بك يا حارِ؟ قال: جئتُك خاطباً. قال: لستَ هناك. فانصرفَ ولم يُكلِّمه. ودَخـل أوسٌ على امرأته مُغضَباً، وكانت من عَبس، فقالت: مَن رجُلٌ وقف عليـك فلم يُطل ولم تُـكلِّمه؟ قال: ذلك سيِّد العرب الحـارثُ بن عَوف بن أبى حارثة المُرّى. قالت: فما لك لم تَستنزله؟ قال: إنه استحمَق. قالت: وكيف؟ قال: إنه جاءنى خاطباً. قالت: أفتُريد أن تزوّج بناتِك؟ قال: نعم. قالت: فإذا لم تُزوِّج سيدَ العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتداركْ ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت: بأن تَلْحقه فترُدّه. قال: وكيف وقد فرط منى ما فَرط إليه؟ قالت: تقـول له: إنكَ لقيتَنى وأنا مُغْضَب بأمرٍ لم تُقدِّم فيه قولاً، ولم يـكن عندى من الجواب إلا ما سمعتَ، فانصرفْ ولك عندى كل ما أحببتَ، فإنه سيفعل. فَركب فى إثرهما.

قال خارجةُ بن سِنان: فوالله إنّا لنَسير إذ حانت منّى التفاتةٌ فرأيتُه. فأقبلتُ على الحارث — وما يُكلِّمنى غمًّا — فقلتُ له: هذا أوسُ بن حارثةَ فى أثرنا. قال: وما نَصنع به، امض. فلما رآنا لا نقف صاح: يا حار، اربعْ علىّ ساعةً. فوقفنا له. فـكلّمه بذلك الـكلام، فرجع مَسروراً.

(١) ينجمها: يجعلها نجوماً، أى أقساطاً.

(٢) هذه رواية التجريد. ورحل البعير: وضع عليه الرحل. وفى غير التجريد: «ارحل بنا».

ودخل أوسٌ إلى منزله فقال لزوجته: أُدعى لى فلانة، أ كبرَ بناته، فأَتته، فقال: يا بنية، هذا الحارث بن عَوف سيّدٌ من سادات العرب قد جاءنى خاطباً، وقد أردتُ أن أُزوِّجك منه، فما تقولين؟ فقالت: لا تَفعل ذلك. قال: ولِمَ؟ قالت: لأنّى أمرأة فى وجهى رَدَّة (١)، وفى خُلُقى بعض العُهْدة (٢)؛ ولستُ بأبنة عمّه فَيرْعَى رَحِمى، وليس بجارك فى البلد فيَسْتحى منك، ولا آمنُ أن يَرى منِّى ما يكره فيُطَلِّقنى، فيكون علىّ فى ذلك ما فيه. فقال: قُومى بارك الله فيك! أُدعوا لى فلانةَ ــ لأبنته الوسطى ــ فدَعَوْها، فقال لها مثلَ قوله لأُختها، فأَجابته بمثلها، فقالت: إنّى خَرقاء، ولستُ صناعاً بيدى، ولا آمن أن يَرى منِّى ما أكره فيطلِّقنى، فيكون علىّ فى ذلك ما تعلم، وليس بأبن عمٍّ فيرعى حقِّى، ولا جارَك فى بلدك فيستحىَ منك. فقال: قُومى بارك الله فيك! أُدعوا لى بُهَيْسة. يريد الصُّغرى، فأُتى بها، فقال لها كما قال لهما. فقالت: أنت وذاك، فقال لها: إنِّى قد عرضتُ ذلك على أُخْتَيْكِ فأَبَتاه. فقالت ــ ولم يذكر لها مقالتهما ــ: لكنِّى والله الجميلة وجهاً، الصناع يداً، الرقيقة خُلقاً، الحسِيبة أبا، فإنْ طلَّقنى فلا أخلف الله عليه بخَير. فقال: بارك الله عليك.

قال: ثم خَرج إلينا فقال: قد زَوَّجتك بُهَيسة بنت أوس، قال: قد قَبلتُ. فأَمر أُمها أن تُهيِّئها وتُصلح من شأنها، ثم أَمر ببيتٍ فضُرب له وأَنزله إياه، فلما أُدخلت إليه لبث هُنيهة ثم خرج إلىّ، فقلت له: أَفرغتَ من شأنك؟ قال: لا والله! قلت: وكيف؟ قال: لما مددتُ يدى إليها قالت: مه! أعند أبى وإخوتى! هذا والله لا يكون!

قال: فأَمرنا بالرِّحلة، فارتحلنا مرحلة بها، فسِرْنا ما شاء الله، ثم قال لى:

(١) الردة: القبح مع شىء من الجمال.

(٢) العهدة: الضعف.

تقدَّم ، فتقدمتُ ، وعَدل بها عن الطريق . فما لَبث الحارث من وقته أن لِحَقنى ، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله . قلت : ولم ذاك ؟ قال : قالت : تَفعل بى كما يُفعل بالأَمة الَجليبة ، أو السبيّة الأَخيذة ! لا والله حتى تَنْحَر الُجزُر ، وتَذبح الغَنم ، وتَدعو العرب ، وتَعمل ما يُعمل لمثلى . فقلت له : والله إنّى لأَرى هيئةً وَعقلا ، وإنى لأرجو أن تكون المرأةَ النَّجيبة إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأَحضر الإبل والغَنم ، ثم دخل عليها ، فلما خرج ، قلت : أفرغتَ ؟ قال: لا . قلت : ولم ذاك ؟ قال : دخلتُ عليها أُريدها، فقلت : قد أحضرنا من المال ماتَرينْ. فقالت: والله لقد ذُكر لى من الشرف ما لا أراه فيك : قلت : وكيف ؟ قلت : أتفرُغ لِنكاح النساء والعربُ تقتُل بعضُها بعضا ! ـ وذلك فى أيام حرب عَبس وذبيان ـ قلت : فتقولين ماذا ؟ قالت : اُخرج إلى هؤلاء القوم فأَصْلح بينهم ثم اُرجع الى أهلك ، فلن يفوتك . فقلت : إنّى والله لأرى عقلاً وهمّة ، ولقد قالت قولا . قال : فاُخرج بنا . فخرجنا حتى أتينا القومَ ، فمشينا فيما بينهم بالصُّلح . فاصطلحوا على أن يحتسبوا القَتلى ، ثم يُؤخذ الفضلُ ممّن هو عليه . فحملنا عنهم الدِّيات ، وكانت ثلاثةَ آلاف بعير فى ثلاث سنين . فاُنصرفنا بأجمل الذِّكر . فمُدح بذلك ، وقال زُهير قصيدته اللامية التى ذكرت ، وقال أيضاً قصيدته التى أولها :

* صحا القلبُ عن سَلْمَى وقد كاد لا يَسْلو *

يقول فيها :

تداركتُما الأحلافَ قد (١) ثُلَّ عَرْشُها وذُبْيانَ قد زَلَّت بأقدامِها النَّعْلُ

وحصل للحارث بذلك الشرفُ العظيم ، ورَجع فدخل بزوجته ، فولدت له بنين وبنات .

---

(١) الأحلاف : أسد وغطفان وطيءّ . وثل عرشها : أى أصابها ما كسرها وهدمها وذهب بعزها .

من مدحه هرماً

ومدح زُهير هرماً بقصائد كثيرة . منها قصيدتُه التى أولُها :

إنّ الخَليطَ أجدّ البيْنَ فانفرقا ... وعُلّق القلبُ من أسماء[١] ما عَلِقا
وأخلفتْك ابنةُ البَكرىّ ما وعدتْ ... فأصبح الحبلُ منها واهناً[٢] خَلَقا
قامتْ تَبدّى بذى ضالٍ[٣] لتَحزُنَنى ... ولا مَحالَة أن يَشتاقَ مَنْ عَشِقا
بجيدِ مُغْــزِلةٍ أدْماء خاذلةٍ ... من الظِّباء تُراعِى شادناً[٤] خَرِقا

يقول فيها فى مَدح هَرِم :

قد جَعل المُبتغون الخيرَ فى هَرِم ... والسّــائلون إلى أبوابه طُرُقا
مَن يَلْقَ يوماً على عِلاّته هَرِماً ... يلق السماحةَ منه والنَّدى خُلُقا
لَيثٌ بِعَثّرَ[٥] يصطاد الرجالَ إذا ... ما الليثُ كَذّب عن أقرانه صَدَقا
يطعَنُهم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ... ضارَب حتى إذا ما ضارَبوا اعْتَنقا

وقال زُهير يذكر فَقْد سنان بن أبى حارثة . وكان فُقِــد فلم يُعرف له خبر ، فذُكر أنه كان قد بلغ مائة وخمسين ســنة ، فذَهب على وجهه خَرَفاً . وقيل : استطارته الجنّ فذَهبت به ــ وقيل غير ذلك ــ :

إنّ الرزيّة لا رَزِيّةَ مثلُهــا ... ما تَبتغى غَطفــانُ يومَ أضلَّتِ
إنّ الرِّكابَ لَتَبْتغى ذا مِرّةٍ ... بجَنُوبِ نَخْلَ إذا الشُّهورُ[٦] أحَلَّت

---

(١) الخليط : المخالط . وأجد البين : اعتزمه وأخذ فيه . وانفرق : انقطع .

(٢) الحبل : العهد . والواهن : الضعيف . كالواهى . وبهذه الأخيرة جاء الديوان .

(٣) ذو ضال : موضع .

(٤) بجيد ، أى تبدى بجيد . ومغزلة : ظبية معها غزالها . وأدماء : خالصة البياض. وخاذلة : متخلفة عن الظباء . والخرق : الضعيف الصغير لا يقوى على شىء .

(٥) عثر : بلد .

(٦) المرة : العقل . ونخل : موضع . وهى رواية التجريد والديوان . وفى غيرهما : « بجنوب نجد » . وأحلت : صارت حلالا .

يَنْعَيْن خيرَ الناسِ عند شـديدةٍ عظُمت مُصيبتُه هنـاك وجَلَّت
ولَنِعم حَشْوُ الدِّرع كان إذا سطا نَهِلَت من العَلَقِ الرِّماحُ (١) وعَلَّت

ومن مدائح زُهير فى هَرِم :

لِمن الدِّيارُ بقُنَّة الحِجْرِ أقْوَين من حِجَجٍ ومن (٢) دَهْرِ
لَعِب الرِّياحُ بها وغَيَّرها بَعدى سَوافِي الرِّيح (٣) والقَطْر
دَع ذا وعَدِّ القولَ فى هَرِم خيرِ الكُهول وسَيِّد الحَضْر
لو كنتَ مِن شيء سوى بَشَر كنتَ المُنوِّرَ (٤) ليلةَ البَدر
ولَنِعْم حَشْو الدِّرع أنت إذا دُعيت نَزالِ ولُجَّ (٥) فى الذُّعْر
وأُراكَ تَفْرى ما خَلقت وبعـ ـض القوم يَخلُق ثم لا (٦) يَفْرى
أُثنى عليكَ بما علمتُ وما أسلفتَ فى النَّجدات من ذِكْر (٧)
والسِّتْرُ (٨) دون الفاحشات وما يَلقاكَ دون الخير مِن سِتر

وذُكر أن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه لما أُنشد هذا البيت الأخير، قال : ذاك رسُول الله صلّى الله عليه وسلم .

(١) العلق : الدم . والنهل : أول الشرب . والعلل : الثانى والثالث .

(٢) الحجر : حجران ، حجر ثمود ، وحجر اليمامة ، أولهما بالكسر والثانى بالفتح . وأقوى : خلا .

(٣) سوافى الريح : ما تسفيه . والرواية فى الديوان : « سوافى المور » . وهو التراب .

(٤) فى الديوان : « المنير لليلة » .

(٥) يقول : نعم لابس الدرع أنت ، إذا اشتدت الحرب وتزاحمت الأقران ، فتداعوا بالنزول عن الخيل والتضارب بالسيوف ، وكذلك كانوا يفعلون ، إذا ازدحموا فلم يمكنهم التطاعن تداعوا : « نزال » فنزلوا عن الخيل وتقارعوا بالسيوف .

(٦) الفرى : القطع . والخلق : التقدير والتهيئة للقطع . يقول : أنت إذا تهيأت لأمر مضيت فيه . والرواية فى الديوان : « ولأنت » مكان « وأراك » .

(٧) فى الديوان : « والذكر » مكان « من ذكر » .

(٨) فى الديوان : « الستر » دون « واو » .

بين عمر وبعض أولاد هرم في شأن زهير

وقال عُمر رضى الله عنه لبعض أولاد هَرِم: أنشدنى بعضَ مامَدح به زهيرٌ أباك. فأنشده الأبيات المتقدِّمة. فقال عمر: إن كان ليُحسن فيكم القول. فقال: ونحن والله إن كُنّا لنحسن إليه العطيّة. فقال: ذَهب ما أعطيتُموه وبقى ما أعطاكم.

من حياء زهير من هرم

وذُكر أنّ هرماً كان حَلف ألّا يمدحه زُهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يُسلِّم عليه إلا أعطاه: عبداً أو فرساً أووليدة. فاستحيا زُهير ممّا كان يقبَل منه، فكان إذا رآه فى ملأ قال: عِمُو صباحاً غير هرم، وخيرَكم استثنيتُ.

بين عمر وابن زهير في شأنه

وقيل: إنّ عمر رضى الله عنه قال لابن زُهير: ما فَعلت الحُلل التى كساها هَرِمٌ أباك؟ قال: أبلاها الدهر. قال: لكنّ الحُلل التى كساها أبوك هرماً لم يُبْلِها الدّهر.

استجاد عبدالملك شعره فى آل أبى حارثة

وذُكر أنّ عبد الملك بن مروان قال: ما يضُر مَن مُدح بما مَدح به زُهيرٌ آل أبى حارثة من قوله:

عَلى مُكْثِريهم حَقُّ مَن[1] يَعتريهمُ ... وعِنـد المُقلِّين السماحةُ والبَـذْلُ

ألّا يَملك أمورَ الناس ـ يعنى ألا يكون خليفة ـ ومن هذه القصيدة:

وهـل يُنبِت الخَطِّىَّ إلّا وشيجُه ... وتُغرس إلا فى مَنابتها[2] النَّخْل

ثم قال عبدُ الملك: ما ترك فيهم زُهير غنيًّا ولا فقيراً إلّا مَدحه.

استجادة عثمان لشعره

وقيـل:

أنشد عثمانُ بن عفّان رضى الله عنه قولَ زُهير:

ومهما تكن عند امرىء من خَليقة ... وإن خالها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

---

(١) يعتريهم: يقصدهم. والرواية فى غير التجريد والديوان: «رزق من يعتريهم».

(٢) الخطى: الرماح، نسبة إلى الخط: جزيرة بالبحرين. والوشيج: القنا. يعنى أنهم لا يلدون إلا كراماً.

فقال : أحسن زُهير وصَدق ! لو أنّ رجـــلا دَخل بيتاً فى جَوف بيت لتحدّث به الناس . قال : وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : لا تَعمل عملاً تكره أن يُتحدَّث به عنك .

تمثل عروة بن الزبير ببيت له فى استخفاف عبد الملك به

وذُكر أنّ عُروة بن الزبير كان لَحِق بعبد الملك بن مروان بعد قَتــل أخيه عبد الله بن الزُّبير ، فـكان إذا دخل عليه منفرداً أَكرمه ، وإذا دخل عليه وعنده أهلُ الشام أستخفّ به . فقال له يوماً : يا أمـــير المؤمنين ، بئس المَزُور أنت ! تُـكرم ضيفك فى الخَلاء وتُهينه فى الملأ . ثم قال : لله دَرُّ زهير حيث يقول :

فُخلِّى فى دِيارك إنّ قَـــوماً ... متى يَدَعُوا ديارَهمُ [1] يهونُوا

ثم أستأذنه فى الرُّجوع إلى المدينة . فقَضى حوائجه وأذن له .

ذكره فى شعره غطفان وأخواله

وذُكر أنّ زُهيرا كان هو وأبوه و ولده فى بنى عبد الله بن غَطفان ، فلذلك كان زَهير يذكُر فى شعره فَعالَ بنى مُرة وغَطفان ويُـكثر مَدحهم . وكان زُهـير فى الجاهليّه سيداً كثيرَ المال حليماً معـروفاً بالورع . وكانت أمرأته من بنى سَهم ابن عَوف بن سَعد بن ذُبيان .

هو و خاله فى ميراثه

وكان بَشامة بن الغَدير الشاعر خالَه ، وكان زهير منقطعاً إليه ، وكان يُعجبه شعره . وكان بشامة رجلاً مُقْعَداً ، ولم يكن له وَلد ، وكان مُـكثراً من المال، وكان أحزم الناس رأياً . وكانت غَطفان إذا أرادوا أن يغزُوا أتوْه فاستشاروه وصدَروا عن رأيه ، فإذا رَجعوا قَسموا له مثل ما يَقْسمون لأفضلهم ؛ فمن أجل ذلك كَثُر ماله . وكان أشعرَ [2] غطفان فى زمانه . فلما حضره الموتُ قسَم مالَه فى أهل بيته و بنى إخوته . فأتاه زُهير فقال : يا خالاه ، لو قسمتَ لى من مالك ؟ فقال : قد والله يا بنَ أُخت قسمتُ لك أفضلَ من ذلك وأجزله . قال : وما هو ؟ قال : شِعرى ورِثْتَنيــه .

(١) ويروى : « فقرى فى بلادك ... » بلادهم » . (٢) فى غير التجريد : « أسعد » .

وكان زُهير قبل ذلك قد قال الشِّعر، وكان أولَ ما قال. فقال له زُهير: الشعر شىء أنا قلتهُ فكيف تعتدّ به علىّ؟ فقال له بَشامة: ومِن أين جئتَ بهذا الشّعر! لعلّك ترى أنك جئتَ به من مُزَينة! لقد علمت العرب أنّ حَصارتها وعينَ مائها فى الشعر لهذا الحى من غَطفان، ثم لِى منهم، وقد ورثته عنّى! ثم أحذاه (١) نصيباً من ماله، ومات.

من شعر بشامة

و بشامةُ شاعر مُجيد، وهو الذى يقول:

ماذا (٢) ترَيْن وقد قطّعتنى قِطعاً ... ماذا من الفَوْتِ بين البُخل والجُودِ
إلّا يكُن وَرَقٌ يوماً أراح به ... للخابطين فإنّى ليِّنُ العُود

هو وأم أوفى

وذُكر أن أم أوفى، التى يذكرها زُهير فى شعره، امرأةٌ ولدت منه أولادا وماتوا، وتزوّج بعد ذلك امرأة أخرى ــ وهى أم ابنيه: كعب، وبُجير ــ فغارت من ذلك أم أوفى وآذته، فطلّقها، ثم ندم فقال فيها:

لعمركَ والخطوب مُغيِّراتٌ ... وفى طُول المُعاشرة التقالِى
لقد باليْتُ مَظعَنَ أمِّ أوفى ... ولكنْ أمُّ أوْفى لا تُبالِى
فأمّا إذ نأيتِ فلا تقولِى ... لذى صِهرٍ أُذِلْتُ ولم (٣) تُذالِى
أَصبتُ بَنىَّ منك ونلتِ منّى ... من اللّذات والحُلَل الغَوالى

رثاؤه لابن له عانته امرأة

وذُكر أنه كان لزُهير ابنٌ يقال له: سالم، جميل الوجه، حسن الشِّعر. فأهدى رجلٌ لزُهير بُرْدين، فلبسهما الفتى وركب فرساً له، فمرّ بامرأة من العرب بماء يقال له: النُّثاءة. فقالت: ما رأيت قطُّ كاليوم رجلاً ولا بُرْدين ولا فرسا! فعثرت به الفرسُ فاندقّت عُنقه وعُنق الفرس وانشقّ البُردان. فقال زُهير يرثيه:

(١) أحذاه: أعطاه.
(٢) فى غير التجريد: «ألا».
(٣) أذاله: هزله وأهانه.

رأتْ رجلاً لاقى من العيش غِبطةً وأخطأه فيها الأُمور العظائمُ
وشَبّ له فيها بَنون وتُوبعتْ سَلامةُ أعوامٍ له وغنائم
فأصبح محبُوراً يُنظَّر حوله بِغبطته لو أنّ ذلك دائم
وعندى من الأيّام ما ليس عنده فقلتُ تعلَّمْ أنما أنتَ حالم
لعلّكِ يوماً أن تُراعِى بفاجع كما راعنى يوم الثُّناءة سالم

الشعراء من قومه

وقيل :

كان لزُهير فى الشِّعر مالم يكن لغيره ، كان أبوه شاعرا ، وخاله شاعرا ، وأخته سلمى شاعرة ، وأبناه كعب وبُجير شاعرين .

إسلام بجير وإسلامه وبردة النبي صلى الله عليه وسلم له حين وفد عليه

وكان بُجير وَفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يده ، ثم وَفد بعد ذلك كعب فمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم بالقصيدة المشهورة التى أولها : « بانت سعاد » وأجازه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بُردته ، فاشتراها مُعاوية بن أبى سفيان منهم بأربعين ألفا ، وهى البُردة التى توارثها الخلفاء إلى زمننا هذا .

شعر المضرب بن كعب بن زهير

وكان المُضرِّب بن كعب بن زُهير شاعراً أيضاً ، وهو القائل فى مُصعب ابن الزبير :

إنى لأحبسُ نفسى وهى صاديةٌ عن مُصعبٍ ولقد بانت لىَ الطُّرُقُ
رُعْوَى عليه [1] كما أرعَى على هَرِمٍ جَدِّى زُهير وفينا ذلك الخُلق
مَدْحُ المُلوك وسَعىٌ فى مَسرتهم ثم الغِنى ويدُ المَمدوح تنطلق

---

(١) رعوى عليه ، أى بقيا عليه .

أخبار المرار الأسدى

نسبه

وهو المرّار بن سَعيد بن حَبيب بن خالد بن نَضلة بن الأَشْيم بن جَحْوان ابن فَقْعس بن طَرِيف بن عمرو بن قُعين بن الحارث بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة بن مُدْركة بن اليأس بن مُضر بن نِزار .

أمه

وأمّ المرّار بنتُ مروان بن مُنقذ ، الذى أغار على بنى عامر بثَهْلان، فقتَل منهم مائةً بحَبيب بن مُنقذ عمّه ، وكانوا قتلوه .

من خلقه

وكان المَرّار قصيراً مُفرطَ القِصر ، ضئيل الجسم .

مخضرم

وهو مُخضرم الدّولتين . وقيل : إنه لم يُدرك الدولة العبّاسية .

هو والمساور فى التهاجى

وكان يُهاجى المُساوِرَ بن هند بن قَيس بن زُهير بن جَذيمة العَبسى . وفيه يقول المرّار :

شَقِيتْ[1] بنو أسدٍ بهَجْو مُساوِرٍ … إن الشقىَّ بكُلّ حَبل يُخنَقُ

وفيه يقول مُساور :

ما سَرّنى أنّ أُمى من بنى أسد … وأنّ ربِّى يُنَجِّينى من النّارِ

أو أنّهم زَوّجونى من بناتهمُ … وأنّ لى كُلَّ يوم ألفَ دينار

الحرب بين فقعس وعبس وشعر المرار فى رثاء أخيه

وذُكر أنّ المرّار كان أتى حيًّا من بنى عَبس ، فوقَف على بعض بُيوتهم ، فجعل يُحدِّث نساءهم ويُنشدهن الشعر ، فأنكر الرجالُ ذلك عليه ، وجرى بينه وبينهم كلام عظيم ، فوثبوا عليه وضَربوه وخرقوا ثيابَه وعَقروا بعيره . وانصرف من عندهم إلى قومه من بني فقَعس ، فأخبرهم الخبَر ، فركبُوا معه حتى أتوا بنى

(١) فى غير التجريد : « بنو سعد » .

عَبس ، فقاتلوهم فهزموهم . وفقأت بنو فَقعس من بنى عَبْس عيناً وقتلوا رجلا ، ثم انصرفوا . فحملت بنو فَقعس إلى بنى عبس مائتى بَعير وغَلَّظت فى الدِّية . ثم إن بدر بن سَعيد ، أخا المرّار ، قال : أتستوفى [١] بنو عبس حقَّها ! فعلام أترك ضَرْبَ أخى وعقْرَ جمله ! وخرج حتى أتى خيلاً [٢] لبنى عَبس فى المرعى ، فرَمى بعضها فعَقره ، ثم انصرف . فقال المرّار : إنه والله ما يُقنعنى هذا ، ولكن أُخرُج بنا . فخرجا حتى أغارا على إبل لبنى عَبس فطرداها ، وتوجَّها بها نحو تَيماء [٣] ، فلما كانا ببعض الطريق أنقطع بِطانُ راحلة بدر ، فَنَدر [٤] عن رَحْله . فقال المرّار : يا أخى ، أَطِعْنى وٱنصرف ودَع هذه الإبل فى النار . فأَبَى عليه . ثم سارا ، فلما كانُوا ببعض الطريق عَرض لهما ظَبى أَعْضبُ [٥] أحدِ القَرنين . فقال المرّار لبَدر : قد تطيّرتُ من هذا السَّفر ، ولا والله ما نَرجع من هذا السَّفر أبدا ! فأَبى عليه بَدر . فتفرّقت عبس فِرْقتين فى طلب الإبل ، فعمدت فِرقةٌ إلى وادى القُرى ، وفرقة إلى تَيماء ، فصادفوا الإبل بتيماء تُباع ، فأَخذوا المرّار وبَدْراً فرفعوهما إلى الوالى . وعُرفت سِمات عَبْس على الإبل ، فدُفعت إليهم . ورُفع المرّار وأخوه إلى المدينة فضُربا وحُبسا ، فمات بَدر فى الحَبس . فكلَّمت عِدَّةٌ من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرىّ فى المرّار ، فخلاّه . وقال المرّار يرثى أخاه ، وهو فى الحَبس ، بقصيدة أولها :

ألا يا لقومى للتجلُّد والصَّبرِ وللقَدَر السارى إليكَ وما تَدرى
وللشىء تَنْساه وتذكُر غيره وللشىء لا تَنساه إلا على ذُكْر

يقول فيها :

ألاَ قاتل اللهُ المقاديرَ والُمنَى وطيراً جرتْ بين السُّعافات والحِبْر [٦]

(١) فى غير التجريد : « قد استوفت » . (٢) فى غير التجريد « أجمالا » .
(٣) تيماء : فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى .
(٤) ندر : سقط . (٥) أعضب : مكسور .
(٦) السعافات والحبر : موضعان . والرواية فى غير التجريد وياقوت : « السعافات والحجر » .

وقاتل تَكْذيبى العِيافَة بعد ما زجرْتُ فما أَغنَى اعتيافى ولا زَجْرى

ومنها :

تُذكِّرُنى بدراً زَعازِعُ (١) لَزْبةٍ إذا عَصفتْ إحدى عشيّاتها الغُبْرِ
إذا شَوّلُنا لم نُؤتَ منها بمِحْلبٍ قَرى الضيفَ منها بالمُهنّد ذى الأَثْر
وأضيافُنا إن نَبّهونا ذكرتُه فكيف إذا أنساه غابرةَ الدّهر
إذا سَلّم السارى تهلّل وجهُه على كُل حالٍ من يَسار ومن عُسْر
تذكّرتُ بدراً بعد ما قيل (٢) عارفٌ لِمَا نابه يا لهفَ نفسى على بَدْر
إذا خطرتْ منه على النفس خَطرةٌ مَرتْ دمعَ عَيْنى (٣) فاستهلّ على نَحرى
وما كُنت بَكّاءً ولكن يَهيجنى على ذِكْره طِيبُ الخلائق والخُبْر
أَعينىّ إنّى شاكرٌ ما فعلتما وحُقّ لما أبليتُمانِىَ بالشُّكر
سألتُكما أن تُسْعِدانى فجُدْتما عَرانِينَ بالتَّسْجامِ باقيةِ (٤) القَطْر
فلمّا شَفانى اليأسُ عنه بسَلوة وأعذرتُما لا بَلْ أجلُّ من العُذْر
نهيتُكما أن تُسعدانى فكنتُما صَبُورَيْن بعد اليأس طاوِيَتَىْ (٥) غُبْر

وقال المرّار فى الحَبس قصيدتَه التى أولُها : شعره فى الحبس وهو الذى فيه الغناء

عَزفتَ (٦) ولم تَصْرِم وأنت صَرُوم وكيف تَصابى مَن يُقال حَلِيمُ
صَددتَ فأَطْولتَ (٧) الصُّدودولاأرى وِصالاً على طُول الصُّدود يَدُوم

وهذا الشعرُ هو الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار المرّار .

---

(١) لزبة ، أى سنة شديدة . والرواية فى غير التجريد ومعجم البلدان : « حجرة » .
(٢) عارف : صابر . (٣) مرت دمع عينى : أسيلته . واستهل : سال .
(٤) العرانين : أوائل المطر . ورواية هذا الشطر فى أصول الأغانى والشعر والشعراء :
* عوانين بالتسجام باقيتى قطر *
(٥) الغبر : بقية الدمع . قال أبو الفرج : « يقول : طويتما أغبار دمعكما . والأغبار : البقايا ، كأغبار اللبن » . (٦) عزفت عن الشىء ، إذا تركته وأبته نفسك .
(٧) أطولت : أطلت ، قالها للضرورة . يقول : لم تصرم صرم بتات ، ولكن صرم دلال.

أخبار النابغة الذبياني

نسب

وهو زِياد بن مُعاوية بن ضِباب بن جابر[1] بن يَربوع بن غَيظ بن مُرَّة بن عَوف بن سَعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غَطفان بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر بن نِزار. ويُكنى: أبا أُمامة، لقوله:

* فقد نَبغت لهم منّا شُؤونُ *

طبقته في الشعر

وهو أحدُ الأشراف الذين غَضَّ الشعرُ منهم. وهو من الطبقة الأُولى المقدَّمين على سائر الشُّعراء.

بينه وبين حسان

وذُكر أن حسان بن ثابت الأنصارى قال للنابغة: أنا أشعر منك. فقال له النابغة: يابن أخى، أنت لا تُحسن أن تقول:

فإنك كاللَّيـــل الذى هو مُدركى ... وإن خِلْتُ أنّ المُنتأَى عنك وَاسعُ

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبــالٍ مَتينةٍ ... تَمُدُّ بهـــا أيدٍ إليك[2] نَوازع

فسكت حسّان ولم يُجب.

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان مع بيت قبلهما، وهو:

فإن كُنت لا ذا الضِّغْن عنِّى مكذِّباً ... ولا حَلِفى عند الــبرَاءة نافع

هو الشعر الذى فيه الغِناء، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار النابغة. وهو من قصيدة يعتذر فيها النابغةُ إلى النعمان بن المُنذر.

حديث غضب النعمان واعتذاره إليه

وكان السبب فى أعتذاره بهذا الشِّعر أن النابغة كان أثيراً عند النعمان بن المُنذر

---

(١) هذه رواية التجريد والتبريزى على المعلقات. وفى غيرهما: «جناب».

(٢) حجن: معوجة. ونوازع: جواذب.

خاصًّا به ، وكان من نُدمائه وأهل أُنسه ، فرأى المُتجرِّدة زوجَة النعمان يوماً وغَشِيَها شَبِيهاً بالفُجاءة ، وسَقط نَصِيفُها ، فاستترت بيـدها وذِراعها ، وكادت ذراعها تستر وجهَها لعَبالتها وغِلَظها . فقال النابغةُ فيها قصيدتَه التى أولها :

أمن آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغتـدِى … عَجلانَ ذا زادٍ[1] وغـيرَ مُزوَّدِ

زَعم البوارحُ أنّ رِحلَتنا غــداً … وبذاكَ تَنْعابُ الغُرابِ[2] الأسود

لا مرحباً بغـــدٍ ولا أهلاً به … إن كان تفريقُ الأحبَّـة فى غد

أَزِفَ الترحُّلُ غـيرَ أنّ رِكابَنـا … لمـا تزَلْ بِرِحالنا وكأنْ قَد

فى إثْرِ غانيـــةٍ رمتْك بسَهمها … فأَصاب قلبَك غيرَ أنْ[3] لم تُقصِد

بالدُّر واليـــاقوت زُيِّن نَحرُها … ومُفصَّلٍ من لُؤلؤ وزبَرْجـد

سَقط النَّصيفُ[4] ولم تُرد إسقاطه … فتناولتْـه واتّقتنا باليَـــد

بمُخضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بنانَه … عَنَم على أغصـانه[5] لم يُعقَــد

وبفَـاحِمٍ رَجْلٍ أثيثٍ نَبْتُـه … كالكَرْم مال على الدِّعام المُسْنَد

نظرتْ إليـك بحاجة لم تقضِها … نَظَر السَّقيم إلى وُجوه العُوَّد

قيل : فأنشد هـــذه القصيدةَ مُرَّةَ بن سَعد القُريعىّ . فأنشدها مُرةُ النُّعمانَ ابن المُنذر . فامتلأ غيظاً وأوعد النابغةَ وتَهدَّده . فهَرب منه وأتى قومَه، ثم شَخص إلى مُلوكِ غَسّان بالشأم فامتدحهم . وقيـــل : إنّ عِصَام بن شهْبَر الجَرْمِىّ ، حاجبَ النُّعمان ، أنذره وعرَّفه ما يُريده النُّعمان ، وكان صديقَه ، فهرب . وعصام هذا الذى يقول فيه الراجز :

(١) الزاد ، هنا : التحية . (٢) تنعاب الغراب : صياحه .

(٣) لم تقصد : لم تقتل . يقال : أقصد الشىء ، إذا رماه فات مكانه .

(٤) النصيف : الخمار .

(٥) العنم : ضرب من الشجر له نور أحمر ، تشبه به الأصابع المخضوبة . ولم يعقد ، أى لم يغلظ ولم ييبس .

نَفسُ عِصامٍ سوَّدت عِصامَا وعَلَّمتــه الكَرَّ والإقدامَا
وجعلتْه مَلِكاً هُمَــامَا

وقيل : كان السببُ فى هَرب النابغة من النُّعمان أنَّ عَبد القَيس بن خُفاف التَّميمىّ، ومُرة بن سَعد بن قُرَيع السَّعدى، عَمِلا هجاءً فى النُّعمان على لسانه ، وأنشداه النُّعمان . فمنه أبياتٌ[1] يقال فيها :

مَلِكٌ يُلاعب أمَّه وقَطِينَه رِخْوُ المَفاصل أيرُهُ كالمِرْوَدِ

ومنه :

قَبَح اللهُ ثم ثَنَّى بلَعْنٍ وارثَ الصائغ الجبانَ الجَهُولا
مَن يَضُرُّ الأَدْنَى ويعجِز عن ضَرِّ الأَقاصى ومَن يَخُون الخَليلا
يَجمع الجيشَ ذا الألوف ويغزو ثم لا يَرزأ العدوَّ فَتيلا

يعنى بوارث الصائغ : النعمانَ . وكان جدُّه لأُمه صائغاً بفَدَك[2] ، يقال له : عطية : وأُمُّ النُّعمان سلمى بنت عطيّة .

وذُكر أن مُرة بن سَعد ، الذى وشَى بالنابغة ، كان له سَيف قاطع يقال له : ذو الرِّيقة ، من كثرة فِرِنده وجَوهره، فذَكره النابغةُ للنُّعمان ، فأَخذه ، فاضطغن ذلك مُرةَ حتى وشَى به إلى النعمان وحَرَّضه عليه .

وقيل :

كان السبب فى هَربه أنه كان هو والمُنخَّل بن عُبيد بن عامر اليَشكرىّ جالسَيْن عند النُّعمان ، وكان النعمان ذميماً أبرش[3] قبيحَ المنظر ، وكان المُنخَّل من أجمل العرب ، وكان يُرْمَى بالمُتجرِّدة زوجة النعمان . ويُحدِّث العربُ أن ابنى النُّعمان كانا

(١) فى غير التجريد : « وأنشد النعمان منه أبياتاً » .
(٢) فدك : قرية بالحجاز من نواحى خيبر .
(٣) الأبرش : الذى فى وجهه نقط مختلفة الألوان .

من المُنخَّل . فقال النُّعمان : يا أبا أُمامة ، صِفْ المُتجرِّدة فى شِعرك . فقال قصيدته التى وَصفها فيها ، ووَصف بطنها ورَوادِفها وفَرجها . فلَحقت المُنخَّلَ من ذلك غَيرةٌ ، فقال للنُّعمان : ما يَستطيع أن يقول هذا الشِّعر إلا من جَرَّب . فَوقر ذلك فى نفس النُّعمان ، و بَلغ النابغةَ ، فخافه وهَرب فصار فى غَسّان .

المنخل وهواه لهند بنت عمرو ومقتله

وقيل : إنّ المُنخَّل هذا كان يَهوى هِنْداً بنت عمرو بن هِند ، وفيها يقول :

ولقد دخلتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ فى اليوم المَطير
الكاعِب الحَسناء ترْ ... فُل فى الدِّمَقْس وفى الحَرير
فدفعتُها فتدافعت ... مَشْىَ القَطاةِ إلى الغَدير
ولَثَمْتُها فتنفَّست ... كتنفُّس الظَّبْى[1] البَهير
ولقد شَربتُ من المُدا ... مة بالكَبير و بالصَّغير
فإذا سَكِرتُ فإننى ... ربُّ الخَوَرْنق والسَّدير
و إذا صَحوتُ فإننى ... ربُّ الشُّوَيْهة والبَعير
ياهِنْدُ هل من نائلٍ ... يا هِنْد للعَانى الأَسير
وأُحبُّها وتُحبنى ... ويُحب ناقتَها بعيرى

و بلغ عمرَو بن هند ذلك ، فقتله .

عود إلى حديث النابغة مع النعمان

قيل : فلما صار إلى غسّان نَزل بعَمرو بن الحارث الأَصغر بن الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر بن أبى شَمِر . وأُم الحارث الأَعرج ماريةُ بنت ظالم بن وَهْب ابن الحارث بن مُعاوية بن ثَور بن مُرتع[2] الكِنْدية . وهى ذاتُ القُرْطين التى يُضرب بها المثلُ ، فيقال لما يُغْلَى به الثمن : خذه ولو بقُرطَىْ مارية . وأُختها هِنْد

(١) البهير : المتتابع النفس إعياء وتعبا .

(٢) هو كمحسن ، وكمحدث ، بالتشديد فى الثانى . (انظر القاموس وشرحه) .

الهُنود ، أمرأة حُجْر آكل المُرَار . وإياها عَنى حسّان بن ثابت بقوله فى جَبلة ابن الأيهم :

أولاد جَفْنَةَ حول قبر أبيهمُ ... قَبْرِ ابن مارية الجَوادِ المُفْضِلِ

مدحه عمرو بن الحارث وأخاه النعمان

فمَدحه النابغةُ ومَدح أخاه النُّعمان ، ولم يَزل مُقيماً مع عمرو حتى مات ومَلك أخوه النُّعمان ، فصار معه إلى أن أستطلعه[1] النُّعمان بن المنذر ، فعاد إليه . فممّا مَدح به النابغةُ عمرو بن الحارث قصيدتَه التى أولُها :

كِلينى لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيه بَطِىء[2] الكواكبِ
وصَدْرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّه ... تضاعف فيه الحُزْنُ من كُلّ[3] جانب
تَقاعس حتى قلتُ ليس بمُنْقَضٍ ... وليس الذى يَهْدِى النُّجومَ[4] بآئب
علىّ لِعمرٍو نِعمةٌ بعد نِعْمة ... لوالده ليست[5] بذاتِ عَقارب

ومنها :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سُيوفهم ... بهنّ فُلولٌ من قِراعِ[6] الكتائب
إذا أُستُنْزِلوا عنهنّ للطعن أَرقلوا ... إلى الموتِ إرقالَ الجِمال[7] المَصاعب

(١) أى طلب صعوده إليه .

(٢) كليني : دعيني . وناصب : متعب . وبطىء الكواكب : طويل ، فلا تجرى كواكبه ولا تغور .

(٣) أراح : رد . أى إن هذا الليل قد رد إليه ما عزب من همه بالنهار ، لأنه يتعلل نهاراً بمحادثة الناس ، فإذا خلا بالليل راح إليه همه .

(٤) تقاعس : تأخر . والذى يهدى النجوم : أولها ، إذ هادى كل شىء ما يتقدمه . أى إن أول النجوم غير راجع إلى مسقطه ومغيبه . وقيل : المراد بهادى النجوم : الشمس ، لأنها تتقدم النجوم فى المغيب . وكونها غير آئبة ، أى غير راجعة إلى مشرقها ؛ فكأنه ليل لا نهار بعده .

(٥) ليست بذات عقارب ، أى لا يكدرها ولا يمنها .

(٦) فلول : ثلوم . والقراع : المجالدة والمضاربة .

(٧) الإرقال : مشى سريع . والمصاعب : الإبل لم يمسسها الحبل وإنما تقتنى للفحلة .

شعره فى النعمان وهو غلام

وذُكر أنّ النابغةَ نظر إلى النُّعمان بن الحارث أخى عمرو ، وهو يومئذ غلام ، فقال :

هذا غلامٌ حَسن وجهُه ... مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمام
للحارث الأكبر والحارث الـ ... أصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد ... أسرع فى الخَيرات منه إمام
خمسةُ آباء هُم ماهُمُ ... هم خيرُ من يَشرب صَوبَ الغمام (١)

من شعره فى الاعتذار

وممَّا اعتذر به النابغةُ ، وهو من أجود الشعر قوله :

حَلَفتُ فلم أتْرُكْ لنفسك رِيبةً ... وليس وراء الله للمَرء مَذْهَبُ
ولستَ بمُستَبْقٍ أخاً لا تلُمُّه ... على شَعَثٍ أىّ الرِّجال المُهذَّب
لئن كنتَ قد بُلِّغت عنّى جنايةٌ ... لمُبْلغُك الواشى أغَشُّ وأكذب

حسان والنعمان فى شأنه

وحَكى حسّان بن ثابت الأنصارى رحمه الله قال : قدمتُ على النُّعمان بن المُنذر وقد امتدحتُه ، فأتيتُ حاجبَه عِصاماً فجلستُ إليه . فقال : إنى لأَرى عربيًّا ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم . قال : فكُنْ قَحْطانيًّا . قلت : فأنا قَحطانىّ . قال : فكُن يثربيًّا . قلت فإنّى يثربىّ . قال : فكُن خَزرجيًّا . فقلت: فإنّى خَزرجى . قال : فكن حَسَّان بن ثابت . قلت : إنّى حسَّان بن ثابت . قال : جئتَ بمِدْحة الملك ؟ قلت : نعم . قال فإنى سأُرشدك إذا دخلتَ إليه ، فإنه سيسألك عن جَبَلة بن الأيهم ويسُبّه ، فإياك أن تُساعده على ذلك ، ولكن أمِرَّ ذِكْره إمْراراً لا تُوافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دُخول مثلى أيها الملك بينك وبين جَبلة بين الأيهم، وهو منك وأنت منه ! وإن دعاك إلى الطَّعام فلا تُؤاكله ، وإن أقسم عليك فأَصِبْ منه اليسيرَ إصابة مُبرٍّ قَسَمَه مُتشرِّف بمُؤاكلته ،

(١) الرواية فى الشعر والشعراء : « صفو المدام » .

لا أكلَ جائعٍ سَغِب ، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تُطل الإقامة فى مجلسه . فقلت : أحسنَ الله رِفْدك ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ، ثم خرج إلىّ فقال : اُدْخُل . فدخلتُ ، فسلّمت وحيّيت تحيةَ الملك . فجارانى من أمر جَبلة ما قاله لى عِصام ، كأنّه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرنى به . ثم استأذنتُه فى الإنشاد فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرنى به عصام ، وبالشراب ففعلت مثلَ ذلك . وأمر لى بجائزة سنيّة ، وأذن لى ، فخرجتُ . فقال لى عصام : بقيتْ علىّ كلمةٌ واحدة لم أوصك بها : قد بلغنى أنّ النابغة الذُّبيانى قادم عليه ، فليس لأحدٍ منه سواه حظٌّ ، فاستأذنْ حينئذ وانصرفْ مُكرَّماً خير من أن تنصرف مَجْفُوًّا . فأقمتُ ببابه شهراً ، ثم قدم عليه الفزاريّان ، وكان بينهما و بين النعمان دُخْلل — أى خاصّة — وكان معهما النابغةُ قد استجار بهما ، وسألهما مُساءلة النُّعمان أن يرضى عنه ، فضَرب عليهما قُبة من أدم ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما ، ودَسّ النابغة قينةً تُغنِّيه بشعره :

* يا دارَ ميّة بالعلياء فالسَّند *

فلما سَمع الشعر قال : أُقسم بالله إنه لشعر النابغة ! فأُخبر أنه مع الفزاريَّيْن . وكلَّماه فيه فأمّنه .

ثم خَرج النُّعمان فى غِبّ سَماء ، فعارضه الفَزاريّان والنابغةُ بينهما قد خُضِب بحِنّاء وقَنَأ [1] خضابُه . فلما رآه النُّعمان قال : هى بدَمٍ كانت أحرى أن تُخضب . فقال الفزاريّان : أبيت اللعن ! قد أجرناه ، والعفو أجمل . فأمَّنه . واستنشده أشعاراً بعد ذلك .

---

(١) قنأ خضابه : اشتدت حمرته .

قال حسّان بن ثابت : فحسدتُه على ثلاث ، لا أدرى على أيّهن كنتُ أشدّ : على إدناء النُّعمان له بعد المُباعدة ، ومُسامرته[١] له و إصغائه إليــه ، أم على جَودة شعره ، أم على مائة بعير من عَصافيره[٢] أَمَر بها له .

وقيل لأبى عمرو : أفمن مَخافة النُّعمان امتدحه النابغــة وأتاه بعد هَر به منه ، أم لغير ذلك ؟ قال : لا ، لعمرُ الله ما لِمَخافته فَعل ، إنْ كان لآمناً من أن يُوجِّه إليــه النعمانُ جيشاً ، وما كانت عشيرته لِتُسلمه لأَوَّل وَهلة ، ولــكنّه رَغب فى عَطاياه وعَصافيره .

وكان النابغة يأكل و يَشرب فى آنية الفضّة والذهب ، من عَطايا النُّعمان وأبيه وجده ، لا يستعمل غيرَ ذلك . من يساره

وذُكر أنّ السببَ فى رجوعه إلى النُّعمان بعد هَر به منــه أنّه بلغه أنه عليلٌ ، فأقلقه ذلك وما خافه عليه ، وأشفق من حُدوثه به ، فصار إليه ، فألفاه محمولاً على سرير يُنقل ما بين الغَمْر وقُصور الحِيرة . فقال لعصام حاجبه : سبب آخر فى رجوعه إلى النعمان

ألمْ أُقسم عليك لتُخْــبِرَنّى ... أمحمولٌ على النَّعش الهُمــامُ

فإنّى لا أُلومك[٣] فى دُخولى ... ولــكنْ ما وراءك يا عصــام

فإن يَهلك أبو قابُوس يَهْلِك ... رَبيعُ الناس والشَّهر[٤] الحَرام

ونُمْسِك بعده بذِنَاب عيشٍ ... أَجبِّ الظَّهرِ ليس له سَــنام

(١) فى بعض الأصول : « مسايرته » .
(٢) العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .
(٣) أى لا ألومك فى ترك الإذن لى فى الدخول ، ولكن أخبره بكنه أمرى .
(٤) يريد أنه كالربيع فى الخصب لمجتديه ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل فى الشهر الحرام إلى أحد .

وكانت ملوك العرب إذا مَرض أحدٌ منهم حملتْه الرجال على أكتافها يتعاقبونه ، لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

من داليته

ومن قصيدة النابغة الدالية التى يعتذر فيها :

نُبئت أنَّ أبا قابوس أَوعدنى ولا قَرار على زأْرٍ من الأَسدِ

مَهلاً فداءٌ لك الأقوامُ كلهمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن وَلد

إن كنتُ قلتُ الذى بُلِّغْتَ مُعتمداً إذاً فلا رفعتْ سَوطى إلىّ يدى

[ج ١٠] أخبار أوس بن حجر (*)

نسبه

هو أوس بن حَجَر بن مالك بن حَزْن بن عُقيل بن خَلَف بن نُمَير بن أسد بن عمرو بن تميم بن أُدّ بن طابخة بن اليأس (١).

وكان شاعراً من شُعراء الجاهليَّة وفُحولها.

طبقته

وجَعله أبو عُبيدة من الطبقة الثالثة وقرنه بالحُطيئة ونابغة بنى جَعدة.

وكان أبو عمر يقول: أوس بن حَجر شاعر مُضر، حتى أسقطه النابغةُ وزُهير. فهو شاعرَ تَميم فى الجاهليَّة غيرَ مُدافَع.

مدحه فضالة

وذُكر أنّ أوساً هذا كان غزلاً مُولَعاً بالنساء، فخَرج فى سَفر حتى إذا كان بأرضٍ لبنى أسد، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقتُه فصرعتْه، فاندقّت فَخِذاه، فبات مكانَه، حتى إذا أصبح غدا جَوارى الحىّ يجتنين الكَمْأة وغيرَها من نَبات من الأرض، والناسُ فى ربيع. فبينا هُنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجُول وقد عَلِق زمامها بشجرة وأبصرْنَه مُلْقًى، ففزِعْنَ فهرَبْن. فدعا بجارية منهنّ فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا حليمةُ بنت فَضَالة بن كَلَدة. وكانت أصغرَهن. فأعطاها حَجَراً وقال لها: أذهبى إلى أبيك فقولى: ابنُ هذا يُقرئك السلام. فأتتْه فأخبرتْه. فقال: يا بُنَيَّة، لقد أتيتِ بمَدحٍ طويل أو هجاء طويل.

(*) مر ابن واصل عن ترجمتين قصيرتين: إحداهما للحارث بن حلزة: والثانية لعمرو بن كلثوم. فلم يذكر منهما شيئاً ولم يذكر علة ذلك. كما أغفل شيئاً آخر عن الهجاء بين جرير والأخطل وسببه، وقد تحدث عنه أبو الفرج فى غير إطالة.

(١) وساق نسبه ابن حزم فى «جمهرة أنساب العرب» (ص ٢٠٠) فقال: أوس بن حجر بن عتاب بن عبد الله بن عدى بن نمير بن أسيد بن عمرو بن تميم «وتميم هو ابن مر بن أد بن طابخة».

ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيتَه حيث صُرِع ، وقال : لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ . فأقام عنده وحليمةُ تقوم عليه حتى أستقلّ و برىء . فمدحه مدائحَ كثيرةً .

رثاؤه فضالة

ورثاه لما مات بقصيدة أوّلها :

* يا عينُ لا بُدّ من سَكْبٍ وتَهْمَالِ *

يقول فيها :

أبَا دُلَيجةَ مَن تُوصى بأرملة ... أم من لأشعثَ ذى طِمْرَيْن مِمْحالِ

أبا دُليجة من يكفى العشيرةَ إذ ... أمسَوْا من الأمر فى لَبْسٍ و بَلْبال

لا زال مِسْكٌ ورَيحانٌ له أَرَجٌ ... على صَداكَ[1] بصافِى اللَّون سَلْسَال

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار أوس بن حَجر، هو :

إنّى أرِقْتُ ولم يأرَق معى صاحِ ... لمُسْتَكفٍّ[2] بُعَيْد النَّوم لَوّاحِ

دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيدبُه ... يكاد يدفعه مَن قام[3] بالرّاح

إنْ أشربِ الخمرَ أو أُغلى بها[4] ثمناً ... فلا مَحالةَ يوماً أنّنى صاحى

(١) الصدى ، هنا : الجثة حيث تأوى فى قبرها . وصافى اللون : ماء المطر . يدعو لقبره بالسقيا .

(٢) مستكف : مستدير .

(٣) مسف : قد أسف على وجه الأرض ودنا وقرب . و الهيدب : ما يرى كالمتعلق بالسحاب. يصف السحاب بالثقل حتى إن القائم يكاد يمسه براحته .

(٤) فى التجريد « أو أرزأ لها ثمناً » .

أخبار ورقاء بن زهير العبسى

ومقتل أخيه شأس، وأبيه زهير، وخالد قاتل أبيه

نسبه

هو وَرقاء بن زُهير بن جَذِيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سَعد بن قَيس عَيلان بن مُضر ابن نزار.

مقتل شأس

وذُكر أنّ شأس بن زُهير أقبل من عند الملك النعمان بن المُنذر، وكان بينه و بين أبيه زُهير صِهْر، كانت ابنةُ زُهير عنده. فأقبل شأسٌ من عنده وقد حَباه الملك وكساه أفضلَ الحِباء. وممّا حَباه به قطيفةٌ حمراء ذات هُدب، وطِيب. فمرّ بخِباء لرِياح بن الأشلّ،[1] أحدِ بنى عُبيد بن سَعد، فيه أهلُه، وذلك وقتَ الظَّهيرة. فألقى شأسٌ رَحلَه بفنائه ثم قعد يُريق الماء، وامرأة رِياح قريبةٌ منه. فقال رِياح لامرأته: أَنْطِينى[2] قوسى. فألقت إليه قوسَه وسهماً قد انتزعت منه نصلَه لئلّا يقتُلَه، فرماه بالسَّهم فوقع بين فَقارتين من ظهره ففصلهما، وخَرّ ساقطاً. فحفَر له حَفَراً فدَفنه فيه، ونَحر جملَه فأكله. فأقبلت عَبس تقُصّ أثره، فلم يتَّضح لهم أمرُه، فمكثوا كذلك ما شاء الله حتى رأَوْا امرأة رِياح باعت بعُكاظ قطيفةً حمراء، أو بعض ما كان من حِباء الملك. فتيقّنوا حينئذ أنّ رِياحاً قتله. ولِحَق رياحٌ بخاله من بنى الطّمّاح من بنى أسد بن خُزَيمة، فكان يكون اللَّيل عنده، وإذا أحسّ بالصُّبح ذَهب يتصيّد الأَرْوَى. فأصبح ذاتَ يوم عند

---

(١) هذا رواية التجريد و الكامل لابن الأثير (١ : ٤١١). وفى غيرها: «رياح بن الأسك».
(٢) أى أعطينى.

خاله ، و بنو عَبس تُريغه [١] ، فركب خالُه جملاً وأركبه وراءه . فبينما هما كذلك إذ دنت عَبس ، فقالوا : هذه خيل عَبس تطلبك . فقصد رِياحٌ شجرةً فحفر له حُفرة فى أصلها وتوارَى فيها . ولقيت الخيلُ خالَه فقالوا : هل كان معك أحــدٌ ؟ قال : لا . قالوا : فما هذا المَركب خلفك ؟ لتخبّرنا أو لنقتلنّك . قال : لا كذِب، هو رِياح ، ودلّهم عليه . فلما دنَوْا منه، قال الُحصين بن زُهير بن جَذيمة ، أخو شأس، وأبن عمه الُحصين بن أسد بن جَذيمة : يا بنى عَبس ، دعُونا وثأرَنا . فَخَنسُوا [٢] عنهما . وأخذ رياح نعلَيْن فصيَّرهما على صدره حِيالَ كبدِه . وحَمل عليه أحدُهما فطَعنه فأزلّت النعلُ الرُّمحَ وأخذ الرُّمحُ جَنْبَ شاكِلته [٣] فشَلّه . ورماه رياحٌ مولِّيًا فجذم صُلْبَه ، ثم جاء الآخر فطَعنه، فلم يُغنِ شيئاً ،ورماه رياحٌ مولِّيا فصرعه. فقالت عَبس : إلى أين تذهبون ؟ إلى هذا ؟ والله ليقتلنّ منكم عدَد قوائمه [٤] ، وقد جرحاه فسيموت : وأخذ رياحٌ رُمحيهما وسَلَبَيْهما وخَرج يشتدّ ، فرأته عجوزٌ من بَغيض وقد دَنا من [٥] حوض ماء ليشرب ، وهو شديد العَطش ، فطمعتْ فيه ، فقالت : أُســتأسر . فقال : دَعينى ويحك أشرب . فأَبت عليه . فأخــذ مِشْقصاً [٦] وقَطع به رواهشَهــا [٧] ، فماتت. وعَبّ فى المــاء حتى رَوِى ، ثم أتى قومَه .

ذكر قتل زهير بن جذيمة العبسى

قيل كان بين مَقتل شأس بن زُهير وأبيــه زُهير ما بين عِشرين سنةً إلى ثلاثين سنة . وكانت هوازن بن مَنصــور لا ترى زُهيرا إلا ربًّا لها ، وكان قد

(١) تريغه : تطلبه . (٢) خنسوا : تأخروا وتنحوا .
(٣) الشاكلة : الخاصرة . (٤) فى غير التجريد : « مراميه ».
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « وهو يستدمى على الحوض » أى وقد طأطأ رأسه يقطر منه الدم.
(٦) المشقص : النصل العريض . (٧) الرواهش : عصب وعروق فى باطن الذراع .

أُستذلّها زُهير وقهرها ، فكان زُهير يعشُرهم ، (١) فكان إذا كان سُوق عُكاظ أَتاها زُهير ، ويأتيها الناسُ من كل جانب ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التى كانت له فى أَعناقهم من السَّمن والأَقِط والغَنَم ، فأَتته عجوز من بنى مُضر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بسَمن فى نِحْيٍ ، واعتذرت إليه وشَكت السِّنين اللواتى تتابعْن على الناس . فذَاقه فلم يَرْض طعمَه ، فضَرب صدرَها بقَوسٍ كانت فى يده ، فوقعت على ظَهرها و بدت عورتُها ، فغضبتْ لذلك هوازن على زُهير واُشتدّ حقدُها عليه ، مع ما كان عندها له من الغيظ والَحسد . وقال خالد بن جعفر بن كلاب : والله لأجعلنّ ذِراعى وراء عنُقه حتى أُقتل أو يُقتل . واُنفرد زُهير عن قومه ببَنيه وبَنى أخويه ، وهم أَسيد وزِنباع ، (٢) ومعه إبلٌ له ، فنَزل منزلاً يقربُ من بنى عامر وهو لا يشعر بقُربهم منه ، وكانت زوجتُه تُماضر بنت عمرو اُبن الشَّريد السُّلمى ، وهى أُم ولده ، فمرّ بها أخوها الحارثُ بن عمرو بن الشَّريد، فقال زُهير لبَنيه : إنّ هذا الِحمار لطليعةٌ عليكم فأَوثقوه . فمنعتْهم أُمهم من ذلك ، وقالت لأخيها : إنه ليَرِيبُنى أمرُك . ثم حلبوا له وَطْباً من لبن وأَحلفوه يميناً أَلّا يُنْذِر بهم أحدًا . فخرج حتى أتى بنى عامر فى ناديهم ، فأَتى شجرةً فأَلقى وَطْبَ اللبن تحتها. والقوم ينظرون إليه ، ثم قال : أيتُها الشجرة الذّليلة ، اُشربى من هذا اللبن فاُنظُرى ما طَعْمُه . فقال أهلُ المجلس : هذا رجل مأخُوذ عليه عهد وهو يخبركم خبراً . فأَتوه ، فإذا هو الحارث بن عمرو ، فذاقوا اللبن فإذا هو حُلو لم يَقْرُص بعد . فقالوا : إنه ليُخبرنا أنّ مَطلبنا قريبٌ . فركب معه ستةُ فوارسَ لينظُروا ما الخبر ، وهم : خالد بن جعفر بن كلاب، على فرسه المُسمّاة حَذْفة، وحُندج بن البَكّاء، ومُعاوية بن عُبادة بن عُقَيل ، فارس الهرّار ، وهو الأخيل جدّ ليلى الأخيلية ، وهو

(١) عشيرهم : يأخذ عشر أموالهم .

(٢) فى التجريد : « ضباع » .

يومئذ غُلام له ذؤابتان ، وهو أصغر مَن رَكِب ؛ وثلاثُ فوارس من سائر بنى عامر . فاقتصُّوا أثر الحارث بن الشَّريد ، فلما رأوا إبلَ بنى جَذيمة نزلوا عن الخيـل . فقالت النساء : إنّا لنَرى حَرَجةً من عِضاهٍ أو غابةَ رماح بمكانٍ لم نكُن نرى به شيئاً . ثم راحت الرِّعاء فخبَّروا بمثل ما قالت النساء . وأخبرت راعيةُ أَسِيد بن جذيمة أَسِيداً بذلك . فأتى أَسيد أخاه زُهيرا فأخبره بما أخبرتْه به الراعية ، وقال : إنها إنما رأتْ خيـلَ بنى عامر ورماحَها . فقال له زُهير : كُلّ أَزبّ نَفُوز (١) — فذهبت مثلاً . وكان أَسِيد كثيرَ الشَّعر — وأين بنـو عامر ! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركْتَها تركتْك ، وإن وطئتها عضّتك ؛ وأما بنو هلال فيبيعون العِطر . فتحمّل عامةُ بنى رَواحة ، وآلى زُهير لا يبرح مكانَه حتى يُصبح . وتحمّل مَن كان معه غيرَ ابنيه : ورقاء، والحـارث . فصَبحهم القوم غُدوةً ، فركب أسيد فَرسه ونجا بها . ووثَب زُهير على القَعساء فرسه فركبها ، وهى يومئذ عَقُوق متمرِّدة . وأعرورى (٢) ورقاء والحارث ابناه فَرَسيْهما ، ثم خالفوا جهةَ مالِهم ليُعَمُّوا على بنى عامر جهةَ ما لهم فلا يأخذُوه . ونادى بعضُ بنى عامر بشعار أهل اليمن ليُعَمِّى على الجذَميّين من القوم . فقال زُهير : هذه اليمن قد أعلمت أنّها أهل اليمن . وتمرّدت القعساء بزُهير ، وأتبعه خالد بن جعفر على فرسه حَذْفة . فلما رأى خالدٌ فرسـه حَذفة لا تَلحق القَعساء قال لمعاوية الأخيل بن عُبادة ، وهو على فرسـه الهَرّار : أدركْ مُعاويَ . فأدرك معاويةُ زُهيراً ، وجعل ابناه وَرقاء والحارث يذُبّان عن أبيهما . فقال خالد لمعاوية : اطعُن يا معـاوية فى نَساها (٣) ، فطَعنها فى إحدى رجليها ، فانخزلت القعساء بعضَ الانخزال، وهى فى ذلك تَعدو أشدَّ عدو . فقال له

(١) الأزب : الذى كثرت شعرات حاجبيه ، فإذا ضربتّها الريح نفر .
(٢) اعرورى الفرس : ركبها عارية من غير سرج .
(٣) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتّى يبلغ الحافر .

زُهير : اطعُن الأُخرى ، يكيده بذلك لكى تَستوى رجلاها فتحامَلَ (١) . فناداه خالد : أُطعُن مكاناً واحدا . فطعَنها فى رجلها المَطعونة ، فانْخزلت ، ولحقه خالدُ بن جعفر على حَذْفة ، فجعل يدَه وراء عُنقه فقلبه ، وخَرَّ خالدٌ عن فَرسه ، فوقع فوقه ، ورَفع المِغْفر عن رأس زُهير بن جَذيمة ، ونادى : يا آل عامر ، اقتلُونا معاً . فعرف زُهير وأبناه أنهم بنو عامر ، وكانوا يظُنونهـم من اليَمن . فقال ورقاء ابن زُهير : وانقطاعَ ظَهراه ! إنها لبَنو عامر ! سائرَ اليوم . ولحق حُنـدج بن البكّاء ، وقد حَسَر خالدٌ المِغفر عن رأس زُهير ، فقال لخالد : نَحّ رأسَك يا أبا جَزْء ، لم يَحِن يومُك . فنحّى خالدٌ رأسَه . فضَرب حُندجٌ رأس زُهير ، وضربَ ورقاء بن زُهير رأسَ خالد بالسيف ، وعليه دِرْعان ، فلم يُغْن شيئاً . وانتزع أبنا زُهير أباهما من القوم . ورَجع القوم ومَضى أبنا زُهير بأبيهما . وكان السيفُ قد بلغ دِماغَه . ومنع بنو زُهير أباهم من شُرب المـاء خوفاً عليه ، فاستسقاهم فمنعوه . واشتدّ به العطشُ . والمَأموم يُخاف عليه من شُرب الماء . فألحّ عليهم فى طَلب المـاء . فسقَوْه . فمات لثالثة .

شعر ورقاء فى مقتل زهير

فقال ورقاء بن زُهير :

رأيتُ زُهيراً تحت كَلكل خالدٍ فأقبلتُ أسعى كالعَجُول (٢) أُبادِرُ
إلى بطلَيْن يَنهضـان كلاهما يُريغان نَصْلَ السَّيفِ والسيفُ (٣) نادر
فشَلَّت يَمينى إذ ضربتُ ابنَ جعفرٍ وأَحرزه منِّى الحديدُ المُظاهَر
فيا ليتنى مِن قبـلِ أيّام خالدٍ ويومِ زُهـير لم تَلِدْنى تُماضِر

شعر خالد بن جعفر فى مقتل زهير

وقال خالد بن جَعفر يَمُنّ على هَوازن بقَتله زُهير بن جَذيمة :

بل كيف تكفُرُنى هوازنُ بعد ما أعتقتُهم فتوالدُوا أحرارَا

(١) أى فتتحامل ، حذف إحدى التاءين .

(٢) العجول : التى فقدت ولدها ، فهى عجلة جيئة وذهاباً لجزعها .

(٣) يريغان : يطلبان . ونادر : ساقط .

وقتلتُ ربهمُ زُهيراً بعد ما جَدع الأُنوف وأكثر الأَوتارا
وجعلتُ مَهر بَناتِهم ودمائِهم عَقْلَ المُلوك هجائناً أبكارا
وجعلتُ حَزْنَ بلادهم وجِبالهم أرضاً فضاءً سهلةً وعِشارا

للفرزدق فى مقتل خالد

وفى ضربة ورقاء رأسَ خالدٍ يقول الفرزدقُ :

إن يكُ سيفٌ خَانَ أو قَدَرٌ[1] أتى لتأخير نفسٍ حَتْفُها غيرُ شاهد
فسيفُ بنى عَبْسٍ وقد ضربوا به نَبَا بيدَىْ وَرْقاءَ عن رأسِ خالد
كذاكَ سيوفُ الهِند تَنْبو ظُباتُها وتقطَع أحياناً مناطَ القلائد

ذكر مقتل خالد بن جعفر

قاتل زهير

ذُكر أنّ خالدَ بن جعفر كان أغار على رَهط الحارث بن ظالم ، من بنى يَربوع بن غَيْظ بن مُرّة ، وهم بوادٍ يقال له : حُرَاض . فقَتل الرجالَ حتى أسرف فيهم . والحارثُ بن ظالم يومئذ غلامٌ . وبَقيت النساء . ويقال : إنَّ ظالماً هَلك فى تلك الوَقعة من جِراحة أصابته يومئذ . ونشأ الحارث على بُغض خالد ، وأردف ذلك قتلُ خالدٍ زُهيراً ، فاستحقّ العداوةَ فى غَطفان . فمكث خالدُ بن جعفر بُرهةً من دهره ، وهو يومئذٍ رأسُ هوازن . ثم إنه وفَد على النُّعمان بن المُنذر وأهدى إليه فرساً . فألفى عنده الحارث بن ظالم المُرّى . فقَدّم لهم النعمان تمراً . فطفِق خالدُ ابن جَعفر يأكل ويُلقِى النَّوى قُدَّام الحارث . فلما فَرغ القومُ قال خالد : أبيتَ اللعن ! أنظُر إلى ما بين يدى الحارث من النَّوى . ثم قال : إن الحارث لم يترُك لنا تمراً إلا أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأكلتُ التمر وألقيتُ النوَى ، وأما أنت يا خالد فأكلْته بنواه . فغَضب خالدٌ ، وكان لا يُنازَع . فقال : أتُنازعنى

(١) فى البيت خرم ، وهو حذف الحرف المتحرك من أول البيت . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « أتى » مكان « أبى » .

يا حارث وقد قتلتُ حاضرتَك وتركتُك يتيماً فى حُجور النساء . فقال : ذلك يومٌ لم أشهده ، وأنا مُغنٍ اليومَ بمكانى . قال خالد : فهلاّ تشكر لى إذ قتلتُ زهيرَ ابن جَذيمة وجعلتُك سيدَ غطفان . فقال الحارث : سأشكرك على ذلك . فخرج الحارثُ بن ظالم إلى بيت قَينة ، فشَرب عندها وتغنَّى . فقال :

تعلَّم أبيتَ اللعنَ أنِّىَ (١) قاتلٌ ... من اليومِ أو من بعده لابن (١) جَعْفرِ
أخالدُ قد نبَّهتنى غيرَ نائمٍ ... فلا تأمَنَنْ فتكى يدَ الدهرِ واحذرِ
أعيَّرتَنى أنْ نِلتَ منّا فوارساً ... غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنّان (٢) عَبْقَرِ
أصابهمُ الدهرُ الخَتُور (٣) بعثرةٍ ... ومَن لا يَقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُرِ
فعلّك يوماً أن تبوء (٤) بضربة ... بكفِّ فتًى من قومه غيرِ (٥) جَيْدرِ
يُغصّ (٦) بها عُلْيا هوازن ، والمُنَى ... لقاءُ أبى جَزْءٍ (٧) بأبيضَ مِبْتَرِ

فبلغ خالدَ بن جعفر قولُه فلم يَحْفِل به . فقال عبدُ الله بن جَعدة ــ وهو ابن أُخت خالد ، وكان رجلَ قيسٍ رأيا ــ لابنه : يا بُنى ، ائت أبا جَزء فأخبره أنّ الحارث سفيهٌ موتور . فأخفِ مبيتك الليلةَ فإنه قد غلبه الشرابُ . فإن أبيتَ فاجعل بينك وبينه رجلاً يحرُسك . فوضعوا رجلاً بإزائه . ونام ابنُ جعدة دون الرَّجل . وخالدٌ من خلف الرجل . فأقبل الحارثُ بن ظالم فانتهى إلى ابن جعدة فتعدّاه . ومضى إلى الرجل الذى يحرُس خالداً فعَجنه بكَلْكله حتى كسره ، ثم مَضى إلى خالد بن جعفر فضَرب به بالسَّيف حتى قتله ، ثم قال لعُروة ،(٨) وهو الذى كان يحرس خالداً : أخبر الناسَ أنى قد قتلتُ خالدا . وقال فى ذلك :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أنى فاتك » ... بابن جعفر .
(٢) عبقر : موضع ، تزعم العرب أنه كثير الجن .
(٣) الختور : الغادر الخادع . (٤) فى غير التجريد : « تنوء » .
(٥) الجيدر : القصير . (٦) فى التجريد : « يفض » .
(٧) أبو جزء : كنية خالد بن جعفر .
(٨) هو عروة بن عتبة ، ابن أخى خالد ، وكان يحرس عمه خالداً مع ابن جعدة .

ألا سائلِ النُّعمانَ إن كنتَ سائلاً وحَيَّ كِلابٍ هل فتكتُ بخالدِ
عَشوتُ إليه وابنُ جعدَة دونه وعُروة يَكْلا عَمَّه غيرَ راقد
فأضربُه بالسَّيف يأفوخَ رأسه فصمّ حتى نال نُوطَ[1] القلائد
وأفلتَ عبدُ الله منِّى بذُعره وعُروةُ من بعد أبن جَعدة شاهدِى

ثم لحق الحارثُ بن ظالم المُرّى بحاجب بن زُرارة . فاستجار به فأجاره. ووعَده أنْ يَمنعه من بنى عامر. وبلغ بنى عامر مكانه فى بنى تميم ، فساروا فى عُلْيا هوازن ، فلما كانوا قريباً من القوم فى أول وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بنى غَنِيّ ، فإذا هو بامرأة من بنى تميم ، ثم من بنى حَنظلة ، تَجتنى الكَمْأة . فأخذها فسألها عن الخبر. فأخبرتْه بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة ، وما وعَده من نَصره ومَنْعه .فانطلق بها الغَنوىُّ إلى رَحله . ثم انسلّت فى وسط من الليل . فأتى الغنوىُّ الأحوصَ بن جعفر فأَخبره أن المرأة قد ذَهبت ، وقال : هى مُنذرةٌ عليك . فقال له الأحوصَ : ومتى عهدُك بها ؟ قال : عهدى بها والمنىُّ يقطُر من فرجها . قال : وأبيك إن عهدك بها لقريب . وتبع المرأةَ عامرُ بن مالك يقُصّ أثَرها حتى انتهى إلى بنى زُرارة ، والمرأة عند حاجب ، وهو يقول لها : أخبرينى أىُّ قوم أخذوك ؟ قالت : أَخذنى قومٌ يُقبلون بوجُوه الظِّباء ، ويُدبرون بأعجاز النساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدِّثينى مَن فى القوم . قالت : رأيتُهم يَغدون على شيخٍ كبير لا ينظرُ بمأْقَيْه[2] حتى يَرفعوا له مِن حاجبَيْه . قال : ذاك الأحوص بن جعفر .قالت : ورأيتُ شابًّا شديدَ الخلق كأنّ شَعْر ساعديه حَلَق الدِّرع . قال : ذاك عُتبة بن بَشِير بن خالد . قالت : ورأيتُ كهلاً إذا أقبل ، معه فتَيان، يشرئبّ القوم إليه ، وإذا نطق أنصتوا . قال : ذاك عمرو بن خُوَيلد ،

(١) يأفوخ الرأس : ملتقى عظم المقدم والمؤخر . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط ، وهو من كل شىء : معلقه . (٢) مأق العين وموقها : مؤخرها ، أو مقدمها .

والفَتيان أبناه . قالت : ورأيتُ شابًّا طُوالاً حُساناً إذا تكلّم بكلمة أنصتوا له ثم يَئِلُّون(١) إليه كما تؤُلّ الشَّوْلُ(٢) إلى فحلها . قال : ذاك عامر بن مالك . فدعا حاجبٌ الحارثَ بن ظالم فأخبره خبرَ القوم . وقال: يا بن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أتوْك ، فما أنت صانعٌ . قال الحارث : ذاك إليك، إن شئت أقمتُ و إن شئتَ تنحّيت . فقال حاجبُ تنحَّ عنى غيرَ ملوم .

فغَضِب الحارث من ذلك ، وقال :

لَعمرى لقد جاورتُ فى حَىٍّ وائلٍ ... ومِن وائل جاورتُ فى حَىّ تَغْلِبِ
فأصبحتُ فى حىّ الأراقم لم يقُل ... لِىَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ اُذهَب
وقد كان ظَنّى إذ علقتُ إليكُمُ ... بنى عُدُس ظَنِّى بأصحاب يَثْرب
غداةَ أتاهم تُبَّعٌ فى جُنوده ... فلم يُسْلِموا المَرّار من حَىّ يَحْصُب
فإن تكُ فى عُلْيا هوازنَ شوكةٌ ... تُخاف ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَب
فإن يَمنع المرءُ الزُّرارىُّ جارَه ... (٣) فما حاجبٌ فى خِنْدِف بمُسيَّب
و إن يُسلم المرءُ الزُّرارىُّ جارَه ... فأَعْجِب بها من حاجبٍ ثم أعجب

فغَضب حاجبٌ ثم قال :

لعَمْرُ أَبيك الخيرِ يا حارِ إنّنى ... لأَمنعُ جاراً من كُلَيبِ بن وائلِ
وقد عَلِم المرءُ المَعَدِّىُّ أنّنا ... على ذاك كُنّا فى الخُطوب الأَوائل
وأنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً ... لَبِسنا له ثوْبَىْ وَفاء ونائل
وأنّ تَميماً لم تُحارب قبيلةً ... من النّاس إلا أُولعتْ بالكَواهل
ولو حاربتْنا عامرٌ يابْنَ ظالمٍ ... لعَضّتْ علينا عامرٌ بالأَنامل
ولاستيقنت عُلْيا هوازنَ أننا ... سنُوطئها فى دارها بالقنابل

(١) يئول : يسرع . (٢) الشول : الناقة خف لبنها وارتفع ضرعها .
(٣) هذا العجز ساقط فيا بين أيدينا من أصول الأغانى وكذلك صدر البيت التالى .

ولكنّنى لا أبعثُ الحَرْب ظالماً ولو هِجْتُها لم ألْفَ شَحْمَةَ آكِل

فتنحّى الحارثُ بن ظالم عن بنى زُرارة فلَحق باليمامة . ودعا حاجبٌ مَعبداً ولَقيطاً ، أبنى زُرارة ، فقال : سِيرَا فى الظُّعْن فإنّ موعدكما رَحرحان ، وإنّا مُقيمون فى حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : ما تَرى ؟ قال : أن تَدعوهم بمكانهم وتَسبقوهم الى الظُّعن . فلَقَوها برَحْرحان ، فاُقتتلوا قتالاً شديدا ، فأصابوها ، وأُسر مَعبد وجُرح لقيط . وبَعثوا بمَعْبد إلى رجُل بالطائف من أهلها كان يُعذِّب الأَسرى ، فقطّعه إرْباً إرْباً ، حتى قتله . وقال عامرُ بن مالك يُجيب حاجباً :

أَلكْنى[1] إلى المَرء الزُّراريّ حاجبٍ رئيسِ تَميم فى الخُطوب الأَوائلِ
وفارِسها فى كُل يومِ كريهةٍ وخيرِ تَميمٍ بين حَافٍ وناعِل
لعَمْرى لقد دافعتُ عن حَيٍّ مالكٍ شآبيبَ من حَرْبٍ تَلقَّح[2] حائل
على كُلِّ جَرداءِ السَّراةِ طِمِرَّة وأجْرَدَ خَوَّارِ العِنان[3] مُناقِل
نصحتُ له إذ قلتُ إنْ كنتَ لاحقاً بقَوْمٍ فلا تَعْدِل بأبناء وائل
ولو ألجأتْه عُصبةٌ تَغلبيّةٌ لسِرْنا إليهم بالقَنا والقنَابل
ولو رُمتُمُ أنْ تَمنعوه رأيتُمُ هناك أُموراً غِبُّها[4] غير طائل
لشابَ وَليدُ الحيِّ قبل مَشيبه وعضَّت تميمٌ كُلُّها بالأَنامل
وقامتْ رجالٌ منكُم خِنْدفيّةٌ يُنادون جَهراً ليتنا لم نُقاتِل

(١) ألكنى ، أى كن رسولى .

(٢) شآبيب : دفعات . وتلقحت الناقة : شالت بذنبها ترى أنها لاقح لئلا يدنو منها الفحل . والحائل : التى لم تحمل .

(٣) الجرداء : القصيرة الشعر ، وهو مدح لها . والسراة : الظهر . والطمرة : المتوثبة للعدو . وخوار العنان : سهل الانقياد . والمناقل : الذى يحسن نقل رجليه ويتقى الحجارة فى عدوه .

(٤) فى غير التجريد : « غيها » .

ذكر مقتل الحارث بن ظالم

قيـــل :

وخرج الحارث بن ظالم فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمى بنت ظالم ، وفى حِجْرها ولدُ النُّعمان بن المُنذر ، فقال لها : إنه لن يُجيرنى من النُّعمان إلا تَحرُّمى بابنه ، فادفعيـه إلىّ . وقد كان النُّعمان بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهُنّ . فدفعتْ سَلمى ابنَ النُّعمان إلى الحارث . فقتله الحارث. فوثب النُّعمان على عمّ الحارث ابن ظالم ، فقال : لأقتلنَّك أو لتأتينّى بابن أخيك . فاعتذر إليه . فخلّى سبيله . وقال الحارث فى قتله ابن النُّعمان :

حَسِبت أبا قابوس أنك ظـالمى ... ولمَّا تُذُق فَتْكى[١] وأنفُك راغِمُ
فإنْ تكُ ذَوداً قد[٢] أصبتَ ونسوةً ... فهـــذا ابنُ سَلْمى أمرُه مُتفاقِمُ
علوتُ بذِى الحيَّات[٣] مَفرِقَ رأسه ... وكان سِلَاحى تجْتويه[٤] الجَماجم
فتكتُ به فَتكاً كفَتْكى[٥] بخالد ... وهل[٦] يركبُ المكروهَ إلّا الأكارم
بدأتُ بهـذِى ثم أثْنى[٧] بمثلها ... وثالثـةٍ تَبيضُ مِنها المَقادم

ثم إنَّ النُّعمان بن المُنذر آمنـه ، فأقام حيناً . ثم إنَّ مُصدِّقاً للنُّعمان أخذ إبلاً لامرأة يقالُ لَها : ذاهب[٨] . فأتت الحارثَ بن ظالم فعلقَت دَلْوها بدَلْوه ، ومعها بُنيّ لَها ، فقالت : أبا ليلى ، إنى أتيتُكَ مُضافة[٩] . فقالَ لَها الحارث : إذا أورد القومُ النَّعَم فنادِى بأعلَى صوتك :

(١) الرواية فى بعض أصول الأغانى: « حسبت أبيت اللعن أنك فائت * ولما تذق نكلا » .
(٢) فى غير التجريد : « فإن تك أذوادا أصبت » : (٣) ذو الحبات : سيفه .
(٤) فى المفضليات : وتجتويه أى لا توافقه . والذى فى التجريد وأصول الأغانى : « تحتويه » .
(٥) فى التجريد : « فتكت به كما فتكت بخالد » .
(٦) فى بعض أصول الأغانى « ولا » .
(٧) فى التجريد : « بدأت بتلك وانثنيت بهذه » .
(٨) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « ديهث » . (٩) المضافة : الملجأة .

دَعَوتِ بالله ولم تُراعى ذلك راعيكِ فنعم الرّاعى
وتلك ذَوْدُ الحارث[1] الكَسَّاع يَمشى لها بصارمٍ قَطَّاع
يَشفى به مَجامع الصُّداع

وخرجَ الحارث بن ظالم فى إثرها ، وهو يقول :

أنا أبو ليلَى وسَيفِى[2] المَعْلوبْ كم قد أجرنا مِن حَرِيبٍ مَحْروبْ
وكم رَدَدْنا مِن سَلِيبٍ مَسلوب وطَعنةٍ طعنتُها بالمَنْصوب
ذاك جهيزُ الموت عند المكروب

ثم قالَ لها : لا تردنَّ عليك ناقة ولا بعيرٌ تَعرفينه إلا أخذتِه ، ففعلت . فأتَتْ على لَقُوح لها يحلبُها حبشىّ ، فقالتْ : يا أبا ليلى ، هذه لى . فقالَ الحَبشىّ : كذبتِ . فقال الحارث ؟ أَرْسلها لا أمَّ لك . فضَرط الحبشىّ . فقال الحارث : أُست الحالب أعلم . فأَرسلها مثلا . وأَسِف النُّعمان بن المُنذر على فَوت الحارث بن ظالم ، فلُطف له وراسله وأَعطاه الأمانَ ، وأشهد على نفسه فيه وُجوهَ العرب مِن رَبيعة ومُضَر واليمن أنه لا يطلُبُه بذَحْل ولا يسوءه بحال ، وأَرسل به مع جماعة له يسكُن إليهم ، وأَمَرهم أن يتكفَّلوا له بالوفاء ، ففعلوا ذلك ، وسكن إليهم الحارث . فأتى النُّعمانَ ، وهو فى قصر بنى مُقاتل ، فقال للحاجب: اُستأذن لى ـ والناسُ يومئذ عند النعمان مُتوافرون ـ فاُستأذن له . فقال النعمان : إيذن له وخُذ سيفه . فقال : ضَع سيفك واُدخل . فقال الحارث : ولم أضعُ سيفى ؟ قال: ضعْه ولا بأس عليك . فلما أَلحَّ عليه ، وَضعه ودخل عليه ومَعه الأمان . فقال لما دخل : اُنعَم صباحاً ، أبيتَ اللعن . فقال : لا أنعم الله صباحك ! فقال الحارث : هذا كتابُك . فقالَ : إى والله ما أُنكره ، وأنا كتبتهُ إليك ، وقد غَدرتَ وفتكتَ مِراراً ، فلا ضير

(١) الكساع : مبالغة من كسعهم بالسيف ، إذا اتبع أدبارهم فضربهم به .
(٢) المعلوب : سيفه .

أن أغدر بك مرّةً واحدة . ثم نادى : مَنْ يقتُل هذا ؟ فقام ابنُ الخِمْس التّغلبى ـ وكان الحارث فَتك بأبيه ـ فقال : أنا أقتله . فقال الحارث : يابن شرّ الأظماء ، أنتَ تقتلنى ! فقتله وأخذ ابنُ الخِمس سيف الحارث بن ظالم المَعلوب ، فأتى به سُوق عكاظ ، فجعل يَعرضه على البيع ويقول : هذا سيف الحارث بن ظالم . فرآه قيس بن زهير بن جَذيمة ، فطلبَ منه أن يُريه إياه . فعلاه به فى الحَرَم حتى قتله . وإنما فعل ذلك انتقاماً للحارث بن ظالم ، جزاءً له على فتكه بقاتل أبيه زُهير[1] .

ذكر يوم شعب جبلة

هذا يوم من أعظم أيام العرب وأشهرها .

ذُكر أن عبساً لمّا حاربت بنى ذُبيان أتوا بنى عامر وقَصدوا الاتفاق معهم على حرب ذُبيان وأن يوقعوا الحلف معهم على ذُبيان . فأتى قيسُ بن زُهير ، ابن جَذيمة والرّبيع بن زياد العبسيّان ، بيت الأحْوص بن جعفر ، وتقدّم إليه قيسٌ وأخذ بمَجامع ثوبه من وراء ظهره وقال : هذا مقام العائذ بك ! قتلتم أبى فما أخذتُ له عَقْلاً ولا قتلتُ به أحداً ، وقد أتيتُك لتُجيرَنا . فقال الأحْوص : نَعم، أنا لك جارٌ مما أُجير منه نفسى . وعوفُ بن الأحْوص عن ذلك غائب . فلما سمع عوفٌ بذلك أتى الأحْوص وعنده بنو جَعفر ، فقال : يا معشر بنى جعفر ، أَطيعونى اليومَ واُعصونى أبداً ، وإن كنتُ والله فيكم مَعصيًا . إنهم والله لو لَقُوا بنى ذُبيان لولَّوكم أطرافَ الأَسنة ، فابدءوا بهم فاقتلُوهم . فأَبَوْا عليه وحالفوهم . وسمعتْ بهم بنو ذُبيان ، فحَشَدُوا واستعدُّوا ، وخرجوا وعليهم حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر ، ومعه الحليفان أَسد وذُبيان ، يطلُبون بدم حُذَيفة بن بدر . وأقبل معهم شُرَحبيل ابن أخضر بن الجَوْن — وهو معاوية ، ويُسمى الجون لشدة سواده — بن آكل

---

(١) ساق أبوالفرج قبل « يوم شعب جبلة » خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة فى صفحات قليلة.

المُرار الكِنْدىّ فى جَمع من بنى كِنْدة . وأقبلت معهم بنو حَنظلة التَّميميون يَطلبون بدم مَعبد بن زُرارة ، ويثربىّ بن عُدُس ، الذى أخذتْه بنو عامر يوم رَحْرحان وبعثوا به إلى الطَّائف فقُطع إرْباً . وقد تقدم ذكر ذلك . وجامَعهم حسّان بن عمرو ابن الجَون فى جَمع عَظيم من كِنْدة ، ومعهم من رؤساء تَميم حاجبُ بن زُرارة ، وأخوه لَقيط ، والحارث بن شِهاب ، وجَمع عظيم من أوباش العرب يطلبون الغنيمة . فجمعوا جمعاً لم يكن فى الجاهلية قطُّ مثلُه . فلم تشُك العرب فى هَلاك بنى عامر .

استشارتهم الأحوص

فلما سمعتْ بنو عامر بمَسيرهم اجتمعوا إلى الأَحْوص بن جعفر بن كِلاب ـ وهو يومئذ شيخٌ كبير قد وَقع حاجباه على عينَيْه وترك الغَزْو ، غير أنه يُدبِّر أمرَ الناس ، وكان مُجرِّباً حازماً ميمونَ النَّقيبة ـ فأَخبروه الخبر . فقال لهم الأحْوص : كَبرْتُ فما أستطيع أن أجيء بالحَزْم ، وقد ذهب الرأى منِّى ، ولكنِّى إذا سمعتُ عرفتُ ، فأَجْمِعوا آراءكم ثم بِيتُوا ليلتكم هذه ، ثم اُغدُوا علىَّ فأعرِضوا علىَّ آراءكم . ففعلوا . فلما أصبحوا غدَوْا عليه ، فوُضعت له عَباءة بفنائه فجلس عليها ، ورَفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ، ثم قال : هاتُوا ماعندكم . فقال قيسُ بن زُهير العَبسىّ : بات فى كِنانتى الليلة مائةُ رأى . فقال الأَحوص : يَكفينا منها رأىٌ واحد حازم مُصيب ، هات فانثُر كنانتَك . فجَعل يَعْرِض عليه كُلَّ رأى رآه حتى أَنفد . فقال الأَحوص : ما أرى بات فى كِنانتك الليلةَ رأىٌ واحد حازم مُصيب . وعرض الناسُ آراءهم حتى أَنفدوا . فقال : ما أَسمع شيئاً وقد صِرْتم إلىَّ ، احملوا أثقالكم وضُعفاءكم . ففَعلوا . ثم قال : احملوا أَظعانكم . فحَملوها . ثم قال ! اركبوا . فركبُوا ، وجعلوه فى مِحفَّة . وقال : انطلقوا حتى تَعْلوا فى اليَمَن . فإن أَدرككم أحدٌ حملتم عليهم ، وإن أعجزتموهم مضيتم . فسار الناسُ . ثم إنّ عمرو بن عبد الله بن جعدة أنكر على عمِّه الأحوص هذا الرأىَ وقال : أردتَ أن تفضَحنا وتُخرجنا هاربين من بلادنا ، ونحنُ أعزُّ العرب وأكثرها عدداً وجلداً وأَحدُّهم شوكةً ! وتُريد أن

تجعلنا موالى فى العَرب إذ خرجتَ بنـا هار باً ! قال : فـكيف أفعـلُ وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به ! فما الرأى ؟ قال : نَرْجع إلى شِعْب جَبلة فنُحرِز النساءَ والضَّعفة والذَّرارىَّ والأموال فى رأسه ونكونُ فى وَسَطه ، ففيه خِصْبٌ وماء ؛ فإن أقام من جاءكَ أسفَلَ أقاموا على غير ماء ولا طَعام لهم ، و إن صَعدوا إليك قاتلتَهم من فوق رُءوسهم بالحجارة ، وكنتَ فى حِرْز وكانوا فى غير حِرْز ، وكنتَ على قِتالهم أقوى منهم على قتالك . فقال : هــذا والله الرأىُ ، فأين كان هـذا الرأى عنك حين استشرتُ الناسَ ؟ فقال : إنما جاءنى الآن . فقال الأحوصُ للنـاس : أرجعوا . فَرجعوا إلى شعب جَبلة ، وهو جَبـل عظيم له شِعب عظيم لا يُرى الجبل إلا من قِبل الشِّعب ، والشعب مُتقارب المدخل ، وداخله مُتَّسع . فدخلتْ بنو عامر شِعْباً منه يقال له : مُسلِّح ، فحَصنوا الذَّرارى والنِّساء والأموال فى أعلى الجبل ، وحَلَّئوا الإبل عن الماء ، واقتسمت القبائلُ شِعاب الوادى بالقُرعة والقِداح ، فحَصل لـكل منهم جانب منه .

وشهد هذه الحربَ من العَرب بنو عَبْس بن رفاعة ، من سُلَيم ، وكان لهم بأس وحَزم ، وعليهم مرادسُ أبو العبَّاس بن مِرادس ، وكانوا حُلفاء بنى عمرو بن كلاب . وشهدتْها غَنِيٌّ وباهلة ، وناسٌ من بنى سَـعد بن بكر ، وقبـائلُ بَجيلة كلُّها . فبلغ جمعُهم ثلاثين ألفاً . وعُمِّى على بنى عامر الخبرُ فجعلوا لا يَدْرون ما قُرْب القوم من بُعدهم . وأقبلت تَميم وذُبيان وأَسد وذبيان ولفيفُهم[1] نحو جبلة . ولقُوا كَرِب بن صَفوان بن شِجْنة بن عُطارد ، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنْذِر بنا بنى عامر؟ قال : لا . قالوا : فأَعطنا عهـداً ومَوْثقاً ألّا تفعلَ . فأعطاهم ، فخَلَّوا سَبيله . فمضى مُسرِعاً على فَرس له عُرْيٍ[2] ، حتى إذا نَظر إلى مَجلس بنى عامر وفيهم الأحوصُ ، من شهدها

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ولفهم » .
(٢) عرى : لا سرج عليه . وفى بعض أصول الأغانى : « عربى » .

نزل تحت شجرة حيث يَرَوْنه . فأرسلوا إليه يدْعونه . فقال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأْتُوا منزلى فإن فيه الخبر . فلما جاءوا منزلَه إذا فيه تُرابٌ فى صُرَّة وشوكٌ قد كُسر رُءوسه وفرِّق جِهَته ، و إذا حنظلةٌ موضوعة ، و إذا وَطْب مُعلَّق فيه لَبن . فقال الأحوص بن جَعفر : هـذا رجلٌ قد أُخذ عليه المواثيق ألّا يتكلّم ، وهو يُخبركم أن القوم مثلُ التُّراب كثرةً ، وأنَّ شوكتهم كَليلةٌ ، وأنهم متفرقون ، وجاءتكم بنو حَنظلة . انظُروا ما فى الوطب فاصطبّوه . فإذا فيه لَبن حَزَرَ — قَرَص — فقال : القومُ منكم على قَدْر حِلاب اللبن إلى أن يَخْثُر[١] .

فلما أُستيقنت بنو عامر بإقبالهم صَعِدوا الشِّعب ، وأمر الأحوصُ بالإبل التى قد ظُمِّئت ، فقال : أعقلوها كُلَّ بعير بعقالَين فى يديه جميعاً . وأصبح لَقيطُ أبن زُرارة أخو حاجب ، والناس نُزولٌ بالشِّعب . وكانت مَشورتهم إلى لَقيط . فاستقبلهم جَملٌ عَوْدٌ[٢] أجربُ أحذُّ أعصل[٣] كاشرٌ عن أنيابه . فقال القَافهُ[٤] من بنى أسد : أعقروه . فقال لَقيط : والله لا يُعْقَر حتى يكون فحلَ إبلى غداً . وكان البعير من عَصافير النُّعمان بن المنذر[٥] التى أخذها قُرة بن هُبيرة أبن عامر بن سَلَمَة بن قُشَير . ثم أُستقبلهم مُعاويه بن عُبادة بن عُقيل ، وكان أعسرَ ، فقال :

أنا الغلامُ الأعسرْ والخيرُ فىَّ والشرّْ
والشرُّ فىَّ أكثر

فتشاءمت به بنو أسد وقالوا : أرجعوا عنهم وأطيعونا . فرجعتْ بنو أسد . فلم يَشهد جَبلة مع لقيط إلا نفر يسير، منهم : شأس، أبو عمرو بن شأس الشاعر .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « يحزر » . (٢) العود : المسن .
(٣) الأحذ : الخفيف شعر الذنب . والأعصل : الملتوى الذنب .
(٤) القافة : الذين يعرفون الآثار : الواحد : قائف .
(٥) فى بعض الأصول : « عصافير المنذر » . والعصافير : من نجائب الإبل .

وقال الناسُ للقيط : ما ترى ؟ قال : أرى أن نَصعد إليهم . فقال شأس : لا تدخُلوا على بني عامر ، فإنِّى أعلمُ الناس بهم ، قد قاتلتُهم وقاتلونى ، وهزمتُهم وهزمونى ، فما رأيتُ قوماً قطُّ أقلقَ بمنزلٍ من بنىعامر ! واللهِ ماوجدتُ لهم مثلا إلا الشُّجاعَ ، فإنه لا يَقرُّ فىجحره قلقاً ، وسيخرجون إليكم ، واللهِ لئن بِتُّم هذه الليلةَ لا تشعُرون بهم إلا وهم مُنحدرون عليكم . فقال لَقيط : واللهِ لنـدخُلن عليهم . وأتوهم وقد أخذوا حِذْرهم . وجَعل الأَحوص ابنَه شُريحاً على تَعبئة الناس . وأقبل لَقيطٌ بأصحابه مُدِلِّين ، فأَسندوا[1] إلى الجبل حتى ذَرَّت الشمس . فَصعِد لَقيط فى الناس وأَخذ بمحافَتَى الشِّعب . فقال بنو عامر للأَحوص : قد أَتَوك . فقال : دَعُوهم . حتى إذا نَصَفوا الجَبـل وانتشروا فيه ، قال الأَحوص : حُلُّوا عُقُل الإبل ثم أَحـدِروها واتَّبعوا آثارها ، وليُتْبِـعْ كُلُّ رجل منكم بعـيرَه حجَرين أو ثلاثة . ففعلوا وصاحوا بها ، فلم يفجأ الناسَ إلا والإبلُ تُريد المـاءَ والمَرعى . وجعلوا يرمُونهم بالحجارة والنَّبل . وأَقبلت الإبلُ تَحْطِم كلَّ شيء مَرَّت به . وجعل البعيرُ يُدَهْدِى بيديه كذا وكذا حجراً . وقد كانـ لَقيطٌ وأصحابُه سَخِروا منهم حيث صَنعوا بالإبل ما صنعوا . فقال رجلٌ من بنى أسد :

زعمتَ أنَّ العِـيرَ لا تُقاتِلُ بلى إذا تَقعقعَ[2] الرحائلُ
واختلف الهِنـدىّ والذَّوابلُ وقالت الأبطال مَنـ يُنازل
بَلَى وفيها حَسَبٌ ونائل

وانحطّ الناس مُنهزمين فى الجبل . فلما بلغ الناسُ السهلَ ، لم يكن لأحدٍ هِمةٌ إلا أن يَذهب على وجهه . فجعل بنو عامر يَقتلونهم ويَصرعونهم بالسُّيوف فى آثارهم ، وانهزموا شرَّ هزيمـة . وأخذ شُريح بن الأحوص فى فُرسان معـه الجُرْفَ ، فقتلوا الناسَ قتلا شديداً هناك . وكان لَقيطُ بن زُرارة يومئذ على الجُرف

(١) أسندوا : اعتمدوا . (٢) تقعقع : تضطرب .

على بِرْذَون له مُجَفَّف[(١)] بدِيباج ، أَعطاه كسرى إياه ـ وكان أولَ عربى جَفَّف ـ فلم يمُر به أحد من الجيش إلا قالوا : أنتَ واللهِ قتلتنا وشتمتنا ! فجعل يرتجز و يقول :

يا قوم قد أحرقتمونى باللَّوْمْ ... ولم أُقاتل عامراً قبـل اليوْمْ

فاليومَ إذ قاتلتُهم فلا لَوْمْ ... تقــدَّموا وقدِّمونى للقَوم

شــتّانَ هــذا والعناقُ والنَّوم ... والمَضجع الباردُ فى ظِلٍّ الدَّوم

فقال شأس يُجيبه :

لـكننى قاتلتُها قبـلَ اليوم ... إذ كنتُ لا تُعْصَى أُمورى فى القوم

وجعل لقيطٌ يقول : مَن كَرَّ فله خمسون ناقة . ثم إن لقيطاً ضَرب فرسه فأَقحمه عليه الجُرفَ ، فَطعنه شُريح ـ وقيل طعنه جزء بن خالد بن جعفر . وقيل : عوف بن المُنتفق العُقَيلى ـ فقتله يومئذ . والأصح الأول . وأُرتُثَ[(٢)] و به طعنات . فبقى يوماً ثم مات . وقُتل يومئذ قُريظ بن مَعبد بن زُرارة ، وزيد بن عمرو بن عُدُس . قَتلهما[(٣)] الحارث بن الأبرص العُقيلى . وأُسر حسان بن عامر بن الجَون الـكندى ، أسره طُفيــل بن مالك بن جعفر . وشَد عوف بن الأحوص على مُعاوية بن الجون الـكندى فأَسره وجَزَّ ناصيته وأَعتقه . فلقيته بنو عبس ، فأخذه قيس بن زُهير فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طَليقى ، فأَحْيوه أو ائتونى بمِـلْكٍ مثله . فتخوَّفت بنو عبس شرَّه، وكان مَهيباً . فقالوا . أمهلنا. وانطلقوا حتى أَتَوْا أبَا بَراء عامر بن مالك بن جعفر يَستعينونه[(٤)] على عَوف ، فقال : دونكم سَـلْمى ابن مالك ، فإنَّه نَديمُه وصديقُـه ـــ وكانا مُشتبهَيْن أحمرَيْن أشقرين ، ضخمةً أنوفُهما ، وكان فى سَلْمى حياء ـــ فأَتوه . فقال : سأُكلِّم لـكم الطُّفَيل بن مالك

---

(١) مجفف : عليه تجفاف ، وهو ما يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى .

(٢) أى حمل وهو مجروح . (٣) فى بعض أصول الأغانى « مقتله » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « يستغيثونه » .

حتى يأخذ منه حَسّان بن الجون ، أخا معاوية بن الجون[1] ، فإنه لا يُنجيكم من عوف إلا ذلك . وايمُ الله ليأتينّ شَحيحاً . فانطلقوا إلى طُفيل . فقال طُفيل لسَلْمى : قد أتونى بك ، ما أعرفَنى بما جئتم له ! أتيتمونى تُريدون منّى ابن الجَون تَفْتَدون[2] به من عَوف ، خُذوه . فأعطاهم إيّاه . فأتوا به عَوْفاً ، فجَزَّ ناصيته وأعتقه ، فسُمِّى الجَزّاز .

وشهد هذه الوقعةَ لَبيدُ بن ربيعة الشاعر ، وهو ابن تسع سنين ، وقيل : ابن بضعَ عشرة سنة .

وقيل : إن بنى عامر قتلتْ يومئذٍ من تميم ثلاثين غُلاماً . وخَرج يومئذ الحاجبُ بن زُرارة مُنهزماً فلحقه الزَّهْدمان — وهما : زَهدم ، وقيسٌ ، ابنا حَزْن ابن وَهْب العبسيّان — فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان : استأسر — وقد قَدرا عليه — فيقول : مَن أنتما ؟ فيقولان : الزَّهدمان . فيقول : لا أستأسر . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذو الرُّقيبة بن سَلَمة بن قُشير ، فقال لحاجب : استأسِرْ . فقال حاجبٌ : من أنت ؟ قال : أنا مالك ذو الرُّقيبة . فقال : أفعلُ ، فلعمرى ما أدركتَنى حتى كدتُ أكون عبداً . فألقى رُمحَه إليه ، فاعتنقه زَهدم فألقاه عن فَرسه ، وصاح حاجب : ياغوثاه ! وجعل زَهدم يُريغ[3] قائمَ السَّيف . فنزل مالكٌ ذو الرُّقيبة فاقتلع زَهْدماً عن حاجب . فمَضى زَهدم وأخوه حتى أتيا قيس ابن زُهير بن جَذيمة ، فقالا : أخذ مالكٌ أسيرَنا . فقال : ومَن أسيرُكما ؟ قالا : حاجب بن زُرارة . فخَرج قيسٌ حتى وقف على بنى عامر ، فقال : إن صاحبكم أخذ أسيرَنا . قالوا : ومَن صاحبُنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقَيبة أخذ حاجباً من الزَّهْدَمَيْن . فجاءهم مالكٌ فقال : ما أخذتُه منهما ، ولكنَّه استأسر لى ، وتركهما . فلم يَبرحوا

---

(١) العبارة فى غير التجريد : « سأكلم لكم طفيلا حتى يأخذ أخاه فإنه لا ينجيكم ... الخ » .

(٢) فى غير التجريد : « تقيدون » . (٣) يريغ : يطلب .

حتى حكّموا حاجباً فى ذلك، وهو فى بَيت ذى الرُّقيبة، فقالوا : مَن أسرك يا حاجب : فقال ؟ أما مَن ردَّنى عن قَصدى ومَنعنى أن أنجوَ ورأى منّى عورةً فتركها فالزَّهدمان ، وأمّا الذى أستأسرتُ له فمالك ، فحكّمونى فى نفسى . فقال له القوم : قد جعلنا إليك الحُكْم فى نَفسك . فقال : أمّا مالكٌ فله ألفُ ناقة ، وللزَّهدمين مائة .

وذُكر أنه لمّا أنهزم الناس يومئذ أتبعتْهم بنو عامر وحُلفاؤهم يقتلون ويأسرون ، فأسر عُتيبة بن الحارث بن شهاب يومئذ ، فقُيِّد فى القِدّ ، فكان يبول على قِدّه حتى عَفِن . فلما دخل الشهرُ الحرام هَرب فأفلت منهم بغير فِداء .

وذُكر أن يوم شِعب جبلة هذا كان قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبيّ صلى الله عليه وسلم بتسع[(١)] عشرة سنة . ووُلد النبيُّ صلى الله عليه وسلّم عامَ الفِيل ، و بُعث صلى الله عليه وسلم على رأس أر بعين سنة من مولده ، وقُبض وهو أبن ثلاثٍ وستّين سنة .

وذُكر أن عامر الطُّفيل وُلد يوم شعب جبلة عند فَراغ الوقعة ، وقَدِم على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو أبنُ ثمانين سنة ، وكان قُدومه عليه فى السنة التى قُبض فيها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم .

وقال المُعقِّر بن أوس بن حِمَار البارقىّ فى يوم شِعب جَبلة :

أمِن آل شَعثاءَ الحُمولُ البَواكرُ   من[(٢)] اللَّيل أم زالتْ قُبيلُ الأَباعرُ
وحلّت سُليمى فى هِضابٍ وأَيكة   وليس عليها يوم ذلك قادر
وألقت عَصاها واستقرّت بها النَّوَى   كما قَرَّ عيناً بالإياب المُسافر
وصَبَّحها أملاكُها بكَتيبةٍ   عليها إذا أمستْ من الله ناظِر

(١) فى النقائض : « بسبع » .   (٢) فى بعض أصول الأغانى : « مع » .

معاويةُ بن الجَون ذُبيانُ حوله ... وحَسَّانُ فى جَمْعِ الرِّباب مُكاثِرِ
فمرُّوا بأطراف[1] البيوت فردَّهم ... رجالٌ بأطراف الرِّماح[2] مَساعِرِ
وقد جَمعوا جمعاً كأنَّ زُهاءه ... جَرادٌ هَوى فى هَبْوةٍ مُتطايرِ
فباتُوا لنا ضَيْفاً وبِتْنا بنَعْمَةٍ ... لنا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوف وسامِرِ
ولم نَقْرِهم شيئاً ولكنَّ[3] قَصْرَهم ... صَبوحٌ لنا من مَطلع الشَّمس حازِرِ
صَبحناهمُ عند الشُّروق كتائباً ... كأركان سَلْمى شَبْرُها[4] مُتواتِرِ

ذكر خبر عفيرة وعمليق الملك

شىء عن عمليق

كان عِمْليق مَلِك طَسْم بن لَاوَذَ بن إرم بن سام بن نُوح عليه السلام. وكان يَحكم على طَسم، وجَديس؛ وهم ولد جديس بن عابر[5] بن إرم بن سام ابن نوح. وكانت منازلهم فى موضع اليمامة. وكان ملكاً ظالماً غاشماً، بلغ ظُلمه أنه أمر ألَّا تُهدى بِكر من جَديس إلى زَوجها حتى يَفْترعها المَلك أولاً قبل زَوجها. فلَقِيت جَديس من ذلك بلاءً وجَهداً وذُلاً.

خبره مع عفيرة

فلم يزل الأمر كذلك حتى زُوِّجت الشَّمُوس — وهى عَفِيرة بنت عبَّاد الجديسيَّة — فلما أرادوا أن يُهدوها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِمْليق المَلِك لينالَها قبله، ومعها القِيان يتغَنَّيْن:

اِبْدَىْ بعِمْليقٍ وقُومى وارْكَبى ... وبادِرى الصُّبحَ لأَمرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلْقَين الذى لم تَطلُبى ... وما لِبِكْرٍ عنده من مَهرب

فلما دخلت عليه افترعها وخَلَّى سبيلها. فخرجت إلى قومها فى دِمائها، شاقَّةً

(١) فى بعض أصول الأغانى: «بأطناب» وهى الحبال تشد بها البيوت. يريد أطرافها ونواحيها.
(٢) مساعر: يؤرثون الحرب فتحمى بهم؛ الواحد: مسعر.
(٣) قصرهم: جهدهم وغايتهم. وفى بعض أصول الأغانى: «قصدهم».
(٤) الشبر: الإعطاء. وفى التجريد: «سيرها».
(٥) فى غير التجريد: «لاوذ». تحريف. فثمود وجديس، ابنا عابر. وطسم وعملاق وأميم، أبناء لاوذ. (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٨).

دِرْعها من قُبُل و من دُبُر ، والدم يسيل ، وهى فى أقبح مَنظر ، وهى تقول :

لا أحدٌ أذلُّ من جَديسِ ... أهكذا يُفعل بالعَرُوسِ
يَرضَى بهذا يا لَقومى حُرٌّ ... أهدَى وقد أعطى وَسِيقَ المَهْرُ
لأَخْذَةُ الموت كذا لنفسِهِ ... خيرٌ مِن أن يُفعل ذا بعِرْسِهِ

شعر عفيرة فى تحريض قومها وهو الشعر الذى فيه الغناء

وقالت تُحرض قومها فيما أُتِى إليها — والبيت الأول والثالث هو الشِّعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار عِملاق وعَفيرة :

أيجمُلُ ما يُؤْتَى إلى فَتَياتِكم ... وأنتم رجالٌ فيكمُ عَددُ النَّمْلِ
وتُصبِحُ تَمْشى فى الدِّماء عَفيرةٌ ... عفيرةُ[1] زُفَّت فى الدِّماء إلى البَعل
فلو أننا كُنا رجالاً وكنتمُ ... نِساءً لكُنَّا لا نُقِرُّ بذا الفِعْل
فموتُوا كراماً أو أميتوا عدوَّكم ... ودِبُّوا لنار الحَرب بالحَطَب الجَزْل
و إلّا فخَلُّوا بطنَها وتحمَّلوا ... إلى بَلدٍ قَفْرٍ ومُوتُوا من الهُزْل
فللبَيْنُ خيرٌ من مُقَامٍ على أذًى ... ولَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ على ذُلّ
فإن أنتمُ لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لا تُعاب من الكُحل
ودونكمُ طِيبَ العَروس فإنما ... خُلقتمْ لأثواب العَرُوس[2] وللغِسْل
فبُعداً وسُحْقاً للذى ليس دافعاً ... ويَختال يمشى بيننا مِشْيَةَ الفَحْل

غدر جديس بعمليق

فلما سمع الأسودُ أخوها قولَها ، وكان سيِّداً مُطاعاً ، قال لقومه : يامعشر جَديس ، إنّ هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم فى دِيارِكم إلّا بما كان من مُلك صاحبهم علينا ، ولولا عجزُنا وإدهانُنا[3] ما كان له فضلٌ علينا ، ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَف ؛ فأَطِيعونى فيما آمرُكم به ، فإنه عزُّ الدَّهر ، وذَهاب ذُل العُمر ،

(١) فى الكامل لابن الأثير (١ : ٢٥١) : « جهارا » . وفى الصبح المنير فى شعر أبى بصير (ص٧٤) : « عشية » . (٢) الغسل : ما يغتسل به .

(٣) الإدهان : المصانعة واللين .

وأقبلوا رأيى . فقالوا — وقد أحماهم ما سمعوا من قوله —: إنا نُطيعك ، ولكنّ القوم أكثر وأقوى وأحمى . قال : فإنى أصنعُ للمَلِك طَعاماً ثم أدعوهم إليه جميعاً ، فإذا جاءوا يرفُلون فى الحُلل ثُرنا إلى سُيوفنا وهم غارّون[1] فأَهمدناهم بها . قالوا : نَفعل . فصَنع لهم طعاماً كثيراً وخَرج به إلى ظَهر بلدهم ، ودَعا عِمليقاً وسأله أن يتغدّى هو وأهلُ بيته . فأجابه إلى ذلك . فخَرج إليه مع أهله يرفُلون فى الحُلل ، حتى إذا أَخذوا مجالسَهم ومدُّوا إيديهم إلى الطعام ، أَخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم . فشدَّ الأَسود على عِمْليق المَلك فقتله ، وكُل رجل على جَليسه حتى أماتوهم . فلما فَرَغوا من الأشراف شدُّوا على السِّفلة ، فلم يدعوا منهم أحداً .

هلاك جديس بغزو حسان لها وهرب الأسود وموته

ثم إن بقيّةً من طَسم لجئوا إلى حسَّان بن تُبَّع ملك اليمن ، فغزا جديساً وأَخرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عِمْليق فأَقام بجبلَىْ طيئ ، قبل نُزول طيئ إياها ، وطيئ يومئذ تسكن بعض نواحى اليمن ، وسيدهم يومئذ أُسامة بين لُؤى ابن الغَوث بن طيئ ، وكان الوادى الذى نزلوا به مَسبعةً ، وهم قليلٌ عددهم ، وكان ينتابهم بعيرٌ فى أول زمان الخريف، ثم يذهب فلا يَدرون أين يذهب ولا يَرونه إلى قابلٍ . وكانت الأزد قد خَرجت من اليمن فى أيام سَيل العَرِم الذى ذكره الله فى كتابه . فاُستوحشت طيئ لذلك وقالت: قد ظَعن إخواننا فصاروا إلى الأرياف . فلما همُّوا بالظَّعن قالوا لأُسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلاد ريفٍ وخِصب ، و إنا لنرى فى بَعَره النَّوى ، فلو أننا نتعهَّده عند اُنصرافه فشَخصنا معه لعلَّنا نُصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . وجمعوا أَمرهم على هذا . فلما كان الخريف جاء البعيرُ فضرب فى إبلهم . فلما اُنصرف اُحتملوا فاُتبعوه يَسيرون بسَيره ويَبيتُون حيث يَبيت ، حتى هَبط على الجَبلين ، فهجمت طيئ على النَّخل فى الشِّعاب ، وعلى مواشٍ كثيرة . فإذا هم برجلٍ فى شِعب من تلك الشعاب ،

(١) غارون : غافلون .

وهو الأسود بن عَبّاد الجَديسى ، فهالهم ما رأوا من عِظم خَلْقه وتخوّفوه ، ونزلوا ناحيةً من الأرض وأُستَبروها[1] هل يرون فيها أحداً غيره ، فلم يروا . فقال أُسامة لابن له ـ يقال له : الغوث ـ : أى بُنى ، إنّ قَومك قد عَرفُوا فضلَك عليهم فى الجَلَد والبأس والرّمى ، فإن كفيتَنا هذا الرّجل سُدْت قَومك آخرَ الدّهر ، وكنتَ الذى أنزلتَنا هـذا البلد . فانطلق الغوثُ حتى أتى الرجل ، فكلّمه وساءله . فعجب الأسودُ من صِغر خلق الغَوث ، فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليَمَن . وأخبره بخَبر البعير ومَجيئهم معه وأنّهم رهبوا ما رأوا مِن عِظَم خَلقه وصِغَرهم عنه . وشَغلوه بالكلام ، فرماه الغوث فقتله . فأقامت طيءٌ بالجبلَيْن بعده .

(١) أى اختبروها ونظروا فيها ؛ من « السبر » الذى هو الاختبار .

أخبار عائشة بنت طلحة (*)

عائشة بنت طلحة بن عُبيد الله بن عُثمان بن عامر بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد ابن تَيم بن مُرَّة بن كَعب بن لُؤى . وأُمُّها أُمُّ كلثوم بنت أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه . — نسبها

وكانَت أجملَ نساء عَصرها . وكانَت لا تستر وجهَها من أحدٍ ، فعاتبها زوجُها مُصعب بن الزُّبير على ذلك . فقالَت : إن الله تعالى وَسَمنى بِمِيسَم جَمال أحببتُ أن يراه الناسُ ويَعرفُوا فَضْلى عليهم ، فما كنتُ لأستُرَه ، والله ما فىَّ وَصمةٌ يقدِر أن يذكُرَنى بها أحد . وطالت مُرادَّة مُصعب إياها فى ذلك . وكانت شرسةَ الخُلق . — بينها وبين زوجها فى ستر وجهها

وكذلك نساء بنى تَيم هنَّ أشرسُ خلق الله وأحْظاه عند أزواجهن . — نساء تيم

وكانَت عند الحُسين بن علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنهما — أختُها أم إسحاق بنتُ طَلحة ، فكان يقول : والله لرُبَّما حملتْ ووضعتْ وهى لى مُصارمةٌ لا تُكلِّمنى . — أختها مع زوجها الحسين بن على

وذُكر أن عائشة بنت طلحة قالت لمُصعب : أنتَ علىَّ كظَهر أمى ! وقَعدت فى غُرفةٍ هيَّأت فيها ما يُصلحها . فجَهَد مُصعب أنْ تُكلِّمه ، فأبَت . فبعث إليها ابن قَيس الرُّقيَّات ، فسألها كلامَه . فقالَت : كيفَ بيمينى ؟ قال : هاهنا الشَّعبىّ — مغاضبة عائشة زوجها مصعبا وتوسط الشعبى بينهما

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار عائشة بعض أخبار لابن أبى ربيعة وصاحبه العذرى لا تعدو صفحات .

فقيهُ أهل العراق ، فاُستفتيه . فدخل عليها فأخبرتْه . فقال : ليس هـذا بشىء . فقالت له : أتُحلِّنى وتخرج خائباً ! فأمرت له بأربعة آلاف درهم .

شعر ابن الرقيات فيها وهو الشعر الذى فيه الغناء

وقال ابنُ قيس الرقيات لمّا رآها ، الشِّعرَ الذى فيه الغناء واُفتتح به أبو الفرج أخبار عائشة ، وهو :

جِنِّيـــةٌ بَرزتْ لتقتُلنـا مَطليَّةُ الأَقراب[1] بالمِسْكِ
عَجباً لمثلك لا يكونُ له خَرْجُ العِراقِ ومِنْبرُ المُلْكِ

ترضاها أشعب لمصعب

وذُكر أنَّ عائشة بنت طَلحة غضبتْ يوماً على مُصعب ، وكان أشعبُ يألفه ، فشَـكا ذلك مُصعب إلى أشعب ، فقـال : ما لى إنْ رضيتْ ؟ قال : حُكمك . قال : عشرة آلاف درهم ؟ قال : هى لك . فاُنطلق أشعبُ حتى أتى عائشة ، فقال : جُعلتُ فداءك ! قد عرفتِ حُبِّى لك ومَيْلى قديماً وحديثاً إليك من غير فائدة ولا مَنالة ، وهـذه حاجةٌ قد عرضتْ تَقْضين بها حقِّى ، وترتهنين بها شـكرى . قالت : وما عندك ؟ قال : قد جَعل لى الأَميرُ عشرةَ آلاف دِرهم إن رضيتِ عنه . قالت : ويحك ! لا يُمـكننى ذلك . قال : بأبى أنتِ وأُمى ! فاُرْضَى عنـه حتى يُعطِيَنى ثم عُودى إلى ما عَوَّدك الله من سُوء الخُلق . فضحكت منـه ، ورضيتْ عن مُصعب .

زواجها من عبد الله ابن عبد الرحمن وأولادها

وذُكر أنَّ أول أَزواج عائشة بنت طلحة اُبنُ خالهـا عبد الله بن عبد الرحمن اُبن أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنـه ، زوجتْها إيَّاه أُمّ المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وهى خالتها . وهو أبو عُذرتها[2] . ولم تَـلد من أحدٍ من أَزواجها سِواه ، ولدتْ له عِمرانَ ، وبه كان يُـكنى ، وعبد الرحمن ، وأبا بكر ، وطَلحة ، ونَفيسة

(١) الأقراب : جمع قرب ، بالضم وبضمتين : الخاصرة . والجمع هنا للتوسع .
(٢) أى أول من افتضها وافترعها .

تزوّجها الوليدُ بن عبد الملك ــ ولكُلٍّ عقب ــ وكان طلحة بن عائشة من أجواد قُريش.

إيلاء زوجها منها

قيل: فصارمتْ عائشةُ بنت طلحة زوجَها عبدَ الله وخرجتْ غَضبى عن داره، فمرّتْ بالمَسجد وعليها مِلْحفة تُريد خالَتها أُم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فرآها أبو هُريرة رضى الله عنه فسبّح وقال: سبحان الله! كأنها من الحُور العين! فمكثتْ عند عائشة رضى الله عنها قريباً من أربعة أشهر. وكان زوجُها قد آلى منها. فأرسلت إليه عمتُه عائشة رضى الله عنها: إنى أخاف عليك الإيلاء[1]. فضمّها إليه. وكان مُولِياً منها. فقيل له: طَلِّقها. فقال:

يقولون طلِّقها لأُصبح ثاوياً مُقيما علىّ الهمُّ، أحلامُ نائمِ
وإن فراقى أهل بيتٍ أُحبّهم لهم زلفةٌ عندى لإحدى العظائم

فتُوفى عبد الله بعد ذلك وهى عنده، فما فَتحتْ فاها عليه. وكانت عائشة أُم المُؤمنين ــ رضى الله عنها ــ تعُد هذا عليها فى ذُنوبها التى تُعدِّدها.

زواجها بمصعب بعد وفاة عبدالله

ثم تزوّجها بعد عبدِ الله مُصعبُ بن الزُّبير بن العَوّام ــ وكان والى العِراقين لأخيه عبد الله بن الزُّبير ــ فأمهرها خمسمائة ألفِ دِرْهم، وأهدى لها مثل ذلك.

ما كان من عبدالله أخى مصعب وعبد الملك بن مروان

وبلغ ذلك أخاه عبدَ الله، فقال: إنَّ مُصعباً قَدّم أيره وأَخّر خَيْره. فبلغ ذلك عبدَ الملك بن مَروان، فقال: لكنَّه أخّر خيره وأَيرَه.

وكتب ابنُ الزُّبير إلى مُصعب يؤنِّبه ويُقسم عليه أن يلحق به بمكة، ولا ينزل بالمدينة ولا ينزل إلّا بالبيداء، وقال له: إنِّى لأرجو أن تكون الذى يُخسَف به بالبيداء، فما أمرتُك بنُزولها إلا لهذا. فصار إليه وأرضاه من نفسه، فأمسك عنه.

(١) الإيلاء: أن يقسم الرجل ألا يقرب امرأته. وحكمه أن يتربص الرجل أربعة أشهر ثم يوقف، فإما أن يطلق بعد ذلك أو يرجع.

معاشرتها مصعبا وحيلة ابن أبى فروة

قيل :

كان مُصعب لا يَقدر عليها إلا بتَلاحٍ ينالُها منه و بضَرْبها . فشَكا ذلك إلى عبد الله بن أبى فَرْوة كاتبه . فقال : أنا أكفيك هذا إن أذنتَ لى . فقال : نعم ، أفعل ما شئتَ فإنها أفضلُ شىء نلتهُ فى الدُّنيا . فأَتاها ليلاً ومعه أسودان ، فاستأذن عليها . فقالت: أَفى مثل هذه الساعة ! قال : نعم . فأدخلتْه . فقال للأسودين : أحفرا هاهنا بئراً . فقالت له جاريتُها : وما تَصنع بالبئر ؟ فقال : شُؤم مولاتِك ، أمرنى هذا الفاجرُ أن أدفنَها حيَّةً ، وهو أسفكُ خَلق الله لدمٍ حرام . فقالت عائشة : فأنظرنى أذهب إليه . فقال : هيهات ! لا سبيلَ إلى ذلك . وقال للأسودين : أحفرا . فلما رأت الجِدَّ منه بكتْ وقالتْ لابن أبى فَروة : إنَّك لقاتِلى ؟ قال : مامنه بُدّ ، و إنى لأعلم أن الله سيَجزيه بعدك ، لكنه قد غَضب ، وهو كافر الغَضَب . قالت : وفى أى شىء أغضبتُه ؟ قال : فى امتناعك عنه ، وقد ظَنَّ أنك تُبغضينه وتتطلَّعين إلى غيره . قالَت : أنشدك الله إلّا عاودتَه ! قال : إنّى أخاف أن يقتُلنى . فبكتْ ، و بكى جواريها . فقال : قد رَققتُ لك ، وحلَف لها أنه يُغرِّر بنفسه، وقال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضمن عنّى أنى لا أعود أبداً . قال لها : فمالى عندك ؟ قالتْ: قيامٌ بحقك ماعشتُ . قال : فأَعطينى المواثيق . فأعطتْه . فقال للأسودين : مكانَكما . وأتى مُصعباً فأخبره . فقال له : استوثق منها بالأَيمان . ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمُصعب .

آثرت النوم على لؤلؤات قدمها مصعب

وقيل :

دَخل عليها مُصعبٌ يوماً وهى نائمة ، ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتُها عشرون ألف دينار . فأنبهها ونثر اللُّؤلؤ فى حِجرها . فقالتْ له : نَومتى كان أحبَّ إلى مِن هذا اللُّؤلؤ .

زواجها بعمر بن عبيد الله

ولما مَلك عبدُ الملك بن مَروان العراقَ ، وقُتل مُصعب بن الزُّبير ، ولّى

عبدُ الملكِ العراقَ أخاه بِشْر بن مروان . فخَطب عائشةَ بنت طلحة . وَقدِم عمرُ ابن عُبيد الله بن مَعمر التَّيمىّ من الشام فنزل الكوفة ، و بلغه أن بشر بن مروان خَطب عائشة بنت طلحة، فأَنفذ إليها جاريةً له وقال : قولى لبنت عَمِّى: ابنُ عمِّك يُقرِئك السلام و يقولُ لك : أنا خيرٌ من هذا المَبسور المَطحول(١) ، وأنا ابنُ عمِّك وأحقُّ بك ، و إن تزوجتُك ملأتُ بيتَك خيراً . فتزوَّجته ، و بنَى بها بالحِيرة ، ومَهَّدت له سبعةَ أفرشةٍ عرضُها أربعةُ أذْرع فأَصبح ليلةَ بَنى بها عن تِسع. فلقيتْه مولاةٌ لها فقالت : أبا حَفص ، فديتُك ! قد كَمُلْتَ فى كُل شىء حتى فى هذا . !

الحديث عن زواجها من عمر ابن عبيد الله

وذُكر أن عُمر بن عبيد الله حمل إليها ألفَ ألفِ درهم : خمسمائة ألف درهم مهراً ، وخمسمائة ألف درهم هدية . وكان وَعد مولاتها بألف دينار وقال : هذا لك إن دخلتُ عليها الليلةَ . فحُمل المال وأُلقى فى الدار وغُطِّى بالثياب . وخرجت عائشة فقالت لمولاتها : ما هذا ، أفرش أم ثياب ؟ فقالت : انظُرى إليه . فنَظرت ، فإذا هو مالٌ . فتبسَّمتْ . فقالت مولاتُها : أجزاء من حمل هذا أن يَبيتَ عَزَباً ؟ قالت : عائشة : لا والله ، ولكن لا يجوز دخُوله إلّا بعد أن أتزيَّن وأَستعدَّ . قالت : بماذا ؟ فوالله لوجهك أحسنُ من كُل زينة ، وما تَمُدِّين يدَك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلّا وهو عندك ، وقد عزمتُ عليك أن تأذنى له . قالت : أفعلى . فذهبتْ إليه فقالت : بِتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العشاء الآخرة . فأُدنى منه طعام ، فأَكل الطعام كُلَّه حتى أعرى الخِوان ، وغَسل يديه ، وسأل عن المُتوضأ ، فأخبرتُه فقام فتوضأ . قالت المولاة ؟ ثم قام فصلَّى حتى ضاق صَدْرى . ثم قال : أعليكم إذنٌ ؟ قلتُ : نعم ، فادْخُلْ . فأدخلتُه وأسبلتُ السِّتر عليهما . فعددتُ له فى بقيَّة الليلة على قِلَّتها سبعَ مرَّاتٍ(٢) دَخل المتوضأ فيها . فلما أصبحنا وقفتُ

(١) المبسور : الذى به داء البواسير . والمطحول : الذى أصيب طحاله .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « سبع عشرة مرة » .

على رأسه ، فقال ؟ أتقولين شيئاً ؟ قلتُ : نعم ، ما رأيتُ مثلكَ ، أكلتَ أكلَ سَبعة ، وصلّيتَ صلاة سَبعة ، وفعلتَ فعل سَبعة فضحك وضَرب بيده على مَنْكِب عائشة وقال : كيف رأيتِ أبن عمك ؟ فضحكت وغطّت وجهها ، وقالت :

قد رأينــاكَ فلم تَحْلُ لنــا وخَبرناكَ فلم نرضَ الخَــبرْ

وفاة عمر بن عبيد الله وشأنها بعده

وتُوفى عنها عمر بن عبيد الله هذا ، فندبتْه قائمة ، ولم تندُب أحداً من أزواجها إلّا جالسة . فقيل لها فى ذلك . فقالت : إنه كان أكرمَهم علىَّ ، وأمسَّهم بى رَحِماً ، فأردتُ ألّا أتزوَّج بعده . وكانتْ نُدْبة المرأة زوجَهـا قائمة ممَّا تفعله مَن لا تُريد أن تتزوَّج بعده .

وذُكر أن وفاةَ عمر كانت فى سنة أثنتين وثلاثين ومائة ، وأنه خَطبها جماعةٌ ، فلم تَقُم لأحد منهم (١) .

هى وسكينة فى الحج

وذُكر أن عائشة بنت طلحة حجَّت سنة ، وحجَّت تلك السنة سُكَينةُ بنت الحُسين بن على ، وكانَت ضَرَّتها عنــد مُصعب بن الزُّبير ، وكانت عائشة أحسنَ منها ثَقَلاً (٢) وآلة ، فقال حاديها :

عائشَ يا ذاتَ البغال السِّتِّينْ لازِلْتِ ما عِشْتِ كذا تحُجِّينْ

وشَق ذلك على سُكينة ، فنزَل حاديها فقال :

عائش هـذى ضَرَّةٌ تَشكوكِ لولا أبوها ما أهتــدى أبوكِ

فأمرت عائشة حاديها أن يكُفّ .

هى وعاتكة بنت يزيد فى الحج

وذُكر أن عاتكة بنت يزيد بن مُعـاوية بن أبى سُفيان أستأذنتْ زوجَهـا عبدَ الملك بن مروان فى الحجِّ ، فأذن لها وقال : أرفعى حوائجك وأستظهرى ، فإن

---

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « فردتهم ولم تتزوج بعده أحداً » .

(٢) الثقل : المتاع .

عائشة بنت طلحة تحُج . ففعلت، فجاءت بهيئة جَهَـدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينـة إذا مَوكِبٌ عظيم قد جاء فضَغطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشةَ بنت طلحة ! فسألت عنه ، فقالوا : هذه جاريتها [١] . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك الموكب . فقالوا : عائشة ! عائشة ! فضَغطهم . فسألت عنه . فقالوا : هذه ماشطتُها . ثم جاءت مواكبُ على هذه الحالة بحاشيتها ، ثم أقبل موكبٌ فيه ثلاثمائة راحلة عليها القِباب والهوادجُ ، فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

وفودها على هشام ابن عبد الملك

وذُكر أن عائشة بنت طلحـة وَفدت على هشام بن عبد الملك فقال لهـا : ما أوفدك ؟ قالت : حَبَست السماء قَطْرها ، ومَنع السلطانُ الحقّ . فقال : إنى أصل رَحمك ، وأعرف حقَّك . ثم بعث إلى مشايخ بنى أُمية . فقال : إنَّ عائشة عندى ، فأسمرُوا معى الليلةَ . فحضروا ، فما ذكروا شيئاً من أَخبار العرب وأشعارها وأيَّامها إلّا أفاضت فيـــه ، وما طلع نجم ولا غار إلّا سَمَّته . فقال هشام : أما الأوّل فلا أنكره ، وأما النُّجوم فمن أين لك عليها ؟ فقالت : أخذتُها عن خالتى عائشة — تعنى أم المؤمنين رضى الله عنها — فأَمر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة .

شىء عن عمرو بن شأس

ثم ذكر أبو الفرج عمرو بن شأس الأسدىّ ، وشعره فى أُبنه عِرار ، وهو :

أرادت عِراراً بالهَوان ومن يُرِدْ عِراراً لعمرى بالهَوان فقـد ظَلَمْ

وقد كان تقدَّم منَّا ذِكر ذلك ، فلا فائدة فى الإعادة .

---

(١) فى غير التجريد : « خازنتها » .

أخبار ليلى الأخيلية

وتوبة بن الحميِّر

نسبها

هى ليلى بنت عبد الله بن الرَّحّال بن شدَّاد بن كعب بن مُعاوية ، وهو الأخيل فارسُ الهرّار ، أبنُ عُبادة بن عُقيل بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصعة .

طبقتها فى الشعر

وهى من النِّساء المُقدَّمات فى الشِّعر ، من شُعراء الدولة الأموية[1] .

زواجها فى بنى الأدلع وزيارة توبة لها وما كان من قومها معه

وكان توبة بن الحُميِّر بن حَزن بن كعب بن خَفاجة بن عمرو بن عُقَيل بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصعة يَهواها ، فخَطبها إلى أبيها ، فلم يُزوِّجه إيَّاها وزوَّجها فى بنى الأدلع . وكان توبة إذا جاء لزيارتها تخرُج إليه مُتبرقعة . فجاء بعد تَزويجها لزيارتها ، كما كان يجىء ، فخَرجت إليه سافرةً ، ولم يَر منها إليه بشاشةً كما كان يرى ، فعلِم أن ذلك لبعض ما كان . فرجَع إلى راحلته فركبها ومَضى . و بلغ بنى الأدلع أنه أتاها وأنصرف ، فتتبَّعوه ، ففاتهم . فقال فى ذلك قصيدتَه التى أولُها :

نأتْك بلَيلَى دارُها ما تَزورُها   وشَطَّت نَواها وأسْتَمر[3] مَريرُها

وهى طويلة . ومنها

حمامةَ بَطنِ الواديَيْن تَرنَّمى   سقاكِ من الغُرِّ الغوادِى مَطيرُها

---

(1) فى غير التجريد : « من شعراء الإسلام » .

(2) فى جمهرة أنساب العرب (ص ٢٧٤) : « توبة بن الحمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة » . وفى بعض الأصول من الأغانى : « حزم » مكان « حزن » .

(3) استمر : استحكم . والمرير : العزيمة .

أَبِينى لنــــا لا زال ريشُكِ ناعماً ولا زلتِ فى خَضراء دَانٍ[١] بَرِيرُها
وأُشرف بالقَوزِ اليَفـــاعِ لعلَّنى أَرى نارَ لَيلى أو يرانى[٢] بَصـيرُها
وكنتُ إذا ما جئتُ ليــلي تبرقعت فقد رابنى منها الغـــداةَ سُفورها
علىّ دِماء البُـدْنِ[٣] إن كان بَعلُها يرى لِىَ ذَنباً غـيرَ أنِّى أَزُورها
وأنِّى إذا ما زُرتهـا قلتُ يا اُسـلمى وما كان فى قولى سْلمى ما يَضِيرُها
وغـيَّرنى إن كنتِ لمَّا تغـيَّرى هَواجرُ تَـكْتنِّينها[٤] وأَســيرُها
وأَدْماءَ من سِرِّ المَهارَى كأنهـا مَهاةُ صُوَارٍ[٥] غيرَ ما مَسَّ كُورُها
قَطعتُ بهـا أجوازَ كُلِّ تنُوفةٍ مَخُوفٍ رَداها كلَّما اُستنّ[٦] مُورُها

جوابها للحجاج عما كان بينها وبين توبة

وذُكر أنَّ الحجَّاج بن يوسف قال لليلى الأَخيليــة : إنَّ شـبابك قد مَضى فولَّى ، واُضمحلّ أَمركِ وأَمر توبة ، فأُقسم عليك إلا صَـدَقْتنِى : هل كان بينكما ريبةٌ قطُّ ، أو خاطبك فى ذلك قَط ؟ فقالت : لا والله أيها الأمير ، إلا أنه قال لى ليلةً وقد خلونا كلمةً ظننتُ أنه قد خَضع فيها لبعض الأمر ، فقلتُ له :

وذى حاجةٍ قُلنا له لا تَبُح بها فليس إليها ما حَيِيتَ سَبِيلُ
لنا صاحبٌ لا يَنبغى أنْ نَخونه وأنتَ لأُخرى فارغٌ وحَلِيل

ولا والله ما سمعتُ منه من بعدها ريبةً حتى فرّق بيننا الموت . قال الحجّاج :

(١) البرير : ثمر الأراك . وفى بعض أصول الأغانى : « نمـيرها » . وفى الأمالى : « غض نضيرها » .

(٢) القوز : الكثيب من الرمل . واليفاع : المشرف . وبصيرها ، أى الذى جلس إلى النار يتعرف القاصدين . (٣) البدن : جمع بدنة ، وهى الناقة ، والبقرة تسمن وتذبح بمكة .

(٤) تكتنينها : أى تستترين منها .

(٥) الأدماء : التى أشربت سواداً وبياضاً . والمهارى : إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، أبى حى من العرب . والمهاة : البقرة الوحشية . والصوار : قطيع البقر .

(٦) أجواز : جمع جوز ، وهو الوسط . والتنوفة : الفلاة . واستن : هاج . والمور : الغبار تثيره الرياح .

فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجَّه صاحباً له إلى حاضرنا ، فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بنى عُبادة فاُعْلُ شَرَفاً ثم اُهتف بهذا البيت :

عفا الله عنها هَل أبيتنَّ ليلةً مِن الدهرِ لا يَسْرِى إلىَّ خَيالُها

فلمَّا فَعل الرجُل ذلك عرفتُ المعنى ، فقلت :

وعنه عفا ربِّى وأحسن حِفْظَه عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالُها

ذكر مقتل توبة بن الحمير

مختصراً

قيل :

كان مروان بن الحكم ، وهو يتولّى المدينة لمُعاوية بن أبى سُفيان ، قد ولّى همَّام بن مُطرِّف العُقيلى صَدقات بنى عامر ، فاُختصم بنو خَفاجة و بنو عُقيل عند همَّام فى بعض أُمورهم ، وتوبةُ بن الحُميِّر حاضرٌ يومئذ . وقد كانت جَرت بين تَوبة و بين بنى عوف بن عُقيل ملاحاةٌ ، فوثب يومئذ ثَورُ بن أبى سِمْعان بن كَعب بن عَوف بن عامر بن عُقَيل على توبة فضَربه بجُرْزٍ[1] ، وعلى تَوبة الدِّرعُ و البَيْضة ، فجَرح أنفُ البيضة وجهَ توبة . فأمرَ همَّامٌ بثَوْر بن أبى سِمْعان فأُقْعِد بين يدى توبة ، فقال : خُذ بحقِّك يا توبة . فأبى توبةُ أن يَقْتصَّ واُتهم هَماماً بأن ذلك عن أمره . ثم بَلغَ توبةَ أن ثوراً أخرج فى نَفر من رَهطه يُريد ماءً لهم ، فأتبعه توبةُ وسأل عنه ، فقيل له : إنه عند رجل من بنى عامر بن عُقَيل يقال له : ساريةُ ، وكان صديقاً لتوبة . فكره أن يَطْرُقهم عنده وأراد أن يخرُجوا عنه . فأقعد لهم توبةُ رجلَين من أصحابه ، فغفلا . وقال ساريةُ لهم : ادَّرعوا الليلَ فإنِّى لا آمن عليكم توبةَ . فلما فرغ الليلُ فَزِع توبةُ وعَلِم أنَّ ثوراً وأصحابه لا يَبيتون

(١) الجرز : العمود من الحديد .

بتلك الناحية ، وأنَّ صاحبَيه اللذين أرصدهما غَفلا ولم يَصنعا شيئاً ، واقتص آثارَ القوم فوجدها . فبعث إلى صاحبَيْه فأتياه ، فقال : دونكما هذا الجمَلَ فأوقراه من الماء فى مزادَتَيْه ، ثم اتّبعا أثرى ، فإنْ خَفِي عليكما فإنى سأوقد لكما إن أمسيتما ناراً . وخرج فى إثر القوم فأدركهم مُنتصف النهار . فبدر إليهم أخوه عبدُ الله بن الحُمَيِّر فرُمى بسَهم فعُقر فرسه وجُرح ساقه . ورمى توبة ثوراً فى حلمة ثَدْيه فصرعه . وجال القوم ، فغَشِيهم توبة وأصحابُه ووضعوا فيهم السلاحَ حتى تركوهم صَرعَى ، وهم سبعةُ نفر . فقال ثور : انتزعوا هذا السهم عنّى . فقال توبة : ما وَضعناه لِننزعه . فقال أصحاب توبة لتوبة : أنجُ بنا فإنا قد أدركنا ثأرنا . فقال توْبة : ما أنا بفاعل وما هم إلّا عشيرتكم ، ولكن تجىء الرّاوية فأضع لهم ماءً وأغسِل عنهم دماءهم وأوذن قومَهم . وأقام توبةُ حتى أتتهم الراوية قبلَ الليل . فسقاهم وغَسل عنهم الدماء ، وترَك فى أسقيتهم ماءً ، ثم جلّلهم بالثياب على الشجر ، وأتى سارِيةَ ليلاً فعرّفه ، ثم انصرف إلى قومه . وصبّح ساريةُ القوم فاحتملهم ، وقد مات ثورٌ وحدَه وسلم الباقون . ولم يزل توبةُ خائفاً ، وكان لثَوْر ابنٌ يقال له : السَّليل ، كثير البَغْى والشَّر ، فبقى مُتتبّعاً لغِرّات توبة بن الحُميِّر بأبيه . فأُخبر بغرّة منه وأنه فى قُنَّة يقال لها: قُنَّة بنى الحُميِّر . فركب نحوه فى ثلاثين فارساً حتى طرَقه . فرقى توبةُ الجبلَ ، فلم يقدِر عليه ، وأخذوا أفراساً له ولإخوته ، ثم انصرفوا عنه . ثم إنَّ توبة غزاهم فوجدَ إبلًا واردةً لبنى عَوف على ماء لهم ، فطَردها وخلّى طريقَ راعيها . وكان صاحبَها هُبيرة بن السَّمين، أحد[1] بنى عوف ، وقال لراعيها : إذا أتيتَ ضرع البقرة[2] — يعنى هُبيرة — فأخبره أن توبة أخذ الإبل . وطَرد توبةُ الإبل يومه . وأخبر العبدُ مولاه بذلك ، فقال : حتى متى هذا ! ونادى فى عَوف . فاجتمع إليه منهم ثلاثون فارساً فأدركوه . فقام توبةُ

(١) فى غير التجريد : « أخى » . (٢) فى غير التجريد : « صدغ البقرة » .

إلى فرسه ، فغلبتْه ولم يَقدر أن يُلجمها ولم تقِرّ له ، فخلَّى طَريقها . وغَشِيه القوم فقَتلوه . وطاعنهم عبدُ الله أخوه بالرُّمح حتى انكسر ، فلما فرَغوا من تَوبة مالوا على عبد الله بن الحُمَيِّر فضربوا رجلَه فقَطعوها . فلمَّا وَقع على الأرض انتزع سيفَه ثم جَثا على رُكبتيه وجَعل يقول : هلمُّوا ، ولم يشعُر القوم بما أصابه . ثم انصرف القوم . وانهزم ابنُ عمٍّ لتوبة فلحق بعبد العزيز بن زُرارة الكِلابى فأخبره الخبر . فأتى عبدُ العزيز تَوبةَ فدَفنه ، وضَمَّ أخاه . ثم ترافع القومُ إلى مروان ابن عبد الحكم ، فكافأ بين الدَّمَيْن ، وحُملت الجِراحات .

رثاء ليلى له

وقالت ليلى الأخيلية ترثى تَوبة بن الحُميِّر من قصيدة طويلة منها :

فإن تكُن القَتلى بَوَاءً فإنكم فتًى ما قتلتُم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فَتًى كان أحيا من فتاةٍ حَيِيَّة وأشجعَ من لَيث بخَفَّان[١] خادر
فنِعْم الفتى إن كان تَوبةُ فاجِراً وفوقَ الفتى إن كان ليس بفاجِر
كأن فتى الفتيان تَوبةَ لم يُنِخ قلائصَ يَفْحَصْن الحَصا[٢] بالكَراكِر

هى وأسماء بن خارجة عند الحجاج

وذُكر أن ليلى أنشدت الحجَّاج هذه الأبيات ، وعنده أسماءُ بن خارجةَ ، فقال لها أسماء : أيتها المرأة ، إنك لتَصِفين هذا الرجل بشىء ما تعرفه العرب ! فقالت : أيها الرجُل ، هل رأيتَ تَوبةَ قطُّ ؟ قال : لا . فقالت : أما والله لو رأيتَه لوددْتَ أن كل عاتقٍ[٣] فى بيتك حاملٌ منه . فكأنما فُقِئ فى وجهِ أسماء حَبُّ الرُّمَّان . فقال الحجاج : مالك ومالها !

عود إلى مرثيتها

ومنها :

فتًى كان للمولَى سناءً ورفعةً وللطارق السارِى قِرًى غيرَ[٤] فاترِ

(١) خفان : مأسدة قرب الكوفة . وخادر : مقيم . الرواية فى بعض أصول الأغانى : « وتوبة أحيا ... * وأجرأ » . (٢) الكراكر : جمع : كركرة ، وهى الصدر من كل ذى خف .
(٣) العاتق : الشابة . (٤) فى بعض أصول الأغانى : « باسر » .

فتالله تبنى بيتَهـــا[١] أُمُّ عامر   على مِثْـــله أُخرى الليالى[٢] الغَوَابر
فليس شِهابُ الحرب تَوبةُ بعـــدها   بغـــازٍ ولا غادٍ بِرَكْبٍ مُســـافر
وكنتَ إذا مَولاك خاف ظُلامةً   دعاك ولم يَعْـدِل[٣] سواك بناصر

مرثية لها أخرى

ولها فيه من أخرى :

كأنَّ فتى الفِتيان تَوبةَ لم يَسِرْ   بنَجْـدٍ ولم يَطلُع مع[٤] المُتغـوِّرِ
ولم يَرِد المـــاءَ السِّدامَ[٥] إذا بدا   سَنا الصُّبْح فى بادى الحواشى[٦] مُنوِّر
ولم يَغْلب الخَصْمَ الضِّجَاجَ ويَملأ الـ   ـجِفانَ سَديفاً يومَ نَكْباء[٧] صَرْصَر

ومنهـا :

قتلتم فتًى لا يُسْقِطُ الرَّوعُ رُمحَـــه   إذا الخيلُ جالتْ فى القَنـا المُتكَسِّرِ
فياتَوبُ للهيجا ويا تَوبُ للنَّـــدى   ويا تَوبُ للمُسْتَنبِح[٨] المُتَنـوِّرِ
فيـــا رُبَّ مكروهٍ أجبتَ ونائلٍ   بذلتَ ومَعروفٍ لديك ومُنْكَر

مرثية لها أخرى

ولها فيه :

أقسمتُ أَرثى[٩] بعـد تَوبةَ هالـكاً   وأَحفِلُ مَن دارتْ عليه الدَّوائرُ
لَعمـــرك ما بالموتِ عارٌ على الفَتى   إذا لم تُصِبْه فى الحيـــاةِ المَعايِرِ
وما أَحدٌ حَىٌّ وإنْ عاش سالمًا   بأَخلدَ ممن غَيَّبته المَقـــابر

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أم عاصم » . (٢) الغوابر ، أى الباقيات . يقول : إن هذه المرأة لا يشتمل بيتها على مثله آخر الدهر ؛ فإن الدهر بمثله بخيل .

(٣) فى منتهى الطلب : « ولم يهتف » .

(٤) المتغور : الذى يأتى الغور ، وهو المنخفض من الأرض .

(٥) السدام : المندفن القديم . (٦) رواية هذا العجز فى الكامل :

* سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر *

والأخضر : الليل . والعرب تسمى الأسود أخضر .

(٧) الضجاج : المشاغب ذو الشدة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح تنحرف عن مهبها فتقع بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

(٨) المستنبح : الذى يضل فينبح نباح الكلب فتنبح لنباحه كلاب الحى فيهتدى إليه . والمتنور : الذى يبصر النار من بعيد . (٩) أى أقسمت لا أرثى ... ولا أحفل ، فحذف ، وهو كثير .

ومَن كان مِمَّا يُحدث الدَّهرُ جازعاً فلا بُدَّ يوماً أن يُرَى وهو صابر
وليس لِذِى عيشٍ من الموتِ مَقْصَرٌ وليس على الأيَّام والدهر(١) غابِر
ولا الحيُّ مِمَّا يُحدِث الدهرُ مُعتَبٌ ولا المَيْتُ إن لم يَصبِر الحيُّ(٢) ناشِر
فكُل شَباب أو جديدٍ إلى بِلًى وكُل أمرىء يوماً إلى الله صائر
وكُل قرينَىْ أُلفةٍ لتفرُّقٍ شَتاتاً وإن ضَنَّا وطال التعاشُر
فلا يُبعِدَنْك الله حيًّا وميِّتاً أخا الحرب أن جارتْ(٣) عليك الدَّوائر
فآليتُ لا أنفكّ أبكيك ما دَعَتْ على فَننٍ وَرْقاء أو طار طائر

مرثية لها أخرى

ولها فيه :

كم هاتفٍ بك من باكٍ وباكيةٍ يا تَوبُ للضيف إذ تُدْعَى وللجارِ
وتَوْبُ للخَصْمِ إن جارُوا وإن عَدلوا وبدَّلوا الأمرَ نَقضاً بعد إمْرار
إن يُصدِرُوا الأمر تُطلِعْه مَوارِدَه أو يُوردوا الأمرَ تُطْلِعْه بإصْدار

بينها وبين معاوية فى شأنه

وذُكر أن مُعاوية بن أبى سُفيان سأل لَيلى الأخيليَّة عن تَوبة بن الحُميِّر، فقال : ويحك يا ليلى ! أ كما يقول الناسُ كان تَوبة ؟ فقالتْ : يا أمير المؤمنين ، ليس كل ما يقول الناس حَقًّا ، والناس شجرةُ بَغى يحسُدون أهلَ النِّعم حيث كانت(٤) وعلى مَن كانت ! والله لقد كان يا أمير المُؤمنين سَبْطَ البَنان ، حديدَ اللِّسان ، شَجًى للأقران ، كريمَ المَخْبر ، عفيفَ المِئْزر ، جميلَ المَنظر . وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قُلتِ له ؟ قالت : قلتُ ، ولم أَتعدَّ الحق وعِلْمى فيه :

بَعيدُ الثَّرَى لا يبلُغ القومُ قعرَه أَلَدُّ مُلِدٌّ(٥) يَغلِبُ الحقَّ باطِلُهْ
إذا حَلَّ رَكبٌ فى ذَراه وظِلِّه لِيَمْنَعهم مما تَخاف نَوازِلُه

(١) غابر : باق .
(٢) معتب : أى راض ، من أعتبته ، إذا أرضيته . وناشر : مبعوث ، يكون متعدياً ولازماً .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : «دارت» . (٤) فى بعض أصول الأغانى : «حيث كانوا» .
(٥) ألد : كثير الجدل لا يزيغ إلى الحق . وملد : عسر فى الخصومة .

حَماهم بنَصل السَّيف من كُلّ فادحٍ   يخافُونه حتى تموتَ خصائله

فقال لها معاوية : ويحك ! زعم الناس أنه كان عاهراً خارباً(١) . فقالت من ساعتها :

مَعاذَ إلٰهى كان واللهِ سَيِّداً   جَواداً علي العِلَّات(٢) جَمًّا نوافلُهْ
أغرّ خَفاجيًّا(٣) يرى البُخْل سُبَّةً   تَحلَّبُ كفَّاه النَّدى وأنامله
عَفيفاً بعيدَ الهمِّ صُلباً قناتُه   جَميلاً مُحيَّاه قليلًا غَوائله
وكان إذا ما الضيفُ أرغى بعيرَه   لدَيه أتتْه دُسعه(٤) وفَواضله
وقد عَلِم الجُوعُ الذى بات سارياً   على الضَّيف والجيران أنَّك قاتله
وأنك رَحْبُ الباعِ ياتَوْبُ بالقِرَى   إذا ما لئيمُ القَوم ضاقتْ مَنازِله

فقال لها معاوية : ويحك ! لقد جُزْتِ بتوبة قدرَه ! فقالت : والله يا أمير المُؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنِّى مُقصِّرة فى نَعته ، أو أنِّى لا أبلُغ كُنه ما هو أهلُه . فقال لها مُعاوية : أىُّ الرجال كان ؟ فقالت :

أتتْه المَنايا حينَ تمَّ تَمامُه   وأقصر عنه كُلُّ قِرْنٍ يُطاولُهْ
وكان كلَيث الغابِ يَحْمِي عَرينَه   وتَرضى به أشبالُه وحلائله
غَضوبٌ حَليمٌ حين يُطلَبُ حِلْمُه   وسُمٌّ زُعافٌ لا تُصاب مَقاتِله

فأَمر لها مُعاوية بجائزة عظيمة وقال : أَخبريني بأَجود ما قلتِ فيه من الشعر . فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئاً إلا والذى فيه من خِصال الخَير أكثر ، ولقد أجَدتُ حين قلتُ :

جَزاكَ الله خَيراً والجزاء بكفِّه   فتًى من عُقَيلٍ سادَ غيرَ مُكلَّفِ

(١) الخارب : اللص . (٢) على العلات : أى على كل حال من عسر أو يسر .
(٣) نسبة إلى خفاجة بن عمرو ، أحد أجداد توبة .
(٤) أرغى الرجل بعيره : إذا حمله على أن يرغو ليلا فيضاف . ودسعه : عطاياه .

فتًى كانتِ الدُّنيا تهُون بأسرها عَليــه ولا ينفك جَمَّ التصرُّف
ينـال عَليَّات الأُمُور بهَوْنةٍ إذا هى أعيتْ كُلَّ خِرْقٍ[1] مُشَرِّف
فياتَوبُ ما فى العَيش خَيرٌ ولا ندًى يُعدُّ وقد أمْسيتَ فى تُرْب[2] نَفْنَف
وما نِلتُ منك النِّصْفَ حتى أرتمتْ بك الـ ـمَنايا بسَهمٍ صائب الوَقْع أعجف
فيا ألفَ ألفٍ كنتَ[3] حيًّا مُسلَّماً لألقاك مِثلَ القَسْور[4] المُتطرِّف
كما كُنتَ إذ كُنتَ المُنحَّى مِن الرَّدى إذا الخيلُ جالَت فى القَنا المُتقصِّف
فكم مِن لَهيفٍ مُحْجَرٍ قد أجبتَه بأبيضَ قَطَّاعِ الضَّريبة مُرْهَف
فأنقذتَه والموتُ يَحْرِقُ نابَه عليه ولم يُطْعَن[5] ولم يَتَسيَّف

هى وعبد الملك وقد أسنت

وذُكر أنَّ ليلى الأخيليّة دَخلَت على عبد الملك بن مَروان ، وقد أَسنَّت وعَجزت ، فقال لها : ما رأى توبةُ فيك حتى هَويك ؟ قالت : ما رآه الناس فيك حين ولَّوْك . فضَحِك عبدُ الملك حتى بَدت له سِنٌّ سوداء كان يُخفيها .

هى والحجاج

وذُكر أن ليلى وَفَدت على الحَجَّاج بن يوسف ، فأنشدَته قولَها فيه :

إذا نَزل الحَجَّاجُ أرضاً مَريضةً تَتبَّع أقصى دائها فشَفاها
شَفاها من الدَّاء العُضال الذى بها غُلامٌ إذا هَزَّ القَناة سَقاها

فقال : لا تقُولى : « غلام » ولكن قُولى : « همام » . وقال الحجاج : هذه التى تقول :

نحن الأخايلُ لا يزال غُلامُنا حتى يَدِبَّ على العصا مَشهورَا
تبكى الرِّماح إذا فَقدْن أكفَّنا جَزعاً وتُلْفينا[6] الرِّفاقُ بُحورا

(١) بهونة : أى فى رفق وسهولة . والخرق : الكريم السخى . (٢) النفنف : المفازة .
(٣) فى التجريد : « فيالك أن لو كنت » مكان « فيا ألف ألف كنت » .
(٤) القسور : الأسد . والمتطرف : المغير .
(٥) فى غير التجريد : « ولم يتنسف » . (٦) فى غير التجريد : « وتعرفنا » .

ثم قال الحجّاج لحاجبه : أذهب فاقطع لسانها . فدعا لها بالحجّام ليقطع لسانَها . فقالت له : ويلك ! إنما قال الأميرُ لك : أقطع لسانَها بالعَطاء ، فأرجع إليه فأستأمره[١] . فرجع إليه فأستأمره . فأستشاط وهَمَّ بقطع لسانه . ثم أمَر بها فأدخلت عليه . فقالت : كاد وعهدِ الله أيها الأمير أن يقطع لسانى . ثم أنشدته :

حجّاج أنتَ الذى ما مِثلَه أحدُ ... إلّا الخليفةُ والمُستعظَم[٢] الصَّمدُ
حَجّاج أنتَ سِنانُ الحَرب إنْ نَهِجتْ ... وأنتَ للنّاسِ نُورٌ فى الدُّجى يَقِد

وذُكر أن الحجّاجَ أمَر لها بمائتين . فقالت : زِدْنى . فقال : أجعلوها ثلاثمائة. فقال بعضُ جُلسائه : إنها غَنَم . فقالت : الأمير أكرم من ذلك وأعظمُ قدراً من أن يأمُر لى إلا بالإبل . فأستحيا فأمر لها بثلاثمائة بَعير .

أول شعرها فى الحجاج

وأوّل الشِّعر الذى للَيلى فى الحجّاج :

أحجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحُك إنما الـ ... ـمَنايَا بكَفِّ الله حيثُ يراها

و بعده البيتان اللذان مرّا . و بعد هذين البيتين[٣] :

سَقاها دِماء المارقين وعلَّها ... إذا جَمحتْ يومًا وخِيف أذاها
إذا سَمِع الحجّاجُ صوت[٤] كتيبةٍ ... أعدَّ لها قبل النُّزول قِراها
أعدَّ لها مَصقولةً فارسيَّةً ... بأيدى رِجالٍ يَحْلُبون[٥] صَرَاها
أحجّاجُ لا تُعْطِ العُصاة مُناهُمُ ... ولا الله يُعطى للعُصاة مُناها
ولا كُلَّ حَلَّافٍ تقلَّد بَيعةً ... فأعظَمَ عهدَ الله ثم شَراها

وفاتها كيف كانت

وذُكر أنَّ ليلى الأخيليَّة أقبلت مِن سفر ، فمرّت بقَبر تَوبة بن الحُميِّر ، ومَعها زوجُها وهى فى هَودج لها ، فقالت : والله لا أبرح حتى أُسلِّمَ على تَوبة . فجعل

(١) استأمره : استشاره . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ما فوقه أحد ... والمستغفر » .
(٣) انظر (ص ١٢٩٤) من هذا الجزء .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « رز » وهو الصوت . (٥) الصرى : بقية اللبن .

زوجُها يَمنعها من ذلك ، وتأبى إلا أن تُسلِّمَ به . فلما كثُر ذلك منها تركها . فصَعِدت أَكمةً عليها قبرُ تَوبة ، وقالت : السلام عليك يا تَوبة . ثم حوّلت وجهها إلى القوم ، وقالت : ما عَرفتُ له كَذِبةً قطُّ قبل هذه . قالوا : كيف ؟ قالت : أليس القائلَ :

ولو أنَّ ليلَى الأخيليَّة سلَّمتْ ... علىَّ ودُونى تُربةٌ وصَفائحُ
لسلمتُ تسليمَ البَشاشة أو زقا ... إليها صَدًى[1] من داخل التُّرب[2] صائحُ
وأُغبَطُ من ليلى بما لا أناله ... ألا كُلُّ ما قَرَّت به العينُ صالحُ

فما بالُه لا يُسلِّم علىَّ كما قال ! وكان فى جانب القبر بومة كامِنة ، فلما رأت الهَودج واُضطرابَه فَزِعت وطارت فى وجه الجمل ، فنفر فرمَى ليلَى على رأسها ، فماتت مِن وَقتها . ودُفنَت إلى جانبه .

شعرها الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار ليلى الأخيلية ، هو :

فإن تكن القتلى ... ...

وقد تقدَّم ذكر ذلك[3] .

---

(١) زقا : صاح . والصدى : طائر كالبومة ، زعمت العرب أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح : اسقونى ، اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره .

(٢) فى غير التجريد : « من جانب القبر » .

(٣) انظر (ص ١٢٩٠) من هذا الجزء .

أخبار الأقيشر الأسدى

نسبته وكنيته ولقبه

وهو المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض ، مِن ولد أسد بن خُزَيمة . ويكنى أبا مُعْرِض ، والأُقيشر لقبٌ لُقِّب به ؛ لأنه كان أحمرَ الوجه أقشر .

منزلته وعمره

وكان أقعدَ بنى أسد نسباً . وعُمِّر عُمراً طويلا .

مخضرم

قال أبو الفرج :

وما أخلقَه أن يكون وُلد فى الجاهلية ، ونَشأ فى أوّل الإسلام .

مذهبه وشىء من خلقه

وكان مسكنه الكوفة . وكان عُثمانيًّا . وأهل محلّته كذلك . وكان خليعاً ماجناً مُدْمِناً شُرْب الخمر .

من شعره فى مجونه

وهو الذى يقول عن نفسه :

وإنَّ أبا مُعرِضٍ إذ حَسَا ... مِنَ الرَّاح كأساً على المِنْبَرِ
خَطِيبٌ لبِيبٌ أبو مُعْرِض ... وإن لِيم فى الخمر لم يَصْبِر
يُحب[1] اللِّئامَ ويَلْحَى الكرام ... وإن أقصرُوا عنه لم يُقْصِر

هجاؤه عبسيا وسبب ذلك

وذُكر أن الأقيشر اجتاز على مَجلس لبنى عَبس ، فناداه أحدُهم : يا أُقيشر ! وكان يغضب منها . ومَضى الأُقيشر ثم عاد ومَعه رجلٌ ، وقد قال له : قِف مَعى ، فإذا أنشدتُ بيتاً فقل لى : ولِم ذاك ؟ ثم انصرف ، وخُذ هذين الدرهمين . فقال : أنا أصيرُ معك يا أبا مُعْرِض إلى حيث شئتَ ، وما أُريد شيئاً . قال : فافعل . وأَقبل مَعه حتى أتى مَجلس القوم ، فوَقف عليه ثم تأمَّلهم ، وقد عرف الشابَّ فأقبل عليه ، وقال :

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «يجل» . وفيها غير هذا زيادة عجز وصدر زاد بهما الشعر بيتاً.

أتدعونى الأُقيشرَ ذلك اسمى وأدعوكَ أبنَ مُطفئة السِّراجِ

فقال له الرجل : ولم ذاك ؟ قال :

تُناجى خِدْنها بالليل سرًّا ورَبُّ الناس يعلمُ ما تُناجى

فلُقب ذلك الرجل : أبن مُطفئة السِّراج .

من دعابته مع رجل من قيس

وذُكر أن الأُقيشر كان عِنِّيناً لا يأتى النساء ، وكان كثيراً ما يصف من نفسه ضدَّ ذلك . فجَلس إليه يوماً رجلٌ مِن قَيس ، فأنشده الأُقيشر :

ولقد أروح بمُشْرِفٍ[1] ذى مَيعة عَسِرِ المَكَرَّة مَاؤه يَتفَصَّدُ

مَرِحٍ يَطير مِنَ المِرَاح لُعابُه ويكاد جِلْد إهابه[2] يَتقدَّد

ثم قال للرجل : أتعرف الشعرَ ؟ قال : نعم . قال : فما وصفتُ . قال : فرساً . قال : أفكنتَ تَركبه ؟ قال : إى والله وأثنى عِطْفَه . فكشف عن أيره وقال: هذا ما وصفتُ فقُم فاركبه . فوثَب الرجلُ عَن مجلسه ، وجَعل يقولُ : قبَحك الله من جَليس ! سائرَ اليوم .

هو والشرطة وقد اتهموه بالشرب

وذُكر أن الأُقيشر شَرب يوماً عند خَمَّار ، فجَاء الشُّرطة ليأخذوه ، فتحرَّر منهم وأغلق بابه وقال : لستُ أشرب فما سَبيلكم ؟ قالوا : فقد رأينا العُسَّ[3] فى كَفِّك وأنتَ تَشرب . قال : إنما شَربتُ مِن لبن لِقْحة[4] عند صاحب هذه الدار . فما بَرِحوا حتى أخذوا منه دِرْهمين . فقال :

إنما لِقْحتُنا باطيةٌ فإذا ما مُزِجتْ كانتْ عَجَبْ

لَبنٌ أصفرُ صافٍ لونُه ينزِع الباسورَ مِن عَجْب الذَّنَبْ

إنما نَشرب من أموالنا فسَلُوا الشُّرطِىَّ ماهذا الغَضب

(١) فى غير التجريد : « ذى شعرة » .

(٢) فى غير التجريد : « وتكاد جلدته به تتقدد» .

(٣) العس : القدح العظيم . (٤) اللقحة : الناقة الحلوب .

من شعره فى تفرق أصحابه

وقيل :

كان للأُقيشر نَدامى ، فبعث الحجّاجُ بعضُهم إلى بَعْث فمات ، ونَسك بعضهم ، وهَرب بعضهم . فقال الأُقيشر :

غُلِبَ الصبرُ فاْعترتْنى هُمومٌ   لِفراقِ الثِّقاتِ مِن إخوانِى
مات هذا وغاب هذا وهـذا   دائبٌ فى تِلاوة القُرآنِ
ولقـد كان قَبل إظهاره النُّسْـ   ـك قديماً من أظرف الفِتيان

خداع امرأة له على خمر وحديث ذلك

وذُكر أن الأُقيشر كان يأتى بيتَ خَمّار بالحِيرة يَشرب عنـده الخمر ، وكان لا يسأل أحداً من الناس أكثرَ من خمسة دراهم ، يَجعل درهمين فى كِراء حِمار إلى الحِيرة ، وفيها بيتُ ذلك الخمار الذى كان يتعاهده ، ودرْهمين لثمن الخمر الذى يَشربه ، ودِرهماً لطعامه . فإذا وصل إلى الخمَّار رَبط حماره الذى اكتراه بلجامه ، وشَرب حتى يُمسى ، ثم يركبه فينصرف . فكان هذا دأبَه . فأتى يوماً من الأيام بيتَ الخمَّار فلم يُصادفه ، فجعل ينتظره ، ودَخلت الدارَ امرأةٌ عِباديّة[1] ، فقال لها : ما فَعل فلان ؟ قالت : قد مَضى لحاجته وأنا امرأتُه ، فما تُريد ؟ قال : نَبيذ . قالت : بكم ؟ قال : بدرهمين . قالت : هَلُمَّ درْهَميك وانتظرنى . قال : بل أكون معك . قالت : أنتَ وذاك . فمَضت وتبعها . فدَخلت داراً لها بابان وخرجَت مِن أحدهما وتركَتْه . فلما طالَ جُلوسه خَرج إليه بعضُ أهل الدار ، فقالوا : ما يُجلسك ؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأةٌ مُحتالة يقال لها أم حُنين مِن العِباديّين . فعلم أنه قد خُدع . فانصرف إلى خمَّاره فأخبره بالقِصّة ، وقال له : أنسِئْنى اليوم واسقنى . ففعل . وكان اسم الحمار حُنيناً . فأنشأ الأُقيشر يقول :

لا تغُرَّن ذاتُ[2] خُفٍّ سوانا   بعد أُختِ العِبَاد أُمِّ حُنَيْنِ

(١) نسبة إلى : عباد ، قبائل اجتمعت على النصرانية بالحيرة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « لم يغرر بذات » .

وعدتْنا بدرهَمَيْن نَبيــذاً أو طِلاءٍ مُعجَّلاً غَـير دَيْن
ثم ألوتْ بالدِّرهمين جميعاً يا لَقومى لضَـيْعةِ الدِّرهمين
عاهدتْ زوجَهـا وقد قال إنى سوف أغدُو لحاجتى ولدَيْنى
فدعَتْ كالحِصَان أبيضَ جَلْداً وافر الأَيرِ مُرسَل الخُصْيتَيْن
قال ما أجره(١) هُديتِ فقالت سوف أُعطيك أجرَه مرّتين
فأُبدِإ الآنَ بالسِّفاح فلما سافحْتَـه أرضتْه بالأُخْرَيين
تَلَّهــا(٢) للجَبين ثم امتطاها عارمُ الأَيرِ أفحجُ(٣) الحَالبين
بينما ذاك منهما وهى تَحوى ظهرَه بالبَنـــانِ والمِعْصَمين
جاءها زوجُهـــا وقد شِيم منها ذواُنتصابِ مُوثَّق(٤) الأَخدعين
فتأسَّى وقال ويلٌ طَويل لحُنينٍ مِن عار أم حُنَـين

فقال الخَمَّار: يا هذا، ما أردتَ إلّا هجائى وهجاء أُمى. قال: أخذت مِنّى دِرْهمين ولم تعطنى شراباً. قال: لا والله! ما تَعرفُك أُمى ولا أَخـذت مِنك شيئاً قط، فإن كانت هى صـاحبَتك غَرِمْتُ لك الدرهمين. قال: لا والله، ما أعرف إلا أُم حُنين وأُبنهـا، فإن كانت أُمك فإياها أعنى، وإن كانت أُم حُنين أخرى فإياها أَعنى. قال: إذن لا يُـفَرِّق الناس بينهما. قال: فما عَلَيَّ إذن! أتُرَى أنَّ دِرْهَمَيَّ يَضيعان؟ قال: فهلمَّ إذن أَغْرَمْهما لك، وأقمْ ما تحتاج إليه، لا باركَ الله لك! ففعل.

هو وعمته وقد أرادته على الصلاة

وذُكر أن عَمَّـةَ الأُقيشر قالتْ له: اُتَّقِ اللهَ وقُم فصَلِّ. فقال: لا أُصلِّى. فلما كَثَّرت عليه، قال: قد أبرمتِنى، فاُختارى خَصلةً مِن خَصْلتين: إمَّا أُصلِّى ولا أتوضأ، أو أتوضأ ولا أُصلى؟ فقالت: قَبَحك الله! فإن لم يكن غير هاتَـيْن فصلِّ بلا وُضوء. فقام فصلى بلا وُضوء.

(١) فى بعض أصول الأغانى: «قال ما أجر ذا». (٢) تلها: ألقاها على الجبين.
(٣) أفحج: متباعد. (٤) الأخدعان: عرقان فى جانبى العنق.

هو وامرأته وقد نهته عن الشرب

(١)وذُكر أن الأُقيشرَ شَرب وسَكر ، فَسقط فبدت عورتُه ، وامرأته تنظرُ إليه . فضحكت منه وأقبلتْ عليه تلومه وتقولُ : ألا تَستحى يا شيخ من أن تبلُغ بنفسك هذه الحال ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول :

تقول يا شيخ ألا تَستحى ... منْ شُربك الخمر على المَكْبرِ
فقلتُ لو باكرتِ مَشمولةً ... صهباءَ مثلَ الفَرسِ الأشقر
رُحتِ وفى رجلَيْك عُقَّالة ... وقد بدا هَنْك (٢) مِنَ المئزر

استنشده عبد الملك أبياته فى الخمر

وذُكر أن عبد الملك بن مَروان قال للأقيشر : أنشدنى أبياتك فى الخمر . فأنشده قوله :

تُريك القذَى مِنْ دونها وهى دونه ... لوجهِ أَخيها فى الإناء قُطوبُ
كُميتٌ إذا فُضَّت وفى الكأس وَردةٌ ... لها فى عِظام الشَّار بين دَبِيب

فقال له : أحسنتَ يا أبا مُعْرِض ! ولقد أجَدْتَ فى وَصفها ، وأظُن أنك شربتَها . فقال : والله يا أمير المُؤمنين إنه لَتَريبني مَعرفتُك بها .

ما أنشده الأصمعى له فى الخمر

(١)وأنشد الأصمعىُّ للأُقيشر فى الخمر :

وباطيةٍ تُرْوى الشُّروب شبيهة ... بطُوفانِ نُوح حين فاض وأزبدَا
ترى وسطَها الأقداحَ تهوى كأنَّها ... نُجومٌ هوتْ للغَرْب مَثنًى ومَوْحدا

شعره الذى فيه الغناء

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار الأقيشر ، هو شِعرٌ مَدح به الأقيشرُ زكريا بن إسحاق بن طلحة بن عُبيد الله ، وكان جواداً ممدَّحاً ، وهو :

سألنى الناسُ أين يَعمِد هذا ... قلتُ آتى فى الدار قَرْماً سَرِيًّا

---

(١) لم يرد هذا الخبر إلا فى التجريد .
(٢) العقالة : من العقال ، وهو داء يأخذ فى قوائم الدواب . والهن : الفرج ، وسكنت نونه للضرورة . ورواية البيت فى اللسان (هو) : « ما فيهما » مكان « عقالة » .

ما قطعتُ البلاد قطُّ(١) ولا يَمَّـ ـمتُ إلَّا إلى زكريَّا

كَمْ عَطاء ونائلٍ وجزيلٍ كان لى منكُمُ هَنيئاً مَرِيَّا

خبر موته

(٢)وذُكر أن الأُقيشر كان مُولَعاً بمدح زكريا هذا وهجاء أخيه عبد الله ابن إسحاق . فقال عبد الله لغلمانه : ألا تُريحوننى منه . فانطلقوا فجمعوا بَعراً وقَصباً بظهر الكوفة وجَعلوه فى وسط حُفرة ، وأقبل الأُقيشر سكران مِن الحِيرة على بغل ، فأنزلوه عن البغل وأخذوه فشدُّوه رباطاً ثم وَضعوه فى ذلك البعر والقَصب وألهبوا النار فيه ، وجعلت الريح تَسفع وجهه وجسمَه بتلك النار ، فأصبح ميتاً لم يُدرَ مَنْ قتله .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أسرى » .

(٢) لم يرد هذا الخبر إلا فى التجريد .

أخبار أعشى تغلب (*)

نسبه

اسمه رَبيعة . وقيل : النُّعمان بن مُعاوية ، أحد بنى مُعاوية بن جُشم بن بَكر ابن حُبَيْب بن عَمرو بن غَنْم بن تَغْلب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْميّ بن جَدِيلة بن أَسد بن رَبيعة بن نِزَار .

عصره ومنزله ودينه

شاعرٌ مِن شُعراء الدَّولة الأَمَوية . وكان يسكُن الشام إذا حَضر ، وإذا بدا نَزل فى بلاد قوْمِه بنواحى المَوْصل وديارِ رَبيعة . وكان نَصرانياً .

شعره فى شمعلة وقسره على الإسلام

وذُكر أنَّ شَمعلة بن عامِر بن عمرو بن بكر كان نصرانياً ، فدَخل على بعض خُلفاء بنى أُمية ، فقال له : أَسْلِم يا شَمعلة . فامتنع . فأَمر به فقُطعت قطعةٌ مِن لحم فخذه وسُوِّيَت وأُمِر بأكلها . فقال أعشى تَغلب فى ذلك :

أَمِن جِذْمَة[1] بالفَخْذ مِنك تباشرتْ عِداك فلا عارٌ عليك ولا وِزْرُ
وإنَّ أمِيرَ المُؤمنين وجَرْحَه لكالدَّهر لا عارٌ بما فَعل الدَّهر

[2] ثم مات شمعلة من ذلك الجُرح . فقال أعشى تغلب من أبيات :

ألا يا بَنى مَرْوانَ هل نُوفِّيَنَّكم فُروضَكمُ مِنْ قَبل أن يأتىَ الحَشْرُ
ألم يكُ غدراً ما فعلتُم بشَمْعَلٍ وقد خاب مَن كانت سريرتَه الغَدْر

(*) لم يجرد ابن واصل شيئاً من أخبار ابن الغريزة ، شاعر مخضرم ، وأخباره فى الأغانى لا تعدو الصفحة وبعض الصفحة ، وقد ذكرت قبل أخبار أعشى تغلب .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « حذة » وهى القطعة أيضاً .

(٢) لم يرد هذا فيما بين أيدينا من أصول الأغانى . وقد وردت الأبيات الآتية فى (الصبح المنير) تتمة للبيتين السابقين .

فإن تكفُروا ما قد علمتُم فربما ... أُتيح لكم قسراً بأسيافنا النَّصر
لنحن عليكم لا لكم إنْ عَثَرتُمُ ... من الصكَّة(١) الأولى إذا قُضى الأمر
وكم قد دَفعنا عنكم مِن مُلمَّةٍ ... ولكن أَبيتم لا وفاءٌ ولا شُكر
أَلم نَكْفكم قيساً وقيسٌ مَهيبةٌ ... وبَرِّيةً (٢) قُلْباً حواجبُها صُعْر
فما أَقبلت للسّلم حتى تمرّست ... بها الأُسرة الحَصْداء والعَدد(٣) الدَّثْر
ونحنُ قتَلنا مُصعباً قد علمتُمُ ... بمَسْكِن يوم الحَرب أنيابُها كُشْر
فما رَبُّ ذاك الفضل كاسرَ عينه ... هشامٌ ولا عبدُ العزيز ولا بِشْر

فبَعث إليه بِشْرَ بن مَروان خاصَّةً (٤) فأَرضاه ووصله صلة سنيّة ، وحَمله على فَرس جواد وكَساه كُسوة فاخرة . فقال الأعشى يمدحه :

(٥) متى يقولوا أبو مَروان سيدنا ... وخَيرُ من يُرتجَى بِشْرٌ فقد صَدَقوا
هو الجوادُ قديماً كان سابقَهم ... حتى أَقرُّوا ولو لم ينزعوا سُبقوا
ترجو ثعالبُ قاعٍ أن يوازيَهم ... بِشْرٌ وكُلٌّ إليه ضارِع مَلِق
يَرجون أن يَجمعوا مَن ليس مُتَّفقا ... وكيف تُجمع شَتَّى ليس تَتَّفق
وكُلَّ ذلك قد جاءت يداك وإنَّ ... خُلُقك لا يجرى به خُلُق

وهذه القصيدة من جَيد شعره ونادره ، وهى طويلة أولُها :

* إنّ الخَليط أَجدَّ البينَ فانطلَقوا *

يقول فيها يفتخر بالنزارية :

أَبناء شيخٍ بَنى للمَجد قُبَّته ... فالمجدُ منه ومن أبنائه خُلُق

(١) فى الصبح المنير (ص ٢٩٠) : «الصرعة» . (٢) فى التجريد : «زبيرية» .
(٣) الحصداء ، أى القوية الشديدة . وفى الصبح المنير : «الحصناء» . والدثر : الكثير .
(٤) الخاصة : من تخصه لنفسك . (٥) لم يرد هذا فى أصول الأغانى . وانظر الصبح المنير (ص ٢٩١) ولم يرد فيه غير البيتين الأولين .

إنْ جاهلوا الناسَ بزّت جاهليّتهم أوخاطروا الناسَ عن أحسابهم سَبَقوا
الوارثون نبيَّ الله سُــنَّته في دينــه وعليهم نُزِّل الوَرَق

وله يهجو ابن العباس بن جزء

(١) وذُكر أنه كان بين أعشى تَغلب و بين أبن العباس بن جَزء ــ خال الوليد وسليمان ، ابني عبد الملك بن مروان ــ شَحناء ، فمرّ به الأعشى وهو يخطر في حُلة قد كساه اياها ابن أخته . فقال الأعشى :

تَعلَّمُ عبسٌ مشيةً قُرشيــةً تميل بها أستاهُها لا تَحيدُها
فآخرُ عَبْسٍ في المَعالي نساؤها وأوّلُ عَبْسٍ في المَعالي عَبِيدُها

يَعني أن عبسا افتخرت قديماً بعنترة العَبسي ، وهو ابن أمة ! وافتخرت آخرا بولادة بنت العبّاس بن جزء العَبسية ، أم الوليد وسُليمان أبني عبد الملك .

شعره الذي فيه الغناء

(٢) والشعر الذي فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار أعشى تَغلب ، هو من قصيدة يمدح بها الأعشى مَسلمة بن عبد الملك بن مروان ، ويهجو جريراً ويُعين الأخطل عليه ، وأول القصيدة :

حَثّت(٣) سَلاَمةُ للفِراق جِمـالَها كيما تَبينَ وما نُحب(٤) زِيالَها
فلئن سَلامة(٥) فارقتْ وتبدَّلت صُرماً بوَصل ما صَرمتُ حِبالَهَا
سَلْمٍ على دِمَنٍ تَقادم عهدُهــا بالخَوف(٦) وأُستلب الزمانُ حلالَها
رَبْعٌ لقانصة الغُرانِقِ(٧) ما به إلاّ الوحُوش خَلتْ له وخَلا لها
يا رُب آنســةِ الحديث مَليحة قــد حَلَّت بعِراصــه أثقالَها
ظَلَّت تُســائل بالمُتيَّم أهلَه وهي التي فعلتْ به أفعالَهـا

(١) هذا من أخبار التجريد ولم يرد في أصول الأغاني .
(٢) لم يرد من الشعر إلا بيتان فيما بين أيدينا من أصول الأغاني .
(٣) في الصبح المنير (ص ٣٤٤) : « رحلت أمامه »
(٤) في الصبح المنير : « تريد » . (٥) في الصبح : « أمانة » .
(٦) في الصبح : « بالحوف » . (٧) الغرانق : الشابة الممتلئة ؛ وكذلك الشاب .

دَع ما مَضى منهـا فرُبَّ مُدامة ... صَهبـاء ما خَلط القَذى سَلْسالها
با كرتُها عند الصَّباح إذا بدا ... ووضعتُ عند خِلالها أثقالَها
وصَبحتُها غُرّ الوجـــوه أعزة ... من تَغلب العَليـاء لا أسفالَها

يقول فيها فى هَجو جرير والافتخار عليه :

فاْخسأ جَريرُ إليـك إنّا معشرٌ ... نِلْنا السماءَ نُجومها وهِـلالهَا
ما رامنـا مَلِكٌ يقُيم قناتَنـــا ... إلا استبحنا خيـلَه ورجالهَا

ومنها فى مَدح مَسلمة :

حَــــبِّر لمَسلمة الثنـاء فإنه ... طالتْ أناملُه الأكفَّ فطالها
فَلنُتبعنَّك مِدْحةً قد حُــبِّرت ... أعشى بنى غَنم بن تَغْلب قالهـا
وإذا أراد بنو أُميــة(١) سُورةً ... نَظروا إليـك فقلّدوك جَمـالهَا
وإذا أراد اللهُ خِــزْىَ عِصـابة ... ولاّك قتـلَ مُـلوكها وزوالها
ولقد وَطئت الرُّوم وطئاً مُعضلا ... وقَسمت حولَ قُصورها أموالها
وعلى بَلَنْجرقد(٢) وَطئت بجَحْفل ... حتى استبحت قُصورها وجِبالها

وذُكر أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافةَ وفد إليــه أعشى تغلب ومَدحه ، فلم يُعطه شيئا ، وقال : ما أرى للشعراء فى بيت المـال حقًّا ، ولو كان لهم حق لما كان لك ، لأنك امرؤ نصرانى . فانصرف الأعشى وهو يقول : هو وعمر بن عبد العزيز

لعمرى لقد عاش الوليــد حياتَه ... إمامَ هُدًى لا مُستزاد ولا نَزْرُ
كأن بَنى مروان بعد وفاته ... جَلاميدُ ما تَندَى ولو بَلَّها القَطْر

(١) السورة : المنزلة .
(٢) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر . وملحوظ أنه لم يرد من هذه الأبيات فى الصبح إلا أربعة عشر بيتاً . على خلاف كثير فى الرواية .

أخبار أبي النضير

نسبه

هو عُمر بن عبد الملك ، بَصرىّ ، مولَى جُمح .

شاعر مغن وصلته بالبرامكة

كان شاعراً من شُعراء أهل البَصرة . ليس من المَعدودين المتقدِّمين ، ولا من المَرْذولين (١) . وكان يُغنِّى (٢) بالبصرة على جوارٍ له مولَّدات صُفْر ، وكان خَليعاً ماجنا ، وكان يُعاشر أَبَاناً اللاحقىّ ثم تَصارما ، وهجاهُ أبان وهجا جواريه . ثم أنقطع إلى البرامكة فأغنَوْه إلى أن مات .

هو والفضل بن يحيي فى تهنئته بمولود

وذُكر أنّ الفضل بن يحيى بن خالد وُلد له مَولود ، فدَخل إليه أبو النَّضير ، ولم يكن عَرف الخبر فيُعد له تَهنئة ، فلما مَثل بين يديه ورأى الناسَ يُهنئونه نظماً ونثراً قال أرتجالا فى ذلك :

ويفرح بالمَولود من آل برمـــك بُغاةُ النَّدى والسيفِ والرُّمح والنَّصْلِ

وتنبســـط الآمالُ فيـــه لفضله ... ...

ثم أُرتج عليه فلم يَدْر ما يقول . فقال الفَضل بن يحيى يُلقِّنه :

* ولا سيّما إن كان من وَلد الفَضْل *

فاُستحسن الناسُ بديهةَ الفضلِ . وأمر له بصلة .

شعره الذى فيه الغناء

وهذان البيتان هما الشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبـــار أبي النضير .

---

(١) فى غير التجريد : «ولا من المولدين الساقطين» .

(٢) فى التجريد : « يمين » .

هو والفضل فى بيت له

وذُكر أنّ الفضل بن يحيى قال لأبى النَّضير : أنت القائل فينا :

إذا كنتُ من بغدادَ فى رأس فَرسخٍ وجدتُ نَسيم الجود من آل بَرْمكِ

لقد ضَيَّقت علينا جدا ! قال: أفلأجلِ ذلك أيها الأميرُ ضاقت علىّ صلتُك، وضاقت عنى مُكافأتُك؟ وأنا الذى أقول :

تَشاغل الناسُ ببُنيانهم والفَضلُ فى بُنيانه جاهدُ
كُلٌّ ذوى الفَضلِ وأهلِ النُّهى للفَضْل فى تَدبيره حاسد

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأول كما بلغ الأميرَ ، وإنما قلتُ :

إذا كنتُ من بَغداد منقطع الثرَى[1] وجدتَ نَسيم الجود فى آل بَرمك

فقال الفضل : إنما أخذتُ ذلك عليك لأُمازحك . وأمر له بثلاثين ألفَ درهم .

بينه وبين عنان

وذُكر أنّ أبا النَّضير كان يَهوى عِنان جاريةَ النّاطفى ، فكتَب إليها :

إنّ لى حاجةً فرأيكِ فيها لكِ نَفسى الفِدَا من الأوصابِ
وَهْى ليستْ مما يُبلِّغه غيـ ـرى ولا أستطيعُها فى كِتاب
غيرَ أنّى أقولُها حين ألقا كِ رُويداً أُسِرُّها[2] مِن ثِيابى

فأجابتـه :

أنا مشغولةٌ بمَن لست أهوا هُ وقَلبى مِن دُونه فى حِجابِ
فإذا ما أردتَ أمراً فأَسرِرْ ه ولا تجعلنّه فى كِتاب

بينه وبين مكنونة

وذُكر أن أبا النَّضير كان يُغنِّى غناءً صالحا ، فغنَّى ذاتَ يوم صوتاً كان استفاده ببغداد . فقالت له قَينةٌ يقال لها مكنونة : أُطرح علىّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير . فقال : لا تَطيب نَفسى به مجاناً[3] ، ولكن أبيعك إيّاه . قالت : بكم ؟ قال :

(١) الثرا ، أى الثراء ، بمعنى الغنى . والرواية فى التجريد : « فى مقطع الثرى » .
(٢) فى التجريد : «أسلها » . (٣) فى غير التجريد : « محاباً » .

برأس مالهِ . قالت : وما رأس ماله ؟ قال : فَعل بى الذى أخذتُه منــه وصَنع . فغطّت وجهها وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدَّمار .

(١) وذُكر أنّ أبانًا اللاحقىّ جاءيَستأذن يوماً على أبى النَّضير ، فحجَبه ، وكان قد سَمع كلامَه وغِناء جواريه وكلام قوم كانوا عنده . فانصرف مغاضبا له ، وقال يهجوه :

أتيتُ أبا النَّضـــير فسدّ بابَا كأنّى جئتُ أســـأله ثَوابَا
وما إنْ جِئتُ أســـأله طَعاما وما إنْ جئت أســـأله شَرابا
رأيتُ أبا النَّضير له حجابٌ فسُبحان الذى حَجب الكِلابا
فبابُ الدار تُبصره جَـــديدا وتُبصر داخــلَ البيت الخَرابا
إذا ما المرء كانــ له قِيـــانٌ أحبَّ بأن يُجازَ وأنــ يُثابا
ومَن قَبِــل الثَّواب من النَّدامى تسمّح فى القِيادة واُســتجابا

أنشد الفضل بن الربيع شعراً له فى امرأة تزوجهـا وطلقهـا

وحكى أبو النضير قال :

دخلتُ على الفضل بن الربيع ، فقال لى : هل أحدثتَ بعدى شيئا ؟ قلت : نعم . قال : وما هو ؟ قلت: أبياتاً قلتُها فى اُمرأة تزوجتُها وطلّقتها لغير علة ، إلا لبُغضى لها ، وإنها لبيضاء بضّة كأنَّها سَبيكة فضة . قال لى : وماقلتَ فيها ؟ فقلت : قلت :

رحلتْ أُنيسة (٢) بالطَّلاقِ فأَرحتُ من غُلِّ الوَثاقِ
رحلتْ فــلم تألمْ لهـــا نَفسى ولم تَبْـــكِ المآقِى
لولم تَبِنْ بطَلاقهـــا لأرحتُ نَفسى بالإباق
وشـــفاءُ ما لا تَشتهيـــه النفسُ تَعجيلُ الفِــراق

فقال : يا غلام ، الدَّواةَ والقرطاس . فأُتى بهما . وأَمرنى فــكتبتُ له هــذه الأبيات . ثم قلتُ له : أنتَ والله تُبغض بنت أبى العبّـــاس الطُّوسىّ ! فقال : اُسكت أخزاك الله ! ثم ما لَبث أن طَلَّقها .

(١) لم يذكر هذا الخبر والأبيات فى الأصول التى بين أيدينا من الأغانى .
(٢) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « سكينة » .

أخبار العبلى

نسـبه

وهو عبدُ الله بن عُمر بن عبد الله بن علىّ بن عدىّ بن ربيعة بن عبد العُزّى ابن عبد شمس بن عبد مَناف .

عبلى وليس من العبلات

ويقال لعبد الله هذا : العَبْلى ، وليس منهم ؛ لأن العَبَلات من ولد أُمية الأصغر ابن عبد شمس . سُمُّوا بذلك باسم أُمهم عَبلة . وقد تقدَّم ذِكْر ذلك . وأمّا عبدُ العُزّى ابن عبد شمس جدّ هذا ، فكان يقال له : أسَد البطحاء . وإنما أدخلهم الناسُ فى العَبلات لمّا صارت الخِلافةُ إلى بنى أُمية الأكبر ، ابن عبد شمس ، وسادوا وعُظم أمرهم فى الجاهلية والإسلام وكثر أشرافهم ، فجعل مَن لا يعلم سائرَ (1) بنى عبد شمس طبقةً (2) واحدة ، فسمَّوهم أُمية الصُّغرى . ثم قيل لهم : العَبَلات ، لشُهرة الاسم .

شيء عن جده

وكان علىّ بن عدىّ بن رَبيعة بن عبد العُزّى شَهِد مع عائشة رضى الله عنها يوم الجَمل ، وفيه يقول شاعرُ بنى ضَبّة يومئذٍ :

يا ربِّ أعْقِر (3) بعلىٍّ جَملَهْ ولا تُبارِكْ فى بَعيرٍ حَمَلَهْ

إلاّ علىَّ بن عَدِىٍّ ليس له

هاشميته

وكان العَبْلى شاعراً مُجيداً من شُعراء قُريش ، من مُخَضْرمى الدّولتين الأُمويّة والعباسيّة . وكان فى أيّام بنى أُميةَ يميل إلى بني هاشم ويذُم بنى أُمية ، إذ لم يكن لهم إليه صُنْعٌ جميل ، فسَلِم بذلك فى أيّام بني العبّاس بهذا السبب .

لم يبره هشام فقال شعراً

وذُكر أن هشام بن عبد الملك قَسّم أموالاً وأجاز جوائز ، فلم يُعْطِ العَبْلىّ شيئا ، وبَرّ أخوالَه من بنى مَخزوم ، فقال العَبلى فى ذلك :

---

(1) فى التجريد : « من لا يعلم عدلهم من بنى » . (2) فى غير التجريد : « قبيلة » .

(3) فى بعض أصول الأغانى : « اكبب » . وفى بعض آخر : « اكسر » .

خَسَّ حَظِّى أنْ كنتُ منْ عبد شمسٍ ليتني كنتُ من بنى مَخزومِ
فأفوزَ الغداةَ منه بقَسْمٍ وأبيعَ الأبَ الكريمَ (١) بشُومِ

استقدمه المنصور فأنشده فغضب عليه فعاد إلى المدينة

فلمّا وَلِى أبو جعفر المَنصور الخلافَةَ كتب إلى السَّرِىّ بن عبد الله أن يُوجِّه به إليه ، ففعل . فلما قَدِم عليه قال له : أنشدنى ما قلت فى قَومك حين تفرّقوا واختلفوا . فقال : أعْفِنى يا أمير المُؤمنين . فقال : لا أُعفيك . فقال: فأَعطنى الأَمان. فأَمّنه . فأنشده قوله :

ما بالُ عَيْنِك جائلاً أقذاؤُها شَرِقتْ بعَبْرتها وطال بُكاؤُها

حتى انتهى إلى قوله :

فبَنُوا أُميّة خيرُ مَن وَطِىءَ الحصَى شَرَفًا وأفضَلُ سادةٍ (٢) أمراؤُها

فقال له : اخرُج عنّى لا قرّب الله دارَك ! فخرج حتى قَدِم المدينةَ ، فوجد محمدَ بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهم ، قد خرج بالمدينة على المَنصور و بايعه الناسُ بها بالخلافة ، فبايعه العَبلىُّ وصار معه .

شعره فى إنكاره على بنى أمية سبهم عليا على المنابر

وذُكر أنّ العَبْلىَّ كان يكره فى أيام قومه من بنى أُميّة ما يَفْعلونه من سَبِّ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه على المَنابر ويُظهر الإنكار لذلك ، فشَهد عليه قومٌ من بنى أُمية بمكة بذلك ، فنفَوْه منها . فانتقل إلى المدينةِ وقال فى ذلك :

شَرّدوا بى عند امتداحِى عليًّا ورأوا ذاك فىّ داءً دَوِيًّا
فو رَبِّى لا أبرحُ الدهرَ حتى تُختلَى (٣) مهجتى أُحِبّ عَلِيًّا

(١) الرواية فى غير التجريد :
فأفوز الغداة منهم بسهم وأبيع الأب الشريف بلوم
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ساسة » .
(٣) تختلى ، أى تقطع . وفى غير التجريد : « يحيى » مكان « أحب » .

وَبنيه لُحبّ أحمــدَ إنّى ... كنتُ أحببتُهم بحُبّى النّبيّا
حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنيا وشَرُّ الـ ... حُبّ حُبٌّ يكون دُنْيا وِيّا
صاغنى الله فى الذُّؤابة منهـم ... لا زَنيماً ولا سَنِيداً[1] دَعِيّا
عَدويًّا خالى صريحاً وجَدِّى ... عبدُ شمس وهـاشمٌ أبَوَيّا
فســواءٌ علىّ لستُ أبالى ... عَبْشمياًّ دُعيتُ أو هاشميّا

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار العَبلى ، هو :

ما بالُ عينكِ جائلاً أقذاؤهـا ... شَرِقتْ بعَبْرتها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عَشيرتَهـا وفُرْقةَ أهلها ... فطوتْ لذلك غُـلّةً[2] أحشاؤهـا

وهذان من قصيدة للعَبلى طويلة ، وهى التى تقـدم أن المنصور أُستنشده إياها ، وأنه غَضب لمّا أنشده وأمر بإخراجه . وهى قصيدة جيدة يَذكر فيها العبلى أُختلاف قومه بنى أُمية ووقوع الفِتنة بينهم ، ويندُب فيها مَن قُتل مِن خلفائهم ويَبكيهم ، ويُحذرهم ذَهاب مُلكهم لاختلاف ذات بينهم . وهذه القصيدة قالها فى أيام دولتهم . يقول فيها :

وأعتادها ذِكْرُ العشيرة بالأسى ... فصَباحُهـا نابٍ بها ومَســاؤُها
شَرِكوا العِـدا فى أمرهم فتفاقمت ... منها الفُتوق وفُرِّقت[3] أهواءها

ومنها :

ماذا أُؤمِّل إنْ أُميّــةُ ودَّعت ... وبقاءُ سُكّان البــلادِ بَقاؤُها

(١) الزنيم ، الدعى الملصق بالقوم وليس منهم ؛ ومثله : السنيد .
(٢) الغلة ، هنا : حرارة الحزن . وطوت : أضمرت . يريد : انطوت أحشاؤها على غلة من الحزن .
(٣) فى بعض أصول الأغانى :

شرك العدا فى أمرهـا فتقابلت ... فيها الفتوق وفرقت أهواؤها

أهلُ الرِّياسة والسِّيادة والنُّهى وأسودُ حَرْبٍ لا يَخيم (١) لِقاؤُها
غيث البلاد همُ وهمْ أمراؤُها سُرُجٌ يضىء دُجَى الظلام ضياؤُها
فلئن أُميَّةُ ودَّعت (٢) وتتايعت لِغَوايةٍ حَمِيَتْ لها خُلفاؤُها
ايُودِّعنَّ من البريَّة عزُّها ومن البلاد جَمالُها ورَجاؤُها
لَهْفى على حَرْب العَشيرة بينها هلَّا نَهَى جُهَّالَها حُلماؤُها
هَلَّا نُهًى تَنهى الغَوِىّ عن التى يُخشى على سُلطانها غَوغاؤُها
لمَّا رأيتُ الحربَ تُوقَد بينها ويَشُبُّ نارَ وَقودها إذكاؤُها
نوَّهتُ بالملِكِ المُهيمنِ دعوةً ورَواحُ (٣) نفسى فى البلاء دُعاؤُها
ليرُدَّ أُلفتها ويَجمع أمرَها بخِيارها فخِيارُها رُحماؤُها
فأجاب ربِّى فى أُمَيَّة دعوتى وحَمَى أُميةَ أن يُهَدَّ بِناؤُها
وحَبَا أُميةَ بالخلافة إنهم نُور البلادِ وزَيْنُها (٤) وسَناؤُها
فبنو أُميةَ خيرُ مَن وطِىء الثَّرى شَرفاً وأفضلُ ساسةٍ أُمراؤُها

---

(١) لا يخيم : لا ينكص ولا يضعف . وفى بعض أصول الأغانى : « والسياسة والندى » مكان « والسيادة والنهى » .

(٢) تتايعت : أسرعت .

(٣) رواح نفسى : راحتها .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وبهاؤها » .

أخبار أبي جلدة

نسبه

هو أبو جِلْدة بن عُبَيد بن مُنْقذ بن حُجْر بن عُبيد الله بن مَسْلمة بن حُبيِّب ابن عَدِيّ بن جُشَم بن غَنْم بن حُبيِّب بن كَعب بن يشكر بن بكر بن وائل .

شاعر أموى

وهو شاعر إسلامى من شُعراء الدَّولة الأُمَوية . وكان مَسكَنُه الكوفة .

كان مع الحجاج ثم خرج عليه مع ابن الأشعث

وكان ممّن خَرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكِندى على الحجّاج بن يوسف ، وقاتلَه فى وقعة الجماجم ويوم الزّاوية[1] . وقد تقدّم ذكرها فى أخبار أعشى هَمدان[2] . فقتله الحجّاج . وكان قبل ذلك أخصَّ الناس بالحجّاج ، حتى إنه بَعثه إلى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فخَطب الحجّاجُ منه ابنتَه أمّ كُلثوم . ثم إنه بعد ذلك خرج مع ابن الأشعث ، وصار مع ذلك من أشدّ الناس تحريضاً على الحجّاج . فلما أُتِى برأسه إليه وُضع بين يديه ، فنظر إليه طويلاً ثم قال : كم من سِرٍّ قد وضعتُه فى هذا الرأس فلم يخرج منه حتى أُتيتُ به مَقطوعاً .

وكان صَحِب القَعقاع بن سُويد المِنْقرىّ ، وهو على سِجستان ، فولّاه بعضَ الأعمال . وصَحب بعده مِسْمع بن مالك ، فولّاه وأَحسن إليه .

شعره فى خليعة حين تزوجت غيره

وذُكر أنّ أبا جِلْدة خَطب امرأةً مِن عِجْل يقال لها : خَليعة بنت صَعب ، فأبتْ أن تتزوّجه وقالت : أنت صُعلوك فقير لا تحفظ مالَك ولا تلقَى[3] شيئاً إلا أنفقته فى الخَمر ، وتزوّجت غيرَه . فقال أبو جِلْدة فى ذلك :

---

(١) الزاوية : موضع قرب البصرة .

(٢) انظر (ص ٧٣١) من الجزء الثانى من القسم الأول .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لا تلق » .

لما خَطَبْتُ إلى خليعةَ نفسَها ... قالت خَليعةُ لا أرى لك مالَا
أَوْدَى بمالِي ياخَليعُ تَكرُّمى ... وتَخرُّقى وتحمُّلى الأَثقالا
إنّى وَجدِّكِ لو شَهدتِ مَواقِفِى ... بالسَّفْح يومَ أُجَلِّل الأَبطالا
سَيفِى ، لَسَرَّكِ أن تكُونى خادماً ... عندى إذا كُرِه الكُماةُ نِزالا

حديثه مع قوم ضحكوا حين ضرط

وذُكر أنَّ أبا جِلْدة اليَشكرىّ كان فى قَريةٍ مِن قُرى بُسْت يقال لها : الخَيْزران ، ومعهم عَمرو بن صُوحان ، أخو صعصعة بن صُوحان ، فى جَماعة يتحدّثون ويَشربون ، إذ قام أبو جِلْدة ليبول ، وكان عظيمَ البَطن ، فضَرِطَ ، فتضاحك القومُ به ، فسَلَّ سيفَه وقال : لأضربنّ كُلَّ مَن لم يَضْرِط فى مجلسه هذا ضربةً بسيفى ، أمِنِّى تَضحكون لا أُمَّ لكم[1] ! فما زال حتى ضَرِطوا جميعاً غير عمرو بن صُوحان . فقال له : قد علمتَ أن عبد القيس لا تَضْرط ، ولك بَدَلَها عشرُ فَسوات . فقال : لا والله أو تُفْصِحَ بها . فجعل عمرو ينحنى ويتكلّف فلا يقدر عليها . فتركه . فقال أبو جِلدة فى ذلك :

أَمِنْ ضَرْطَةٍ بالخَيْزران ضرطتُها ... تَشدَّدُ منِّى تارةً وتَلينُ
فما هُو إلَّا السيفُ أو ضَرطَةٌ لها ... يثور دُخانٌ ساطعٌ وطَنين

شعره فى امرأة دهقانة

وذكر أنَّ أبا جلدة عَشق اُمرأةً ببُسْت . وكانت المرأة دِهْقانةً ، فكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً . وقال فيها :

وكأسٍ كأنَّ المِسْك فيها حَسوتُها ... ونازَعنيها صاحبٌ لى مُلَوَّمُ
أغرُّ كأنَّ البدر سُنةُ وجهه ... له كَفَلٌ رابٍ وفَرْعٌ وَمَبْسِم
يُضىء دُجى الظَّلماء رونقُ خدِّه ... ويَنجاب عنه الليلُ والليلُ مُظلم
وبَطنٌ طواه الله طَيًّا ومَنطقٌ ... شَهىٌّ ورِدفٌ نِيط بالحِقْو[2] مُفْأم

(١) فى التجريد : « لا أرضى لكم » .
(٢) نيط : علق . والحقو : الكشح . والردف المفأم : السمين .

به تَبلتْنى وأستبتْنى وغادرتْ بناتِ فُؤادى[(١)] نارُها تتضرّم

أَبيتُ بها أهذِى إذا الليلُ جَنَّنى فأُصبح مبهوتاً فما أتكلّم

وعَهْدى بها والله يُصلح[(٢)] شأنها تجودُ على مَنْ يَشتهيها وتُنْعم

فما بالُها ضَنَّت علىّ بوُدِّها فقلبى بها يا قوم عانٍ مُتيَّم

فبلغها هذا الشعرُ، وسألت عن تفسيره ففُسِّر لها. فلما انتهى التفسيرُ إلى البيتين الأخيرين قالت: أنا زانية كما زعم إنْ كلمتُه أبدا! أَوَ كلما اشتهانى إنسان بذلتُ له نفسى! إنى إذَنْ زانية. فصرمتْه فلم يقدر عليها. فعُذِّب بها زمانا، ثم قال فيها لما يَئس منها:

صحا قلبى وأقصر بعد غَىٍّ طويلٍ كان فيه من الغوانى

رأى قَصْدَ[(٣)] السبيل فباع جهلاً برُشْدٍ وارتجى عُقبى الزمان

وخاف الموتَ فاعتصم ابنُ حُجْرٍ بقرآن المُفصَّل والمثانى[(٤)]

وقِدْماً كان مُعترِماً[(٥)] جَمُوحاً إلى لذّاته سَلِس العِنان

فأقلع بعد صَبْوته وأضحى طويلَ الباع[(٦)] يَهْرف بالقُران

ويدعو الله مُجتهداً لكيما ينالَ الفوزَ فى غُرَف الجِنان

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبى جلدة، هو:

مَهلاً ذَرِينى فإنّى غالِبى[(٧)] خُلُقى وقد أرى فى بلاد الله مُتَّسعا

ما عَضَّني الدّهرُ إلاّ زادنى كَرماً ولا استلنتُ له[(٨)] إن جارَ أو خَدعا

---

(١) فى غير التجريد: «لظى فى فؤادى».

(٢) فى غير التجريد: «بالها» مكان «شأنها».

(٣) فى غير التجريد: «بأن قصد».

(٤) رواية هذا العجز فى غير التجريد:

* من الحب المبرح بالجنان *

وحجر: من آباء أبى جلدة.

(٥) معترماً: شرساً.

(٦) فى غير التجريد: «طويل الليل».

(٧) فى غير التجريد: «غالنى».

(٨) فى غير التجريد: «ولا استكنت له».

أخبار علّويه

نسبه

هو عليّ بن عبد الله بن سَيْف . وكان جَدُّه سَيف من السُّغْد الذين سَباهم سَعيد بن عُثمان بن عفّان رضى الله عنه ، وأسترقّ منهم جماعةً أختصّهم بخِدْمته ، وأعتق بعضَهم بعد مُدة ، ولم يُعتق الباقين فقتلوه .

كنيته وشيء عنه

ويُكنى علّويه أبا الحسن . وكان مُغنّياً حاذقاً ، وصانعاً مُتقِناً ، وضاربا مُتقدِّما ؛ مع خِفّة رُوح ، وطِيبُ مُجالسة ، ومَلاحة نَوادر .

نشأته فى الغناء وحياته وموته

وكان الذى عُنِي بتخريجه وتعليمه إبراهيم الموصليّ . وغنّى لمحمّد الأمين بن الرشيد . وعاش إلى خِلافة المُتوكل . ومات بعد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ بمُدة يسيرة . وكان إسحاق يتعصَّب له فى أكثر أوقاته على مُخارق .

وصف الواثق له

وكان الواثق يقول :

علّويه أصحُّ الناس صنعةً بعد إسحاق ، وأطيب الناس صوتاً بعد مُخارق ، وأحسن الناس ضَرباً بعد زَلزل [1] ومُلاحظ ، فهو مُصلى كُلّ سابِق نادر ، [2] وثانى كُل أول فاضل [3] متقدِّم .

وكان أيضاً يقول:

غناء علّويه مثل نَقر الطَّست يبقى ساعةً فى السَّمع بعد سُكوته .

عزل المأمون لابن أخته الخلنجى عن القضاء لغناء علويه بشعره

وذُكر أنَّ الخَلَنْجيَّ القاضى ـ وأسمه عبد الله بن محمد ـ كان أبنَ أُخت

---

(1) فى غير التجريد : « زبرب » . (2) فى غير التجريد : « قادر » .

(3) فى غير التجريد : « واصل » .

عَلَّويه ، وكان قاضى الشَّرْقيّة [١] ببغــداد فى أيّام الأمين . وكان عَلَّويه يُعاديه لمُنازعةٍ كانت بينهما . فآذاه عَلَّويه بأنْ عَمِل له حكايةً أعطاهــا الزَّفّانين [٢] وللُمخنّثين ، فأحرجوه فيها ، فأوجب ذلك للقـاضى أن استعفى من القضاء ببغداد فأُعفى . ثم سأل أن يُولَّى بعض الـكُور البَعيدة ، فولى قَضاء دِمشق . فلمّا ولى المأمونُ الخلافةَ غنّاه عَلَّويه بشعر القاضى الخَلَنْجىّ ، وهو :

بَرِئتُ من الإسلام إن كان [٣] ذا الذى أتاكِ به الواشُــــونَ عنِّى كما قالُوا
ولـكنَّهـــم لمـا رأوكِ [٤] غَرِيّةً بهَجْـرى تواصَوْا بالنَّميمة واحتـالُوا
فقد صِرْتِ أُذْناً للوُشـاة سميعـــةً ينالُون من عِرْضى ولولاكِ [٥] ما نالُوا

فقال له المأمون : من يقول هذا الشعرَ ؟ فقال له علّويه : قاضى دمشق . فأمر المأمون بإحضاره وكتب إلى والى دِمشق بإشخاصه ، فأُشخص . وجلس المأمونُ للشُّرب ، وأُحضر علّويه ، ودعا القاضى وقال : أنشدنى قولك :

برئتُ من الإسلام إن كان ذا الذى أتاكِ به الواشُـــون عنِّى كما قالُوا

فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذه أبياتٌ قلتُها منـــذ أربعين سنةً وأنا صبىّ ، والذى أكرمك بالخلافة وورّثك ميراث النبوّة ما قلتُ شعرا منذ أكثر من عِشرين سنةً إلا فى زُهد أو فى عِتاب صديق . فقال له : اجلس . فجَلَس . فناوله قَدح نبيذٍ كان فى يده . فقال : والله يا أميرَ المُؤمنين ما غيَّرتُ الماء بشىء قطُّ مما يُختلف فى تَحليـــله . فقال : لعلّك تُريد نبيـذَ التَّمر أو الزَّبيب ؟ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منهما . فأخذ القـدح من يده وقال : أمَا واللهِ لو شربتَ شيئاً من هذا لضربتُ عُنقك ، ولقــد ظننتُ أنك صادق فى قولك

(١) الشرقية : محلة بالجانب الغربى من بغداد . (٢) الزفانون : الراقصون .
(٣) فى التجريد : « إن كان كلما » . (٤) غرية : مولعة .
(٥) فى غير التجريد : «وإن شئت» مكان « ولولاك » .

كُلّه ، ولكنْ لا يتولّى لى القضاءَ رجلٌ بدأ فى قوله بالبراءة من الإسلام ! أنصرف إلى منزلك . وأمر علّويه فغيّر الكلمةَ وجعل مكانَها : « حُرِمتُ مُنایَ منك » .

ضرب به الأمين ولم يقرب به المأمون

وحُكى أن علّويه كان يُغنّى بين يدى الأمير ؛ فغنّى فى بعض غنائه :

لیتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفتْ أنفسنا ممّا تَجِدْ

وكان الفضلُ بن الرّبيع يَضْطغن على علّويه شيئا ، فقال للأمين: إنما يُعرِّض بك ويستبطیء المأمونَ فى مُحاربته إياك . فأمر الأمينُ بعلّويه فضُرب خمسين سوطاً، وجُرّ برجله حتى أُخرج . وجفاه مُدّة ، حتى ألقى نَفسه على كَوْثر . فترضّاه له، فردّه إلى خِدمته وأمر له بخمسة آلاف دينار . فلما قَدِم المأمونُ تقرّب إليه بذلك، فلم يَقع له بحيث يُحب ، وقال له . إنّ الملك بمنزلة الأسد فلا تتعرض لما يُغضبه ، فإنه ربما جَرى منه ما يُتلفك ثم لا تَقدر بعد ذلك على تَلافى ما فَرط منه ! ولم يُعطه شيئا .

غضب الأمين على ابراهيم الموصلى ثم ترضاه ابنه إسحاق

قال أبو الفرج :

ومثل هذا مِن فِعل الأمين ما حَكى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : دخلتُ يوماً على الأمين فرأيتهُ مُغضباً كالِحاً . فقلت له : ما لأمير المؤمنين — أتمّ الله سُروره ولا نَغّصه إياه — كالخاثر [1] ! فقال : غاظَنى أبوك الساعةَ لا رَحِمه الله ! واللهِ لو كان حيّاً لضربتهُ خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبشتُ الساعةَ قَبره وأحرقتُ عظامه . قال إسحاق : فقمتُ على رِجلى وقلت : أعوذ بالله من سُخط أمير المؤمنين ، ومَن أبى وما مِقدارُه حتى تَغتاظ منه ! وما الذى غاظك ، فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شِدّة محبّته للمأمون وتقديمه إياه حتى قال فى الرّشيد شعراً يُقدِّمه

(١) هذه رواية التجريد . والخاثر : الثقيل النفس غير الطيب ولا النشيط . وفى غير التجريد : « الحائر » .

علىَّ وغنّاه فيه ، فغنيته الساعةَ فأورثنى هذا الغيظَ . فقلت : والله ما سمعتُ بهذا ولا كان لأبى غِناء إلا وأنا أرويه ، فما هو ؟ فقال قوله :

أبو المأمونِ فينا والأمينِ   له كَنَفانِ من كَرمٍ ولِينِ

فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يُقدِّمه فى هذا الشعر لتَقديمه إياه فى المُوالاة، ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا هكذا . فقال : كان ينبغى إذا لم يَصِحَّ الشعرُ إلا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله ! فلم أُزل أُداريه وأُرفُق به حتى سَكن . فلما قدم المأمونُ سألنى عن هذا الحديث ، فحدّثتُه به . فجعل يَضحك ويعجب منه .

تخلف عن المأمون لموعد له مع عريب ثم غناه بما صنعاه فطرب

وحكى علَّويه قال :

أمرنا المأمونُ أن نُباكره لنَصْطبح . فَلقِينى عبدُ الله بن إسماعيل ، مولى عَريب ، فقال : أيها الظالمُ المُعتدى ! أمَا تَرحم ولا ترقّ ! عَريبُ هائمةٌ من الشَّوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك ، وتحلُم بك فى نَومها كُلَّ ليلة ثلاثَ مرات ! قال عَلويه : فقلتُ له : أم الخليفة [1] زانية ! ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : أُستوثِقْ من الباب ، فإنى أعرف فُضول الحُجّاب . وإذا عَريب جالسةٌ على كرسىّ تطبُخ ثلاثَ قُدور من الدَّجاج . فلمّا رأتنى قامت فعانقتنى وقبّلتنى وقالت : أىَّ شىء تَشتهى ؟ قلتُ : قِدراً من هذه القُدور . فأفرغت قدراً بينى وبينها، ثم دَعت بالنَّبيذ فصبَّت رطلاً، فشربتْ نصفَه وسقتنى نصفه، ثم قالت: يا أبا الحَسن ، غنيتُ البارحةَ فى شعرِ أبى العَتاهية ، أفتسمعه وتُصلحه ؟ فغنَّت :

عَذِيرى مِنَ الإنسان لا إن جَفَوْتُه   صَفا لى ولا إن صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وإنِّى لَمُشتاقٌ إلى ظِلِّ صاحبٍ   يَرِقُّ [2] ويصفُو إنْ كَدَرتُ عليه

---

(١) فى غير التجريد : « أم الخلافة » .
(٢) فى غير التجريد : « يروق » .

فلم أزل أنا وهى حتى أصلحناه . ثم قالت : أحبّ أن تغنّى أنت فيه أيضاً لحناً . ففعلتُ . وجعلنا نشرب على اللّحنين مَلِيًّا . ثم جاء الُحجّاب فكسروا الباب واُستَخرجونى . فدخلتُ على المأمون وأقبلتُ أرقُص من أقصى الإيوان وأُصفِّق وأُغَنِّى الصوت . فسمع المأمونُ والمغنُّون ما لم يَعرِفوه واُستظرفوه . وقال المأمون . اُدْنُ يا عَلّويه ورُدَّه . فرددتُه عليه سبعَ مرات . فقال لى فى آخرها ، عند قولى :

* يرق و يصفو إن كدرت عليه * :

يا علّويه ، خُذ الخلافة وأعطني مثلَ هذا الصاحبَ .

حسده ابن المهدى على صوتين سمعهما منه

وذُكر أن علّويه اُجتمع بإبراهيم بن المَهدىّ بعد غَيبته عنه مدةً ، فقال له إبراهيم : ما الذى أحدثت بعدى من الصنعة يا أبا الحسن؟ قال : صنعتُ صوتين. قال : هاتِهما . فغنّاه :

ألاَ إنّ لى نَفسَيْن نفساً تقولُ لى   تَمتَّع بليلَى ما بدا لك لِينُها
ونفساً تقول اُستبْقِ وُدَّك واُتَّئِدْ   ونفسَك لا تَطرَح على من يُهينها

فكاد إبراهيم يموت من الحسد ولم يَدْرِ ما يقول ؛ لأنه لم يَجِد فى الصوت مَطعناً ، فَعدل عن الكلام فى هذا المَعنى وقال : هذا يدُل على أن ليلى كانت من لِينها مثلَ المُوم (١) بالبَنَفْسَج . فسكتَ علّويه . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغنّاه . والشعر لحاتِم الطائىّ :

إذا كان لى شيئان يا أُمّ مالك   فإنّ لجارِى منهما ما تخيَّرَا
وفى واحدٍ إنْ لم يكُن غيرُ واحد   أُراه له أهلاً إذا كان مُقتِرا

فبرّز به على الأول ، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسدا . ثم قال إبراهيم له :

(١) الموم : الشمع .

فإن كان لك أمرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارك منهما واحدةً ؟ فخجل علّويه وما نَطق بصوت بقيّةَ يومه .

نزل له المأمون عن حراقة لصوت غناه إياه

وحَكى علّويه أنه غَنى هـذا الصوت الأخير المأمونَ وهو راكبٌ معه فى حَرّاقة ، وجواريه فى الحراقة يشربنَ معه ــ وما كانوا يَحجُبون جواريهم ما لم يَلِدْن ــ وأنّ المأمون طَرِب طرباً شديدا وقال : لمن هذا الصوت ؟ قال: فقلتُ : صوتٌ صَنعته وأهديتهُ إليك . فقال لمُتيم جاريته : خُذيه عنه . فألقيتهُ عليها حتى حفظتْه . فسُرّ بذلك وطرب ، وقال : ما أجد مكافأةً لك على هذا إلا أن أتحوّل عن هذه الحرّاقة بما فيها وأُسلِّمها إليك . فتحوّل عنهـا إلى حَرّاقة أُخرى ، وتسلمتُها بجميع ما فيها ، و بِعْتُ ذلك بمائة وخمسين ألفَ درهم ، فاشتريتُ بها ضَيعتى المعروفة بالصالحيّة .

غنى المأمون بما أساءه فغضب عليه

وَحَكى علّويه قال :

كنتُ مع المـأمون لمَّا خَرج إلى الشام ، فدخلنا دِمَشْق فطُفْنا فيها ، وجَعل يطوف عَلى قُصور بنى أُمية ويتَتَبَّع آثارهم . فدخلنا صَحناً من صُحونهم ، فإذا هو مَفروش بالرُّخام الأخضر كُلِّه . وفيه بِركةُ ماء يدخلُها ويخرج منها منعين تَصُبّ إليهـا ، وفى البركة سمكٌ ، و بين يدى البركة بُستانٌ ، على أَربع زواياه أربعُ سَرَوات [١] كأنها قُصَّت بمِقْرض من ٱلتفافها ، أحسنُ ما رأيتُ قطّ من السَّرو قدًّا وقدرا ، فاستحسن ذلك وعَزم على الصَّبوح وقال : هاتُوا لى السـاعةَ طعاماً خفيفا . فأُتى ببَزْ ماوَرْد ، [٢] فأكله . ودَعا بالشَّراب ، فأَقبل علىّ وقال : غنِّنى ونَشِّطنى . فكأَن الله أَنسانى الغِناء إلا هذا الصوت :

---

(١) السروات : جمع سروة ، وهى شجرة قويمة الساق .

(٢) البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلى بالزبد والبيض .

لو كان حَولى بنــو أُميّة لم ... يَنطق رجالٌ إذا هُمُ [١] نَطقُوا
من كُل قَرْمٍ مَحضٍ ضرائبُه ... عن مَنْكِبيه القَميصُ [٢] يَنْخرق

قال : فَنظر لى مُغضباً وقال : عليك وعلى بنى أُمية لعنة الله ! ويلك ، أقلت لك: سُرّنى أو سُؤْنى ! ألم يكن لك وقتٌ تذكُر فيه بنى أُميّة إلا هــذا الوقتَ تعرِّض بى ! فتجلَّدتُ عليه [٣] وعلمتُ أنّى قد أخطأت ، فقلت : أتلومنى على أن أذكُر بنى أمية ! وهذا مولاكم زِريابٌ عندهم يَركب فى مائتى غلام مَمْلوك له ، ويملك ثلاثمائة ألف دينار وهَبوها له ، سوى الضياع والخيل والرّقيق ، وأنا عندكم أموت جوعاً ! فقال : أو لم يكن لك شىء تذكِّرنى به نفسك غير هذا ؟ فقلت : لا ، هكذا حَضرنى حين ذكرتُهم . فقال : عَدِّ عن هذا وتَنبّه لإرادتى ، وغَنِّ . فأنسانى الله كُل شىء أُحسنه إلا هذا الصوت :

الحَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ وما ... كانت دِمشــقُ لأهلنا بلدَا
قادتْك نفسُك فاستقدتَ لها ... وأرتْك [٤] أمرَ غَواية رَشَدَا

قال : فرمانى بالقَدح ، فأخطأنى وانكسر القدح ، وقال : قُم عَنّى إلى لعنة الله! وقام فركب . وكانت تلك الحال آخر عهدى به .

تعقيب لابن واصل

قلت : زِرياب ــ الذى ذكره علّويه ــ هو مولى بنى العبّاس، مضى إلى الأندلس وبها ملوك بنى أُمية ، وكانوا صاروا إليها بعد زوال دَولتهم بالمشرق ، فملكوها إلى بعد سنة أربعمائة ، فخدمهم زرياب وأَحسنوا إليه . وعلويه هو مولى بنى أُمية،

(١) فى غير التجريد : « أراهم » مكان « إذا هم » .
(٢) انخراق القميص : كناية عن جذب العفاة له ، أو أنه يؤثر بجيد ثيابه فيكسوها غيره ويلبس هو منخرقها .
(٣) فى غير التجريد : « فتحيلت عليه » .
(٤) فى غير التجريد : « وأريت » .

فلما غَلط علّويه وذكر بنى أُمية أَوْهم المأمون أنه إنما ذكرهم ليذكِّر بنفسه، وليُحسن المأمون اليه كما أُحسنت بنو أُمية إلى زِرياب .

وفاة المأمون

وتُوفى المأمون فى تلك السنة فى تلك السفرة ، لأنه مضى إلى بلاد الروم غازياً فمات بالبَذَنْدون ، (١) ودُفن بطَرسوس سنة ثمان عشرةَ ومائتين .

موت علويه

وذكر أنه كان سبب موت علّويه أنه ظهر على جسده جرب ، فشكاه إلى يحيى بن ماسويه الطبيب ، فبعث اليه بدواء مُسهل وطِلاء ، فشرب الطلاء وأدّهن بالدواء المُسهل ، فمات من ذلك .

(١) بذندون : قرية بينها وبين طرسوس يوم .

أخبار إسماعيل بن عمّار

نسبه

هو إسماعيل بن عمّار بن عُيينة بن الطُّفيل، أحد بنى أسد بن خُزيمة.

عن شعره ومنزله

وهو شاعرٌ مُقِلٌّ مُخضرم من شُعراء الدّولتين الأموية والعبّاسية. ومَنزله بالكوفة.

شعره فى جوارى ابن رامين

وذُكر أنه كان بالكوفة صاحبُ قِيَان، يقال له: ابن رامين، قَدِمها من الحِجاز، وكان يَسمع الغِناء ويَشرب النَّبيذ، ويأتيه النُّدمان فيُقيمون عنده[1]. وكان نازلاً فى جِوار إسماعيل بن عمّار. وفى جواريه يقول ابنُ عمّار:

هَل مِن شِفاء لقَلْبٍ لَجَّ مَحزونِ ... صَبَا وصَبَّ[2] إلى رِئم ابن رَامينِ
إلى رُبيحةَ إنّ الله فَضلها ... بحُسْنها وسَماعٍ[3] ذى أفانين
وهاجَ قلبكَ[4] منها مَضْحكٌ حَسَنٌ ... ولَثغةٌ بعدُ فى راء[5] وفى سِين
نَفْسِى تأبّى لكم إلا طَواعيةً ... وأنتِ تأبَيْن يوماً[6] أن تُطيعينى
يا ربِّ إنّ ابنَ رامينٍ له بَقَرٌ ... عِينٌ وليس لنا غيرُ البَراذين
لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ ... يرضَى به منكَ غيرَ الرَّبْرَب العِين

شعره فى جارية ابتاعها ابن سليمان من ابن رامين وهو الشعر الذى فيه الغناء

ذُكر أنّ ابن رامين حَجّ سنةً وحَج بجواريه معه، وكان محمد بن سُليمان ابن علىّ بن عبد الله بن العبّاس إذ ذاك على الحجاز، فاشترى من ابن رامين جاريةً من جواريه - يقال لها الزّرقاء - بمائة ألف درهم، فقال إسماعيل بن عمّار فى

---

(١) العبارة فى غير التجريد: «فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده».
(٢) صبا: مال. وصب: عشق. (٣) سماع، أى غناء.
(٤) فى غير التجريد: «قلبى». (٥) فى غير التجريد: «فى زاى».
(٦) فى غير التجريد: «لؤما».

ذلك ، وهو الشعر الذى فيـــه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار إسماعيل :

أيّةُ حالٍ يابنَ رامينِ حالُ المحبِّين المساكينِ
تركتَهم موتَى وما موِّتوا قد جُرِّعُوا منك الأمرِّين
حججتَ بيتَ اللهِ تبغى به الـ ـبرَّ ولم ترثِ لمحزون
ياراعىَ الذَّوْدِ لقد رُعتَهم ويلك مِن رَوْعِ المحبِّين
فرّقت قوماً لا يُرى مثلهُم ما بين بغدادَ[1] إلى الصِّين

هجاؤه لجارية له

وذكر أن إسماعيل بن عمّار كانت له جارية قد ولدتْ منه ، وكانت سيئة الخُلق قبيحة المنظر ، وكان يبغضها وتبغضه ، فقال فيها :

بُليتُ بزَنمَرْدةٍ كالعصا ألصَّ وأخبثَ من[2] كُنْدُشِ
تُحِبُّ النساءَ وتأبَى الرجالَ وتَسعى مع الأسْفَهِ الأطْيَش
لها وجهُ قردٍ إذا أُزِّينتْ ولونٌ كبَيْض القطا الأبْرَش
ومن فوقه لِمَّةٌ جَثْلةٌ كريش الخوافى من[3] المَرْعَش
وبطنٌ خواصرُه كالوطا ب زاد على كَرِشِ الأكْرش
وإن نكهت[4] كِدْتُ مِن نَتْنِها أخِرُّ على جانبِ المَفرش
وثَدْىٌ تدلَّى على بطنها كقِربةِ ذى الثَّلَّة[5] المُعطِش
وفَخْذانِ بينهما بَسْطةٌ إذا ما مَشت مِشْيةَ[6] المُنْتَشى
وساقٌ يُخَلخلها خاتم كساق الدَّجاجة أو[7] أحمش

(١) فى غير التجريد : « كوفان » وهى الكوفة . وهى أيضاً قرية بهراة .
(٢) الزنمردة : المرأة تشبه الرجال خلقاً وخلقا . فارسية معربة . وكندش : لص كان معروفاً بالمنكر . وهو العقعق أيضاً ، طائر على قدر الحمامة ، يوصف بالسرقة والخبث .
(٣) المرعش : جنس من الحمام أبيض . وهو أيضاً النسر إذا هرم .
(٤) نكهت : تنفست .
(٥) الثلة : القطعة من الغنم . والمعطش : الذى عطشت غنمه . يصفها بضمور الثدى .
(٦) المنتشى : السكران . (٧) فى هذا البيت إقواء .

وفى كُلِّ ضِرْسٍ لها(١) فَرْجَة ... أصلُّ(٢) من القبر ذى المَنْبَش
إلى ضامرٍ(٣) مثل ظِلفِ الغزال ... أشدَّ اصفراراً من المِشْمِش
وأوسعُ من باب جِسْر الأمير ... تَمرُّ المَحاملَ لم تَخْدِش
فهذى صِفاتى فلا تأتها ... فقدقات طَرداً لها(٤) كَشكشى

هجاؤه جاراً له بنى مسجداً

وذكر أن إسماعيل بن عمّار كان فى جوار رجلٍ من قومه ينهاه عن السُّكر وهِجاء الناس ، وكان إسماعيل له مُبغضاً ، فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصق دار ابن عمّار ، فكان يجلس فيه هو وقُرّاء قومه وأهلُ الصلاح منهم ، فلا يَقدر ابنُ عمّار أن يشرب فى داره ولا يدخل إليه مُغنٍّ أو مُغَنِّية أو غيرُهما من أهل الرِّيبة . فقال ابنُ عمّار يهجوه ، وكان الرجلُ يتولّى شيئاً من الوُقوف لقاضى الكوفة :

بَنى مَسجداً بُنيانه من خِيانة ... لَعَمْرى لقِدْماً كنتَ غيرَ مُوفَّقِ
كصاحبةِ الرُّمّان لمّا تَصدّقت ... جَرتْ مَثلاً للخائن المُتصدِّق
يقول لها أهلُ الصلاح نصيحةً ... لكِ الويلُ لا تَزْنِى ولا تتصدَّق

(١) فى غير التجريد : « أكلة » وهى داء يقع فى العضو فيأتكل منه .
(٢) أصل : أنتن . (٣) يريد فرجها . (٤) كشكشى ، أى اهربى .

ذكر قصــــة المباهلة

و بعض أخبار بنى عبد المدان

إنما جرَّ ذِكر هـذا ، لأنّ أبا الفرج ذَكر شِعر الأعشَى الأكبر الذى يُغَنَّى فيه ، وهو :

وكعبةُ نَجران حتمٌ عليـــكِ حتى تُناخِي بأبوابِهَا
نَزورُ يزِيدَ وعبـدَ المَسِيح وقَيساً همُ خيرُ أربابهـا

فاقتضى ذلك ذِكر أخبار هؤلاء .

قصة المباهلة

فأمّا قِصة المُباهلة فنذكرها أولاً . وهى تتضمّن مُعجزة عظيمة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال سبحانه وتعالى فى كتابه :

(فمَن حاجّك فيه مِن بَعد ما جاءك من العِلْم فقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونِسَاءَنا ونِسَاءَكم وأنْفُسَنَا وأنْفُسكم ثمَّ نَبْتَهِلْ فنَجْعلْ لَعْنَةَ الله عَلَى الـكاذِبين) .

قال أهل العلم : لمّا قَدِم صُهيب[1] من نَجْران مع أهل نَجران ، وفيهم العاقبُ ، وأبو حَبَش ، والأُسقُفُّ ، والسَّيّد ، وقَيس ، وعبد المَسيح ، وابنُه الحارث ــ وهو غلام ــ وهم أربعون حَبراً ، جاءوا حتى وَقفوا على اليهود فى بيت المِدْراس[2] ، فصاحوا ، يابنَ صُوريًّا ، يا كَعب بن الأشرف، انزلوا يا إخوةَ القِرَدة والخنازير ! فنزلوا إليهم . فقالوا لهم : هـذا الرجل عندكم مُنذ كذا وكذا سنةً قد غَلبــكم ! أُحضُروا حتى نَمْتحنه غداً . فلمّا صلّى النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم صلاةَ الصُّبح قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدَّمهم الأُسقفُ فقـال : يا أبا القاسم ، مُوسى من أبوه ؟ قال : عِمْران . قال : فيوسُف من أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنت من أبوك ؟

(١) كذا فى الأغانى والتجريد ولم يعرف أن صهيباً كان ممن قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران .

(٢) هو البيت الذى يتدارس اليهود فيه كتابهم .

قال : عبدُ المُطّلب . قال : فعيسى ، من أبوه ؟ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم . فانقضّ عليه جبريلُ عليه السلام فقال :

(إنّ مَثَلَ عِيسَى عَنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدم خَلَقه مِن تُراب ثم قال له كُنْ فيكُون). فتلاها عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فنزا [1] الأُسقف ثم سَقط مَغشيًّا عليه ، ثم رَفع رأسه إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له : أتزعُم أنّ الله عزّ وجل أُوحى إليك أن عيسى خُلق من تُراب ! ما نجد هذا فيما أُوحى إليك ، ولا نَجده فيما أوحى إلينا ، ولا يجده هؤلاء القوم فيما أوحى إليهم – يعنون اليهود – فأوحى الله إليه : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيه مِن بَعْدِ ما جاءَكَ مِن العِلْمِ) الآية .

فقال الأُسقف : أَنصفتنا يا أبا القاسم ، فمتى نُباهلك ؟ قال : بالغَداة إن شاء الله . فانصرفَ النّصارى وانصرف اليهود وهم يقولون : والله ما نُبالى أيّهما أهلك الله : الحنيفيّة أو النّصرانية ؟ فلما صارت النّصارى إلى بيُوتها قالوا : والله إنكم لَتعلمون أنه نبيّ ، ولئن باهلناه إنّا لنَخشى أن نَهْلِك ، ولكن استقيلوه لعلّه يقيلنا . وغدا النبيُّ صلّى الله عليه وسلم من الصُّبح ، وغدا معه بعليٍّ بن أبى طالب ، وفاطمةَ ، والحسن ، والحُسين ، رضى الله عنهم أجمعين . فلمّا صلّى النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم الصُّبح استقبل القِبْلة بوَجهه ، ثم بَرك بارِكاً ، وجاء بعليّ رضى الله عنه فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفيه ، وجاء بالحسن فأقامه عن يَمينه ، وجاء بالحُسين فأقامه عن يساره . فأقبل النّصارى يَستترون بالخُشُب فى المَسجد فرَقاً أن يبدأهم بالمُباهلة إذا رآهم ، حتى بَركوا بين يديه ، ثم قالوا : أقلْنا يا أبا القاسم أقالك اللهَ عثرتك . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم – قالوا : ولم يُسأل النبيُّ صلّى الله عليه وسلم شيئاً قطُّ إلا أعطاه — وقال : قد أقلتُكم . فوَلّوْا . فلما ولّوْا

(١) نزا : وثب .

قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : أمَا والذى بَعثنى بالحقّ لو باهلتُكم ما بقى على وجه الأرض نصرانى ولا نَصرانية إلا أهلكهم الله تعالى .

تعقيب لابن واصل

قلت : ووجه الإعجاز أنه تحدّاهم بهذا الأمر العظيم فى ذلك الجمع العظيم ، فلو لم يكن على ثقة من ربّه تعالى أنه يُظهر بإهلاكهم صِدقَه وكَذِبهم ، لمَا أقدم على أمرٍ يُوجب ردَّ قوله .

وأيضاً فلو لم يتحقّقوا صِدْق نُبوته ويَعلموه من كتبهم لمَا جَبُنوا عن مُباهلته .

فهذه قصّة المباهلة .

خبر قبة نجران

وأما ذكر خبر بنى عبد المَدان ، فقد ذُكر أن عبد المسيح بن دارِس كانت له قُبة بنَجران ، كان فيها ثلثمائة جِلْد من أدم ، وكانوا يُسمُّونها الكعبة، وجعلوها على مُضاهاتها وعَظَّموها تَعظيما . وكان يقال لها : كَعبة نَجران . وقيل : ولم يأت تلك القُبة خائف إلا أَمِن ، ولا جائع إلا شَبع . وكان بإزائها نهر كان يَستغلّ منه فى كُل سنة عشرة آلاف دينار . وكانت القُبة تَستغرق ذلك كُلَّه . وكان أولَ من سكن نَجران من بنى الحارث بن كعب ، يزيدُ بن عبد المَدان ؛ وذلك أن عبدَ المسيح بن دارس زوّج أبنته رُهيمة من يزيدَ بن عبد المدان ، فولدت له عبدَ الله بن يزيد . فهُم بالكوفة . ومات عبدُ المسيح بن دارس ، فانتقل مالهُ إلى يزيد . وإلى يزيد هذا أشار الأعشى بقوله :

نزور يزيدَ وعبدَ المسيح وقيساً هُمُ خيرُ أربابها

زواج يزيد بن عبد المدان ببنت أمية

وذُكر أنه أجتمع يزيد بن عبد المدان ، وعامرُ بن الطُّفيل، بمَوسم عُكاظ، وقَدِم أُميةُ بن الأسكر الكنانىّ ، ومعه أبنةٌ له من أجمل الناس ، فخطبها يزيدُ وعامر . فقالت أُم كِلاَبٍ، أمرأة أُمية بن الأسكر: مَن هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المَدان بن الدّيان ، وهذا عامر بن الطُّفيل . فقالت : أعرف

بنى الدّيان ولا أعرف عامراً . فقال : هل سمعت بمُلاعب الأسنّة ؟ قالت : نعم . قال : فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيدُ بنُ عبد المَدان فقال : يا أُمية ، أنا ابنُ الدّيان صاحبُ الكثيب ،[1] ورئيس مَذحج . مُكلِّمُ[2] العُقاب ، ومَن كان يُصوِّب أصابعَه فتنظِف[3] دماً ، ويدلك راحتَيه فتُخرجان ذهبا . فقال أمية : بَخْ بَخْ ! فقال عامر : جَدِّى الأَخرم ، وعَمِّى مُلاعب الأسنة ، وأبى فارس قُرْزل . فقال أمية : بَخْ بخ ! مرعًى ولا كالسَّعْدان[4] . فأرسلها مثلا . فقال يزيد لعامر : هل تعلم شاعراً من قومى رَحَل بمدحَةٍ إلى رجل من قومك ؟ قال : اللهم لا . قال : فهل تعلم أن شُعراء قومك يرحلون بمَدائحهم إلى قومى ؟ قال : اللهم نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ ، أو سيف يمان ، أو بُرد يمان، أو رُكن يمانٍ ؟ قال : لا . قال : فهل مَلكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم . فنهض وأنشأ يقول :

لا تجعلنْ هوازناً كمُذحِجِ إنّك إن تَلْهج بأمرٍ تَلْجِجِ
ما النَّبعُ فى مَغرِسه كالعَوْسَجِ ولا الصَّريحُ المحْضُ كالمُمَزَّجِ

فزوّج أميةُ يزيدَ بن عبد المدان ابنَته .

بين ابن جفنة ويزيد بن عبد المدان والقيسيين

وذُكر أنّ يزيدَ بن عبد المدان ، وعمرو بن مَعديكرب ، ومكشوح المُراديّ ، قَدِموا على ابن جَفنة زُوّارا ، فلَقُوا عنده وجُوه قيس : مُلاعب الأسنة ، وعامر بن الطُّفيل[5] ، ويزيد بن عمرو بن الصَّعِق ، ودُريد بن الصِّمّة . فقال : ابنُ جفنة ليزيد ابن عبد المدان : ماذا كان يقول الدّيان إذا أصبح ، فإنه كان ديّانا ؟ قال : كان يقول : آمنت بالذى رفع هذه — يعنى السّماء — ووضع هذه — يعنى الأرض — وشق هذه — يعنى أصابعه — ثم يخرّ ساجدا ، ويقول : سَجَد وجهى لمن خلقه

(١) الكثيب : موضع بساحل بحر اليمن . (٢) فى التجريد : « ومعلم » .
(٣) تنظف : تقطر . (٤) السعدان : نبت من أنجع المراعى للإبل .
(٥) فى غير التجريد : « ملاعب الأسنة عامر بن مالك » .

وهو عاشم (١) ، وما جَشَّمنى من الأمر فإنّى جاشم . فإذا رفع رأســه قال :

إن تَغفرِ اللهم تَغفر جَمّا وأى عبدٍ لك (٢) ما ألمّا

فقال ابنُ جَفنة : إن هذا لذو دِين . ثم أقبــل على القَيْسيين فقال : ألاَ تُحَدِّثونى عن هذه الرياح : الشَّمال والجَنوب والصَّبا والدَّبور والنَّكباء ، لِمُسميت بهذه الأسماء ، فإنه قد أعيانى عِلمها ؟ فقال القوم : هذه أسماء وجدنا عليها العرب ، لا نَعلم غير ذلك . فضحك يزيدُ بن عبد المدان ثم قال : يا خَير الفتيان ، ما كنتُ أحسب أن هذا يسقُط عِلْمه على هؤلاء، وهم أهلُ الوَبَر ! إن العرب تضرب أبياتها (٣) فى القِبلة مُستقبلةً مَطلع الشمس ، لتُدفئهم فى الشتاء وتزولَ عنهم فى الصيف ، فما هَبَّ من الرِّياح عن يَمين البيت فهى الجَنوب ، وما هَب عن شماله فهى الشَّمال . وما هب عن أمامه فهى الصَّبا ، وما هَب من خلفه فهى الدَّبور ، وما استدار من الرِّياح بين هذه الجهات فهى النكباء . فقال : ابن جَفنة : إن هذا للعِلْمُ يا بنَ عبد المدان ! وأقبل على القَيسيين فسألهم عن النُّعمان بن المنذر . فعابوه وصَغَّروه . فنَظر ابنُ جفنة إلى يزيد بن عبد المدان ، فقال : ما تقول يابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خير الفتيان ، ليس صــغيراً من مَنعك العراق ، وشَرِكك فى الشام ، وقيل له : أبيت اللعن ، وقيل لك : يا خير الفتيان ، وألفى أباه مَلِكاً كما ألفَيت أباك ملـكا ؛ فلا يسرّنك من يغُرك ، فإنّ هؤلاء لو سألهم النعمانُ عنك قالوا فيك مثلَ ما قالوا فيه . وايمُ الله ، ما فيهم رجلٌ إلا ونعمة النُّعمان عنده عظيمة ! فغضب عامر بن مالك مُلاعب الأســنة وقال له : والله يابن الدّيان لتَحتلبنّ بها دماً . فقال له : ولِمَ ؟ أزيدَ فى هوازن من لا أعرفه ؟ قال : بل هم الذين تَعرف . فضحك يزيد ثم قال : لا جرم ! ما لهم جَمرة (٤) بنى الحــارث ، ولا فَتْك مُراد ، ولا بأس زُبَيــد ،

---

(١) عاشم : طامع . (٢) ألم ، أى باشر اللمم ، وهو صغار الذنوب .
(٣) فى التجريد : « أبنيتها » . (٤) الجمرة : الكثرة والعدد . وفى غير التجريد : « جراة » .

ولا كَيد جُعْفِىّ ، ولا مُغارُ طَيِىء ! وما نحن وهم يا خيرالفتيان بسواء ، وما قَتلنا أسيراً قط ، ولا أُستهمْنا [١] حُرَّة قط ، ولا بكينا قتيلا حتى نثأر به ، و إن هؤلاء ليَعْجزون عن ثأرهم حتى يُقتل السَّمِىُّ بالسَّمِىّ ، والكَنِىّ بالكَنِى ، والجار بالجار . وقال يزيد بن عبد المدان فى ذلك :

تمَالاَ على النُّعمان قومٌ إليهمُ ... مواردُه فى مُلكه ومَصادِرُهْ
على غَير ذَنب كان منه إليهمُ ... سوى أنه جادتْ عليهم مَواطِرُه
فباعَدهم من كُل شرّ يخافُه ... وقرّبهم من كُل خيرٍ يُبادره
فظنُّوا وأعراضُ الأمور [٢] كثيرة ... بأَنّ الذى قالُوا من الأمر ضائرُه
فلم ينقُصوه بالذى قيل شَعرةً ... ولا فُلِّلَتْ أنيابه وأَظافره
ولَلْحارثُ الجفنىّ أعلم بالذى ... يَنُوء به النُّعمانُ إنْ خفّ طائرُه
فيا حارِ كَمْ فيهم لِنُعمانَ نعمةٍ ... من الفَضل والمَنّ الذى أنا ذاكره
ذُنوباً عَفا عنها ومالاً أفاده ... وعَظْماً كَسيراً قَوَّمته [٣] جَوابره
ولوسالعنك العائبين [٤] ابنُ مُنذر ... لقالوا له القولَ الذى لا تُحاذره

ولما سَمع النُّعمان قولَه عظُم يزيد فى عينه ، وأَجلسه معه على سريره ، وأَسقاه نبيذه ، عطيّةً لم يُعطها أحداً ممن وفَد عليه .

(١) كذا فى التجريد . والاستهام الاقتراع . أى إنهم لم يهينوا الحرات بذلك . وفى غير التجريد : « اشتّهينا » .
(٢) فى غير التجريد : « الظنون » .
(٣) فى التجريد : « جبائره » .
(٤) فى التجريد : « العائدين » .

أخبار عبد الله بن الحشرج

نسبه

هو عبد الله بن الحَشْرج بن الأشهب بن وَرد بن عمرو بن رَبيعة بن جَعدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعةَ بن مُعاوية بن بكر بن هوازن .

شيء عنه

وكان سيّداً من سادات قَيس ، وأميراً من أُمرائهم . وَولى أكثر أعمال خُراسان ، ومن أعمال فارس ، وكَرْمان . وكان جواداً مُمدَّحا .

شيء عن أبيه

وكان أبوه الحَشْرج سيداً شاعراً وأميراً كبيرا . وكان غلب على قُهِسْتان فى زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبدُ الله بن خازم المُسيَّبَ بن أوفى القُشيرىّ ، فقتل الحشرج وأخذ قُهِستان .

شيء عن عمه

وكان عَمُّه زيادُ بن الأشهب سيّداً شريفا ، وكان قد صار إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ليُصلح بينه وبين مُعاوية على أن يولّيه الشام ، فلم يفعل ذلك عليه السلام .

شعر لابن الحشرج فى ابن عمه

وذُكر أن عبد الله بن الحشرج كان له ابنُ عَمٍّ يبلُغه عنه أنه يَعيبه ، فقال فيه :

أطِلْ حَمْل الشَّناءة لى وبُغْضِى ... وعِشْ ما شئتَ فانظُرْ مَن تَضِيرُ
فما بيدَيْك خيرٌ أرتجيه ... وغيرُ صُدودك الخطبُ الكَبير
إذا أبصرتَنى أعرضتَ عنِّى ... كأنّ الشَّمس من قِبَلى تدُور
وكيف تَعيبُ من تُمْسِى فقيراً ... إليه حين تحزُبك الأُمور

شعره الذى فيه الغناء

والبيتان الأولان من هذه الأبيات هما الشعر الذى فيه الغناء وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن الحشرج .

شعره إلى امرأته وقد لامته على التبذير

وذُكر أن ابن الحشرج كان مُفرِطَ السَّخاء لا يُبقى على شىء ، فلامتْه امرأتُه على ذلك ونسبتْه إلى التبذير ، فقال :

سأجعلُ مالى دون عِرْضى وقايةً من الذَّمِّ إنَّ المالَ يَفنى ويَنْفَدُ
ويُبْقِى لِىَ الجودُ اصطناعَ عَشيرتى وغَيرِهمُ والجود عِزٌّ مؤبَّد
ومُتَّخِذٍ ذَنْباً علىَّ سَماحتى بمالى ونارُ البُخل بالذَّمِّ تُوقد
يَبيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ ولكنه للمرء فضلٌ مُؤكَّد
ولا شىءَ يَبقى للفتى غيرُ جوده بما مَلكتْ كَفَّاه والقومُ شُهَّد
ولائمةٍ فى الجود كفكفتُ(١) غَرْبَها وقلتُ لها بَنْىُ المَكارم أحمد
فعِشْ ناعماً واتْرُكْ مقالةَ عاذلٍ يلومك فى بَذْل النَّدى ويُفنِّد
وحَسْبُ الفتى مجداً سماحةُ كفِّه وذو المَجد محمود الفِعال مُحسَّد

شعره إلى زياد وجائزته عليه

وذُكر أن زياداً الأعجم وفَد على ابن الحشرج ، وهو بسابور أميراً عليها ، فأمر بإنزاله وإلطافه وبعث إليه ما يحتاج إليه ، ثم غدا زيادٌ عليه فأنشده :

إنّ السَّماحة والمُروءة والنَّدى فى قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحَشْرَجِ
مَلِكٌ أغرُّ مُتوَّج ذو نائل للمُعْتَفين يَمينُه(٢) لم تَشْنَجِ
يا خَيْرَ مَن صَعِد المَنابر بالتُّقى بعد النَّبىِّ المُصطفى المُتحرِّج
لما أتيتُك راجياً لنوالكم ألفيتُ بابَ نَوالكم لم يُرْتَج

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

---

(١) الغرب : الحدة . والرواية فى غير التجريد : « نهنهت » .

(٢) لم تشنج : لم تتقبض . وتقبض اليد كناية عن البخل ، وبسطها كناية عن الكرم .

أخبار الطرماح

نسبه

هو الطِّرِمّاح بن حَكيم بن الحَكَم بن نَفْر بن قَيْس بن جَحْدر بن ثَعلبة ابن عَبد رِضاً بن مالك بن أُمان بن عَمرو بن رَبيعة بن جَرْول بن ثُعَل بن عَمرو بن الغَوْث بن طَيِّء .

كنيته ولقبه

ويُكنَى أبا نَفْر ، وأبا ضَبِينة . والطرمّاح : الطويلُ القامة .

شاعريته و مذهبه

وهو من فُحُول الشُّعراء الإسلاميِّين وفُصحائهم . ومَنشؤه بالشأم . وانتقل إلى الكُوفة مع من وردها من جُيوش أهل الشأم . ولمّا قَدِم الكُوفة نَزل فى بنى تَيم الله بن ثَعلبة ، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة الأَزارقة له سَمت وهَيئة ، وكان الطرمّاح يُجالسه ويَسمع منه ، فرَسخ كلامُه فى قَلبه ، ودعاه الشيخُ إلى مذهبه فقَبِله واعتقده ومات عليه .

للكميت عن صلته به

وذُكر أنّ الكُميت كان صديقاً للطرمّاح لا يكاد يُفارقه فى حال من أحواله . فقيل للكُميت : لا شىء أعجبُ مِن صفاء ما بينك و بين الطرمّاح، على تَباعد ما يَجمعكما من النَّسب والمَذهب والبلاد ! هو شأمىٌّ قحطانىٌّ شارىٌ ، وأنت كوفىٌّ نِزَارى شِيعىٌ ! فكيف اتفقتما مع تبايُن المذهب وشدة العصبيّة ؟ قال : اتفقنا على بُغض العامّة .

وأنشد الكميتُ قولَ الطرمّاح :

إذا قُبِضت نفسُ الطرمّاح أَخلقتْ عُرَى المَجْدِ واسترخَى عِنانُ القَصائدِ

فقال : إى والله ! وعِنانُ الخطابةِ والرواية والفَصاحة والشجاعة .

وفوده والكميت على مخلد بن يزيد

وذُكر أن الطرمّاح بن حكيم والكُميت بن زيد وفدَا على مَخْلد بن يزيد

ابن المهلَّب، فجلس لهما وداعيهما(١). فتقدّم الطرمّاحُ ليُنْشد. فقيل له: أَنشد قائماً. فقال: كلاّ والله، ما قَدْرُ الشِّعر أن أقوم له فيحُطَّ منِّي بقيامى وأَحُطّ منه بضَراعتى، وهو عَمود الفخر و بيتُ الذِّكْر لمآثر العرب. فقيل له: تَنَحَّ. ودُعى بالكُميت. فأَنشد قائما. فأمر له بخَمسين ألفَ درهم. فلما خرج الكميتُ شاطَرها الطرمّاحَ وقال له: أنتَ أبا ضَبينة أَبعد همّةً وأنا ألطف حِيلَة.

شعره فى رجل استنكر عليه خطراته فى المسجد

وذُكر أن الطرمّاح مرّ يوماً فى مسجد البصرة وهو يخطِر فى مِشْيته. فقال رجل: مَن هذا الخطّار؟ فسَمعه الطرمّاح، فقال: أنا الذى أقول:

لقد زادنى حُبًّا لِنَفسيَ أنّنى بَغيضٌ إلى كُلِّ امرىء(٢) غيرِ طائلِ
وأنّى شَقِيٌّ باللِّئام ولا ترى شَقِيًّا بهم إلا كريمَ الشَّمائل
إذا ما رآنى قَطَّع الطَّرف(٣) بينه و بينيَ فِعْلَ العارف المُتَجاهل
ملأْتُ عليه الأرضَ حتى كأنها من الضِّيق فى عَينيه كِفّةُ(٤) حابِلِ

شعره لخالد القسرى حين وفد عليه

وذُكر أن الطرمّاح دخل على خالد بن عبد الله القَسرىّ، فأنشده قولَه:

وشَيَّبنى أنْ لا أزال(٥) مُناهضاً بغير غِنًى أسمُو به(٦) وأَبوعُ
وأنّ رِجالَ المال أضحَوْا ومالُهم لهم عند أبواب المُلوك شَفيع
أَمُخْتَرِمِى ريبُ المَنُون ولم أَنَلْ منَ المال ما أَعْصِى به وأُطِيع

فأمر له بعشرين ألفَ درهم، وقال: أُمضِ الآن فَاعِص بها وأَطِع.

رأى المفضل فى هجائه

وذُكر أن المُفضَّل الضَّبّى كان يقول: إذا ركب الطرمّاح الهجاء فكأنّما يُوحى إليه. ثم أنشد له:

(١) فى بعض أصول الأغانى: «ودعاهما».
(٢) غير طائل، أى دون خسيس. (٣) فى غير التجريد: «اللحظ».
(٤) الحابل: الصائد. وكفته: حبالته ومصيدته.
(٥) فى غير التجريد: «ما لا أزال».
(٦) أبوع، أى أبسط يدى للإنفاق والبذل.

لو حان(١) وِردُ تميم ثم قيل لها ... حوضُ الرسولِ عليه الأَزْدُ لم تَرِدِ
أو أنزل اللهُ وحياً أنْ يُعذِّبَها ... إنْ لم تَعُد لقتال الأَزْدِ لم تَعُد
لو كان يَخْفَى على الرحمن خافيةٌ ... من خَلقِه خَفِيتْ عنه بنو أَسد

خبر موته

وحكى ابنُ شبرمة قال :

كان الطرمّاح لنا جليساً ، ففقدناه أياماً كثيرةً ، فقُمنا جميعاً لننظُرَ ما فَعل وما دَهاه ، فلما كُنّا قريباً من منزله إذا نحن بنعش عليه مُطْرَفٌ أخضر ، فقلنا : لمن هذا النعش ؟ فقيل : نعشُ الطرمّاح . فقُلنا والله ما اُستجاب اللهُ له حيث يقول :

وإنّى لَمُقتاد جوادِى فقاذِفٌ ... به وبِنفسى العامَ إحدى المَقَاذِفِ
فيارَبِّ إنْ حانتْ وفاتى فلا تَكُن ... على شَرْجَعٍ(٢) يُعْلَى بخُضْرِ المَطارف
ولكنّ قَبْرى بطنُ نَسرٍ مَقِيلُه ... بجَوّ السماء فى نُسورٍ عَوَاكِف
وأُمسى شهيداً ثاوياً فى عِصابةٍ ... يُصابون فى فَجٍّ من الأرض خائف
فوارسُ من شَيبان أَلَّف بينهم ... تُقَى اللهِ نَزّالون عند التّزاحُف
إذا فارقُوا دُنياهُمُ فارقوا الأذى ... فصارُوا إلى مِيعاد مافى المصاحف

شعره الذى فيه الغناء

والشعرُ الذى فيه الغناء ، واُفتتح به أبو الفرج أخبار الطرمّاح ، هو :

أَصاحِ ألا هَلْ مِن سبيلٍ إلى نَجْدِ ... وريحِ الخُزامَى غَضَّةً من ثَرَى جَعْدِ
وهل لليالِينا بذى الرِّمْثِ(٣) مَرْجِعٌ ... فَنَشْفِى جَوَى الأحزان من لاَعِج الوَجْد

(١) فى التجريد : « لو جاء » . (٢) الشرجع : النعش .
(٣) ذو الرمث : واد لبنى أسد .

تم الجزء الثالث من القسم الأول من تجريد الأغانى

ويليه الجزء الأول من القسم الثانى

وأوله أخبار معن بن أوس

فهرست أول لتراجم

الجزء الثالث من القسم الأول من تجريد الأغانى

مرتب على الحروف

فهرست ثان للتراجم

القسم الثانى